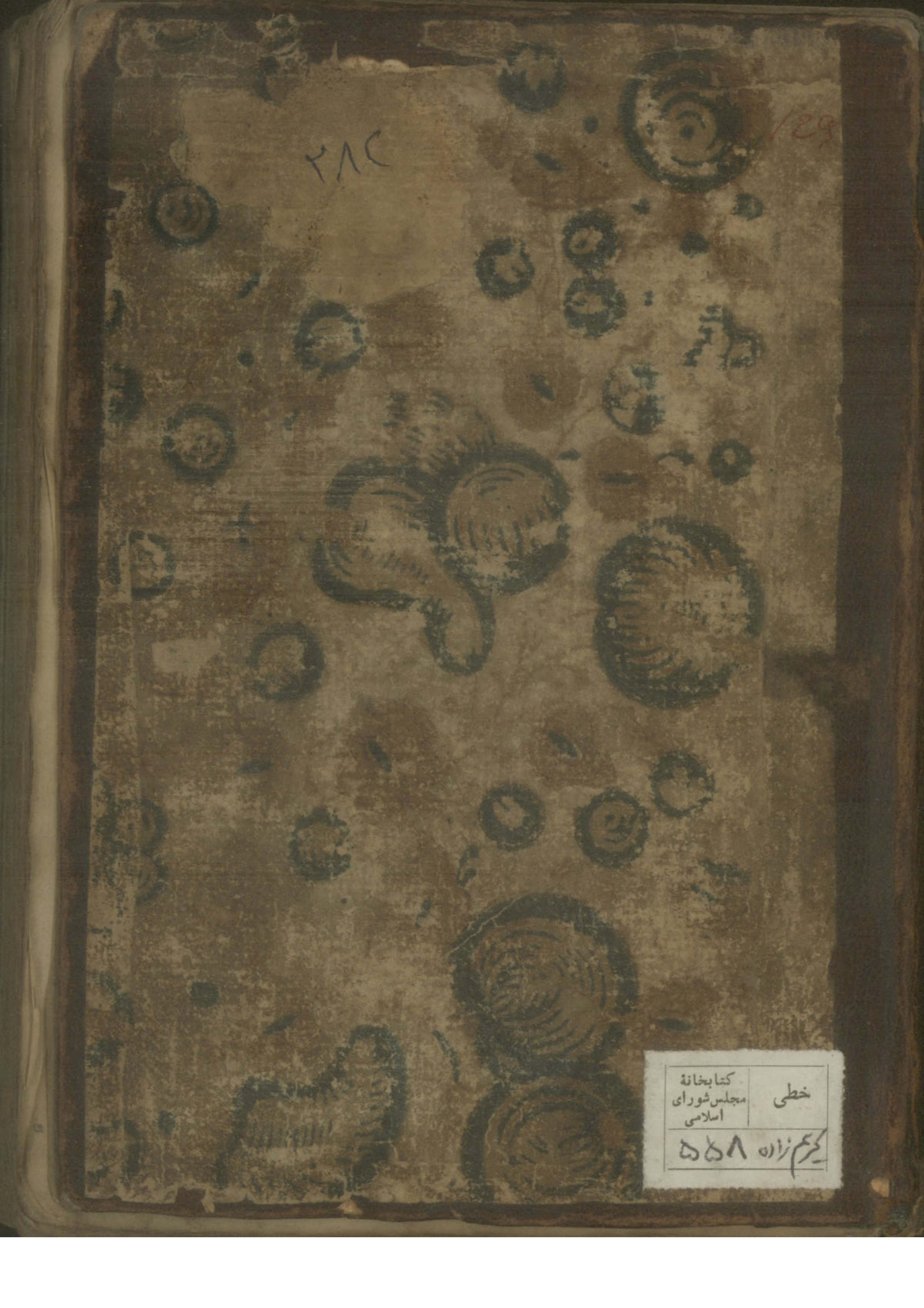
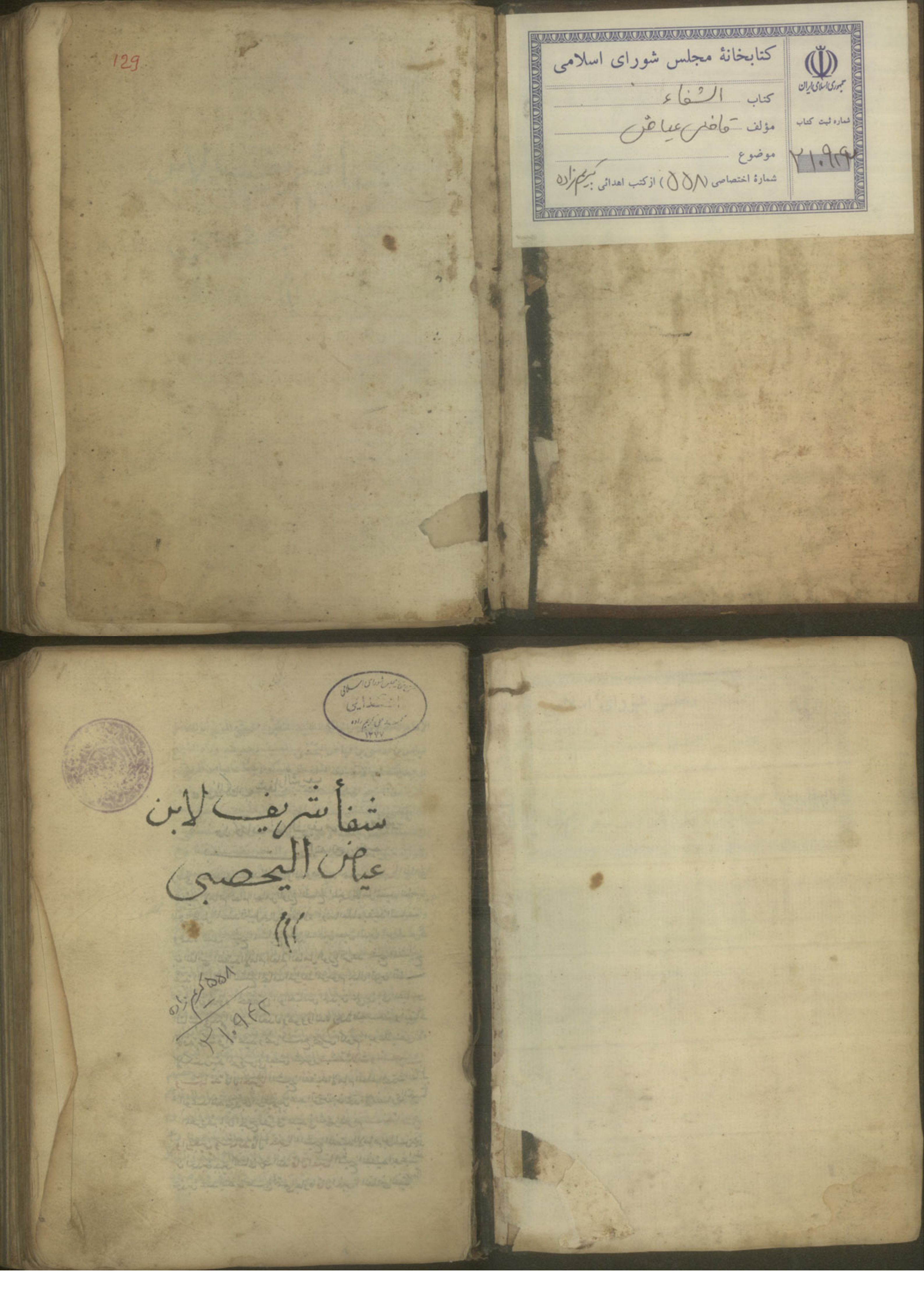
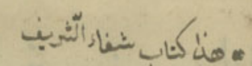



129
کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی
جمهوری اسلامی ایران
کتاب الشفاء
مؤلف قاضی عیاض
موضوع
شمارهٔ اختصاصی (۵۵۸) ازکتب اهدائی
شماره ثبت کتاب



129

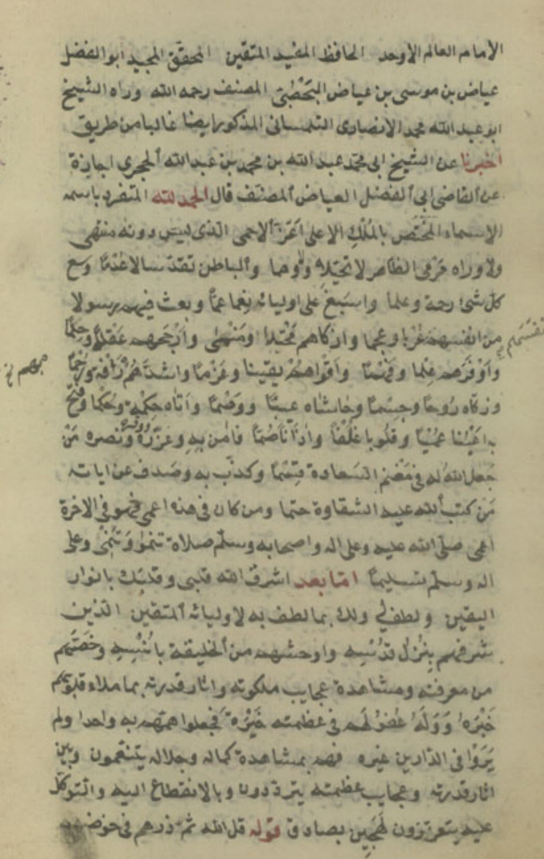
شفا شریف لابن عیاض الیحصبی


هذا كتاب شفاء الشريف

هذا كتاب شفاء الشريف مرغوب ومشهور الما

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله عليه سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين اخبرنا القاضي
الفقيه الإمام العالم العامل الورع الصالح الحبر الكامل المفيد الفاضل
المعمر الجليل المسند النبيل جمال الفضلاء اوحد العلماء بقية السلف
وعمدة الخلف شيخ المشايخ مفتي المسلمين معين الدين ابو الحسن على
بن القاضي الفقيه الإمام العالم العامل الورع الزاهد شيخ المشايخ
بقية السلف الصالح المجاهد المرابط المرحوم جمال الدين قطب
العارفين قدوة المحققين ابو العباس احمد بن على بن ابي العباس
النائب في حكم الوزير العدل وهو ووالده رحمه الله سلفه وابقاه
الكافة بركة قراءة عليه ونحن نسمع بمحرس الكوم ابو علا بثغر
الاسكندرية المحروس في بعض شهور سنة ثلاث وتسعين
وستمائة قال اخبرنا الشيخ الفقيه الإمام العالم المحدث الفاضل
ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن محمد الانصاري التلمساني
المعروف بابن الجرج بقراءتي عليه في شهر المحرم سنة اربع
واربعين وستمائة قال اخبرنا الشيخ الفقيه الإمام ابو الحسن محمد
بن احمد بن جبير الكناني رحمه الله قال اخبرنا الشيخ الفقيه ابو عبد الله
محمد بن عبد الله بن عيسى التميمي اجازة قال اخبرنا القاضي الفقيه الإمام


الامام العالم الاوحد الحافظ المفيد المتقن المحقق المجيد ابو الفضل
عياض بن موسى بن عياض اليحصبي المصنف رحمه الله ورواه الشيخ
ابو عبد الله محمد الانصاري التلمساني المذكور ايضا غالبا من طريق
اخبرنا عن الشيخ ابي محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الحجري اجازة
عن القاضي ابي الفضل العياض المصنف قال الحمد لله المتفرد باسمه
الاسماء المختص بالملك الاعز الاحمى الذي ليس دونه منتهى
ولا وراءه مرمى الظاهر لا تخيلا ولا توهما والباطن تقدسا لا عدما وسع
كل شيء رحمة وعلما واسبغ على اوليائه نعما عما وبعث فيهم رسولا
من انفسهم عربا وعجما وازكاهم محتدا ومنمى وارجحهم عقلا وحلما
واوفرهم علما وفهما واقواهم يقينا وعزما واشدهم بهم رافة ورحما
وزكاه روحا وجسما وحاشاه عيبا ووصما واتاه حكمة وحكما وفتح
به اعينا عميا وقلوبا غلفا واذانا صما فامن به وعزره ونصره من
جعل الله له في مغنم السعادة قسما وكذب به وصدف عن اياته
من كتب الله عليه الشقاوة حتما ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة
اعمى صلى الله عليه وعلى اله واصحابه وسلم صلاة تنمو وتنمى وعلى
اله وسلم تسليما اما بعد اشرق الله قلبي وقلبك بانوار
اليقين ولطف لي ولك بما لطف به لاوليائه المتقين الذين
شرفهم الله بنزل قدسه واوحشهم من الخليقة بانسه وخصهم
من معرفته ومشاهدة عجائب ملكوته واثار قدرته بما ملاء قلوبهم
حبره وولّه عقولهم في عظمته حيرة فجعلوا همهم به واحدا ولم
يروا في الدارين غيره فهم بمشاهدة كماله وجلاله يتنعمون وبين
اثار قدرته وعجائب عظمته يترددون وبالانقطاع اليه والتوكل
عليه يتعززون لهجين بصادق قوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم

انفسهم

بهم

يلعبون فانك كررت علي السؤال في مجموع يتضمن التعريف بقدر المصطفى
صلى الله تعالى عليه وسلم وما يجب له من توقير واكرام وما حكم من لم يوف
واجب عظيم ذلك القدر او قصر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر وان
اجمع لك ما لاسلافنا وائمتنا في ذلك من مقال وابينه بتنزيل صور وامثال
فاعلم اكرمك الله انك حملتني من ذلك امرا امرا وارهقتني بما كلفتني مرتقى
صعبا ملأ قلبي رعبا فان الكلام في ذلك يستدعي تقرير اصول وتحرير
فصول والكشف عن غوامض ودقائق من علم الحقائق مما يجب للنبي
صلى الله عليه وسلم ويضاف اليه او يمتنع او يجوز عليه ومعرفة
النبي والرسول والرسالة والنبوة والمحبة والخلة وخصائص هذه
الدرجة العلية وههنا مهامه فيح يحار فيها القطا ويقصر فيها
الخطا ومجاهل تضل فيها الاحلام ان لم تهتد بعلم علم ونظر سديد
ومداحض تزل بها الاقدام ان لم تعتمد على توفيق من الله تعالى
وتاييد لكني لما رجوته لي ولك في هذه السؤال والجواب من نوال وثواب
بتعريف قدره الجسيم وخلقه العظيم وبيان خصائصه التي لم تجتمع
قبل في مخلوق وما يدان الله تعالى به من حقه الذي هو ارفع الحقوق
ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا ولما اخذ
الله تعالى ميثاق الذين اوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه ولما
حدثنا به ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه رحمه الله عليه بقراءتي
قال حدثنا الحسين بن محمد ثنا ابو عمر النمري ثنا ابو محمد بن عبد
المؤمن ثنا ابو بكر محمد بن بكر ثنا سليمان بن الاشعث ثنا موسى
بن اسمعيل ثنا حماد اخبرنا علي بن الحكم عن عطاء عن ابي هريرة رضي
قال رسول صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه الجمه الله
بلجام من نار يوم القيمة فبادرت الى نكت سافرة عن وجه الغرض

الغرض مؤديا من ذلك الحق المفترض اختلستها على استعجال
لما المرء بصدده من شغل البدن والبال بما طوقه الانسان
من مقاليد المحنة التي ابتلى بها فكادت تشتغل عن كل فرض
ونفل وترد بعد حسن التقويم الى اسفل سفل ولو اراد الله بالانسان
خيرا لجعل همه وشغله كله فيما يحمد غدا ويذم محله عليه فليس ثم سوى
حضرة النعيم او عذاب الجحيم ولكان عليه بخويصته واستنقاذ
مهجته وعمل صالح يستزيده وعلم نافع يفيده او يستفيده جبر الله تعالى
صدع قلوبنا وغفر عظيم ذنوبنا وجعل جميع استعدادنا لمعادنا ودواعينا وتوفر
فيما ينجينا ويقربنا اليه تعالى زلفا ويحظينا بمنه ورحمته ولما نويت
تقريبه ودرجت تبويبه ومهدت تاصيله وخلصت تفصيله وانتحيت
حصره وتحصيله ترجمته بالشفاء بتعريف حقوق المصطفى صلى الله تعالى
عليه وسلم وحصرت الكلام فيه في اقسام اربعة القسم الاول
في تعظيم العلي الاعلى لقدر هذا النبي المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم
قولا وفعلا وتوجه الكلام فيه في اربعة ابواب الباب الاول في ثنائه تعالى
عليه واظهاره عظيم قدره لديه وفيه عشرة فصول الباب الثاني
في تكميله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية
والدنيوية فيه نسقا وفيه سبعة وعشرون فصلا الباب الثالث
فيما ورد عن صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته
وما خصه الله به في الدارين من كرامته وفيه اثنى عشر فصلا الباب
الرابع فيما اظهره الله على يديه من الايات والمعجزات وشرفه به من
الخصائص والكرامات وفيه ثلثون فصلا القسم الثاني فيما يجب على الانام
من حقوقه عليه السلام ويترتب القول فيه في اربعة ابواب الباب الاول
في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته وفيه خمسة فصول

اعينا

لجعله

الثاني في لزوم محبته ومناصحته وفيه ستة فصول الثالث
في تعظيم امره ولزوم توقيره وبره وفيه سبعة فصول الرابع
في حكم الصلوة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته وفيه عشرة
فصول القسم الثالث فيما يستحيل في حقه وما يجوز عليه وما
يمتنع ويصح من الامور البشرية ان يضاف اليه وهذا القسم
اكرمك الله هو سر الكتاب ولباب ثمرة هذه الابواب وما قبله له
كالقواعد والتمهيدات والدلائل على ما نورده فيه من النكت البينات
وهو الحاكم على ما بعده والمنجز من غرض هذا التاليف وعده وعند
التقصي لموعدته والتفصي عن عهدته يشرق صدر العدو اللعين
ويشرق قلب المومن باليقين وعلاء انواره جوانح صدره ويقدر
العاقل للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم حق قدره ويتحرر الكلام فيه
في بابين الباب الاول يختص بالامور الدينية ويتشبث به القول في
العصمة وفيه ستة عشر فصلا الباب الثاني في احواله الدنيوية
وما يجوز طروه عليه من الاعراض البشرية وفيه تسعة فصول
القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام على من تنقصه او سبه عليه
السلام وينقسم الكلام فيه في بابين الباب الاول في بيان ما هو في حقه
سب ونقص من تعريض او نص وفيه عشرة فصول الباب الثاني
في حكم شانيه ومؤذيه ومتنقصه وعقوبته وذكر استتابته
والصلوة عليه ووراثته وفيه عشرة فصول وختمنا بباب
ثالث جعلناه تكملة لهذه المسئلة ووصلة للبابين اللذين قبله
في حكم من سب الله تعالى ورسوله وملائكته وكتبه وال النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم وصحبه واختصر الكلام في خمسة فصول وبتمامها
ينجز الكتاب وتتم الاقسام والابواب ويلوح في غرة الايمان لمعة

لمعة منيرة وفي تاج التراجم درة خطيرة يزيح كل لبس ويوضح كل تخمين
وحدس ويشفي صدور قوم مومنين وتصدع بالحق ويعرض عن
الجاهلين وبالله تعالى لا اله سواه استعين القسم الاول في تعظيم العلي
الاعلى لقدر المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم قولا وفعلا قال القاضي
الفقيه ابو الفضل رضي الله عنه لا خفاء على من مارس شيئا من العلم
او خص بادنى لمحة من فهم بتعظيم الله تعالى قدر نبينا صلى الله تعالى
عليه وسلم وخصوصيته اياه بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضبط
لزمام وتنويهه لعظيم قدره بما تكل عنه الالسنة والاقلام فمنها ما
صرح به تعالى في كتابه ونبه به على جليل نصابه واثنى به عليه من اخلاقه
وادابه وحض العباد على التزامه وتقلد ايجابه فكان جل جلاله هو الذي
تفضل واولى ثم طهر وزكى ثم مدح بذلك واثنى ثم اثاب عليه الجزاء
الاوفى فله الفضل بدءا وعودا والحمد اولى واخرى ومنها ما ابرزه للعيان
من خلقه على اتم وجوه الكمال والجلال وتخصيصه بالمحاسن الجميلة
والاخلاق الحميدة والمذاهب الكريمة والفضائل العديدة وتاييده
بالمعجزات الباهرة والبراهين الواضحة والكرامات البينة التي شاهدها
من عاصره وراها من ادركه وعلمها علم اليقين من جاء بعده حتى
انتهى علم حقيقة ذلك الينا وفاضت انواره علينا صلى الله تعالى عليه وسلم
كثيرا حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمة الله
قراءة مني عليه ثنا ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار وابو الفضل احمد
بن خيرون قالا ثنا ابو يعلى البغدادي ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن احمد
بن محبوب اخبرنا ابو عيسى بن سورة الحافظ ثنا اسحق بن منصور
ثنا عبد الرزاق انبانا معمر عن قتادة عن انس رضي الله عنه ان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به ملجما مسرجا

وفقه الله وسدده

فاستصعب عليه فقال له جبرائيل عليه السلام ابمحمد تفعل هذا فما
ركبك احد اكرم على الله منه قال فارفض عرقا الباب الاول في ثناء
الله تعالى عليه واظهاره عظيم قدره لديه صلى الله تعالى عليه وسلم
اعلم ان في كتاب الله تعالى العزيز ايات كثيرة مفصحة بجميل ذكر
المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم وعد محاسنه وتعظيم امره
وتنويه قدره اعتمدنا منها على ما ظهر معناه وبان فحواه وجمعنا
ذلك في عشرة فصول الفصل الاول فيما جاء من ذلك مجيء المدح
والثناء وتعداد المحاسن كقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم
الاية قال السمرقندي وقرا بعضهم من انفسكم بفتح الفاء
وقرا الجمهور بالضم قال القاضي ابو الفضل وفقه الله تعالى اعلم
الله المومنين او العرب او اهل مكة او جميع الناس على اختلاف
المفسرين من المواجه بهذا الخطاب انه بعث فيهم رسولا
من انفسهم يعرفونه ويتحققون مكانه ويعلمون صدقه وامانته
فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم وانه لم يكن
في العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة
او قرابة وهو عند ابن عباس وغيره معنى قوله تعالى الا المودة
في القربى وكونه من اشرفهم وارفعهم وافضلهم على قراءة
الفتح وهذه نهاية المدح ثم وصفه بعد باوصاف حميدة واثنى
عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشدهم واسلامهم
وشدة ما يعنتهم ويضر بهم في دنياهم واخراهم وعزته عليه
ورافته ورحمته بمومنيهم قال بعضهم اعطاه اسمين من
اسمائه رؤف رحيم ومثله في الاية الاخرى قوله تعالى لقد من الله
على المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم الاية وفي الاية

وقرأ نسخة

مهم

وفي الاية الاخرى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم الاية وقوله
كما ارسلنا فيكم رسولا منكم الاية وروي عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى من انفسكم
قال نسبا وصهرا وحسبا ليس في ابائي من لدن ادم عليه السلام
سفاح كلنا نكاح قال ابن الكلبي كتبت للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
خمس مائة ام فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان عليه
الجاهلية وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى وتقلبك
في الساجدين قال من نبي الى نبي حتى اخرجتك نبيا وقال جعفر بن
محمد علم الله عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا انهم
لا ينالون الصفو من خدمته فاقام بينهم وبينه مخلوقا من
جنسهم في الصورة البسه من نعته الرافة والرحمة واخرجه
الى الخلق سفيرا صادقا وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته
فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال الله تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين وقال ابو بكر بن طاهر زين الله محمدا صلى الله
تعالى عليه وسلم بزينة الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمائله
وصفاته رحمة على الخلق فمن اصابه شيء من رحمته فهو الناجي
في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما الى كل محبوب الا ترى
ان الله تعالى يقول وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكانت حياته
رحمة ومماته رحمة كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم حياتي خير لكم
ومماتي خير لكم وكما قال صلى الله تعالى عليه وسلم اذا اراد الله
رحمة بامة قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا وقال
السمرقندي رحمة للعالمين يعني الجن والانس وقيل لجميع الخلق
للمومن رحمة بالهداية ورحمة للمنافق بالامان من القتل ورحمة

للكافر بتأخير العذاب قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه هو رحمة
للعالمين والكافرين اذ عوفوا مما اصاب غيرهم من الامم المكذبة
وحكي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لجبرائل عليه السلام
هل اصابك من رحمة شي قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت
لثناء الله عز وجل علي بقوله تعالى ذي قوة عند ذي العرش مكين
مطاع ثم امين وروي عن جعفر بن محمد الصادق في قوله تعالى
فسلام لك من اصحاب اليمين اي بك انما وقعت سلامتهم
من اجل كرامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقال الله تعالى الله
نور السموات والارض الاية قال كعب وابن جبير المراد بالنور
الثاني هنا محمد صلى الله عليه وسلم وقوله مثل نوره اي نور
محمد صلى الله عليه وسلم اذ كان مستودعا في الاصلاب كمشكاة
صفتها كذا واراد بالمصباح قلبه والزجاجة صدره كانه كوكب
دري لما فيه من الايمان والحكمة توقد من شجرة مباركة اي
من نور ابراهيم عليه السلام وضرب المثل بالشجرة المباركة
وقوله تعالى يكاد زيتها اي تكاد نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت وقد قيل في هذه الاية
غير هذا والله تعالى اعلم وقد سماه الله في القران في غير هذا الموضع
نورا وسراجا منيرا فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين
وقال الله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا
الى الله باذنه وسراجا منيرا ومن هذا قوله تعالى الم نشرح لك
صدرك الى اخر السورة شرح وسع والمراد بالصدر هنا
القلب قال ابن عباس رضي الله عنه شرحه بالاسلام وقال
سهل بنور الرسالة وقال الحسن ملاه حكما وعلما وقيل

وقال سهل بن عبد الله المعنى الله هادي اهل السموات والارض ثم قال مثل نوره محمد صلعم

وقيل معناه الم نطهر قلبك حتى لا يؤذيك الوسواس
ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك قيل ما سلف
من ذنبك يعني قبل النبوة وقيل اراد ثقل ايام الجاهلية
وقيل اراد ما اثقل ظهره من اعباء الرسالة حتى بلغها
حكاه الماوردي والسلمي وقيل عصمناك ولولا ذلك
لاثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندي ورفعنا لك ذكرك
قال يحيى بن ادم بالنبوة وقيل اذا ذكرت ذكرت معي قول
لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل في الاذان والاقامة
والتشهد اصل قال القاضي ابو الفضل رحمه الله هذا
تقرير من الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
اسمه على عظيم نعمه لديه وتشريف منزلته عنده وكرامته
عليه بان شرح قلبه للايمان والهداية ووسعه لوعي
العلم وحمل الحكمة ورفع عنه ثقل امور الجاهلية عليه
وبغضه لسيرها وما كانت عليه بظهور دينه على الدين كله
وحط عنه عهدة اعباء الرسالة والنبوة لتبليغه للناس
ما نزل اليهم وتنويهه بعظيم مكانته وجليل رتبته ورفعه
ذكره وقرانه مع اسمه اسمه قال قتادة رضي الله عنه رفع الله
ذكره في الدنيا والاخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب
صلوة الا يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
وروى ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبرائل
عليه السلام فقال ان ربي وربك يقول اتدري كيف
رفعت ذكرك قلت الله ورسوله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت
معي قال ابن عطا جعلت تمام الايمان بذكري معك وقال ايضا

ذكرك
جعلتك ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني قال جعفر بن محمد الصادق
لا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرني بالربوبية فمن ذكرني واشار
بعضهم في ذلك الى الشفاعة ومن ذكره معه تعالى ان قرن طاعته
بطاعته واسمه باسمه فقال اطيعوا الله والرسول وامنوا
بالله ورسوله فجمع بينهما بواو العطف المشركة ولا يجوز
جمع هذا الكلام في غير حقه عليه السلام حدثنا الشيخ ابو علي
الحسين بن محمد الجياني الحافظ فيما اجازنيه وقراته على الثقة عنه
حدثنا ابو عمر النمري حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن حدثنا
ابو بكر بن داسة حدثنا ابو داود السجزي حدثنا ابو الوليد
الطيالسي حدثنا شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار
عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي عم قال لا يقولن احدكم
ما شاء الله وشاء فلان ولكن ما شاء الله ثم شاء فلان
قال الخطابي ارشدهم صلى الله تعالى عليه وسلم الى الادب
في تقديم مشية الله تعالى على مشية من سواه واختارها بثم
التي هي للنسق والتراخي بخلاف الواو التي هي للاشتراك
ومثله الحديث الاخر ان خطيبا خطب عند النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد
ومن يعصهما فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بئس
خطيب القوم انت قم او قال اذهب قال ابو سليمان كره
منه الجمع بين الاسمين بحرف الكناية لما فيه من التسوية
وذهب غيره الى انه انما كره له الوقوف على يعصهما وقول
ابي سليمان اصح لما روى في الحديث الصحيح انه قال ومن
يعصهما فقد غوى ولم يذكر الوقوف على يعصهما وقد اختلف

اختلف المفسرون واصحاب المعاني في قوله تعالى ان الله وملائكته
يصلون على النبي هل يصلون راجعة الى الله والملائكة ام لا
فاجازه بعضهم ومنعه اخرون لعلة التشريك وخصوا
الضمير بالملائكة وقدروا الاية ان الله يصلي وملائكته
يصلون وقد روى عن عمر رضي الله عنه انه قال من فضيلتك
عند الله ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول
فقد اطاع الله وقد قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله الايتين روى انه لما نزلت هذه الاية قالوا ان
محمدا يريد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى عليه
السلام فانزل الله تعالى قل اطيعوا الله والرسول فقرن
طاعته بطاعته رغما لهم وقد اختلف المفسرون في معنى
قوله تعالى في ام الكتاب اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين
انعمت عليهم فقال ابو العالية والحسن البصري الصراط
المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيار اهل بيته
واصحابه حكاه عنهما ابو الحسن الماوردي وحكاه مكي عنهما
نحوه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه ابو بكر
وعمر رضي الله عنهما وحكى ابو الليث السمرقندي مثله عن ابي العالية
في قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم قال فبلغ ذلك الحسن
فقال صدق والله ونصح وحكى الماوردي ذلك في تفسير صراط
الذين انعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد وحكى ابو عبد الرحمن
السلمي عن بعضهم في تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة
الوثقى انه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل الاسلام وقيل
شهادة التوحيد وقال سهل في قوله تعالى وان تعدوا نعمة

الله لا تحصوها قال نعمته محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقال
تعالى والذى جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون الايتين
اكثر المفسرين على ان الذى جاء بالصدق هو محمد صلى الله عليه
وسلم قال بعضهم وهو الذى صدق به وقرئ بالتخفيف
وقال غيرهم الذى صدق به المؤمنون وقيل ابو بكر رضى الله
عنه وقيل على كرم الله وجهه وقيل غير هذا من الاقوال وعن
مجاهد فى قوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب قال بمحمد صلى
الله عليه وسلم واصحابه الفصل الثانى فى وصفه تعالى له
بالشهادة وما يتعلق بها من الثناء والكرامة قال الله تعالى
يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الاية
جمع الله له فى هذه الاية ضروبا من رتب الاثرة وجملة
اوصاف من المدحة فجعله شاهدا على امته لنفسه بابلاغهم
الرسالة وهى من خصايصه عليه السلام ومبشرا لاهل
طاعته ونذيرا لاهل معصيته وداعيا الى توحيده وعبادته
وسراجا منيرا يهتدى به للحق حدثنا الشيخ ابو محمد بن
عتاب رحمة الله عليه قال حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد
حدثنا ابو الحسن القابسى حدثنا ابو زيد المروزى حدثنا
ابو عبد الله محمد بن يوسف حدثنا البخارى رحمة الله عليه
حدثنا محمد بن سنان حدثنا فليح حدثنا هلال عن عطاء بن
يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت اخبرنى
عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اجل والله
انه لموصوف فى التورية ببعض صفته فى القران يا ايها
النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين

الى الله اى

دنه

للاميين انت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا
غليظ ولا صخاب فى الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن
يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا
لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وذكر
مثله عن عبد الله بن سلام وكعب الاحبار وفى بعض طرقه عن ابن
اسحق ولا صخب فى الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا
اسدده لكل جميل واهب له كل خلق كريم واجعل السكينة لباسه
والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء
طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق
شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدى
بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمى
بعد النكرة واكثر به بعد القلة واغنى به بعد العيلة واجمع به بعد
الفرقة واولف به بين قلوب مختلفة واهواء متشتتة وامم متفرقة
واجعل امته خير امة اخرجت للناس وفى حديث اخر اخبرنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن صفته فى التورية عبدى احمد المختار مولده
بمكة ومهاجره بالمدينة او قال طيبة امته الحامدون لله على كل حال
وقال تعالى الذين يتبعون الرسول النبى الامى الايتين وقد قال تعالى
فبما رحمة من الله لنت لهم الاية قال السمرقندى ذكره الله منته انه
جعل رسوله رحيما بالمؤمنين رؤفا لين الجانب ولو كان فظا خشنا
فى القول لتفرقوا من حوله لكن جعله الله سمحا سهلا طلقا برا
لطيفا هكذا قاله الضحاك وقال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا
لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا قال ابو
الحسن القابسى ابان الله تعالى فضل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم

وفضل امته بهذه الاية وفى قوله فى الاية الاخرى وفى هذا ليكون
الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس وكذلك قوله
فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد الاية وقوله وسطا اى عدلا
خيارا ومعنى هذه الاية وكما هديناكم فكذلك خصصناكم وفضلنا
كم بان جعلناكم امة خيارا عدولا لتشهدوا للانبياء على اممهم ويشهد
لكم الرسول بالصدق وقيل ان الله جل جلاله اذا سال الانبياء
هل بلغتم فيقولون نعم فتقول اممهم ما جاءنا من بشير ولا نذير فتشهد
امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ويزكيهم النبى عليه السلام
وقيل معنى الاية انكم حجة على كل من خالفكم والرسول حجة عليكم
حكاه السمرقندى وقال تعالى وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق
عند ربهم قال قتادة والحسن وزيد بن اسلم قدم صدق وهو
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يشفع لهم وعن الحسن ايضا هى
مصيبتهم بنبيهم صلى الله تعالى عليه وسلم وهو شفيع صدق
عند ربهم وقال سهل بن عبد الله التسترى هى سابقة رحمة
اودعها الله فى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقال محمد بن على الترمذى
هو امام الصادقين والصديقين الشفيع المطاع والسائل المجاب
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حكاه عنه السلمى الفصل الثالث فيما
ورد فى خطابه اياه مورد الملاطفة والمبرة من ذلك قوله تعالى عفا الله
عنك لم اذنت لهم قال ابو محمد مكى قيل هذا افتتاح كلام بمنزلة
اصلحك الله واعزك الله وقال عون بن عبد الله اخبره بالعفو قبل
ان يخبره بالذنب حكى السمرقندى عن بعضهم ان معناه عافاك الله
يا سليم القلب لم اذنت لهم قال ولو بدا بالنبى صلى الله عليه وسلم
بقوله لم اذنت لهم لخيف عليه ان ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام

وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه بشفاعة نبيهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم مع

الكلام لكن الله تعالى برحمته اخبره بالعفو حتى سكن قلبه ثم قال
له لم اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين الصادق فى عذره من
الكاذب وفى هذا من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على ذى
لب ومن اكرامه اياه وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط
القلب قال نفطويه ذهب ناس الى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
معاتب بهذه الاية وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم
اعلمه الله انه لو لم ياذن لهم لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج عليه
فى الاذن لهم قال القاضى رحمه الله يجب على المسلم المجاهد نفسه
الرايض بزمام الشريعة خلقه ان يتادب بادب القران فى قوله
وفعله ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر المعارف الحقيقية
وروضة الادب الدينية والدنيوية وليتامل هذه الملاطفة
العجيبة فى السؤال من رب الارباب المنعم على الكل المستغنى
عن الجميع ويستثير ما فيها من الفوائد وكيف ابتدا بالاكرام
قبل العتب وانس بالعفو قبل ذكر الذنب ان كان ثم ذنب وقال
تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا قال
بعض المتكلمين عاتب الله تعالى الانبياء بعد الزلات وعاتب نبينا
محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم قبل وقوعه ليكون بذلك اشد
انتهاء ومحافظة لشرائط المحبة وهذه غاية العناية ثم
انظر كيف بدا بثباته وسلامته قبل ذكر ما عتبه عليه وخيف
ان يركن اليه ففى اثناء عتبه براءته وفى طى تخويفه تامينه
وكرامته ومثله قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون
فانهم لا يكذبونك الاية قال على رضى الله عنه قال ابو جهل للنبى
صلى الله تعالى عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به

فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك الآية وروي ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه حزن فجاءه جبريل فقال
ما يحزنك قال كذبني قومي فقال انهم يعلمون انك صادق
فانزل الله الآية ففي هذه الآية منزع لطيف المأخذ من تسليته
تعالى له عليه السلام والطافه في القول بان قرر عنده انه
صادق عندهم وانهم غير مكذبين له معترفون بصدقه
قولا واعتقادا وقد كانوا يسمونه قبل النبوة الامين فدفع
بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب ثم جعل الذم
لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين فقال تعالى ولكن الظالمين
بآيات الله يجحدون فحاشاه من الوصم وطوقهم بالمعاندة
بتكذيب الآيات حقيقة الظلم اذ الجحد انما يكون ممن علم
الشيء ثم انكره كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم
ظلما وعلوا ثم عزاه وانسه بما ذكره عمن قبله ووعده
بالنصر بقوله ولقد كذبت رسل من قبلك الآية فمن قرأ
يكذبونك بالتخفيف فمعناه لا يجدونك كاذبا وقال الفراء
والكسائي لا يقولون انك كاذب وقيل لا يحتجون على كذبك
ولا يثبتونه ومن قرأ بالتشديد فمعناه لا ينسبونك الى
الكذب وقيل لا يعتقدون كذبك ومما ذكر من خصائصه
وبر الله تعالى به ان الله تعالى خاطب جميع الانبياء باسمائهم
فقال يا آدم يا نوح يا ابراهيم يا داود يا عيسى يا زكريا يا يحيى
ولم يخاطب هو الا يا ايها الرسول يا ايها النبي يا ايها
المزمل يا ايها المدثر الفصل الرابع في قسمه تعالى بعظيم قدره صلى
الله تعالى عليه وسلم قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم

سكرتهم يعمهون اتفق اهل التفسير في هذا انه قسم من
الله جل جلاله بمدة حياة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم واصله
ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه
وبقائك يا محمد وقيل وعيشتك وقيل وحياتك وعيشتك
ومنه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف قال ابن عباس
ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم وما سمعت الله تعالى اقسم بحياة احد غيره
قال ابو الجوزاء ما اقسم الله بحياة احد غير محمد صلى الله عليه
وسلم لانه اكرم البرية عنده وقال يس والقرآن الحكيم
الآية اختلف المفسرون في معنى يس على اقوال فحكى ابو محمد
مكي انه روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لي عند ربي
عشرة اسماء ذكر ان منها طه ويس اسمان له وحكى ابو عبد الرحمن
السلمي عن جعفر الصادق انه اراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى
الله تعالى عليه وسلم وعن ابن عباس يس يا انسان اراد محمدا
صلى الله تعالى عليه وسلم وقال هو قسم وهو من اسماء الله
وقال الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل يا انسان
وعن ابن الحنفية يس يا محمد وعن كعب يس قسم اقسم الله
به قبل ان يخلق السماء والارض بالفي عام يا محمد انك لمن
المرسلين ثم قال والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين فان قدر انه
من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم وصح فيه انه قسم كان
فيه من التعظيم ما تقدم ويؤكد فيه القسم عطف القسم
الاخر عليه وان كان بمعنى النداء فقد جاء قسم اخر بعده لتحقيق
رسالته والشهادة بهدايته اقسم الله تعالى باسمه وكتابه

انك لمن المرسلين بوحيه الى عباده وعلى صراط مستقيم
من ايمانه اي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال
النقاش لم يقسم الله تعالى لاحد من انبيائه بالرسالة في
كتابه الا له وفيه من تعظيمه وتمجيده على تأويل من قال
انه يا سيد ما فيه وقد قال عليه السلام انا سيد ولد
ادم ولا فخر وقال تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا
البلد قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه
مكي وقيل لا زائدة اي اقسم به وانت به يا محمد حلال او حل
لك ما فعلت فيه على التفسيرين والمراد بالبلد عند هؤلاء
مكة وقال الواسطي اي نحلف لك بهذا البلد الذي شرفته
بمكانك فيه حيا وببركتك ميتا يعني المدينة والاول اصح
لان السورة مكية وما بعده يصححه قوله تعالى وانت حل
بهذا البلد ونحوه قول ابن عطا في تفسير قوله تعالى وهذا البلد
الامين قال امنه الله تعالى بمقامه فيها وكونه بها فان كونه امانا
حيث كان ثم قال ووالد وما ولد من قال اراد ادم فهو عام
ومن قال هو ابراهيم وما ولد فهي ان شاء الله تعالى اشارة الى
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فتضمن السورة القسم به في
موضعين وقال تعالى الم ذلك الكتاب قال ابن عباس هذه الحروف
اقسام اقسم الله بها وعنه وعن غيره فيها غير ذلك وقال
سهل بن عبد الله التستري الالف هو الله تعالى واللام جبرائيل
والميم محمد عليهما السلام وحكى هذا القول السمرقندي ولم ينسبه
الى سهل وجعل معناه الله انزل جبرئيل على محمد بهذا القرآن لا ريب
فيه وعلى الوجه الاول يحتمل القسم ان هذا الكتاب حق لا ريب فيه

فيه ثم فيه من فضيلة قران اسمه باسمه نحو ما تقدم
وقال ابن عطاء في قوله تعالى ق والقرآن المجيد اقسم بقوة
قلب حبيبه صلى الله تعالى عليه وسلم حيث حمل الخطاب
والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله وقيل هو اسم
للقرآن وقيل هو اسم لله وقيل جبل محيط بالارض وقيل غير هذا
وقال جعفر بن محمد في تفسير والنجم اذا هوى انه محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم وقال النجم قلب محمد هوى انشرح من الانوار
وقال انقطع عن غير الله وقال ابن عطاء في قوله تعالى والفجر
وليال عشر الفجر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لان منه تفجر
الايمان الفصل الخامس في قسمه تعالى جده له لتحقق مكانته
عنده تعالى قال جل اسمه والضحى والليل اذا سجى
السورة اختلف في سبب نزول هذه السورة فقيل كان ترك
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت
امراة في ذلك بكلام وقيل بل تكلم به المشركون عند فترة الوحي
فنزلت السورة وقال الفقيه القاضي رحمه الله تضمنت هذه
السورة من كرامة الله تعالى وتنويهه به وتعظيمه اياه ستة
وجوه الاول القسم له عما اخبره به من حاله بقوله والضحى والليل
اذا سجى اي ورب الضحى وهذا من اعظم درجات المبرة الثاني
بيان مكانته عنده وحظوته لديه بقوله ما ودعك ربك
وما قلى اي ما تركك وما ابغضك وقيل ما اهملك بعد ان اصطفاك
الثالث قوله وللآخرة خير لك من الاولى وقال ابن اسحق اي مالك

فى مرجعك عند الله اعظم مما اعطاك من كرامة الدنيا وقال
سهل اى ما ذخرت لك من الشفاعة والمقام المحمود خير لك
مما اعطيتك فى الدنيا الرابع قوله ولسوف يعطيك ربك
فترضى وهذه اية جامعة لوجوه الكرامة وانواع السعادة
وشتات الانعام فى الدارين والزيادة قال ابن اسحق يرضيه
بالفلج فى الدنيا والثواب فى الاخرة وقيل يعطيه الحوض والشفاعة
وروى عن بعض آل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ليس
اية فى القران ارجى منها ولا يرضى رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم ان يدخل احد من امته النار الخامس ما عده تعالى عليه
من نعمه وقرره من الائه قبله فى بقية السورة من هدايته
الى ما هداه له او هداية الناس به على اختلاف التفاسير ولا
مال له فاغناه بما اتاه او بما جعله فى قلبه من القناعة و
الغنا ويتيما فحدب عليه عمه واواه اليه وقد قيل اواه الى
الله وقيل يتيما لا مثال لك فآواك اليه وقيل المعنى الم يجدك
فهدى بك ضالا واغنى بك عائلا واوى بك يتيما ذكره بهذه
المنن وانه على المعلوم من التفسير لم يهمله فى حال صغره و
عيلته ويتمه وقبل معرفته به ولا ودعه ولا قلاه فكيف
بعد اختصاصه واصطفائه السادس امره باظهار نعمته
عليه وشكر ما شرفه به بنشره واشادة ذكره بقوله واما
بنعمة ربك فحدث فان من شكر النعمة الحديث بها وهذا خاص
له عام لامته وقال تعالى والنجم اذا هوى الى قوله لقد راى من ايات

ربه الكبرى اختلف المفسرون فى قوله والنجم باقاويل معروفة منها
النجم على ظاهره ومنها القران وعن جعفر بن محمد انه محمد عليه السلام
وقال هو قلب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قيل فى قوله والسماء
والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب ان النجم هنا ايضا محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم حكاه السلمى تضمنت هذه الايات من فضله وشرفه
العد ما يقف دونه العد اقسم جل جلاله اسمه على هداية المصطفى
وتنزيهه عن الهوى وصدقه فيما تلاه وانه وحى يوحى اوصله اليه عن الله
جبريل وهو الشديد القوى ثم اخبر تعالى عن فضيلته بقصة الاسراء
وانتهائه الى سدرة المنتهى وتصديق بصره فيما راى وانه راى من ايات
ربه الكبرى وقد نبه على مثل هذا تعالى فى اول سورة الاسراء ولما كان
ما كاشفه عليه السلام من ذلك الجبروت وشاهده من عجائب الملكوت
لا تحيط بها العبارات ولا تستقل بحمل سماع ادناه العقول رمز عنه تعالى بالايماء
والكناية الدالة على التعظيم فقال فاوحى الى عبده ما اوحى وهذا النوع من الكلام
يسميه اهل النقد والبلاغة بالوحى والاشارة وهو عندهم ابلغ ابواب
الايجاز وقال لقد راى من ايات ربه الكبرى انحصرت الافهام عن تفصيل
ما اوحى وتاهت الاحلام فى تعيين تلك الايات الكبرى قال القاضى ابو الفضل
رحمه الله واشتملت هذه الايات على كلام الله تعالى بتزكية جملته عليه السلام
وعصمتها من الافات فى هذا المسرى فزكى فؤاده ولسانه بقوله وما ينطق
عن الهوى وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى وقال تعالى فلا اقسم بالخنس
الجوار الكنس الى قوله وما هو بقول شيطان رجيم لا اقسم اى اقسم انه
لقول رسول كريم اى كريم عند مرسله ذى قوة على تبليغ ما حمله من الوحى

مكين اى متمكن المنزلة من ربه رفيع المحل عنده مطاع ثم اى فى
السماء امين على الوحى وقال على بن عيسى وغيره الرسول الكريم
هنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فجميع الاوصاف بعد على هذا له
وقال غيره هو جبريل فترجع الاوصاف اليه ولقد راه يعنى محمدا عليه
السلام قيل راى ربه وقيل راى جبريل فى صورته وما هو على الغيب
بضنين اى بمتهم ومن قراه بالضاد فمعناه ما هو بخيل بالدعاء
والتذكير بحكمه وبعلمه وهذه لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم باتفاق
وقال تعالى ن والقلم الايات اقسم الله تعالى بما اقسم به من عظيم قسمه
على تنزيه المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم مما غمصته الكفرة به
وتكذيبهم له وانسه وبسط امله بقوله محسنا خطابه ما انت
بنعمة ربك بمجنون وهذه نهاية المبرة فى المخاطبة واعلى درجات
الاداب فى المحاورة ثم اعلمه بما له عنده من نعيم دائم وثواب غير
منقطع لا ياخذه عد ولا يمتن به عليه فقال وان لك لاجرا غير ممنون
ثم اثنى عليه بما منحه من هباته وهداه اليه واكد ذلك تتميما للتمجيد
بحرفى التاكيد فقال وانك لعلى خلق عظيم قيل القران وقيل
الاسلام وقيل الطبع الكريم وقيل ليس لك همة الا الله قال الواسطى
اثنى عليه بحسن قبوله لما اسداه اليه من نعمه وفضله بذلك
على غيره لانه جبله على ذلك الخلق فسبحان اللطيف الكريم المحسن
الجواد الحميد الذى يسر للخير وهدى اليه ثم اثنى على فاعله وجازاه
عليه سبحانه ما اغمر نواله واوسع افضاله ثم سلاه عن
قولهم بعد هذا بما وعده به من عقابهم وتوعدهم بقوله فستبصر

وبعلمه نسخه

بالدلالة

فستبصر ويبصرون الثلث ايات ثم عطف بعد مدحه على ذم عدوه
وذكر سوء خلقه وعد معايبه متوليا ذلك بفضله ومنتصرا
لنبيه فذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم فيه بقوله فلا
تطع المكذبين الى قوله اساطير الاولين ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق
بتمام شقائه وخاتمة بواره بقوله سنسمه على الخرطوم فكانت
نصرة الله له اتم من نصرته لنفسه ورده تعالى على عدوه ابلغ من
رده واثبت فى ديوان مجده الفصل السادس فيما ورد من قوله تعالى
فى جهته عليه السلام مورد الشفقة والاكرام قال تعالى طه ما انزلنا
عليك القران لتشقى قيل طه اسم من اسمائه عليه السلام وقيل
هو اسم الله وقيل معناه يا رجل وقيل يا انسان وقيل هى حروف مقطعة
لمعان قال الواسطى اراد يا طاهر يا هادى وقيل هو امر من الوطء و
الهاء كناية عن الارض اى اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب
نفسك بالاعتماد على قدم واحدة وهو قوله ما انزلنا عليك القران
لتشقى نزلت هذه الاية فيما كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل اخبرنا القاضى ابو عبد الله
محمد بن عبد الرحمن وغير واحد عن القاضى ابو الوليد الباجى اجازة
ومن اصله نقلت قال حدثنا ابو ذر الحافظ ثنا ابو محمد الحموى ثنا
ابراهيم بن خزيم الشاشى عبد بن حميد هاشم بن القاسم عن
ابى جعفر عن الربيع بن انس كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله تعالى طه يعنى طء الارض
يا محمد ما انزلنا عليك القران لتشقى ولا خفاء بما فى هذا كله من

الاكرام وحسن المعاملة وان جعلنا طه من اسمائه عليه
السلام كما قيل او جعلت قسما لحق الفصل بما قبله ومثل هذا
من نمط الشفقة والمبرة قوله تعا فلعلك باخع نفسك على اثارهم
ان لم يومنوا بهذا الحديث اسفا اى قاتل نفسك لذلك غضبا
او غيظا وجزعا ومثله قوله ايضا لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين
ثم قال ان نشا ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم
لها خاضعين ومن هذا الباب قوله تعا فاصدع بما تؤمر واعرض
عن المشركين الى قوله ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون
الى اخر السورة وقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك الاية قال
مكى سلاه تعا بما ذكر وهون عليه ما يلقى من المشركين واعلمه
ان من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله ومثل هذا التسلية
قوله تعا وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ومن هذا قوله
تعا كذلك ما اتى الذين من قبلهم الا قالوا ساحر او مجنون عزاه
الله تعا بما اخبره به عن الامم السالفة ومقالها لانبيائهم قبله
ومحنتهم بهم وسلاه بذلك عن محنته بمثله من كفار مكة
وانه ليس اول من لقى ذلك ثم طيب نفسه وابان عذره بقوله
تعا فتول عنهم اى اعرض عنهم فما انت بملوم اى فى اداء ما بلغت
وابلاغ ما حملت ومثله قوله تعا واصبر لحكم ربك فانك باعيننا
اى اصبر على اذاهم فانك بحيث نراك ونحفظك وسلاه الله بهذا
فى اى كثيرة من هذا المعنى الفصل الثالث فيما اخبر الله به فى
كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف منزلته على الانبياء وحظوة

وحظوة رتبته قوله تعا واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من
كتاب وحكمة الى قوله من الشاهدين قال ابو الحسن القابسى استخص
الله تعا محمدا صلى الله تعا عليه وسلم بفضل لم يوته غيره ابانه
به وهو ما ذكره فى هذه الاية قال المفسرون اخذ الله الميثاق
بالوحى فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا صلى الله تعا عليه وسلم
ونعته واخذ عليه ميثاقه ان ادركه ليومنن به وقيل ان
يبينه لقومه وياخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم وقوله ثم
جاءكم الخطاب لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله تعا عليه
وسلم قال على بن ابى طالب رضى الله عنه لم يبعث الله نبيا
من ادم فمن بعده الا اخذ عليه العهد فى محمد صلى الله تعا عليه
وسلم لئن بعث وهو حى ليومنن به ولينصرنه وياخذ العهد
بذلك على قومه ونحوه عن السدى وقتادة فى اى تضمنت فضله
من غير وجه واحد قال الله تعا واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك ومن نوح الاية وقال انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح
الى قوله وكيلا روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال فى كلام بكى
به النبى صلى الله تعا عليه وسلم فقال بابى انت وامى يا رسول
الله صلى الله تعا عليه وسلم لقد بلغ من فضيلتك عند الله
ان بعثك الله اخر الانبياء وذكرك فى اولهم فقال واذ اخذنا من
النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية بابى وامى انت يا رسول الله
لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا اطاعوك
وهم بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا

الرسولا قال قتادة ان النبى صلى الله تعا عليه وسلم قال كنت
اول الانبياء فى الخلق واخرهم فى البعث فلذلك وقع ذكره مقدما
هنا قبل نوح وغيره قال السمرقندى فى هذا تفضيل نبينا عليه
السلام لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو اخرهم والمعنى اخذ الله
عليهم الميثاق اذ اخرجهم من ظهر ادم كالذر وقال تعا تلك الرسل
فضلنا بعضهم على بعض الاية قال اهل التفسير اراد بقوله ورفع
بعضهم درجات محمدا صلى الله تعا عليه وسلم لانه بعث الى
الاحمر والاسود واحلت له الغنائم وظهرت على يديه المعجزات
وليس احد من الانبياء اعطى فضيلة او كرامة الا وقد اعطى محمد
صلى الله تعا عليه وسلم مثلها قال بعضهم ومن فضله ان الله
تعا خاطب الانبياء باسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة فى
كتابه فقال يا ايها النبى ويا ايها الرسول وحكى السمرقندى عن الكلبى
فى قوله تعا وان من شيعته لابراهيم ان الهاء عائدة على محمد صلى الله تعا عليه
وسلم اى ان من شيعة محمد لابراهيم اى على دينه ومنهاجه واجازه
الفراء وحكاه عنه مكى وقيل المراد نوح عليه السلام الفصل الثامن
فى اعلام الله تعا خلقه بصلاته عليه وولايته له ورفعه العذاب
بسببه قال الله تعا وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم اى ما كنت
بمكة فلما خرج النبى صلى الله تعا عليه وسلم من مكة وبقى فيها من
بقى من المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وهذا مثل
قوله لو تزيلوا الاية وقوله ولولا رجال مؤمنون الاية فلما هاجر المؤمنون
نزلت وما لهم الا يعذبهم الله وهذا من ابين ما يظهر مكانته صلى الله

الله تعا عليه وسلم ودرئه العذاب عن اهل مكة بسبب كونه
ثم كون اصحابه بعده بين اظهرهم فلما خلت مكة منهم عذبهم
بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم اياهم وحكم فيهم سيوفهم
واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم وفى الاية ايضا تاويل اخر
حدثنا القاضى الشهيد ابو على رحمه الله بقراءتى عليه حدثنا
ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفى حدثنا ابو يعلى بن زوج
الحرة حدثنا ابو على السنجى محمد بن محبوب المروزى حدثنا ابو عيسى
الحافظ حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا ابن نمير عن اسمعيل بن
ابراهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف عن ابى بردة بن ابى موسى
قال قال رسول الله صلى الله تعا عليه وسلم انزل الله على امانين
لامتى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيكم الاستغفار ونحو منه
قوله تعا وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال عليه السلام
انا امان لاصحابى قيل من البدع وقيل من الاختلاف والفتن
قال بعضهم الرسول صلى الله تعا عليه وسلم هو الامان
الاعظم ما عاش وما دامت سنته باقية فهو باق فاذا
اميتت سنته فانتظروا البلاء والفتن وقال الله تعا ان الله
وملائكته يصلون على النبى الاية ابان الله فضل نبيه صلى الله
تعا عليه وسلم بصلاته عليه ثم بصلاة ملائكته وامر عباده
بالصلاة والتسليم عليه وقد حكى ابو بكر بن فورك ان بعض العلماء
تاول قوله عليه السلام وجعلت قرة عينى فى الصلوة على هذا

اي في صلاة الله عليّ وملائكته وامره الامة بذلك الى يوم
القيمة والصلاة من الملائكة ومنا له دعاء ومن الله رحمة
وقيل يصلون يباركون وقد فرق النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم حين علّم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة والبركة فرستنزكى
حكم الصلاة عليه وذكر بعض المتكلمين في تفسير حروف كهيعص
ان الكاف من كاف اي كفاية الله تعالى لنبيه قال اليس الله
بكاف عبده والهاء هدايته له قال ويهديك صراطا مستقيما
والياء تأييده قال ايدك بنصره والعين عصمته له قال
والله يعصمك من الناس والصاد صلاته قال ان الله
وملائكته يصلون على النبي وقال تعالى وان تظاهرا عليه فان
الله هو مولاه الاية اي وليه وصالح المؤمنين قيل الانبياء
وقيل الملائكة وقيل ابو بكر وعمر وقيل علي وقيل المؤمنون
على ظاهره الفصل التاسع فيما تضمنته سورة الفتح من
كراماته قال الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله يد الله
فوق ايديهم هذه الاية تضمنت من فضله والثناء عليه
وكريم منزلته عند الله تعالى ونعمته لديه ما يقصر الوصف
عن الانتهاء اليه فابتدأ جل جلاله باعلامه بما قضاه له من
القضاء البين بظهوره وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته
وانه مغفور له غير مؤاخذ بما كان وما يكون قال بعضهم اراد
غفران ما وقع وما لم يقع اي انك مغفور لك وقال مكي جعل
المنة سببا للمغفرة وكل من عنده لا اله غيره منة بعد منة

منة وفضلا بعد فضل ثم قال ويتم نعمته عليك قيل بخضوع من تكبر لك
وقيل بفتح مكة والطائف وقيل برفع ذكرك في الدنيا وينصرك و
يغفر لك فاعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع متكبري عدوه له وفتح
اهم البلاد عليه واحبها له ورفع ذكره وهدايته الصراط المبلغ
الجنة والسعادة ونصره النصر العزيز ومنته على امته المؤمنين
بالسكينة والطمانينة التي جعلها في قلوبهم وبشارتهم بما لهم بعد
وفوزهم العظيم والعفو عنهم والستر لذنوبهم وهلاك عدوه في
الدنيا والاخرة ولعنهم وبعدهم من رحمته وسوء منقلبهم ثم قال
انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الاية فعدد محاسنه و
خصايصه من شهادته على امته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم
وقيل شاهدا لهم بالتوحيد ومبشرا لامته بالثواب وقيل بالمغفرة
ومنذرا عدوه بالعذاب وقيل محذرا من الضلالات ليؤمن
بالله ثم به من سبقت له من الله الحسنى ويعزروه اي
يجلونه وقيل ينصرونه وقيل يبالغون في تعظيمه ويوقروه
اي يعظمونه وقرأ بعضهم تعززوه بزاءين من العز والاكثر و
الاظهر ان هذا في حق محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال وتسبحوه
فهذا راجع الى الله تعالى قال ابن عطاء جمع للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
في هذه السورة نعم مختلفة من الفتح المبين وهو من اعلام الاجابة
والمغفرة وهي من اعلام المحبة وتمام النعمة وهي من اعلام الاختصاص
والهداية وهي من اعلام الولاية فالمغفرة تبرئة من العيوب وتمام
النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة والهداية وهي الدعوة الى المشاهدة وقال

جعفر بن محمد من تمام نعمته عليه ان جعله حبيبه واقسم بحياته ونسخ
به شرائع غيره وعرج به الى المحل الاعلى وحفظه في المعراج حتى ما
زاغ البصر وما طغى وبعثه الى الاسود والاحمر واحل له ولامته
الغنائم وجعله شفيعا ومشفعا وسيد ولد ادم وقرن ذكره
بذكره ورضاه برضاه وجعله احد ركني التوحيد ثم قال ان
الذين يبايعونك انما يبايعون الله يعني بيعة الرضوان اي
انما يبايعون الله ببيعتهم اياك يد الله فوق ايديهم يريد عند
البيعة قيل قوة الله وقيل ثوابه وقيل منته وقيل عقده
وهذه استعارة وتجنيس في الكلام وتاكيد لعقد بيعتهم
اياه وعظم شان المبايع صلى الله تعالى عليه وسلم وقد يكون من
هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت
ولكن الله رمى وان كان الاول في باب المجاز وهذا في باب الحقيقة
لان القاتل والرامي بالحقيقة هو الله وهو خالق فعله ورميه
وقدرته عليه ومسببه ولانه ليس في قدرة البشر توصيل
تلك الرمية حيث وصلت حتى لم يبق منهم من لم يملأ عينيه
وكذلك قتل الملائكة لهم حقيقة وقد قيل في هذه الاية الاخرى
انها على المجاز العربي ومقابلة اللفظ ومناسبته اي ما قتلتمو
هم وما رميتهم انت اذ رميت وجوههم بالحصباء والتراب ولكن
الله رمى قلوبهم بالجزع اي ان منفعة الرمي كانت من فعل
الله فهو القاتل والرامي بالمعنى وانت بالاسم الفصل العاشر
فيما اظهره الله في كتابه العزيز من كرامته عليه ومكانته

عنده وما خصه به من ذلك سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل من
ذلك ما نصه تعالى من قصة الاسراء في سورة سبحان والنجم
وما انطوت عليه القصة من عظيم منزلته وقربه ومشاهدته
من العجائب ومن ذلك عصمته من الناس بقوله والله يعصمك
من الناس وقوله واذ يمكر بك الذين كفروا الاية وقوله الا تنصروه
فقد نصره الله وما دفع الله به عنه في هذه القصة من اذاهم
بعد تحزبهم لهلكه وخلوصهم نجيا في امره والاخذ على ابصارهم
عند خروجه عليهم وذهولهم عن طلبه في الغار وما ظهر في ذلك
من الايات ونزول السكينة عليه وقصة سراقة بن مالك حسبما
ذكره اهل الحديث والسير في قصة الغار وحديث الهجرة ومنه
قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر حوضه وقيل نهر في الجنة وقيل
الخير الكثير وقيل الشفاعة وقيل المعجزات الكثيرة وقيل المعرفة
ثم اجاب عنه عدوه ورد عليه قوله تعالى ان شانئك هو الابتر
اي عدوك ومبغضك والابتر الحقير الذليل او المنفرد الوحيد
او الذي لا خير فيه وقال ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران
العظيم قيل السبع المثاني السور الطوال الاول والقران العظيم
هو ام الكتاب القران وقيل السبع المثاني ام القران والقران
العظيم سائره وقيل السبع المثاني ما في القران من امر ونهي وبشرى
وانذار وضرب مثل واعداد نعم واتيناك نبأ القران العظيم
وقيل سميت ام القران مثاني لانها تثنى في كل ركعة وقيل بل
الله استثناها لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وادخرها له دون
الانبياء وسمى القران مثاني لان القصص تثنى فيه وقيل
السبع المثاني اكرمناك بسبع كرامات الهدى والنبوة والرحمة

والشفاعة والولاية والعظيم والسكينة وقال وانزلنا
اليك الذكر الاية وقال وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا
ونذيرا وقال قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الاية
قال القاضي رضي الله عنه فهذه من خصايصه وقال تعالى
وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فخصهم
بقومهم وبعث محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم الى الخلق كافة
كما قال عليه السلام بعثت الى الاحمر والاسود وقال تعالى النبي
اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم قال اهل التفسير
اولى بالمؤمنين من انفسهم اي ما انفذه فيهم من امر فهو ماض
فيهم عليهم كما يمضي حكم السيد على عبده وقيل اتباع امره اولى
من اتباع رأي النفس وازواجه امهاتهم اي هن في الحرمة كالامهات
حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة له وخصوصية ولانهن له
ازواج في الاخرة وقد قرئ لهم وهو اب ولا يقرأ به الان لمخالفته
المصحف وقال تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة الاية قيل
فضله العظيم بالنبوة وقيل بما سبق له في الازل واشار الواسطي
الى انها اشارة الى احتمال الرؤية التي لم يحتملها موسى صلوات
الله عليهما الباب الثاني في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا
وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية نسقا اعلم ايها
المحب لهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم الباحث عن تفاصيل
جمل قدره العظيم ان خصال الجلال والكمال في البشر نوعان ضروري
دنيوي اقتضته الجبلة وضرورة الحياة الدنيا ومكتسب ديني

ديني وهو ما يحمد فاعله ويقرب الى الله زلفى ثم هي على فنين
ايضا منها ما يتخلص لاحد الوصفين ومنها ما يتمازج ويتداخل
فاما الضروري المحض فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب
مثل ما كان في جبلته من كمال خلقته وجمال صورته وقوة عقله
وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه واعضائه واعتدال
حركاته وشرف نسبه وعزة قومه وكرم ارضه ويلحق به ما تدعوه
ضرورة حياته اليه من غذائه ونومه وملبسه ومسكنه ومنكحه
وماله وجاهه وقد تلحق هذه الخصال الاخيرة بالاخروية اذا قصد
بها التقوى ومعونة البدن على سلوك طريقها وكانت على حدود
الضرورة وقوانين الشريعة واما المكتسبة الاخروية فسائر الاخلاق
العلية والاداب الشرعية من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر
والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة
والحياء والمروءة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن
الادب والمعاشرة واخواتها وهي التي جماعها حسن الخلق وقد يكون
من هذه الاخلاق ما هو في الغريزة واصل الجبلة لبعض الناس وبعضهم
لا تكون فيه فيكتسبها ولكنه لا بد ان يكون فيه من اصولها في اصل
الجبلة شعبة كما سنبينه ان شاء الله تعالى وتكون هذه الاخلاق دنيوية
اذا لم يرد بها وجه الله والدار الاخرة ولكنها كلها محاسن وفضائل
باتفاق اصحاب العقول السليمة وان اختلفوا في موجب حسنها و
وتفضيلها فصل اذا كانت خصال الجلال والكمال ما ذكرناه
ووجدنا الواحد منا يتشرف بواحدة منها او اثنين

ان اتفقت له في كل عصر اما من نسب او جمال او قوة او علم او حلم او
شجاعة او سماحة حتى يعظم قدره ويضرب باسمه الامثال و
يتقرر له بالوصف بذلك في القلوب اثرة وعظمة وهو منذ عصور
خوال رمم بوال فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال
الى ما لا ياخذه عد ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة
الا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة النبوة والرسالة والخلة
والمحبة والاصطفاء والاسراء والرؤية والقرب والدنو
والوحي والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة
والمقام المحمود والبراق والمعراج والبعث الى الاحمر والاسود و
والصلاة بالانبياء والشهادة بين الانبياء والامم وسيادة
ولد ادم ولواء الحمد والبشارة والنذارة والمكانة عند ذي
العرش والطاعة ثم والامانة والهداية ورحمة للعالمين واعطاء
الرضى والسؤال والكوثر وسماع القول واتمام النعمة والعفو
كما تقدم وتاخر وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر
وعزة النصر ونزول السكينة والتأييد بالملائكة وايتاء الكتاب
والحكمة والسبع المثاني والقران العظيم وتزكية الامة والدعاء
الى الله وصلاة الله والملائكة والحكم بين الناس بما اراه الله
ووضع الاصر والاغلال عنهم والقسم باسمه واجابة دعوته
وتكليم الجمادات والعجم واحياء الموتى واسماع الصم ونبع الماء
من بين اصابعه وتكثير القليل وانشقاق القمر ورد الشمس
وقلب الاعيان والنصر بالرعب والاطلاع على الغيب وظل الغمام

الغمام وتسبيح الحصا وابراء الالام والعصمة من الناس الى ما لا
يحويه محتفل ولا يحيط بعلمه الا مانحه ذلك ومفضله به لا اله غيره
الى ما اعده له في الدار الاخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس ومراتب
السعادة والحسنى والزيادة التي تقف دونها العقول ويحار دون ادانيها
الوهم فصل ان قلت اكرمك الله لا خفاء على القطع بالجملة انه صلى
الله تعالى عليه وسلم اعلى الناس قدرا واعظمهم محلا واكملهم محاسنا
وفضلا وقد ذهبت في تفاصيل خصال الكمال مذهبا جميلا شوقني
الى ان اقف عليها من اوصافه صلى الله تعالى عليه وسلم تفصيلا فاعلم
نور الله قلبي وقلبك وضاعف في هذا النبي الكريم حبي وحبك انك اذا
نظرت الى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته
حائزا لجميعها محيطا بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة الاخبار لذلك
بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع اما الصورة وجمالها وتناسب اعضائه
في حسنها فقد جاءت الاثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من حديث
علي وانس بن مالك وابي هريرة والبراء بن عازب وعائشة ام المؤمنين
وابن ابي هالة وابي جحيفة وجابر بن سمرة وام معبد وابن عباس ومعرض
بن معيقيب وابي الطفيل والعداء بن خالد وخريم بن فاتك وحكيم بن حزام
وغيرهم من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان ازهر اللون ادعج
انجل اشكل اهدب الاشفار ابلج ازج اقنى افلج مدور
الوجه واسع الجبين كث اللحية تملأ صدره سواء البطن
والصدر واسع الصدر عظيم المنكبين ضخم العظام عبل
العضدين والذراعين والاسافل رحب الكفين والقدمين

سائل الاطراف انور المتجرد دقيق المسربة ربعة القد ليس بالطويل
البائن ولا بالقصير المتردد ومع ذلك فلم يكن يماشيه احد ينسب الى
الطول الا طاله صلى الله تعالى عليه وسلم رجل الشعر اذا افتر
ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام اذا تكلم
راى كالنور يخرج من ثناياه احسن الناس عنقا ليس بمطهم
ولا مكلثم متماسك البدن ضرب اللحم قال البراء ما رايت من ذي
لمة في حلة حمراء احسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وقال ابو هريرة رضي الله عنه ما رايت شيئا احسن من رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم كان الشمس تجري في وجهه واذا ضحك
يتلالؤ في الجدر وقال جابر بن سمرة وقال له رجل كان وجهه صلى
الله تعالى عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر
وكان مستديرا وقالت ام معبد في بعض ما وصفته به اجمل الناس
من بعيد واحلاه واحسنه من قريب وفي حديث ابن ابي هالة يتلالا
وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر وقال علي رضي الله عنه في اخر وصفه له
من راه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله
ولا بعده مثله صلى الله تعالى عليه وسلم والاحاديث في بسط صفته
مشهورة كثيرة فلا نطول بسردها وقد اختصرنا في وصفه نكت
ما جاء فيها وجملة مما فيه الكفاية في القصد الى المطلوب وختمنا
هذه الفصول بحديث جامع لذلك يقف عليه هنالك ان شاء الله
تعالى فصل واما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته
عن الاقذار وعورات الجسد فكان قد خصه الله في ذلك بخصائص

بخصايص لم توجد في غيره ثم تممها بنظافة الشرع وخصال
الفطرة العشرة وقال بني الدين على النظافة حدثنا سفيان بن العاص
وغير واحد قالوا ثنا احمد بن عمر ثنا ابو العباس الرازي ثنا ابو احمد
الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم ثنا قتيبة ثنا جعفر بن سليمان عن
ثابت عن انس قال ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيئا
اطيب من ريح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن جابر
بن سمرة انه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح خده قال فوجدت
ليده بردا او ريحا كانما اخرجها من جونة عطار قال غيره مسها
بطيب او لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع
يده على راس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها ونام رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم في دار انس فعرق فجاءت امه
بقارورة تجمع فيها عرقه فسالها رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم عن ذلك فقالت نجعله في طيبنا وهو من اطيب الطيب وذكر
البخاري في تاريخه الكبير عن جابر لم يكن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
يمر في طريق فيتبعه احد الا عرف انه سلكه من طيبه وذكر اسحق
بن راهويه ان تلك كانت رائحته بلا طيب صلى الله تعالى عليه وسلم
وروى المزني عن جابر قال اردفني رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم خلفه فالتقمت خاتم النبوة بفمي فكان ينم علي مسكا
وقد حكى بعض المعتنين باخباره وشمائله صلى الله تعالى عليه وسلم
انه كان اذا اراد ان يتغوط انشقت الارض فابتلعت غائطه وبوله
وفاحت لذلك رائحة طيبة صلى الله تعالى عليه وسلم واسند محمد بن

سعد كاتب الواقدي في هذا خبرا عن عايشة رضي الله عنها انها قالت
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم انك تاتي الخلاء فلا نرى منك شيئا
من الاذى فقال يا عايشة اوما علمت ان الارض تبتلع ما يخرج من
الانبياء فلا نرى منه شيء وهذا الخبر وان لم يكن مشهورا فقد قال
قوم من اهل العلم بطهارة الحدثين منه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو
قول بعض اصحاب الشافعي وقد حكى القولين عن العلماء في ذلك ابو بكر
بن سابق المالكي في كتابه البديع في فروع المالكية وتخريج ما لم يقع
لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية وشاهد هذا انه صلى
الله تعالى عليه وسلم لم يكن منه شيء يكره ولا غير طيب ومنه حديث
علي رضي الله عنه غسلت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فذهبت
انظر ما يكون من الميت فلم اجد شيئا فقلت طبت حيا وميتا قال
وسطعت منه ريح طيبة لم نجد مثلها قط ومثله قال ابو بكر رضي
الله عنه حين قبل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته ومنه شرب
مالك بن سنان دمه يوم احد ومصه اياه وتسويغه صلى الله تعالى
عليه وسلم ذلك له وقوله لن تمسه النار ومثله شرب عبد الله بن
الزبير دم حجامته فقال له عليه السلام ويل لك من الناس وويل
لهم منك ولم ينكر عليه وقد روي نحو من هذا عنه في امراة شربت
بوله فقال لها لن تشتكي وجع بطنك ابدا ولم يامر احدا منهم بغسل
فم ولا نهاه عن عوده وحديث هذه المراة التي شربت بوله صحيح
الزم الدارقطني مسلما والبخاري اخراجه في الصحيح واسم هذه المراة
بركة وقيل هي ام ايمن واختلف في نسبها وكانت تخدم النبي صلى الله

حكاه الامام ابو نصر بن الصباغ في شامله

الله تعالى عليه وسلم قالت وكان لرسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم قدح من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل فبال
فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد فيه شيئا فسال بركة عنه فقالت
قمت وانا عطشانة فشربته وانا لا اعلم روى حديثها ابن جريج
وغيره وكان صلى الله تعالى عليه وسلم قد ولد مختونا مقطوع السرة
وروي عن امه امنة انها قالت ولدته مختونا نظيفا ما به
قذر وعن عايشة رضي الله عنها ما رايت فرج رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم قط وعن علي رضي الله عنه اوصاني النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم لا يغسله غيري فانه لا يرى احد
عورتي الا طمست عيناه وفي حديث عكرمة عن ابن عباس
رضي الله عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم نام حتى سمع له
غطيط فقام فصلى ولم يتوضا قال عكرمة لانه كان صلى الله تعالى
عليه وسلم محفوظا فصل واما وفور عقله وذكاء لبه وقوة
حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله
فلا مرية انه كان اعقل الناس واذكاهم ومن تامل تدبيره امر
الخلق وظواهرهم وسياسة العامة والخاصة مع شمائله وبديع
سيرته فضلا عما افاضه من العلم وقرره من الشرع دون تعلم
سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر
في رجحان عقله وثقوب فهمه لاول بديهة وهذا ما لا يحتاج
الى تقريره لتحقيقه وقد قال وهب بن منبه قرات في احد وسبعين
كتابا فوجدت في جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء

الدنيا الى نقصانها من العقل فى جنب عقله صلى الله تعالى عليه
وسلم الا كحبة رمل بين رمال الدنيا وقال مجاهد كان رسول
الله عليه السلام اذا قام فى الصلوة يرى من خلفه كما يرى
من بين يديه وبه فسر قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين وفى
الموطأ عنه عليه السلام انى لاراكم من وراء ظهرى ونحوه
عن انس فى الصحيحين وعن عايشة رضى الله عنها مثله قالت
زيادة زادها الله اياها فى حجته وفى بعض الروايات انى لانظر من
ورائى كما انظر الى من بين يدى وفى اخرى انى لابصر من قفائى كما
ابصر من بين يدى وحكى بقى بن مخلد عن عايشة كان النبى صلى
الله تعالى عليه وسلم يرى فى الظلمة كما يرى فى الضوء والاخبار
كثيرة صحيحة فى رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم للملائكة والشياطين
ورفع النجاشى له حتى صلى عليه وبيت المقدس حين وصفه
لقريش والكعبة حين بنا مسجده وقد حكى عنه انه كان يرى
فى الثريا احد عشر نجما وهذه كلها محمولة على رؤية العين وهو قول
احمد بن حنبل وغيره وذهب بعضهم الى ردها الى العلم والظواهر
تخالفه ولا احالة فى ذلك وهى من خواص الانبياء وخصالهم كما اخبرنا
ابو محمد بن عبد الله احمد العدل من كتابه ثنا ابو الحسن المقرى
الفرغانى ثنا ام القاسم بنت ابى بكر عن ابيها ثنا الشريف ابو الحسن
على بن محمد الحسنى ثنا محمد بن محمد بن سعيد ثنا محمد بن احمد بن
سليمان ثنا محمد بن محمد بن مرزوق ثنا همام ثنا الحسن عن قتادة
عن يحيى بن وثاب عن ابى هريرة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال

لما تجلى الله لموسى عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا فى الليلة
الظلماء مسيرة عشرة فراسخ ولا يبعد على هذا ان تختص نبينا بما
ذكرناه من هذا الباب بعد الاسراء والحظوة بما راى من ايات ربه الكبرى
وقد جاءت الاخبار بانه صرع ركانة اشد اهل وقته وكان دعاه الى
الاسلام وصارع ابا ركانة فى الجاهلية وكان شديدا وعاوده ثلث
مرات كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال
ابو هريرة ما رايت احدا اسرع من رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم فى مشيته كانما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو غير
مكترث وفى صفته ان ضحكه كان تبسما اذا التفت التفت معا
واذا مشى مشى تقلعا كانما ينحط من صبب فصل واما فصاحة اللسان
وبلاغة القول فقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم من ذلك بالمحل
الافضل والموضع الذى لا يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع
وايجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف
اوتى جوامع الكلم وخص ببدايع الحكم وعلم السنة العرب يخاطب
كل امة منها بلسانها ويحاورها بلغاتها ويباريها فى منزع بلاغتها
حتى كان كثير من اصحابه يسألونه فى غير موطن عن شرح كلامه
وتفسير قوله من تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس كلامه
مع قريش والانصار واهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذى المشعار الهمدانى
وطهفة النهدى وقطن بن حارثة العليمى والاشعث بن قيس ووائل
بن حجر الكندى وغيرهم من اقيال حضرموت وملوك اليمن وانظر
كتابه الى همدان ان لكم فراعها ووهاطها وعزازها تأكلون علافها

وترعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق
والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض
الداجن والكبش الحورى وعليهم فيها الصالغ والقارح وقوله
لنهد اللهم بارك لهم فى محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها
فى الدثر وافجر له الثمد وبارك له فى المال والولد من اقام الصلوة
كان مسلما ومن اتى الزكوة كان محسنا ومن شهد ان لا اله الا
الله كان مخلصا لكم يا بنى نهد ودايع الشرك ووضايع الملك
لا تلطط فى الزكوة ولا تلحد فى الحياة ولا تتثاقل عن الصلوة وكتب
لهم فى الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان
الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس
دركم ما لم تضمروا الرماق وتاكلوا الرباق من اقر فله الوفاء
بالعهد والذمة ومن ابى فعليه الربوة ومن كتابه لوايل بن
حجر الى الاقيال العباهلة والارواع المشابيب وفيه فى التيعة شاة
لا مقورة الالياط ولا ضناك وانطوا الثبجة وفى السيوب الخمس
ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنى
مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم فى الدين ولا غمة فى
فرايض الله وكل مسكر حرام ووايل بن حجر يترفل على الاقيال اين
هذا من كتابه لانس فى الصدقة المشهورة لما كان كلام هؤلاء
على هذا الحد وبلاغتهم على هذا النمط واكثر استعمالهم هذه
الالفاظ استعملها معهم ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث
الناس بما يعلمون وكقوله فى حديث عطية السعدى فان اليد

اليد العليا هى المنطية واليد السفلى هى المنطاة قال وكلمنا رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم بلغتنا وقوله فى حديث العامرى
حين ساله فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سل عنك
اى سل عما شئت وهى لغة بنى عامر واما كلامه المعتاد وفصاحته
المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد الف الناس فيها
الدواوين وجمعت فى الفاظها ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازى
فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى
بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم وقوله الناس كاسنان
المشط والمرء مع من احب ولا خير فى صحبة من لا يرى لك ما ترى
له والناس معادن وما هلك امرؤ عرف قدره والمستشار
مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم
او سكت فسلم وقوله اسلم تسلم واسلم يؤتك الله اجرك مرتين
وان احبكم الى واقربكم منى مجالس يوم القيمة احاسنكم اخلاقا
الموطؤن اكنافا الذين يألفون ويؤلفون وقوله لعله كان يتكلم
بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وقوله ذو الوجهين لا يكون عند الله
وجيها ونهيه عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ومنع
وهات وعقوق الامهات ووأد البنات وقوله اتق الله حيث كنت واتبع
السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وخير الامور
اوسطها وقوله احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك
يوما ما وقوله الظلم ظلمات يوم القيمة وقوله فى بعض دعائه اللهم
انى اسئلك رحمة تهدى بها قلبى وتجمع بها امرى وتلم بها شعثى

وتصلح بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتلهمني
بها رشدي وترد بها الفتي وتعصمني بها من كل سوء اللهم اني
اسئلك الفوز عند القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء
والنصر على الاعداء الى ما روته الكافة عن الكافة من مقاماته
ومحاضراته وخطبه وادعيته ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف
انه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز فيها سبقا لا
يقدر قدره وقد جمعت من كلماته التي لم يسبق اليها ولا
قدر احد ان يفرغ في قالبه عليها كقوله حمي الوطيس ومات
حتف انفه ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين والسعيد من
وعظ بغيره في اخواتها ما يدرك الناظر العجب في مضمنها ويذهب
به الفكر في ادنى حكمها وقد قال له اصحابه ما راينا الذي هو افصح
منك فقال وما يمنعني وانما انزل القران بلساني لسان عربي
مبين وقال مرة اخرى بيد اني من قريش ونشات في بني سعد
فجمع له بذلك صلى الله تعـ عليه وسلم قوة عارضة البادية وجزالتها
ونصاعة الفاظ الحاضرة ورونق كلامها الى التاييد الالهي الذي
مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري وقالت ام معبد في
وصفها له حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كان نطقه
خرزات نظمن وكان جهير الصوت حسن النغمة صلى الله تعـ
عليه وسلم تسليما فصل واما شرف نسبه وكرم بلده ومنشئه
فما لا يحتاج الى اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفي منه
فانه نخبة بني هاشم وسلالة قريش وصميمها واشرف العرب

العرب واعزهم نفرا من قبل ابيه وامه ومن اهل مكة من اكرم
بلاد الله على الله وعلى عباده حدثنا قاضي القضاة حسين بن محمد
الصدفي رحمه الله ثنا القاضي ابو الوليد سليمان بن خلف ثنا ابو ذر
عبد بن احمد ثنا ابو محمد السرخسي وابو اسحق وابو الهيثم ثنا محمد
بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا يعقوب بن
عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد المقبري عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله تعـ عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني ادم قرنا
فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه وعن العباس قال النبي
صلى الله تعـ عليه وسلم ان الله تعـ خلق الخلق فجعلني من خير
هم من خير قرنهم ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت
فجعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا وعن واثلة
بن الاسقع قال رسول الله صلى الله تعـ عليه وسلم ان الله اصطفى
من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة
واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم و
اصطفاني من بني هاشم قال الترمذي وهذا حديث صحيح وفي حديث
عن ابن عمر رواه الطبري انه صلى الله تعـ عليه وسلم قال ان
الله اختار خلقه فاختار منهم بني ادم ثم اختار بني ادم فاختار
منهم العرب ثم اختار العرب فاختار بني هاشم ثم بني هاشم
فاختارني فلم ازل خيارا من خيار الا من احب العرب فبحبي
احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم وعن ابن عباس
ان قريشا كانت نورا بين يدي الله تعـ قبل ان يخلق ادم بالفي

عام يسبح ذلك النور ويسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله
ادم القى ذلك النور في صلبه فقال رسول الله صلى الله تعـ
عليه وسلم فاهبطني الله الى الارض في صلب ادم وجعلني
في صلب نوح وقذف بي في صلب ابراهيم ثم لم يزل الله تعـ
ينقلني من الاصلاب الكريمة والارحام الطاهرة حتى اخرجني
بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط ويشهد لصحة هذا الخبر شعر
العباس في مدح النبي صلى الله تعـ عليه وسلم المشهور فصل
واما ما تدعو ضرورة الحياة اليه مما فصلناه فعلى ثلاثة
اضرب ضرب الفضل في قلته وضرب الفضل في كثرته وضرب
تختلف الاحوال فيه فاما ما التمدح والكمال بقلته اتفاقا وعلى
كل حال عادة وشريعة كالغذاء والنوم ولم تزل العرب والحكماء
تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما لان كثرة الاكل والشرب دليل
على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة مسبب لمضار
الدنيا والاخرة جالب لادواء الجسد وخثارة النفس وامتلاء
الدماغ وقلته دليل على القناعة وملك النفس الشهوة
مسبب للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن كما ان كثرة
النوم دليل على الفسولة والضعف وعدم الذكاء والفطنة
مسبب للكسل وعادة العجز وتضييع العمر في غير نفع وقساوة
القلب وغفلته وموته والشاهد على هذا ما يعلم ضرورة
ويوجد مشاهدة وينقل متواترا من كلام الامم المتقدمة
والحكماء السالفين واشعار العرب واخبارها وصحيح الحديث

الحديث واثار من سلف وخلف مما لا يحتاج الى الاستشهاد عليه
اختصارا واقتصارا على اشتهار العلم به وكان النبي صلى الله تعـ
عليه وسلم قد اخذ من هذين بالاقل هذا ما لا يدفع من
سيرته وهو الذي امر به وحض عليه لا سيما بارتباط احدهما
بالاخر حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه اخبرنا ابو الفضل
الاصبهاني نا ابو نعيم الحافظ نا سليمان بن احمد نا بكر بن سهل نا
عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح ان يحيى بن جابر حدثه
عن المقداد بن معدي كرب ان رسول الله صلى الله تعـ عليه وسلم
ما ملا ابن ادم وعاء شرا من بطنه حسب ابن ادم اكلات يقمن
صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه
ولان كثرة النوم من كثرة الاكل والشرب قال سفيان الثوري
بقلة الطعام يملك سهر الليل وقال بعض السلف لا تاكلوا كثيرا
فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا وقد روي عنه صلى الله تعـ عليه
وسلم انه كان احب الطعام اليه ما كان على ضفف اي كثرة الايدي
وعن عائشة رضي الله عنها لم يمتلئ جوف النبي صلى الله
تعـ عليه وسلم شبعا قط وانه كان في اهله لا يسالهم طعاما
ولا يتشهاه ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب
ولا يعترض على هذا بحديث بريرة وقوله الم ار البرمة فيها
لحم اذ لعل سبب سؤاله ظنه صلى الله تعـ عليه وسلم اعتقادهم
انه لا يحل له فاراد بيان سنته اذ راهم لم يقدموه اليه مع علمه
انه لا يستاثرون عليه به فصدق ظنه وبين لهم ما جهلوه

من امره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية وفي حكمة لقمان يا بني اذا امتلأت
المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة
وقال سحنون لا يصلح العلم لمن ياكل حتى يشبع وفي صحيح الحديث
قوله صلى الله تعالى عليه وسلم اما انا فلا اكل متكئا والاتكاء هو
التمكن للاكل والتقعد له في الجلوس كالمتربع وشبهه من تمكن
الجلسة التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته والجالس على هذه الجلسة
يستدعي الاكل ويستكثر منه والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم انما كان
جلوسه للاكل جلوس المستوفز مقعيا ويقول انما انا عبد اكل كما
ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وليس معنى الحديث في الاتكاء
الميل على شق عند المحققين وكذلك نومه صلى الله تعالى عليه وسلم
كان قليلا شهدت بذلك الاثار الصحيحة ومع ذلك فقد قال عيني
تنامان ولا ينام قلبي وكان نومه على جانبه الايمن استظهارا
على قلة النوم لانه على الجانب الايسر اهنا لهدوء القلب وما
يتعلق به من الاعضاء الباطنة حينئذ لميلها الى الجانب الايسر
فيستدعي ذلك الاستثقال فيه والطول واذا نام النائم على الايمن
تعلق القلب وقلق فاسرع الافاقة ولم يغمره الاستغراق فصل
والضرب الثاني ما يتفق التمدح بكثرته والفخر بوفوره كالنكاح
والجاه اما النكاح فمتفق فيه شرعا وعادة فانه دليل الكمال
وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح
به سيرة ماضية واما في الشرع فسنة ماثورة وقد قال ابن
عباس افضل هذه الامة اكثرها نساء مشيرا اليه صلى الله تعالى

الله تعالى عليه وسلم وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم تناكحوا فاني مباه
بكم الامم ونهى عن التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة وغض البصر اللذين
نبه عليهما صلى الله تعالى عليه وسلم من كان ذا طول فليتزوج فانه
اغض للبصر واحصن للفرج حتى لم يره العلماء مما يقدح في الزهد
قال سهل بن عبد الله قد حببن الى سيد المرسلين فكيف يزهد
فيهن ونحوه لابن عيينة وقد كان زهاد الصحابة كثيري الزوجات
والسراري كثيري النكاح وحكي في ذلك عن علي والحسن وابن عمر وغيرهم
غير شيء وقد كره غير واحد ان يلقى الله عزبا فان قلت كيف
يكون النكاح وكثرته من الفضائل وهذا يحيى بن زكريا قد اثنى
الله عليه انه كان حصورا فكيف يثني عليه بالعجز عما تعده
فضيلة وهذا عيسى عليه السلام تبتل من النساء ولو كان
كما قررته نكح فاعلم ان ثناء الله على يحيى بانه حصور ليس كما قال
بعضهم انه كان هيوبا او لا ذكر له بل قد انكر هذا حذاق
المفسرين ونقاد العلماء وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا
يليق بالانبياء وانما معناه انه معصوم من الذنوب اي لا ياتيها
كانه حصر عنها وقيل مانعا نفسه من الشهوات وقيل
ليست له شهوة في النساء فقد بان لك من هذا ان عدم القدرة
على النكاح نقص وانما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها
اما بمجاهدة كعيسى عليه السلام او بكفاية من الله كيحيى
عليه السلام فضيلة زائدة لكونها شاغلة في كثير من
الاوقات حاطة الى الدنيا ثم هي في حق من اقدر عليها وملكها

وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه درجة عليا وهي درجة
نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم الذي لم تشغله كثرتهن عن عبادة
ربه بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه
لهن وهدايته اياهن بل صرح انها ليست من حظوظ دنياه هو
وان كانت من حظوظ دنيا غيره فقال حبب الي من دنياكم فدل ان
حبه لما ذكر من النساء والطيب التي من امور دنيا غيره واستعماله
لذلك ليس لدنياه بل لاخرته للفوائد التي ذكرناها في التزويج و
للقاء الملائكة في الطيب ولانه ايضا مما يحض على الجماع
ويعين عليه ويحرك اسبابه وكان حبه لهاتين الخصلتين لاجل غيره
وقمع شهوته وكان حبه الحقيقي المختص بذاته في مشاهدة جبروت
مولاه ومناجاته ولذلك ميز بين الحبين وفصل بين الحالين فقال
وجعلت قرة عيني في الصلوة فقد ساوى يحيى وعيسى في كفاية
فتنتهن وزاد فضيلة بالقيام بهن وكان صلى الله تعالى عليه وسلم
ممن اقدر على القوة في هذا واعطي الكثير منه ولهذا ابيح له من
عدد الحرائر ما لم يبح لغيره وقد روينا عن انس انه صلى الله تعالى
عليه وسلم كان يدور على نسائه في الساعة من الليل والنهار
وهي احدى عشرة قال انس وكنا نتحدث انه اعطي قوة ثلثين
خرجه النسائي وروي نحوه عن ابي رافع وعن طاوس اعطي
عليه السلام قوة اربعين رجلا في الجماع ومثله عن صفوان بن
سليم وقالت سلمى مولاته طاف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ليلة على نسائه التسع وتطهر من كل واحدة قبل ان ياتي الاخرى

الاخرى وقال هذا اطهر واطيب وقد قال سليمان عليه السلام
لاطوفن الليلة على مائة امراة او تسع وتسعين وانه فعل ذلك قال
ابن عباس كان في ظهر سليمان ماء مائة رجل وكانت له ثلثمائة امراة
وثلثمائة سرية وحكى النقاش سبع مائة امراة وثلثمائة سرية
وقد كان لداود عليه السلام على زهده واكله من عمل يده تسع وتسعون
امراة وتمت بزوج اوريا مائة وقد نبه على ذلك في الكتاب العزيز
بقوله تعالى ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة وفي حديث انس عنه
عليه السلام فضلت على الناس باربع بالسخاء والشجاعة وكثرة الجماع
وقوة البطش واما الجاه فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه
وعظمه في القلوب وقد قال تعالى في صفة عيسى عليه السلام وجيها
في الدنيا والاخرة لكن افاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبى الاخرة
فلذلك ذمه من ذمه ومدح ضده وورد في الشرع مدح الخمول
وذم العلو في الارض وكان صلى الله عليه وسلم قد رزق من
الحشمة والمكانة في القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها
وهم يكذبونه ويوذون اصحابه ويقصدون اذاه في نفسه خفية
حتى اذا واجههم اعظموا امره وقضوا حاجته واخباره في ذلك
معروفة سياتي بعضها وقد كان يبهت ويفرق لرؤيته من لم يره
كما روي عن قيلة انها لما رات ارعدت من الفرق فقال يا مسكينة
عليك السكينة وفي حديث ابي مسعود ان رجلا قام بين يديه
فارعد فقال له هون عليك فاني لست بملك الحديث فاما عظيم
قدره بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة وانافة رتبته

بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فامرهو مبلغ النهاية ثم هو في الاخرة
سيد ولد ادم وعلى معنى هذا الفصل نظمنا هذا القسم بكره
فصل واما الضرب الثالث فهو ما يختلف الحالات في التمدح والتفاخر
بسببه والتفضيل لاجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم
عند العامة لاعتقادها توصله به الى حاجة وتمكن اغراضه
بسببه فليس فضيلة في نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة
وصاحبه منفقا له في مهماته ومهمات من اعتراه واملة وتصرفه
في مواضعه مشتريا به المعالي والثناء الحسن والمنزلة من القلوب
كان فضيلة في صاحبه عند اهل الدنيا واذا صرفه في وجوه البر
وانفقه في سبل الخير وقصد بذلك الله والدار الاخرة كان فضيلة
عند الكل بحال ومتى كان صاحبه ممسكا له غير موجه وجوهه حريصا
على جمعه عاد كثره كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم يقف به
على جدد السلامة بل اوقعه في هوة رذيلة البخل ومذمة النذالة
فاذا التمدح بالمال وفضيلته عند مفضله ليست لنفسه وانما
هو للتوصل به الى غيره وتصريفه في متصرفاته فجامعه اذا لم
يضعه مواضعه ولا وجهه وجوهه غير مليء بالحقيقة ولا
غني بالمعنى ولا ممتدح عند احد من العقلاء بل هو فقير ابدا
غير واصل الى غرض من اغراضه اذ ما بيده من المال الموصل لها
لم يسلط عليه فاشبه خازن مال غيره ولا مال له فكانه ليس
في يده منه شيء والمنفق مليء غني بتحصيله فوائد المال وان
لم يبق في يده شيء فانظر سيرة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم

وسلم وخلقه في المال تجده قد اوتي خزائن الارض ومفاتيح
البلاد واحلت له الغنائم ولم تحل لنبي قبله وفتح عليه في
حياته صلى الله تعالى عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن وجميع
جزيرة العرب وما دانى ذلك من الشام والعراق وجلبت اليه
من اخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك الا بعضه
وهادته جماعة من ملوك الاقاليم فما استاثر بشيء منه
ولا امسك منه درهما بل صرفه في مصارفه واغنى به غيره
وقوى به المسلمين وقال ما يسرني ان لي احدا ذهبا يبيت
عندي منه دينار الا دينارا ارصده لديني واتته دنانير
مرة فقسمها وبقيت منها ستة فدفعها لبعض نسائه فلم
ياخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الان استرحت ومات ودرعه
مرهونة في نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه
على ما تدعوه ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس
ما وجده فيلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد
الغليظ ويقسم على من حضره اقبية الديباج المخوصة بالذهب
ويرفع لمن لم يحضره اذ المباهاة في الملابس والتزين بها
ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات النساء
والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكونه
لبس مثله غير مسقط لمروة جنسه مما لا يؤدي الى الشهرة
في الطرفين وقد ذم الشرع ذلك وغاية الفخر فيه في العادة
عند الناس انما يعود الى الفخر بكثرة الموجود ووفور

الحال وكذلك التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير
الالة وخدمه ومركوباته ومن ملك الارض وجبي اليه
ما فيها فترك ذلك زهدا وتنزها فهو حائز لفضيلة المالية
ومالك الفخر بهذه الخصلة ان كانت فضيلة زائدا عليها في
الفخر ومعرق في المدح باضرابه عنها وزهده في فانيها وبذلها
في مظانها فصل واما الخصال المكتسبة من الاخلاق
الحميدة والاداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على
تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها
فضلا عما فوقه واثنى الشرع على جميعها وامر بها ووعد
السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بانه من
اجزاء النبوة وهي المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال في
قوى النفس واوصافها والتوسط فيها دون الميل الى
منحرف اطرافها في جميعها وقد كانت خلق نبينا صلى الله تعالى
عليه وسلم على الانتهاء في كمالها والاعتدال الى غايتها حتى
اثنى الله عليه بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم قالت
عائشة رضي الله عنها كان خلقه القران يرضى برضاه
ويسخط بسخطه وقال عليه السلام بعثت لاتمم
مكارم الاخلاق قال انس كان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم احسن الناس خلقا وعن علي رضي الله عنه
مثله وكان فيما ذكره المحققون مجبولا عليها في اصل
خلقته واول فطرته لم يحصل له باكتساب ولا رياضة الا

الا بجود الهي وخصوصية ربانية وهكذا لسائر الانبياء
ومن طالع سيرهم منذ صباهم الى مبعثهم حقق ذلك كما عرف
من حال موسى عليه السلام ويحيى وعيسى وسليمان وغيرهم عليهم
السلام بل غرزت فيهم هذه الاخلاق في الجبلة واودعوا العلم و
الحكمة في الفطرة قال الله تعالى واتيناه الحكم صبيا قال المفسرون
اعطي يحيى العلم بكتاب الله تعالى في حال صباه وقال معمر كان ابن
اوثلث فقال له الصبيان لم لا تلعب قال اللعب خلقت وقيل في قوله
مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى وهو ابن ثلث سنين فشهد
انه كلمة الله وروحه وقيل صدقه وهو في بطن امه فكانت ام
يحيى تقول لمريم اني اجد ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية له
وقد نص الله على كلام عيسى لامه عند ولادتها اياه بقوله لها
لا تحزني على قراءة من قرا من تحتها وعلى قول من قال ان المنادي
عيسى ونص على كلامه في مهده فقال اني عبد الله اتاني الكتاب
وجعلني نبيا وقال ففهمناها سليمان وكلا اتينا حكما وعلما وقد
ذكر من حكم سليمان وهو صبي يلعب في قصة المرجومة وفي
قصة الصبي ما اقتدى به داود ابوه وحكى الطبري ان عمره
كان حين اوتي الملك اثني عشر عاما وكذلك قصة موسى مع فرعون
واخذه بلحيته وهو طفل وقال المفسرون في قوله تعالى ولقد
اتينا ابراهيم رشده من قبل اي هديناه صغيرا قاله مجاهد
وغيره وقال ابن عطاء اصطفاه قبل ابداء خلقه وقال بعضهم
لما ولد ابراهيم بعث الله اليه ملكا يامره عن الله ان يعرفه بقلبه

ويذكره بحسانه فقال قد نعت ولم يقل افعل فذلك رشده وقيل
ان القاء ابراهيم عليه السلام في النار ومحنته كانت وهو ابن
ست عشرة سنة وان ابتلاء اسحق بالذبح وهو ابن سبع سنين
وان استدلال ابراهيم بالكوكب والقمر والشمس كان وهو ابن
خمسة عشر شهرا وقيل اوحي الى يوسف عم وهو صبي عندما هم
اخوته بالقائه في الجب يقول تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم
هذا الاية الى غير ذلك من اخبارهم وقد حكى اهل السير ان امنة
بنت وهب اخبرت ان نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولد حين
ولد باسطا يديه الى الارض رافعا راسه الى السماء وقال في
حديثه صلى الله تعالى عليه وسلم لما نشأت بغضت الى الاوثان
وبغض الى الشعر ولم اهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين
فعصمني الله منهما ثم لم اعد ثم يتمكن الامر لهم وتترادف نفحات الله
عليهم وتشرق انوار المعارف في قلوبهم حتى يصلوا الغاية و
يبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخصال
الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة قال الله تعالى ولما بلغ
اشده واستوى اتيناه حكما وعلما وقد نجد غيرهم يطبع على بعض
هذه الاخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل عليه اكتساب
تمامها عناية من الله تعالى كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان
على حسن السمت او الشهامة او صدق اللسان او السماحة
كما نجد بعضهم على ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالمجاهدة
والرياضة يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف هذين

الحالين يتفاوت الناس فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا قد اختلف
السلف فيها هل هذا الخلق جبلة او مكتسبة فحكى الطبري عن بعض
السلف ان الخلق الحسن جبلة وغريزة في العبد وحكاه عن عبد الله بن
مسعود والحسن وبه قال هو والصواب ما اصلناه وقد روى سعد
عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال كل الخلال يطبع عليها المؤمن
الا الخيانة والكذب وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديثه
والجرأة والجبن غرائز يضعها الله حيث يشاء وهذه الاخلاق
المحمودة والخصال الجميلة كثيرة ولكنا نذكر اصولها ونشير الى جميعها
ونحقق وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بها ان شاء الله تعالى فصل
اما اصل فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها فالعقل الذي
منه ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الرأي وجودة
الفطنة والاصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح
النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء
الفضائل وتجنب الرذائل وقد اشرنا الى مكانه منه صلى الله تعالى
عليه وسلم وبلوغه منه ومن العلم الغاية التي لم يبلغها بشر سواه
وان جلالة محله من ذلك ومما يتفرع منه متحقق عند من تتبع
مجاري احواله واطراد سيره وطالع جوامع كلامه وحسن شمائله
وبدائع سيره وحكم حديثه وعلمه بما في التوراة والانجيل والكتب
المنزلة وحكم الحكماء وسير الامم الخالية وايامها وضرب الامثال
وسياسات الانام وتقرير الشرائع وتاصيل الاداب النفيسة
والشيم الحميدة الى فنون العلوم التي اتخذها اهلها كلامه عليه السلام

فيها قدوة واشاراته حجة كالعبادة والطب والحساب والفرائض
والنسب وغير ذلك مما سنبينه في معجزاته ان شاء الله تعالى دون
تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس
الى علمائهم بل نبي امي لم يعرف بشيء من ذلك حتى شرح الله صدره
وابان امره وعلمه واقرأه يعلم بذلك بالمطالعة والبحث من حاله
ضرورة وبالبرهان القاطع على نبوته نظرا فلا نطول بسرد
الاقاصيص وآحاد القضايا اذ مجموعها ما لا ياخذه حصر ولا يحيط
به حفظ جامع وبحسب عقله كانت معارفه صلى الله تعالى عليه
وسلم الى سائر ما علمه واطلعه عليه من علم ما يكون وما كان
وعجائب قدرته وعظيم ملكوته قال الله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم
وكان فضل الله عليك عظيما حارت العقول في تقدير فضله عليه
الالسن دون وصف يحيط بذلك او ينتهي اليه فصل
واما الحلم والاحتمال والعفو مع القدرة والصبر على ما يكره وبين
هذه الالقاب فرق فان الحلم حالة توقر وثبات عند الاسباب
المحركات والاحتمال حبس النفس عند الالام والمؤذيات ومثلها
الصبر ومعانيها متقاربة واما العفو فهو ترك المؤاخذة وهذا
كله مما ادب الله به نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال خذ
العفو وامر بالعرف الاية روي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
لما نزلت عليه هذه الاية سال جبرائيل عن تاويلها فقال له حتى
اسأل العالم ثم ذهب فاتاه فقال يا محمد ان الله تعالى يامرك ان
تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال

وقال له واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور الاية وقال
فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال وليعفوا وليصفحوا الاية
وقال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور ولا خفاء بما يؤثر من
حلمه واحتماله وان كل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت عنه هفوة
وهو صلى الله تعالى عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى
اسراف الجاهل الا حلما حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن علي
وغيره قالوا حدثنا محمد بن عتاب حدثنا ابو بكر بن واقد القاضي وغيره
حدثنا ابو عيسى ثنا عبيد الله ثنا يحيى بن يحيى ثنا مالك عن ابن شهاب
عن عروة عن عائشة قالت ما خير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
في امرين قط الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد
الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لنفسه
الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها وروي ان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم احد شق ذلك
على اصحابه شديدا وقالوا لو دعوت الله عليهم فقال اني لم ابعث
لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون
وروي عن عمر انه قال في بعض كلامه بابي انت وامي يا رسول الله
لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
الاية ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند اخرنا فلقد وطئ ظهرك
وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت
اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون قال القاضي ابو الفضل رضي الله
عنه انظر ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات الاحسان

وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم اذ لم يقتصر صلى
الله عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفى ثم اشفق عليهم و
رحمهم ودعى وشفع لهم فقال اغفر او اهد ثم اظهر سبب الشفقة
والرحمة بقوله لقومي ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فانهم لا يعلمون
ولما قال له الرجل اعدل فان هذه قسمة ما اريد بها وجه الله لم
يزده في جوابه ان بين له ما جهله و وعظ نفسه وذكرها بما قال له
فقال ويحك من يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل ونهى
من اراد من اصحابه قتله ولما تصدى له غورث بن الحارث ليفتك
به ورسول الله منتبذ تحت شجرة وحده قائلا والناس قائلون
في غزاة فلم ينتبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو قائم
والسيف صلتا في يده فقال من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف
من يده فاخذه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال من يمنعك
مني فقال كن خير اخذ فتركه فعفى عنه فجاء الى قومه فقال جئتكم
من عند خير الناس ومن عظيم خبره في العفو عفوه عن اليهودية التي
سمته في الشاة بعد اعترافها على الصحيح من الرواية وانه لم يؤاخذ لبيد
الاعصم اذ سحره وقد اعلم به واوحى اليه بشرح امره ولا عتب عليه فضلا
عن معاقبته وكذلك لم يؤاخذ عبد الله بن ابي واشباهه من المنافقين
بعظيم ما نقل عنهم في جهته قولا وفعلا بل قال لمن اشار بقتل بعضهم
لا يتحدث ان محمدا يقتل اصحابه وعن انس رضي الله عنه قال كنت مع
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية فجبذه اعرابي
بردائه جبذة شديدة حتى اثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه ثم

ثم قال يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك
فانك لا تحمل لي من مالك ولا مال ابيك فسكت النبي صلعم ثم قال
المال مال الله وانا عبده ثم قال ويقاد منك يا اعرابي ما فعلت
بي قال لا قال لم قال لانك لا تكافي بالسيئة السيئة فضحك النبي
عليه السلام ثم امر ان يحمل له على بعير شعير وعلى الاخر تمر قالت
عايشة رض ما رايت رسول الله منتصرا من مظلمة ظلمها
قط ما لم تكن حرمة من محارم الله وما ضرب بيده شيئا قط الا
ان يجاهد في سبيل الله وما ضرب خادما ولا امراة وجيء اليه برجل
فقيل لهذا اراد ان يقتلك فخاف الرجل وقال له النبي عم لن تراع
لن تراع ولو اردت ذلك لم تسلط علي وجاءه زيد بن سعنة قبل
اسلامه يتقاضاه دينا عليه فجبذ ثوبه عن منكبه واخذ
بمجامع ثيابه واغلظ له ثم قال انكم يا بني عبد المطلب مطل فانتهره
عمر رض وشدد له في القول والنبي عم يتبسم فقال رسول الله انا كنا
وهو الى غير هذا احوج منك يا عمر تامرني بحسن القضا وتامره بحسن
التقاضي ثم قال لقد بقي من اجله ثلث وامر عمر يقضيه ماله ويزيده
عشرين صاعا لما روعه فكان سبب اسلامه وذلك انه كان يقول
ما بقي من علامات النبوة شيء الا وقد عرفتها في محمد عم الا اثنين
لم اخبرهما يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه الا
حلما فاختبرته بهذا فوجدته كما وصف والحديث عن حلمه عم
وصبره وعفوه عند القدرة اكثر من ان ناتي عليه وحسبك
ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات الثابتة الى ما بلغ متواترا

مبلغ اليقين من صبره على مقاسات قريش واذاء الجاهلية ومصابرة
الشدايد الصعبة معهم الى ان اظفره الله عليهم وحكمه فيهم
وهم لا يشكون في استيصال شافتهم وابادة خضرائهم فما
زاد على ان عفا وصفح وقال ما تقولون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم
وابن اخ كريم فقال اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم الاية
اذهبوا فانتم الطلقاء وقال انس هبط ثمانون رجلا من
[illegible] صلوة الصبح ليقتلوا رسول الله صلعم فاخذوا فاعتقهم صلى
الله عليه وسلم فانزل الله وهو الذي كف ايديهم عنكم الاية وقال
لابي سفيان وقد سيق اليه بعد ان جلب اليه الاحزاب وقتل عمه
واصحابه ومثل بهم فعفا عنه ولاطفه في القول فقال ويحك
يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم ان لا اله الا الله فقال بابي انت وامي
يا رسول الله ما [illegible] واوصلك واكرمك وكان رسول الله صلعم
ابعد الناس غضبا واسرعهم رضا فصل واما الجود والكرم
والسخاء والسماحة ومعانيها متقاربة وقد فرق بعضهم
بينها بفروق فجعلوا الكرم الانفاق بطيب النفس فيما يعظم
خطره ونفعه وسموه ايضا حرية وهو ضد النذالة والسماحة
التجافي عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد
الشكاسة والسخاء سهولة الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد
وهو الجود وهو ضد التقتير فكان صلى الله عليه وسلم لا يوازى
في هذه الاخلاق الكريمة ولا يبارى بهذا وصفه كل من عرفه
ثنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي رحمه الله ثنا القاضي ابو الوليد

ابو الوليد الباجي ثنا ابو ذر الهروي ثنا ابو الهيثم الكشميهني
وابو محمد السرخسي وابو اسحق البلخي قالوا ثنا ابو عبد الله الفربري
ثنا البخاري ثنا محمد بن الكثير ثنا سفيان عن ابن المنكدر سمعت
جابر بن عبد الله يقول ما سئل النبي عليه السلام عن شيء
فقال لا وعن انس وسهل بن سعد مثله وقال ابن عباس رضي الله عنه
كان رسول الله صلعم اجود الناس بالخير واجود ما كان في شهر رمضان
وكان اذا لقيه جبرائيل اجود بالخير من الريح المرسلة وعن انس رض
ان رجلا سأله فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى بلده وقال اسلموا
فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى فاقة واعطى غير واحد مائة
من الابل واعطى صفوان بن امية مائة ثم مائة ثم مائة وهذه
كانت حاله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وقد قال له ورقة
بن نوفل انك تحمل الكل وتكسب المعدوم ورد على هوازن سباياها
وكانوا ستة الاف واعطى العباس من الذهب ما لم يطق حمله
وحمل اليه تسعون الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها
يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله
فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءنا شيء قضيناه فقال له عمر
ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي عليه السلام ذلك فقال
رجل من الانصار يا رسول الله انفق ولا تخف من ذي العرش
اقلالا فتبسم صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه
وقال بهذا امرت ذكره الترمذي وذكر عن معوذ بن عفراء
قال اتيت النبي عليه الصلوة والسلام بقناع من رطب

يريد طبقا واجر زغب يريد قثاء فاعطانى ملاء كفيه صبيا
وذهبا قال انس كان النبى عليه السلام لا يدخر شيئا
لغد والخبر بجوده صلى الله عليه وسلم وكرمه كثير وعن
ابى هريرة قال اتى رجل النبى صلى الله عليه وسلم يسئله
فاستسلف له رسول الله صلعم نصف وسق فجاء الرجل
يتقاضاه فاعطاه وسقا وقال نصفه قضاه ونصفه نائل فصل
واما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها
للعقل والنجدة ثقة النفس عند استرسالها الى الموت حيث
يحمد فعلها دون خوف وكان النبى عليه السلام منهما بالمكان
الذى لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة وفر   والابطال
عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح
وما شجاع الا وقد احصيت له فرة وحفظت عنه جولة
سواه ثنا ابو على الجيانى فيما كتب لى ثنا القاضى سراج ثنا
ابو محمد الاصيلى ثنا ابو زيد الفقيه ثنا محمد بن يوسف ثنا
محمد بن اسمعيل ثنا ابن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن
ابى اسحق سمع البراء وسأله رجل افررتم يوم حنين
عن رسول الله عليه الصلوة والسلام قال نعم لكن رسول الله
عم لم يفر ثم قال لقد رايته على بغلته البيضاء وابو سفيان
اخذ بلجامها والنبى عليه السلام يقول انا النبى لا كذب
وزاد بعضهم انا ابن عبد المطلب قيل فما رئى يومئذ
احد كان اشد منه وقال غيره نزل النبى عم عن بغلته وذكر

مسلم عن العباس رض قال فلما التقى المسلمون و
الكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلعم
يركض بغلته نحو الكفار وانا اخذ بلجامها اكفها ارادة ان
لا تسرع وابو سفيان اخذ بركابه ثم نادى بالمسلمين الحديث
وقيل كان رسول الله عليه الصلوة والسلام اذا غضب
ولا يغضب الا لله لم يقم لغضبه شىء وقال ابن عمر رض
ما رايت اشجع ولا انجد ولا اجود ولا ارضى من رسول
الله صلعم وقال على رض انا كنا اذا حمى البأس ويروى اشتد
البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلعم فما يكون احد
اقرب الى العدو منه ولقد رايتنى يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى
عم وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ
بأسا قيل وكان الشجاع هو الذى يقرب منه صلعم اذا دنا
العدو لقربه منه وعن انس كان النبى عم احسن الناس واجود
الناس واشجع الناس لقد فزع اهل المدينة ليلة فانطلق
ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلعم راجعا قد سبقهم
الى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لابى طلحة عرى والسيف
فى عنقه وهو يقول لن تراعوا وقال عمران بن حصين ما لقى رسول
الله صلعم كتيبة الا كان اول من يضرب الى الكفار ولما راه ابى
بن خلف يوم احد وهو يقول اين محمد لا نجوت ان نجا وقد كان
يقول للنبى عم حين افتدى يوم بدر عندى فرس اعلفها
كل يوم فرقا من ذرة اقتلك عليها فقال له النبى عم انا

اقتلك ان شاء الله فلما راه يوم احد شد ابى على فرسه
على رسول الله صلعم فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبى
عم هكذا اى خلو طريقه وتناول الحربة من الحارث
بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعراء
عن البعير اذا انتفض ثم استقبله النبى عم فطعنه فى
عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا وقيل بل كسر ضلعا
من اضلاعه فرجع الى قريش يقول قتلنى محمد عم وهم يقولون
لا بأس بك فقال لو كان ما بى بجميع الناس لقتلهم اليس قد قال
انا اقتلك والله لو بصق على لقتلنى فمات بسرف فى قفولهم
الى مكة فصل واما الحياء والاغضاء فالحياء رقة تعترى وجه
الانسان عند فعل ما يتوقع كراهته او ما يكون تركه خيرا من فعله
والاغضاء التغافل عما يكرهه الانسان بطبيعته وكان النبى
عم اشد الناس حياء واكثرهم عن العورات اغضاء قال
الله ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم الاية ثنا ابو محمد
بن عتاب بقراءتى عليه ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن
القابسى ثنا ابو زيد المروزى ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل
ثنا عبدان ثنا عبد الله بن مبارك ثنا شعبة عن قتادة سمعت
عبد الله مولى انس عن ابى سعيد الخدرى كان رسول الله عم
اشد الحياء من العذراء فى خدرها وكان اذا كره شيئا عرفناه
فى وجهه وكان صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة رقيق
الظاهر لا يشافه احدا بما يكره حياء وكرم نفس وعن عايشة رض كان

كان رسول الله صلى الله عليه اذا بلغه عن احد ما يكرهه لم يقل
ما بال فلان يقول كذا ولكن يقول ما بال اقوام يصنعون او يقولون
كذا ينهى عنه ولا يسمى فاعله وروى انس انه دخل عليه رجل
به اثر صفرة فلم يقل له شيئا وكان لا يواجه احدا بما يكره فلما خرج
قال لو قلتم له يغسل هذا ويروى ينزعها وقالت عايشة فى
الصحيح لم يكن النبى عم فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا بالاسواق
ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وقد حكى مثل
هذا الكلام عن التورية من رواية ابن سلام وعبد الله بن
عمرو بن العاص وروى عنه انه كان من حيائه لا يثبت بصره
فى وجه احد وانه كان يكنى عما اضطره الكلام اليه مما يكره وعن
عايشة ما رايت فرج رسول الله عم قط فصل واما حسن
عشرته وادابه وبسط خلقه مع اصناف الخلق فبحيث انتشرت
به الاخبار الصحيحة قال على رض فى صفته عليه السلام كان
اجود الناس صدرا واصدق الناس لهجة والينهم عريكة و
اكرمهم عشرة ثنا ابو الحسن على بن مشرف الانماطى فيما
اجازنيه وقرأته على غيره قال ثنا ابو اسحق الحبال ثنا ابو محمد
بن النحاس ثنا ابن الاعرابى ثنا ابو داود ثنا هشام ابو مروان
ومحمد بن المثنى ثنا الوليد بن مسلم ثنا الاوزاعى سمعت يحيى
بن ابى كثير يقول ثنا محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة
عن قيس بن سعد قال زارنا رسول الله صلعم وذكر قصة
فى اخرها فلما اراد الانصراف قرب له سعد حمارا وطاء عليه

بقطيفة وركب رسول الله عم ثم قال سعد يا قيس اصحب
رسول الله عم قال قيس فقال لي رسول الله عم اركب فابيت
فقال اما ان تركب واما ان تنصرف فانصرفت وفي رواية اخرى
اركب امامي فصاحب الدابة اولى بمقدمها وكان صلى الله عليه
وسلم يؤلفهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم
الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد منهم
بشره ولا خلقه يتفقد اصحابه ويعطي كل جلسائه نصيبه
لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او قاربه
لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة
لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه
وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق سواء بهذا وصفه
ابن ابي هالة قال وكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب
ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح
يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤنس منه وقال الله تعالى فبما
رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا
من حولك وقال الله تعالى ادفع بالتي هي احسن الاية وكان
يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كان كراعا ويكافئ عليها
قال انس خدمت رسول الله عم عشر سنين فما قال لي اف
قط ولا لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته
وعن عائشة رض ما كان احد احسن خلقا من رسول الله
ما دعاه احد من اصحابه ولا اهل بيته الا قال لبيك وقال

وقال جرير بن عبد الله ما حجبني رسول الله صلعم منذ اسلمت
ولا رآني الا تبسم وكان يمازح اصحابه ويخالطهم ويحادثهم
ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة الحر والعبد
والامة والمسكين ويعود المرضى في اقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر
قال انس رض ما التقم اذن رسول الله صلعم فينحي رأسه حتى يكون
الرجل هو الذي ينحي رأسه وما اخذ احد بيده فيرسل يده حتى
يرسلها الاخر ويبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ اصحابه بالمصافحة
ولم ير قط مادا رجليه بين اصحابه حتى يضيق بهما على احد يكرم
من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي
تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها ان ابى اصحابه ويدعوهم
باحب اسمائهم تكرمة ولا يقطع على احد حديثه حتى يتجوز
فيقطعه بنهي او قيام وروي انه كان لا يجلس اليه احد وهو
يصلي الا خفف صلوته وسأله عن حاجته فاذا فرغ عاد الى
صلوته وكان اكثر الناس تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه
قرآن او يعظ او يخطب قال عبد الله بن الحرث ما رأيت احدا اكثر
تبسما من رسول الله صلعم وعن انس كان خدم المدينة يأتون
فما يؤتى بانية الا غمس يده فيها وربما كان ذلك في الغداة الباردة
يريدون به التبرك فصل واما الشفقة والرافة والرحمة
لجميع الخلق فقد قال الله تعالى عزيز عليه ما عنتم حريص
عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم قال الله تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين قال بعضهم من فضله عليه السلام

ان الله تعالى اعطاه اسمين من اسمائه فقال تعالى
بالمؤمنين رؤف رحيم وحكى نحوه الامام ابو بكر بن فورك
ثنا الفقيه ابو محمد بن عبد الله بن محمد الخشني بقرائتي عليه
ثنا امام الحرمين ابو علي الطبري ثنا عبد الغافر
الفارسي ثنا ابو محمد جلودي ثنا ابراهيم بن سفيان ثنا
مسلم بن الحجاج ثنا ابو الطاهر ثنا ابن وهب ثنا يونس
عن ابن شهاب قال غزا رسول الله صلعم غزوة وذكر حنينا
قال فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن
امية مائة من النعم ثم مائة ثم مائة قال ابن شهاب ثنا
سعيد بن المسيب ان صفوان قال والله لقد اعطاني
ما اعطاني وانه لابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى انه
لاحب الخلق الي وروي ان اعرابيا جاءه يطلب منه شيئا
فاعطاه ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي لا ولا اجملت فغضب
المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم قام ودخل
منزله وارسل اليه وزاده شيئا ثم قال احسنت اليك قال
نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال له النبي عم انك
قلت ما قلت وفي انفس اصحابي من ذلك شيء فان احببت
فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم
عليك قال نعم فلما كان الغد او العشي جاء فقال صلى الله عليه
وسلم ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم انه
رضي اكذلك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال

فقال صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة
شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم
صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فاني ارفق بها منكم واعلم فتوجه
لها بين يديها فاخذ لها من قمام الارض فردها حتى جاءت واستناخت
وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم حيث قال
الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار وروي عنه انه قال لا يبلغني احد
منكم عن احد من اصحابي شيئا فاني احب ان اخرج اليكم وانا
سليم الصدر ومن شفقته على امته تخفيفه وتسهيله
عليهم وكراهته اشياء مخافة ان تفرض عليهم كقوله لولا ان
اشق على امتي لامرتهم بالسواك مع كل وضوء وخبر صلوة
الليل ونهيهم عن الوصال وكراهته دخول الكعبة لئلا يعنت
امته ورغبته لربه ان يجعل سبه ولعنه عليه الصلوة والسلام
لهم رحمة بهم وانه كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلوته ومن
شفقته ان دعا ربه وعاهده فقال ايما رجل سببته او لعنته
فاجعل ذلك له زكوة ورحمة وصلوة وطهورا وقربة تقربه
بها اليك يوم القيمة ولما كذبه قومه اتاه عم جبرئيل فقال
له ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد امر
ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال
وسلم عليه وقال مرني بما شئت ان شئت ان اطبق عليهم
الاخشبين قال النبي عم بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم
من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا وروى ابن المنكدر ان

جبرائيل عم قال النبي عم ان الله امر السماء والارض والجبال ان تطيعك فقال اؤخر عن امتي لعل الله ان يتوب عليهم قالت عايشة رض ما خير رسول الله عم بين امرين الا اختار ايسرهما وقال ابن مسعود رض كان رسول الله صلعم يتخولنا بالموعظة مخافة السامة علينا وعن عايشة رض انها ركبت بعيرا وفيه صعوبة فجعلت تردده فقال رسول الله صلعم عليك بالرفق

فصل واما خلقه في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم ثنا القاضي ابو عامر محمد بن اسمعيل بقراتي عليه ثنا ابو بكر محمد بن محمد ثنا ابو اسحق الحبال ثنا ابو محمد بن النحاس ثنا ابن الاعرابي ثنا ابو داود ثنا محمد بن يحيى ثنا محمد بن سنان ثنا ابراهيم بن طهمان عن بديل عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن ابيه عن عبد الله بن ابي الحمساء بايعت النبي عم ببيع قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان اتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلث فجيت فاذا هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي انا ههنا منذ ثلث انتظرك وعن انس رض كان النبي عم اذا اتي بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها كانت صديقة لخديجة انها كانت تحب خديجة وعن عايشة رض قالت ما غرت على امراة ما غرت على خديجة لما كنت اسمعه يذكرها وان كان ليذبح الشاة فيهديها الى خلائلها واستاذنت عليه اختها فارتاح اليها ودخلت عليه امراة فهش لها واحسن السوال عنها فلما خرجت قال انها كانت تاتينا ايام خديجة وان حسن

العهد من الايمان ووصفه بعضهم فقال كان يصل ذوي رحمه من غير ان يوثرهم على من هو افضل منهم وقال صلعم ان ال بني فلان ليسوا لي باولياء غير ان لهم رحما سابلها ببلالها وقد صلى الله عليه وسلم بامامة ابنة ابنته يحملها على عاتقه فاذا سجد وضعها واذا قام حملها وعن ابي قتادة وفد وفد للنجاشي فقام النبي عم يخدمهم فقال له اصحابه نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين واني احب ان اكافيهم ولما جي باخته من الرضاعة الشيماء في سبايا هوازن وتعرفت له بسط لها رداءه وقال لها ان احببت اقمت عندي مكرمة محببة او متعتك ورجعت الى قومك فاختارت قومها فمتعها وقال ابو الطفيل رايت النبي عم وانا غلام اذ اقبلت امراة حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا امه التي ارضعته وعن عمر بن السايب ان رسول الله عم كان جالسا يوما فاقبل ابوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت امه فوضع لها شق ثوبه من الجانب الاخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلعم فاجلسه بين يديه وكان يبعث الى ثويبة مولاة ابي لهب مرضعته بصلة وكسوة فلما ماتت سال من بقي من قرابتها فقيل لا احد وفي حديث خديجة رض انها قالت له صلى الله عليه وسلم ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق

واما تواضعه صلعم على علو منصبه ورفعة رتبته عم فكان اشد الناس تواضعا واقلهم كبرا وحسبك انه خير بين

ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا فقال له اسرافيل عند ذلك فان الله قد اعطاك بما تواضعت له انك سيد ولد ادم يوم القيمة واول من تنشق الارض عنه واول شافع ابو الوليد بن عراد الفقيه بقراتي عليه في منزله بقرطبة سنة سبع وخمسة ماية قال ابو علي الحافظ ابو عمرو بن عبد البر ابن واسه ابو داود ابو بكر بن ابي شيبة عبد الله بن نمير عن مسعر عن ابي العنبس عن ابي العدبس عن ابي مرزوق عن ابي غالب عن ابي امامة قال خرج علينا رسول الله عم متوكئا على عصا فقمنا له فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضها بعضا وقال انما انا عبد اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين اصحابه مختلطا بهم حيث ما انتهى به المجلس جلس وفي حديث عمر عنه لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وعن انس ان امراة كان في عقلها شي جاته فقالت ان لي اليك حاجة قال لها اجلسي يا ام فلان في اي طرق المدينة شيت اجلس اليك حتى اقضي حاجتك قال فجلست فجلس النبي صلعم اليها حتى فرغت من حاجتها قال انس كان رسول الله عم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف قال وكان يدعى الى خبز الشعير والاهالة السنخة فيجيب قال وحج صلى الله عليه وسلم على رحل رث وعليه قطيفة ما تساوي اربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة هذا وقد فتحت عليه الارض واهدى

في حجه ذلك مائة بدنة ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طاطا على رحله راسه حتى كاد يمس قادمته تواضعا لله تعه ومن تواضعه لله تعه قوله لا تفضلوني على يونس بن متى ولا تفضلوا بين الانبياء ولا تخيروني على موسى عم ونحن احق بالشك من ابراهيم ولو لبثت ما لبث يوسف في السجن لاجبت الداعي وقال للذي قال له يا خير البرية ذاك ابراهيم وسياتي الكلام على هذه الاحاديث بعد هذا ان شاء الله وعن عايشة رض والحسن وابي سعيد وغيرهم في صفته وبعضهم يزيد على بعض كان في بيته في مهنة اهله يفلي ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه ويقم البيت ويعقل البعير ويعلف ناضحه ويعلف ناضحه صح ويأكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق وعن انس رض ان كانت الامة من اماء اهل المدينة لتاخذ بيد رسول الله عم فتنطلق به حيث شاءت حتى يقضي حاجتها ودخل عليه رجل فاصابته من هيبته رعدة فقال له هون عليك فاني لست بملك انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد وعن ابي هريرة رض دخلت السوق مع النبي عم فاشترى سراويل وقال للوزان زن وارجح وذكر القصة قال فوثب الى يد النبي عم يقبلها فجذب يده فقال هذا تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم ثم اخذ السراويل فذهبت لاحمله فقال صاحب الشي احق بشيه ان يحمله

واما عدله وامانته وعفته وصدق لهجته فكان

صلى الله عليه وسلم أمن الناس واعف الناس واصدقهم
لهجة منذ كان اعترف له بذلك محادوه وعداه وكان يسمى قبل
نبوته الامين قال ابن اسحاق كان يسمى الامين بما جمع الله
فيه من الاخلاق الصالحة وقال الله تعالى مطاع ثم امين
اكثر المفسرين على انه محمد صلى الله عليه وسلم ولما اختلفت
قريش وتحازبت عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا اول
داخل عليهم فاذا بالنبي صلعم داخل وذلك قبل نبوته فقالوا هذا
محمد هذا الامين قد رضينا به وعن الربيع بن خثيم كان يتحاكم
الى رسول الله صلعم في الجاهلية قبل الاسلام وقال صلى الله
عليه وسلم والله انى لامين فى السماء وامين فى الارض
ابو على الصدفى الحافظ بقراتى عليه ابو الفضل بن خيرون
ابو يعلى ابن زوج الحرة ابو على السنجى محمد بن محبوب
المروزى ابو عيسى الحافظ ابو كريب معاوية بن
هشام عن سفيان عن ابى اسحاق عن ناجية بن كعب عن
على ان ابا جهل قال للنبى صلعم انا لا نكذبك بما جئت به فانزل
الله تعالى فانهم لا يكذبونك الاية وروى غيره لا نكذبك
وما انت فينا بمكذب وقيل ان الاخنس بن شريق لقى ابا جهل
يوم بدر فقال له يا ابا الحكم ليس هنا غيرى وغيرك يسمع
كلامنا تخبرنى عن محمد صادق ام كاذب فقال ابو جهل والله
ان محمدا الصادق وما كذب محمد قط وسئل هرقل عنه ابا
سفيان فقال كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال

ما قال قال لا وقال النضر بن الحارث لقريش قد كان محمد صلعم فيكم
غلاما حدثا ارضاكم فيكم واصدقكم حديثا واعظمكم امانة حتى اذا
رايتم فى صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله
ما هو ساحر وفى الحديث عنه ما لمست يده يد امراة قط لا يملك
رقها وفى حديث على وصفه اصدق الناس لهجة وقال فى الصحيح
ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل قالت عايشة
رضى ما خير رسول الله صلعم فى امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما
فان كان اثما كان ابعد الناس منه قال ابو العباس المبرد وقسم
كسرى ايامه فقال يصلح يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم
المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوايج قال ابن خالويه ما
كان اعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا
وهم عن الاخرة هم غافلون ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم
جزا نهاره ثلثة اجزاء جزء لله وجزء لاهله وجزء لنفسه ثم
جزء جزءه بينه وبين الناس وكان يستعين بالخاصة على
العامة ويقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغى فانه من ابلغ
حاجة من لا يستطيع امنه الله يوم الفزع الاكبر وعن الحسن
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياخذ احدا بقرف احد
ولا يصدق احدا على احد وذكر ابو جعفر الطبرى عن على رض
عنه صلى الله عليه وسلم ما هممت بشىء مما كان اهل الجاهلية
يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول بينى وبين ما اريد من
ذلك ثم ما هممت بسوء حتى اكرمنى الله برسالته قلت ليلة

لغلام كان يرعى معى لو ابصرت لى غنمى حتى ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر
الشباب فخرجت لذلك حتى جئت اول دار من مكة سمعت عزفا بالدفوف
والمزامير لعرس بعضهم فجلست انظر فضرب على اذنى فنمت
فما ايقظنى الا مس الشمس فرجعت ولم اقض شيئا ثم عرانى
مرة اخرى مثل ذلك ثم انى لم اهم بعد ذلك بسوء واما
وقاره وصمته وتؤدته ومروته وحسن هديه ابو على
الجيانى الحافظ اجازة وعارضت بكتابه قال ابو العباس الدلائى
ابو ذر الهروى ابو عبد الله الوراق اللولو عبد الرحمن
بن سلام حجاج بن محمد عن عبد الرحمن بن ابى الزناد عن عمر بن
عبد العزيز بن وهب سمعت خارجة زيد يقول كان النبى صلعم
اوقر الناس فى مجلسه لا يكاد يخرج شيئا من اطرافه وروى
ابو سعيد الخدرى كان رسول الله صلعم اذا جلس فى المجلس
احتبى بيديه وكذلك كان اكثر جلوسه محتبيا عن جابر بن سمرة
انه تربع وربما جلس القرفصاء وهو فى حديث قيلة وكان كثير
السكوت لا يتكلم فى غير حاجة يعرض عمن تكلم بغير جميل وكان
ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول فيه ولا تقصير وكان ضحك
اصحابه عنده التبسم توقيرا له واقتداء به مجلسه مجلس حلم
وحياء وخير وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم
اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير وفى صفته
صلعم يخطو تكفؤا ويمشى هونا كانما ينحط من صبب وفى الحديث
الاخر اذا مشى مشى مجتمعا يعرف فى مشيته انه غير غرض ولا

ولا وكل اى غير ضجر ولا كسلان وقال عبد الله بن مسعود ان
احسن الهدى هدى محمد صلعم وعن جابر بن عبد الله كان
فى كلام رسول الله صلعم ترتيل او ترسيل قال ابن ابى هالة
كان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر قالت
عايشة كان رسول الله صلعم يحدث حديثا لو عده العاد لاحصاه
وكان رسول الله يحب الطيب والرايحة الحسنة ويستعملها
كثيرا ويحض عليها ويقول حبب الى من دنياكم النساء والطيب
وجعلت قرة عينى فى الصلوة ومن مروته نهيه عن النفخ فى
الطعام والشراب والامر بالاكل مما يلى والامر بالسواك وانقاء
البراجم والرواجب واستعمال خصال الفطرة واما زهده
فى الدنيا فقد تقدم من الاخبار فى اثناء هذه السيرة ما يكفى
وحسبك من تقلله منها واعراضه عن زهرتها وقد سيقت
اليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها الى ان توفى صلى الله
عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودى فى نفقة عياله وهو
يدعو ويقول اللهم اجعل رزق ال محمد قوتا سفيان بن العاصى
والحسين محمد الحافظ والقاضى ابو عبد الله التميمى قالوا احمد بن
عمر ابو العباس الرازى ابو احمد الجلودى ابن سفيان
ابو الحسين بن الحجاج ابو بكر بن ابى شيبة ابو معاوية
عن الاعمش عن ابراهيم عن الاسود عن عايشة قالت ما شبع
رسول الله صلعم ثلثة ايام تباعا من خبز حتى مضى لسبيله وفى رواية
اخرى من خبز شعير يومين متوالين ولو شاء لاعطاه الله تعالى

ما الا خطر ببال وفي رواية اخرى ما شبع ال رسول الله عم من
خبز بر حتى لقي الله وقالت عايشة ما ترك رسول الله عم دينارا
ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا وفي حديث عمرو بن الحارث ما ترك
الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها صدقة قالت عايشة
ولقد مات وما في بيتي شيء ياكله ذو كبد الا شطر شعير في
رف لي وقال لي اني عرض علي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت
يا رب اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم الذي اجوع
فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي اشبع فاحمدك
واثني عليك وفي حديث اخر ان جبرائيل نزل عليه فقال له ان
الله يقرأك السلام ويقول لك اتحب ان اجعل هذه الجبال
ذهبا وتكون معك حيث ما كنت فاطرق ساعة ثم قال يا جبرائيل
ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من
لا عقل له فقال له جبرائيل ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت وعن
عايشة قالت ان كنا ال محمد لنمكث شهرا ما نستوقد نارا
ان هو الا التمر والماء وعن عبد الرحمن بن عوف هلك اي توفي
رسول الله ولم يشبع هو واهل بيته من خبز الشعير وعن
عايشة وابي امامة وابن عباس رض نحوه قال ابن عباس
كان صلعم يبيت هو واهله الليالي المتتابعة طاويا لا يجدون
عشاء وعن انس ما اكل رسول الله عم على خوان ولا في سكرجة
ولا خبز له مرقق ولا راى شاة سميطا قط وعن عايشة
رض انما كان فراشه الذي ينام عليه ادم حشوه ليف وعن

وعن حفصة رض كان فراش رسول الله عم في بيتي مسحا
نثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه له ليلة باربع فلما اصبح
قال ما فرشتموني الليلة فذكرنا ذلك له فقال ردوه بحاله فان وطاءته
منعتني الليلة صلاتي وكان ينام احيانا على سرير مرمول بشريط حتى
يؤثر في جنبه وعن عايشة قالت لم يمتلي جوف النبي عم شبعا
قط ولم يبث شكوى الى احد وكانت الفاقة احب من الغنى
وان كان ليظل جايعا يلتوي طول ليلته من الجوع فلا يمنعه
صيام يومه ولو شاء سال ربه جميع كنوز الارض وثمارها
ورغد عيشها ولقد كنت ابكي له رحمة مما ارى به وامسح
بيدي على بطنه مما به من الجوع واقول نفسي لك الفداء
لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عايشة ما لي وللدنيا
اخواني من اولي العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد من
هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مابهم واجزل
ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي
غدا دونهم وما من شيء هو احب الي من اللحوق باخواني
واخلائي والرفيق الاعلى قالت فما اقام بعد ذلك الا شهرا حتى
توفي صلى الله عليه وسلم واما خوفه ربه وطاعته له
وشدة عبادته فعلى قدر علمه بربه ولذلك قال فيما
ابو محمد بن عتاب قراءة مني عليه ابو القاسم الطر
ابو الحسن القابسي ابو زيد المروزي ابو عبد الله
فربري محمد بن اسمعيل يحيى بن بكير عن الليث عن

عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب ان ابا هريرة كان يقول
قال رسول الله عم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا
زاد في روايتنا عن ابي عيسى الترمذي رفعه الى ابي ذر اني
ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها
ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته
ساجدا لله قال والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات
تجارون الى الله قال لوددت اني شجرة تعضد روي هذا الكلام
وددت شجرة تعضد من قول ابي ذر نفسه وهو اصح وفي حديث
المغيرة صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه وفي رواية
كان يصلي حتى ترم قدماه فقيل له اتكلف هذا وقد غفر الله لك
ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا ونحوه
عن ابي سلمة وابي هريرة وقالت عايشة كان عمل رسول الله صلعم
ديمة وايكم يطيق ما كان يطيق وقالت كان يصوم حتى نقول لا يفطر
ويفطر حتى نقول لا يصوم ونحوه عن ابن عباس وام سلمة
وانس وقالت كنت لا تشاء ان تراه من الليل مصليا الا رايته
ولا نايما الا رايته نايما وقال عوف بن مالك كنت مع رسول الله
ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام يصلي فقمت معه فبدأ
فاستفتح البقرة فلا يمر باية رحمة الا وقف فسال ولا يمر باية
عذاب الا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه سبحان
ذي الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك

ذلك ثم قرأ ال عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك ثم قرأ
وعن حذيفة مثله وقال سجد نحوا من قيامه وجلس بين
السجدتين نحوا منه وقال حتى قرأ البقرة وال عمران والنساء
والمائدة وعن عايشة قام رسول الله عم باية من القران ليلة
وعن عبد الله الشخير اتيت رسول الله وهو يصلي ولجوفه ازيز
كازيز المرجل قال ابن ابي هالة كان رسول الله عم متواصل الاحزان
دائم الفكر ليست له راحة وقال عليه السلام اني لاستغفر
الله في اليوم مائة مرة وروي سبعين مرة وعن علي قال
سالت رسول الله عم عن سنته فقال المعرفة راس مالي
والعقل اصل ديني والحب اساسي والشوق مركبي وذكر الله
انيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر
ردائي والرضاء غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين
قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد في ذكري وعيني
لاجل امتي وشوقي الى ربي وفقنا الله واياك ان صفات
جميع الانبياء والرسل صلوات الله عليهم اجمعين من كمال الخلق
وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وان جميع
المحاسن في هذه الصفة لا صفات الكمال والكمال والتمام البشري
والفضل الجميع لهم صلوات الله عليهم اذ رتبتهم اشرف
الرتب ودرجاتهم ارفع الدرجات ولكن فضل الله بعضهم على
بعض قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض
وقال الله تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقد قال الله

ان اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم قال
اخر الحديث على خلق رجل واحد على صورة ابيهم ادم عليه السلام
طوله ستون ذراعا في السماء وفي حديث ابي هريرة قال رايت
موسى عم فاذا هو رجل ضرب رجل اقنى كانما من رجال شنوءة
ورايت عيسى عم فاذا هو رجل ربعة كثير خيلان الوجه احمر
كانما خرج من ديماس وفي حديث اخر مبطن مثل السيف وانا
اشبه ولد ابراهيم به وقال في حديث اخر في صفة موسى عم
كاحسن ما انت راء من ادم الرجال وفي حديث ابي هريرة عنه صلى
الله عليه وسلم ما بعث الله تعالى من بعد لوط نبيا الا في ذروة
من قومه ويروى في ثروة اي كثرة ومنعة وحكى الترمذي عن
قتادة ورواه الدارقطني من حديث قتادة عن انس ما بعث
الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم احسنهم
وجها واحسنهم صوتا وفي حديث هرقل وسئلتك عن نسبه
فذكرت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في انساب قومها
وقال الله تعالى في ايوب انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب
وقال الله تعالى في يحيى يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى قوله
يوم يبعث حيا وقال الله تعالى ان الله يبشرك بيحيى الى الصالحين
وقال الله تعالى في نوح انه كان عبدا شكورا وقال الله تعالى ان الله
يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الى الصالحين وقال الله تعالى
اني عبد الله اتاني الكتاب الى ما دمت حيا وقال الله تعالى يا ايها
الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى الاية قال النبي عم كان موسى

موسى رجلا حييا ستيرا ما يرى من جسده شيء استحياء الحديث
وقال الله تعالى عنه فوهب لي ربي حكما الاية وقال في وصف جماعة
من الانبياء عم اني لكم رسول امين وقال الله تعالى ان خير من استاجرت
القوي الامين وقال الله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل
وقال الله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا الى قوله فبهداهم
اقتده باوصاف جمة من الصلاح والهدى والاجتبا والحكم والنبوة
وقال الله تعالى فبشرناه بغلام حليم وقال الله تعالى ولقد فتنا قبلهم
قوم فرعون وجاءهم رسول كريم الى امين وقال الله تعالى ستجدني
ان شاء الله من الصابرين وقال الله في اسمعيل انه كان صادق
الوعد الايتين وقال الله تعالى واذكر عبدنا ابراهيم واسحق ويعقوب
اولي الايدي والابصار الى الاخيار وفي داود انه ثم قال وشددنا
ملكه واتيناه الحكمة وفصل الخطاب وقال عن يوسف اجعلني
على خزائن الارض اني حفيظ عليم وفي موسى ستجدني ان شاء
الله صابرا وقال شعيب ما اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه
ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وقال ولوطا اتيناه حكما وعلما
وقال انهم كانوا يسارعون في الخيرات الاية قال سفيان الثوري
هو الحزن الدائم في اي كثيرة ذكر فيها من خصالهم ومحاسن
اخلاقهم الدالة على كمالهم وجاء من ذلك في الاحاديث الصحيحة
كثير كقوله انما الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب
بن اسحق بن ابراهيم نبي بن نبي بن نبي بن نبي وفي حديث انس
وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وروي ان

سليمان كان مع ما اعطي من الملك لا يرفع بصره الى السماء تخشعا
وتواضعا لله وكان يطعم الناس لذائذ الاطعمة ويأكل خبز
الشعير واوحى اليه يا راس العابدين في جنوده فيأمر الريح
فتقف فينظر في حاجتها ويمضي وقيل ليوسف ما لك تجوع
وانت على خزائن الارض قال اخاف ان اشبع فانسى الجائع وروى
ابو هريرة عنه خفف على داود القران فكان يامر بدوابه
فتسرج فيقرا القران قبل ان تسرج ولا ياكل الا من عمل يده
قال الله تعالى والنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد
وكان سال ربه ان يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت مال الله
وقال عم احب الصلوة الى الله صلوة داود عم واحب الصيام
الى الله صيام داود عم كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه
وينام سدسه ويصوم يوما ويفطر يوما وكان داود عم
يلبس الصوف ويفترش الشعر وياكل خبز الشعير بالملح والرماد
ويمزج شرابه بالدموع ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة ولا شاخصا
ببصره الى السماء حياء من ربه ولم يزل باكيا حيوته كلها وقيل
بكى حتى نبت العشب من دموعه وحتى اتخذت الدموع في خدوده
اخدودا وقيل كان يخرج متنكرا يتعرف سيرته فيسمع الثناء عليه
فيزداد تواضعا وقيل لعيسى عم لو اتخذت حمارا قال انا اكرم
على الله من ان يشغلني بحمار وكان يلبس الشعر وياكل الشجر ولم
يكن له بيت اينما ادركه النوم نام وكان احب الاسامي اليه
ان يقال له يا مسكين وقيل ان موسى عم لما ورد ماء مدين كانت

كانت ترى خضرة البقل في بطنه من الهزال وقال عليه السلام
لقد كان الانبيا قبلي يبتلى احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك
احب اليهم من العطاء اليكم وقال عيسى عم لخنزير لقيه اذهب
بسلام فقيل له بذلك فقال اكره الله اعود لساني النطق بسوء
وقال مجاهد كان طعام يحيى العشب وكان يبكي من خشية الله
حتى اتخذ الدمع مجرى في خده وكان ياكل مع الوحش لئلا يخالط
الناس حكى الطبري عن وهب ان موسى كان يستظل بعرش وياكل
في نقرة من حجر ويكرع فيها اذا اراد ان يشرب كما تكرع الدابة
تواضعا لله بما اكرمه به من كلامه واخبارهم في هذا كله مسطورة
وصفاتهم في الكمال وجميل الاخلاق وحسن الصور والشمائل
معروفة مشهورة فلا نطول بها ولا نلتفت الى ما تجده في كتب
بعض الجهلة المورخين والمفسرين مما يخالف هذا الكتاب
قد اتينا اكرمك الله من ذكر الاخلاق الحميدة والفضائل
المجيدة وخصال الكمال العديدة واريناك صحتها له عم وجلبنا
من الاثار ما فيه مقنع والامر اوسع فمجال هذا الباب في حقه
صلى الله عليه وسلم ممتد تنقطع دون نفاده الادلاء وبحر
علم خصائصه زاخر لا تكدره الدلاء ولكنا اتينا فيه بالمعروف
مما اكثره في الصحيح والمشهور من المصنفات واقتصرنا في ذلك
بقل من كل وغيض من فيض ورأينا ان نختم هذه الفصول
بذكر حديث الحسن عن ابن ابي هالة لجمعه من شمائله واوصافه
كثيرا وادماجه جملة كافية من سيره وفضائله ونصله

بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله القاضي ابو عبد الله الحسين
بن محمد الحافظ بقراتي عليه سنة ثمان وخمسمائة قال
الإمام ابو القاسم عبد الله بن طاهر التميمي قرات عليه اخبركم
الفقيه الاديب هو العالم ابو بكر محمد بن عبد الله بن الحسن
النيسابوري والشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن احمد بن الحسن
محمدي والقاضي ابو علي الحسن بن علي بن جعفر الوحشي
ابو القاسم علي بن احمد بن محمد بن الحسن الخزاعي ابو سعيد
الهيثم بن كليب الشاشي ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة
الحافظ سفيان بن وكيع جميع بن عمر بن عبد الرحمن
العجلي املاء من كتابه رجل من بني تميم ولد ابي هالة زوج
خديجة ام المؤمنين يكنى ابا عبد الله عن ابن لابي هالة قال
القاضي ابو علي قرات على الشيخ بن ابي طاهر احمد بن الحسن بن
احمد بن خداداذ الكرخي الباقلاني قال واجاز لنا الشيخ الاجل ابو
الفضل احمد بن الحسن بن خيرون قالا ابو علي الحسن بن
ابراهيم الحسن بن محمد شاذان بن حرب بن مهران الفارسي قراءة
عليه فاقر به ابو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن جعفر بن
عبد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب
المعروف باخي طاهر العلوي اسمعيل بن محمد بن اسحق بن محمد
بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب علي بن جعفر بن
جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن علي عن علي بن الحسين قال الحسن
بن علي فاللفظ لهذا السند سالت خالي هند بن ابي هالة

ابي هالة عن حلية رسول الله صلعم وكان وصافا وانا ارجو ان يصف
لي منها شيئا اتعلق به قال كان رسول الله صلعم فخما مفخما يتلالؤ وجهه
تلالؤ القمر ليلة البدر اطول من المربوع واقصر من المشذب
عظيم الهامة رجل الشعر ان انفرقت عقيقته فرق والا فلا يجاوز
شعره شحمة اذنيه اذا هو وفره ازهر اللون واسع الجبين ازج الحواجب
سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب اقنى العرنين له نور يعلوه
ويحسبه من لم يتامله اشم كث اللحية ادعج سهل الخدين ضليع الفم
اشنب مفلج الاسنان دقيق المسربة كان عنقه جيد دمية في
صفاء الفضة معتدل الخلق بادنا متماسكا سواء البطن والصدر
مشيح الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس انور المتجرد
موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين
ما سوى ذلك اشعر الذراعين والمنكبين واعالي الصدر طويل
الزندين رحب الراحة شثن الكفين والقدمين سائل الاطراف
سبط العصب خمصان الاخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما
الماء اذا زال زال تقلعا ويخطو تكفوا ويمشي هونا ذريع المشية
اذا مشى كانما ينحط من صبب واذا التفت التفت جميعا
خافض الطرف نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء
جل نظره الملاحظة يسوق اصحابه ويبدا من لقيه بالسلام
قلت صف لي منطقه قال كان رسول الله صلعم متواصل الاحزان
دائم الفكرة ليست له راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت
يفتتح الكلام ويختمه باشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول

فيه ولا تقصير دمثا ليس بالجافي ولا المهين يعظم النعمة وان
دقت لا يذم شيئا لم يكن يذم ذوقا ولا يمدحه ولا يقام لغضبه اذا
تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها اذا
اشار اشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث اتصل بها
فضرب بابهامه اليمنى راحته اليسرى واذا غضب اعرض واشاح واذا
فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام قال
فكتمتها الحسين بن علي زمانا ثم حدثته فوجدته قد سبقني اليه
فسال اباه عن مدخل رسول الله صلعم ومخرجه ومجلسه وشكله
فلم يدع منه شيئا قال الحسين سالت ابي رض عن دخول رسول الله
صلعم فقال كان دخوله لنفسه ماذونا له في ذلك فكان اذا اوى
الى منزله جزا دخوله ثلثة اجزاء جزءا لله تعالى وجزءا لاهله
وجزءا لنفسه ثم جزا جزاه بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة
بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئا فكان سيرته في جزء الامة ايثار
اهل الفضل باذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين منهم ذو
الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم
فيما اصلحهم والامة من مسالته عنهم واخبارهم بالذي ينبغي
لهم ويقول ليبلغ الشاهد منكم الغائب وابلغوني حاجة من
لا يستطيع ابلاغي حاجته فانه من ابلغ سلطانا حاجة من
لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة ولا يذكر عنده
الا ذلك ولا يقبل من احد غيره قال في حديث سفيان بن وكيع
يدخلون روادا ولا يتفرقون الا عن ذواق ويخرجون ادلة يعني

يعني فقهاء قلت فاخبرني عن مخرجه كيف كان يصنع فيه قال
كان رسول الله صلعم يخزن لسانه الا فيما يعنيهم ويؤلفهم ولا
ينفرهم يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس و
يحترس منهم من غير ان يطوي عن احد بشره وخلقه
ويتفقد اصحابه ويسال الناس عما في الناس ويحسن الحسن
ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه معتدل الامر غير مختلف
لا يغفل مخافة ان يغفلوا او يميلوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر
عن الحق ولا يجاوزه الذين يلونه من الناس خيارهم
وافضلهم عنده اعمهم نصيحة واعظمهم عنده منزلة احسنهم
مواساة وموازرة فسالته عن مجلسه عما كان يصنع فيه فقال
كان رسول الله صلعم لا يجلس ولا يقوم الا على ذكر الله ولا يوطن
الاماكن وينهى عن ايطانها واذا انتهى الى القوم جلس حيث
ينتهي به المجلس ويامر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى
لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او قاومه
لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه من ساله حاجة لم يرده
الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه
وصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق متقاربين متفاضلين
فيه بالتقوى وفي الرواية الاخرى صاروا عنده في الحق سواء
مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات
ولا تؤبن فيه الحرم ولا تنثى فلتاته وهذه الكلمة من غير
الروايتين يتعاطفون بالتقوى متواضعين يوقرون فيه

الكبير ويرحمون الصغير ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون الغريب فسئلت
عن سيرته في جلسائه فقال كان رسول الله دائم البشر سهل الخلق
لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فاحش ولا عياب
ولا مداح يتغافل مما لا يشتهي ولا يؤيس منه قد ترك نفسه
من ثلث الرياء والاكثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلث كان لا يذم
احدا ولا يعيبه ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه اذا تكلم
اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير واذا سكت تكلموا لا يتنازعون
عنده الحديث من تكلم عنده انصتوا له حتى يفرغ حديثهم حديث اولهم
يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه ويصبر للغريب
على الجفوة في المنطق ويقول اذا رايتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه
ولا يطلب الثناء الا من كافئ ولا يقطع على احد حديثه حتى يتجوزه
فيقطعه بانتهاء او قيام هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع وزاد الاخر
قلت كيف كان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر
فاما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس واما تفكره
ففيما يبقى ويفنى وجمع له الحلم في الصبر فكان لا يغضبه شيء يستفزه
وجمع له في الحذر اربع اخذه بالحسن ليقتدى به وتركه القبيح لينتهى
عنه واجتهاده الراى بما اصلح امته والقيام لهم بما جمع لهم امر الدنيا
والاخرة انتهى الوصف بحمد الله تعالى وعونه في تفسير غريب
هذا الحديث ومشكله قوله عم المشذب اي البائن الطول في نحافة
وهو مثل قوله في الحديث الاخر ليس بالطويل الممغط والشعر الرجل
الذي كانه مشط فتكسر قليلا ليس بسبط ولا جعد والعقيقة

والعقيقة الراس اراد ان فرقت من ذات نفسها فرقها والا تركها معقوصة
ويروى عقيصته وازهر اللون نيره وقيل ازهر حسن ومنه زهرة الحيوة
الدنيا اي زينتها وهذا كما قال في الحديث الاخر ليس بالابيض الامهق
ولا بالادم والامهق هو الناصع البياض والادم الاسمر اللون مثله
في الحديث الاخر ابيض مشرب اي فيه حمرة والحاجب الازج المقوس
الطويل الوافر الشعر والاقنى السائل الانف المرتفع وسطه
والاشم الطويل قصبة الانف والقرن اتصال شعر الحاجبين وضده
البلج ووقع في حديث ام معبد وصفه بالقرن والادعج الشديد
سواد الحدقة وفي الحديث اشكل العين واسجر العين وهو الذي
في بياضه حمرة والضليع الواسع والشنب رونق الاسنان
وماؤها وقيل رقتها وتحديد فيها كما يوجد في اسنان الشباب
والفلج فرق بين الثنايا ودقيق المسربة خيط الشعر الذي بين الصدر
والسرة بادن ذو لحم ومتماسك معتدل الخلق يمسك بعضه بعضا
مثل قوله في الحديث الاخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم اي ليس بمسترخي
اللحم والمكلثم القصير الذقن وسواء البطن والصدر اي مستويهما
ومشيح الصدر ان صحت هذه اللفظة فتكون من الاقبال وهو احد
معاني اشاح اي كانه بادي الصدر ولم يكن في صدره قعس وهو
تطامن فيه وبه يتضح قوله قبل سواء البطن والصدر اي ليس
بمتقاعس الصدر ولا مفاض البطن ولعل اللفظة مسيح بالسين
وفتح الميم بمعنى عريض كما في الرواية الاخرى وحكاه ابن دريد
والكراديس رؤس العظام وهو مثل قوله في الحديث الاخر جليل

المشاش والكتد والمشاش رؤس المناكب والكتد مجمع الكتفين وشثن
الكفين والقدمين اي لحيمهما والزندان عظما الذراعين وسائل الاطراف
او قال سائن بالنون قال وهما بمعنى تبدل اللام من النون ان صحت الرواية
بهما واما على الرواية الاخرى وسائر الاطراف فاشارة الى فخامة جوارحه
كما وقعت مفصلة في الحديث رحب الراحة اي واسعها وقيل كني به عن
سعة العطاء والجود خمصان الاخمصين اي متجافي اخمص القدم وهو
الموضع الذي لا تنال الارض من وسط القدم ومسيح القدمين
اي املسهما ولهذا قال ينبو عنهما الماء وفي حديث ابي هريرة خلاف هذا
قال فيه اذا وطئ بكلها ليس له اخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح
القدمين وبه قالوا سمي المسيح عيسى بن مريم اي لم يكن له اخمص
وقيل مسيح لا لحم عليهما وهذا ايضا قوله شثن القدمين والتقلع
رفع الرجل بقوة والتكفؤ الميل الى سنن المشي وقصده والهون
الرفق والوقار والذريع الواسع الخطو اي ان مشيه كان يرفع
فيه رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد
سمته وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما قال كانما ينحط من
صبب وقوله يفتتح الكلام ويختمه باشداقه اي لسعة فمه والعرب
تتمادح في صفته بهذا وتذم بصغر الفم واشاح مال وانقبض وحب
الغمام البرد وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة اي جعل من
نفسه ما يوصل الخاصة اليه فتوصل عنه للعامة وقيل يجعل
منه للخاصة ثم يبدلها في جزء اخر العامة ويدخلون روادا
اي محتاجين اليه وطالبين لما عنده ولا ينصرفون الا عن ذواق

ذواق قيل عن علم يتعلمونه ويشبه ان يكون على ظاهره اي في الغالب
والاكثر والعتاد العدة والشيء الحاضر المعد والموازرة المعاونة
وقوله ولا يوطن الاماكن اي لا يتخذ لمصلاه موضعا معلوما وقد ورد
نهيه عن هذا مفسرا في غير هذا الحديث وصابره اي حبس نفسه
على ما يريد صاحبه ولا تؤبن فيه الحرم اي لا تذكرون بسوء ولا
تنثى فلتاته اي لا يتحدث بها اي لم تكن فيه فلتة وان كانت من
احد سترت ويرفدون اي يعينون والسخاب الكثير الصياح وقوله
ولا يقبل الثناء الا من مكافئ قيل مقتصد في ثنائه ومدحه والا من
مسلم وقيل الا من مكافئ على يد قد سبقت من النبي عم ويستفزه
اي يستخفه وفي حديث اخر في وصفه منهوس العقب اي قليل
لحمها واهدب الاشفار اي طويل شعرها فيما ورد من الصحيح
الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه
به في الدارين من كرامته عم لا خلاف انه اكرم البشر وسيد ولد
ادم وافضل الناس منزلة عند الله واعلاهم درجة واقربهم
زلفى اي قربى واعلم ان الاحاديث الواردة في ذلك واي في عظيم
قدره كثيرة جدا وقد اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها
وحصرنا معاني ما ورد منها في اثني عشر فصلا فيما ورد
من ذكر مكانته عند ربه والاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل
وسيادة ولد ادم وما خصه به في الدنيا من مزايا الرتب وبركة
اسمه الطيب الشيخ ابو محمد عبد الله ابن احمد العدل اذنا
بلفظه قال ابو الحسن الفرغاني ابو القاسم بنت ابي بكر

بن يعقوب عن ابيها حاتم وهو ابن عقيل عن يحيى وهو ابن اسمعيل
عن يحيى الحمانى قيس عن الاعمش عن عباية بن ربعى عن ابن عباس
قال قال رسول الله عم ان الله قسم الخلق قسمين فجعلنى
من خيرهم قسما فذلك قوله تعا اصحاب اليمين واصحاب
الشمال فانا من اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين
اثلاثا فجعلنى فى خيرها ثلثا وذلك قوله تعا اصحاب الميمنة
واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة والسابقون السابقون
فانا من السابقين وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث
قبائل فجعلنى من خيرها قبيلة وذلك قوله تعا وجعلناكم
شعوبا وقبائل الاية فانا اتقى ولد ادم واكرمهم على الله
ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتا فجعلنى فى خيرها بيتا فذلك
قوله تعا انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
الاية وعن ابى سلمة عن ابى هريرة قال بعض الصحابة قالوا
يا رسول الله عم متى وجبت لك النبوة قال وادم بين الروح
والجسد وعن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلعم
ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى من
ولد اسمعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا
واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى
هاشم ومن حديث انس انا اكرم ولد ادم على ربى ولا
فخر وفى حديث ابن عباس انا اكرم الاولين والاخرين ولا
فخر وعن عايشة عن النبى عم اتانى جبرائيل فقال قلبت

قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم يجد ارجلا افضل
من محمد ولم ار بنى اب افضل من محمد ولم ار بنى اب افضل
من بنى هاشم وعن انس ان النبى عليه السلام اتى بالبراق
ليلة اسرى به فاستصعب عليه فقال له جبرائيل ابمحمد عم
تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله فارفض عرقا وعن
ابن عباس رض عن النبى عم لما خلق الله ادم اهبطنى فى
صلبه ثم لم يزل ينقلنى الى الارض وجعلنى فى صلب نوح عم
فى السفينة وقذفنى فى النار فى صلب ابراهيم ثم لم يزل
ينقلنى فى الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة حتى
اخرجنى الى الدنيا بين ابوى لم يلتقيا على سفاح قط
والى هذا اشار العباس بن عبد المطلب فيه بقوله من قبلها
طبت فى الظلال وفى مستودع حيث يخصف الورق ثم
هبطت البلاد لا بشر انت ولا مضغة ولا علق بل نطفة
تركب السفين وقد الجم نسرا واهله الغرق تنقل من
صالب الى رحم اذا مضى عالم بدا طبق وروى عن النبى عم
ابو ذر وابن عمر وابن عباس وابو هريرة وجابر بن عبد الله
انه قال اعطيت خمسا وفى بعضها ستا لم يعطهن نبى
قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الارض
مسجدا وطهورا وايما رجل من امتى ادركته الصلوة
فليصل واحلت لى الغنائم ولم تحل لنبى قبلى وبعثت
الى الناس كافة واعطيت الشفاعة وفى رواية بدل هذه

الكلمة وقيل لى سل تعطه وفى رواية اخرى وعرض على امتى فلم
يخف على التابع من المتبوع وفى رواية وبعثت الى الاحمر والاسود
قيل السواد العرب لان الغالب على الوانهم الادمة فهم من
السود والحمر العجم وقيل البيض والسود من الامم وقيل
الحمر الانس والسود الجن وفى حديث الاخر عن ابى هريرة
نصرت بالرعب واوتيت جوامع الكلم وبين انا نائم اذ جى
بمفاتيح خزائن الارض فوضعت فى يدى وفى رواية عنه
وختم بى النبيون وعن عقبة بن عامر انه قال عم انى فرط لكم
على الحوض وانا شهيد عليكم وانى لانظر الى حوضى الان وانى
وقد اعطيت مفاتيح خزائن الارض وانى والله ما اخاف عليكم
ان تشركوا بعدى ولكنى اخاف عليكم ان تنافسوا فيها وعن
عبد الله بن عمر ان رسول الله صلعم قال انا محمد النبى الامى
لا نبى بعدى واوتيت جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزنة النار
وحملة العرش وعن ابن عمر بعثت بين يدى الساعة ومن
رواية ابن وهب انه عليه السلام قال قال الله تعا سل يا محمد
فقلت ما اسأل يا رب اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى
تكليما واصطفيت نوحا واعطيت سليمان ملكا لا ينبغى لاحد
من بعده فقال الله تعا ما اعطيتك خير من ذلك اعطيتك
الكوثر وجعلت اسمك مع اسمى ينادى به فى جوف السماء
وجعلت الارض طهورا لك ولامتك وغفرت لك ما تقدم
من ذنبك وما تاخر فانت تمشى فى الناس مغفورا لك ولم اصنع

والله

اصنع ذلك لاحد قبلك وجعلت قلوب امتك مصاحفها وخبات
لك شفاعتك ولم اخباها لنبى غيرك وفى حديث اخر رواه حذيفة
بشرنى يعنى اول من يدخل الجنة معى من امتى سبعون الفا مع
كل الف سبعون الفا ليس عليهم حساب واعطانى ان لا تجوع
امتى ولا تغلب واعطانى النصر والعزة والرعب يسعى بين يدى
امتى شهرا وطيب لى ولامتى المغانم واحل لنا كثيرا مما شدد على
من قبلنا ولم يجعل علينا فى الدين من حرج وعن ابى هريرة عنه عليه السلام
ما من نبى من الانبياء وقد اعطى من الايات ما مثله امن عليه البشر
وانما كان الذى اوتيت وحيا اوحى الله تعا الى فارجو ان اكون اكثرهم
تابعا يوم القيمة معنى هذا عند المحققين بقاء معجزته ما بقيت الدنيا
وسائر معجزات الانبياء ذهبت للحين ولم يشاهدها الا الحاضر لها
ومعجزة القران يقف عليها قرنا بعد قرن عيانا لا خبرا الى يوم القيمة
وفيه كلام يطول هذا نخبته وقد بسطنا القول فيه وفيما ذكر
فيه سوى هذا فى باب المعجزات وعن على رض كل نبى اعطى سبعة
نجباء من امته واعطى نبيكم اربعة عشر نجيبا منهم ابو بكر وعمر
وابن مسعود وعمار وقال صلعم ان الله قد حبس عن مكة الفيل
وسلط عليها رسوله والمؤمنين وانها لم تحل لاحد بعدى وانما
احلت لى ساعة من نهار وعن العرباض بن سارية سمعت رسول
الله عم يقول انى عبد الله وخاتم النبيين وان ادم لمنجدل فى
طينته وعدة ابى ابراهيم وبشارة عيسى بن مريم وعن ابن عباس
قال ان الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على اهل السماء وعلى

الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين قالوا فما فضله على اهل
السماء قال ان الله قال لاهل السماء ومن يقل منهم اني اله من
دونه الاية وقال لمحمد انا فتحنا لك فتحا مبينا الاية قالوا فما
فضله على الانبياء قال ان الله قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان
قومه الاية وقال لمحمد وما ارسلناك الا كافة للناس وعن خالد
بن معدان ان نفرا من اصحاب رسول الله قالوا يا رسول الله اخبرنا
عن نفسك وقد روى نحوه عن ابي ذر وشداد بن اوس
وانس بن مالك فقال نعم انا دعوة ابراهيم يعني قوله ربنا
وابعث فيهم رسولا منهم وبشرى عيسى ورأت امي
حين حملت بي انه خرج منها نورا اضاءت له قصور بصرى
من ارض الشام واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينا
انا مع اخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا اذ جاءني رجلان
عليهما ثياب بيض وفي حديث اخر ثلثة رجال بطست
من ذهب مملوءة ثلجا فاخذني فشقا بطني قال في غير هذا
الحديث من نحري الى مراق بطني ثم استخرجا منه قلبي
فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا
قلبي وبطني بذلك الثلج حتى انقياه قال في حديث اخر ثم
تناول احدهما شيئا فاذا بخاتم في يده من نور يحار الناظر
فختم به قلبي فامتلأ ايمانا وحكمة ثم اعاده مكانه وامر
الاخر يده على مفرق صدري فالتأم وفي رواية ان جبريل عم
قال قلب وكيع اي شديد فيه عينان تبصران واذنان سميعتان

سميعتان ثم قال احدهما لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزنني
فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال
زنه بالف من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك فلو
وزنته بامته لوزنها قال في الحديث الاخر ثم ضموني الى صدورهم
وقبلوا رأسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب الله لم ترع انك لو
انك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك وفي بقية هذا
الحديث من قولهم ما اكرمك على الله ان الله معك وملائكته
قال في حديث ابي ذر فما هو الا ان وليا عني فكانما ارى الامر
معاينة وحكى ابو محمد مكي وابو الليث السمرقندي وغيرهما ان
ادم عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر خطيئتي ويروى
تقبل توبتي فقال له الله من اين عرفت محمدا قال رأيت في كل
موضع من الجنة مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله ويروى
محمد عبدي ورسولي فعلمت انه اكرم خلقك عليك فتاب الله
وغفر له وهذا عند قائله تأويل قوله تعالى فتلقى ادم من ربه
كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم وفي رواية الاجرى
فقال ادم لما خلقتني رفعت رأسي الى عرشك فاذا فيه
مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه ليس احد اعظم
قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فاوحى الله اليه
وعزتي وجلالي انه لاخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك
قال وكان ادم يكنى بابي محمد وقيل بابي البشر وروي عن سريج
بن يونس انه قال ان لله ملائكة سياحين عبادتهم كل دار فيها احمد او محمد اكراما منهم لمحمد صلعم وروى ابن قانع القاضي

كل دار فيها احمد او محمد اكراما منهم لمحمد صلعم وروى ابن قانع القاضي
عن ابي الحمراء قال قال رسول الله صلعم لما اسري بي الى السماء
اذا على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته بعلي وفي
التفسير عن ابن عباس في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال لوح من ذهب
فيه مكتوب عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب عجبا لمن ايقن
بالنار كيف يضحك عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن
اليها انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي وعن ابن عباس على باب
الجنة مكتوب انني انا الله لا اله الا انا محمد رسول الله لا اعذب من
قالها وذكر انه وجد على الحجارة القديمة مكتوب محمد تقي مصلح
وسيد امين وذكر السمنطاري انه شاهد في بعض بلاد خراسان
مولودا ولد على احد جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى الاخر محمد رسول
الله وذكر الاخباريون ان ببلاد الهند وردا احمر مكتوبا عليه
بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله وروي عن جعفر بن محمد
عن ابيه اذا كان يوم القيمة نادى مناد ليقم من اسمه محمد فليدخل
الجنة لكرامة اسمه عليه السلام وروى ابن القاسم في سماعه
وابن وهب في جامعه عن مالك سمعت اهل مكة يقولون ما من
بيت فيه اسم محمد الا نما ورزقوا وعنه عليه السلام ما ضر احدكم
ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلثة وعن عبد الله بن مسعود ان
الله نظر الى قلوب العباد فاختار منها قلب محمد عليه السلام
فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته وحكى النقاش ان النبي صلعم
لما نزلت وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه

ازواجه من بعده ابدا قام خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان ان
الله فضلني عليكم تفضيلا وفضل نسائي على نسائكم تفضيلا
الحديث في تفضيله بما تضمنته كرامة الاسراء من المناجاة
والرؤية وامامة الانبياء والعروج به الى سدرة المنتهى وما رأى
من ايات ربه الكبرى وخصائصه عليه السلام قصة الاسراء
وما انطوت من درجات الرفعة مما نبه عليه الكتاب العزيز وشرحته
صحاح الاخبار قال الله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من
المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من
اياتنا انه هو السميع وقال الله تعالى والنجم اذا هوى الى قوله
لقد رأى من ايات ربه الكبرى فلا خلاف بين المسلمين في صحة
الاسرى به اذ هو نص القران وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه
وخواص محمد نبينا صلى الله عليه وسلم احاديث كثيرة منتشرة
رأينا ان نقدم ونشير الى زيادة من غير ذكرها
القاضي الشهيد ابو علي والفقيه ابو بحر بسماعي عليهما والقاضي
ابو عبد الله التميمي وغيرهما واحد من شيوخنا قالوا اخبرنا
مسلم بن الحجاج شيبان بن فروخ حماد بن سلمة
ثابت البناني عن انس بن مالك ان رسول الله صلعم اوتيت بالبراق
وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند
منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس فربطته
بالحلقة التي تربط بها الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه
ركعتين ثم خرجت فجاءني جبرائيل باناء من خمر واناء من لبن

فاخترت اللبن فقال جبرائيل اخترت الفطرة ثم عرج بنا ... قيل من هذا قال جبرائيل قيل ومن معك
قال محمد عم قيل او قد بعث اليه قال قد بعث اليه قال ففتح
لنا فاذا ادم عم فرحب لي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء
الثانية فاستفتح جبرائيل قيل من انت قال انا جبرائيل قيل
ومن معك قال محمد عم قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه
ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهما
السلام فرحبا لي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة
وذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف عم واذا هو قد اعطي
شطر الحسن فرحب لي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء
الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس عم فرحب بي ودعا لي
بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء
الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهارون عم فرحب لي ودعا لي
بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى عم
... ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا بابراهيم
عم مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل
يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى
سدرة المنتهى فاذا ورقها كاذان الفيلة واذا ثمرها
كالقلال قال فلما غشيها من امر الله ما غشي تغيرت فما
احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها فاوحى
الله الي ما اوحى ففرض علي خمسين صلوة في كل يوم وليلة
فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك على امتك قلت خمسين
صلوة قال ارجع الى ربك فاسئله التخفيف فان امتك

امتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم
قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف عن امتي فحط عني
خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا قال ان امتك
لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسئله التخفيف قال فلم
ازل ارجع بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس
صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون
صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان
عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب له شيئا
فان عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى
موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاسئله التخفيف فقال
رسول الله صلعم فقلت لقد رجعت الى ربي حتى استحييت منه
قال القاضي رحمه جود ثابت البناني هذا الحديث عن انس ما شاء
ولم يأت احد عنه باصوب من هذا فقد خلط فيه غيره عن انس
رض تخليطا كثيرا لا سيما من رواية شريك بن ابي نمر فقد ذكر
في اوله مجيء الملك له وشق بطنه وغسله بماء زمزم وهذا انما كان
وهو صبي وقبل الوحي وقد قال شريك في حديثه وذلك قبل ان يوحى
اليه وذكر قصة الاسراء ولا خلاف ان كانت بعد الوحي وقد قال
غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا وقد روى
ثابت عن انس من رواية حماد بن سلمة ايضا مجيء جبرائيل الى النبي
عم وهو يلعب مع الغلمان عند ... وشقه قلبه تلك القصة
مفردة من حديث الاسراء كما رواه الناس فجود في القصتين

وفي ان الاسراء الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة
واحدة وانه وصل الى بيت المقدس ثم عرج به من هنالك فازاح
كل اشكال اوهمه غيره وقد روى يونس عن ابن شهاب عن انس
قال كان ابو ذر يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج
سقف بيتي فنزل جبرائيل ففرج صدري ثم غسله من ماء
زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها
في صدري ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج بنا الى السماء فذكر
القصة وروى قتادة الحديث بمثله عن انس عن مالك بن
صعصعة وفيها تقديم وتأخير وزيادة ونقص وخلاف في
في ترتيب الانبياء في السموات وحديث ثابت عن انس اتقن
واجود وقد وقعت في حديث الاسراء زيادات نذكر نكتا
مفيدة في غرضنا منها في حديث ابن شهاب وفيه قول كل نبي له
مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح الا ادم وابراهيم فقالا له والابن
الصالح وفيه من طريق ابن عباس ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى
اسمع فيه صريف الاقلام وعن انس ثم انطلق بي حتى اتيت
سدرة المنتهى فغشيها الوان لا ادري ما هي قال ثم ادخلت الجنة
وفي حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته يعني موسى بكى
فنودي ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من
امته الجنة اكثر مما يدخل من امتي وفي حديث ابي هريرة وقد
رايتني في جماعة من الانبياء فحانت الصلاة فاممتهم فقال قائل
يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت فبداني بالسلام

بالسلام وفي حديث ابي هريرة ثم سار حتى اتى بيت المقدس فنزل
فربط فرسه الى صخرة فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلوة
قالوا يا جبرائيل من هذا معك قال هذا محمد رسول الله خاتم
النبيين قالوا او قد ارسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من
اخ وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح الانبياء فاثنوا
على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم ابراهيم وموسى وعيسى
وداود وسليمان ثم ذكر كلام النبي عم فقال وان محمدا صلعم اثنى
على ربه فقال كلكم اثنى وانا اثني على ربي الحمد لله الذي ارسلني
رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل علي الفرقان
فيه تبيان كل شيء وجعل امتي خير امة وجعل امتي امة
وسطا وجعل امتي هم الاولون وهم الاخرون وشرح لي صدري
ووضع وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال ابراهيم
بهذا فضلكم محمد ثم ذكر انه عرج به الى السماء الدنيا ومن سماء
الى سماء نحو ما تقدم وفي حديث ابن مسعود وانتهى بي الى
سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة اليها ينتهي ما يعرج
به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها
فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من
ذهب وفي رواية ابي هريرة من طريق الربيع بن انس فقيل لي
هذه السدرة المنتهى ينتهي اليها كل احد من امتك خلا
على سبيلك وهي سدرة المنتهى يخرج من اصلها انهار من
ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر

لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى وهى شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما وان ورقة منها مظلة الخلق فغشيها نور وغشيتها الملائكة قال فهو قوله سبحانه اذ يغشى السدرة ما يغشى فقال تبارك وتعالى له سل فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما واعطيت داود ملكا عظيما والنت له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له الجن والانس والشياطين والرياح واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي وعلمت موسى التورية وعيسى الانجيل وجعلته يبرئ الاكمه والابرص واعذته وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال له ربه عز وجل قد اتخذتك خليلا فهو مكتوب في التورية محمد حبيب الرحمن وارسلتك الى الناس كافة وجعلت امتك هم الاولون والاخرون وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي وجعلتك اول النبيين خلقا واخرهم بعثا واعطيتك سبعا من المثاني ولم اعطها نبيا قبلك واعطيتك خواتم سورة البقرة من كنز تحت عرشي لم اعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما وفي الرواية الاخرى قال فاعطي رسول الله صلعم ثلاثا اعطي الصلوات الخمس واعطي خواتم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا المقحمات وقال الله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى الا يقين رأى جبرائيل في صورته له ستمائة جناح وفي حديث شريك انه رأى موسى في السابعة قال بتفضيل كلام الله قال ثم علا به

علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله فقال موسى لم اظن ان يرفع علي احد وقد روى عن النبي انه صلى الله عليه وسلم صلى بالانبياء ببيت المقدس وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل فوكز بين كتفي فقمت الى شجرة فيها مثل وكري الطاير فقعد في واحدة وقعدت في الاخرى فسمت حتى سدت الخافقين ولو شئت لمسست السماء وانا اقلب طرفي ونظرت الى جبرائيل كانه حلس لاطي فعرفت فضل علمه بالله علي وفتح لي باب السماء ورايت النور الاعظم ولط الحجاب وفرجه الدر والياقوت ثم اوحى الله الي ما شاء ان يوحي وذكر البزار عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما اراد الله ان يعلم رسوله الاذان جاءه جبريل بدابة يقال لها البراق فذهب يركبها فاستصعبت عليه فقال لها جبرائيل اسكني فوالله ما ركبك عبد اكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم فركبها حتى اتى بها الى الحجاب الذي يلي الرحمن تبارك وتعالى فبينا هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله صلعم يا جبرائيل من هذا قال والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر ثم قال الملك اشهد ان لا اله الا الله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا الله لا اله الا انا وذكر مثل هذا في بقية الاذان الا انه لم يذكر جوابا عن قوله حي على الصلوة حي

على الفلاح وقال ثم اخذ الملك بيدي محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه فام اهل السماء فيهم ادم ونوح قال ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين رواية الحمد لله لمحمد صلعم الشرف على اهل السموات والارض قال القاضي رحمة الله عليه ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق عز وجل فهم المحجوبون والبارى عز وجل اسمه منزه عما يحجبه اذ الحجب انما تحيط بمقدر محسوس ولكن حجبه على ابصار خلقه وبصائرهم وادراكاتهم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء كقوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فقوله في هذا الحديث الحجاب واذ خرج ملك من الحجاب يجب ان يقال انه حجاب حجب به من وراءه من ملائكته عن الاطلاع على من دونه من سلطانه وعظمته وعجايب ملكوته وجبروته ويدل عليه من الحديث قول جبرائيل عم عن الملك الذي خرج من ورائه ان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فدل ان هذا الحجاب لم يختص بالذات ويدل عليه قول كعب في تفسير سدرة المنتهى قال اليها ينتهي علم الملائكة وعندها يجدون امر الله تعالى لا يجاوزها علمهم واما قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على حذف المضاف اي يلي عرش الرحمن او امرا ما من عظيم اياته او مبادي حقايق معارفه مما هو اعلم به كما قال الله تعالى واسئل القرية اي اهلها وقوله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر فظاهره انه سمع في هذا الموطن كلام الله تعالى ولكن من وراء حجاب كما قال الله

قال الله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب اي وهو لا يراه حجب بصره عن رؤيته وان صح القول بان محمدا صلعم رأى ربه فيحتمل انه في غير هذا الموطن بعد هذا او قبله رفع الحجاب عن بصره حتى راه والله اعلم ثم اختلف السلف والعلماء هل كان اسراء بروحه او بجسده على ثلاث مقالات فذهبت طائفة الى انه اسراء بالروح وانه رؤيا منام مع اتفاقهم ان رؤيا الانبياء حق ووحي والى هذا ذهب معاوية وحكي عن الحسن والمشهور عنه خلافه واليه اشار محمد بن اسحق وحجتهم قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس وما حكوا عن عايشة رض ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله بينا انا نائم وقول انس وهو نائم في المسجد الحرام وذكر القصة ثم قال في اخرها فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام وذهب معظم السلف والمسلمين الى انه اسرى بالجسد وفي اليقظة وهذا هو الحق وهذا قول ابن عباس وجابر وانس وحذيفة وعمر وابي هريرة ومالك بن صعصعة وابي حبة البدري وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن المسيب وابن شهاب وابن زيد والحسن وابراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج وهو دليل قول عايشة وهو قول الطبري وابن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين وهو قول اكثر المتاخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين وقالت طائفة كان الاسراء بالجسد يقظة

الى بيت المقدس والى السماء بالروح واحتجوا بقوله تعا سبحان
الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى
فجعل الى المسجد الاقصى غاية الاسرى الذى وقع التعجب فيه بعظيم
القدرة والتمدح بتشريف النبى صلعم به واظهارا لكرامة
له بالاسراء اليه قال هؤلاء ولو كان الاسراء بجسده
الى زائد على المسجد الاقصى فيكون ابلغ فى المدح ثم اختلفت
هذه الفرقتان هل صلى ببيت المقدس ام لا ففى حديث
انس وغيره ما تقدم من صلاته فيه وانكر ذلك
حذيفة اليمان وقال والله ما زالا عن ظهر البراق حتى
رجعا قال القاضى رحمه الله والحق من هذا والصحيح
انشاء الله انه اسراء بالجسد والروح فى القصة
كلها وعليه تدل الاية وصحيح الاخبار والاعتبار ولا يعدل عن
الظاهر والحقيقة الى التاويل الا عند الاستحالة وليس
فى الاسراء بجسده وحال يقظته استحالة اذ لو كان مناما
لقال بروح عبده ولم يقل بعبده وقوله ما زاغ البصر وما
طغى ولو كان مناما لما كانت فيه اية ولا معجزة ولما استبعده
الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد ضعفاء من اسلم وافتتنوا به
اذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم الا وقد
علموا ان خبره انما كان عن جسمه وحال يقظته الى ما ذكر
فى الحديث من ذكر صلاته بالانبياء ببيت المقدس فى رواية
انس او فى السماء على ما روى غيره وذكر مجىء جبرائيل له بالبراق

بالبراق وخبر المعراج واستفتاح السماء فيقال ومن معك فيقول
محمد ولقائه الانبياء فيها وخبرهم معه وترحيبهم به وشانه فى
فرض الصلوة ومراجعته مع موسى فى ذلك وفى بعض هذه الاخبار
فاخذ يعنى جبرائيل بيدى فعرج بى الى السماء الى قوله ثم عرج بى
حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وانه وصل الى
سدرة المنتهى وانه دخل الجنة ورأى فيها ما ذكره قال ابن
عباس هى رؤيا عين راها النبى صلعم لا رؤيا منام وعن الحسن
فيه بينا انا نائم فى الحجر جاءنى جبرائيل فهمزنى بعقبه فقمت
وجلست فلم ار شيئا فعدت لمضجعى ذكر ثلاثا فقال فى الثالثة
فاخذ بعضدى فجرنى الى باب المسجد فاذا بدابة وذكر خبر
البراق وعن امهانى رض قالت ما اسرى برسول الله
صلعم الا وهو فى بيتى تلك الليلة صلى العشاء الاخرة ونام
بيننا فلما كان قبيل الفجر اهبنا رسول الله صلعم فلما صلى الصبح
وصلينا قال يا ام هانى لقد صليت معكم العشاء الاخرة كما
رأيت بهذا الوادى ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه
ثم صليت الغداة معكم الان كما ترون وهذا بين فى انه بجسمه
وعن ابى بكر رض من رواية شداد بن اوس عنه انه قال
للنبى صلعم ليلة اسرى به طلبتك يا رسول الله البارحة فى
مكانك فلم اجدك فاجابه ان جبرائيل حملنى الى المسجد
الاقصى وعن عمر رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
صليت ليلة اسرى بى فى مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة

فاذا بملك قائم معه انية ثلاث وذكر الحديث وهذه التصريحات
ظاهرة غير مستحيلة فتحمل على ظاهرها وعن ابى ذر عنه صلى الله
عليه وسلم فرج سقف بيتى وانا بمكة فنزل جبرائيل فشرح صدرى
ثم غسله بماء زمزم الى اخر القصة ثم اخذ بيدى فعرج بى وعن
انس اتيت فانطلقوا بى الى زمزم فشرح عن صدرى وعن ابى هريرة
لقد رايتنى فى الحجر وقريش تسالنى عن مسراى فسالتنى
عن اشياء لم اثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط فرفعه
الله لى انظر اليه ونحوه عن جابر وقد روى عمر بن الخطاب
رض فى حديث الاسراء عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
ثم رجعت الى خديجة وما تحولت عن جانبها والله اعلم
فى ابطال حجج من قال انها نوم احتجوا بقوله تعا وما
جعلنا الرؤيا التى اريناك فسماها رؤيا وقلنا قوله سبحان الذى اسرى
بعبده يرده لانه لا يقال فى النوم انه اسرى وقوله فتنة
للناس يؤيد انها رؤيا عين واسراء بشخص اذ ليس فى
الحلم فتنة ولا يكذب به احد لان كل احد يرى مثل ذلك فى منامه
من الكون فى ساعة واحدة فى اقطار متباينة على ان المفسرين
قد اختلفوا فى هذه الاية فذهب بعضهم الى انها نزلت فى
قصة الحديبية وما وقع فى نفوس الناس من ذلك وقيل غير
هذا واما قولهم انه سماها فى الحديث مناما وقوله فى حديث
اخر بين النائم واليقظان وقوله ايضا وهو نائم وقوله ثم
استيقظت فلا حجة فيه اذ قد يحتمل ان اول وصول الملك

الملك اليه كان وهو نائم او اول حمله والاسراء وهو نائم وليس فى الحديث
انه كان نائما فى القصة كلها الا ما يدل عليه ثم استيقظت وانا فى المسجد
الحرام فلعل قوله استيقظت بمعنى اصبحت او استيقظ من نوم بعد
وصوله بيته صلى الله عليه وسلم ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول ليله
وانما كان فى بعضه وقد يكون استيقظت وانا فى المسجد الحرام لما كان
غمره من عجايب ما طالع من ملكوت السموات والارض وخامر باطنه
من مشاهدة الملا الاعلى وما راى من ايات ربه الكبرى فلم يستفق
ولم يرجع الى حال البشرية الا وهو بالمسجد الحرام ووجه ثالث ان يكون
نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى لفظه ولكنه اسرى بجسده
وقلبه حاضر ورؤيا الانبياء حق تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم
وقد مال بعض اهل الاشارات الى نحو من هذا قال تغمض عينيه
لئلا يشغله شىء من المحسوس عن الله ولا يصح هذا ان يكون فى
وقت صلاته بالانبياء ولعله كانت له فى هذه الاسراء حالات ووجه
رابع وهو ان يعبر بالنوم ههنا عن هيئة النائم من الاضطجاع ويقويه
قوله فى رواية عبد بن حميد عن همام بينا انا نائم وربما قال مضطجع
وفى رواية هدبة عنه بينا انا فى الحطيم وربما قال فى الحجر مضطجع وقوله
فى الرواية الاخرى بين النائم واليقظان فيكون سمى هيئته بالنوم
لما كانت هيئة النائم غالبا وذهب بعضهم الى ان هذه الزيادات
من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب الواقعة فى هذا الحديث
انما هى من رواية شريك عن انس فهى منكرة من روايته اذ شق
البطن فى الاحاديث الصحيحة انما كان فى صغره صلى الله عليه وسلم

وقبل النبوة ولانه قال في الحديث قبل ان يبعث والاسراء بالاجماع كان
بعد المبعث فهذا كله يوهن ما وقع في رواية انس مع ان انسا قد
بين من غير طريق انه انما رواه عن غيره وانه لم يسمعه فقال مرة عن
مالك بن صعصعة وفي كتاب مسلم لعله كان عن مالك بن صعصعة
على الشك وقال مرة كان ابو ذر يحدث واما قول عايشة ما فقد جسمه
فعايشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها لم تكن حينئذ زوجه ولا في سن
من يضبط ولعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف في الاسراء متى
كان فان الاسراء كان في اول الاسلام على قول الزهري ومن وافقه
بعد المبعث بعام ونصف وكانت عايشة في الهجرة بنت نحو ثمانية
اعوام وقد قيل كان الاسراء لخمس قبل الهجرة وقيل قبل الهجرة بعام
والاشبه انه لخمس والحجة لذلك تطول ليست من غرضنا فاذا
لم تشاهد ذلك عايشة دل على انها حدثت بذلك عن غيرها فلم يرجح
خبرها على خبر غيرها وغيرها يقول خلافه مما وقع نصا في حديث
ام هاني وغيره وايضا فليس حديث عايشة بالثابت والاحاديث
الاخر اثبت ولسنا نعني حديث ام هاني وما ذكرت فيه خديجة
وايضا فقد روي حديث عايشة ما فقدت ولم يدخل بها النبي صلعم
الا بالمدينة وكل هذا يوهنه بل الذي يدل عليه صحيح قولها
انه بجسده لانكارها ان يكون رؤيا لربه رؤيا عين ولو كانت
عندها مناما لم تنكره فان قيل فقد قال تعالى ما كذب الفؤاد
ما راى فقد جعل ما راه للقلب وهذا يدل على انه رؤيا نوم ووحي
لا مشاهدة عين وحس قلنا يقابله قوله تعالى ما زاغ البصر

البصر وما طغى فقد اضاف الامر الى البصر وقد قال اهل التفسير
في قوله ما كذب الفؤاد ما راى اي لم يوهم القلب العين غير
الحقيقة بل صدق رؤيتها وقيل ما انكر قلبه ما راته عينه
واما رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه جل وعز فاختلف
السلف فيها فانكرته عايشة حدثنا ابو الحسين سراج بن عبد الملك
الحافظ بقراءتي عليه قال ابي وابو عبد الله بن عتاب الفقيه
قالا القاضي يونس بن مغيث ابو الفضل الصقلي
ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا عبد الله بن علي
محمود بن ادم وكيع عن ابن ابي خالد عن عامر عن مسروق
انه قال لعايشة رض يا ام المؤمنين هل راى محمد ربه فقالت
لقد قف شعري مما قلت ثلث من حدثك بهن فقد كذب من
حدثك ان محمدا راى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الابصار
الاية وذكر الحديث وقال جماعة بقول عايشة وهو المشهور عن ابن
مسعود ومثله عن ابي هريرة انه انما راى جبرائيل واختلف عنه
وقال بانكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين
والفقها والمتكلمين وعن ابن عباس انه راى بعينه وروى
عطاء عنه انه راه بقلبه وعن ابي العالية عنه انه راه بفؤاده
مرتين وذكر ابن اسحق ان ابن عمر ارسل الى ابن عباس يسأله هل
راى محمد ربه فقال نعم والاشهر عنه انه راى ربه بعينه روى ذلك
عنه من طرق وقال ان الله اختص موسى بالكلام وابراهيم
بالخلة ومحمدا بالرؤية صلى الله عليه وسلم وحجته قوله ما كذب

الفؤاد ما راى افتمارونه على ما يرى ولقد راه نزلة اخرى قال
الماوردي قيل ان الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد فراه
مرتين وكلمه موسى مرتين وحكى ابو الفتح الرازي وابو الليث السمرقندي
الحكاية عن كعب وروى عبد الله بن الحارث قال اجتمع ابن عباس
وكعب فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا قد راى
ربه مرتين فكبر كعب حتى جاوبته الجبال وقال ان الله قسم رؤيته
وكلامه بين محمد وموسى فكلمه وراه محمد بقلبه وروى شريك عن
ابي ذر في تفسير الاية قال راى النبي صلى الله عليه وسلم ربه وحكى
السمرقندي عن محمد بن كعب القرظي وربيع بن انس ان النبي
صلى الله عليه وسلم سئل هل رايت ربك قال رايته بفؤادي
ولم اره بعيني وروى مالك بن يخامر عن معاذ عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال رايت ربي وذكر كلمة فقال يا محمد فيم يختصم
الملأ الاعلى الحديث وحكى عبد الرزاق ان الحسن كان يحلف
بالله لقد راى محمد ربه وحكاه ابو عمر الطلمنكي عن عكرمة
وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود وحكى ابن
اسحق ان مروان سأل ابا هريرة هل راى محمد ربه فقال نعم وحكى
النقاش عن احمد بن حنبل انه قال انا اقول بحديث ابن عباس
بعينه راه راه حتى انقطع نفسه يعني نفس احمد وقال ابو عمر
قال احمد بن حنبل راه بقلبه وجبن عن القول برؤيته في
الدنيا بالابصار وقال سعيد بن جبير لا اقول راه ولا لم
يره وقد اختلف في تأويل الاية عن ابن عباس وعكرمة والحسن

والحسن وابن مسعود فحكي عن ابن عباس وعكرمة راه بقلبه
وعن الحسن وابن مسعود راى جبرائيل وحكى عبد الله عن
احمد بن حنبل عن ابيه انه قال راه وعن ابن عطا في قوله تعالى
الم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للرؤية وشرح
صدر موسى للكلام وقال ابو الحسن علي بن اسمعيل الاشعري
وجماعة من اصحابه انه راى الله ببصره وعيني راسه وقال
كل اية اوتيها نبي من الانبياء عليهم السلام فقد اوتي مثلها
نبينا صلعم وخص من بينهم بتفضيل الرؤية ووقف
بعض مشايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه
جائز ان يكون قال القاضي المصنف رحمه الله والحق الذي
لا امتراء فيه ان رؤيته في الدنيا جائزة عقلا وليس في العقل
ما يحيلها والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه
السلام ومحال ان يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه
بل لم يسأل الا جائزا غير مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته
من الغيب الذي لا يعلمه الا من علمه الله تعالى فقال له الله
لن تراني اي لن تطيق ولا تحتمل رؤيتي ثم ضرب له مثلا مما هو
اقوى من بنية موسى واثبت وهو الجبل وكل هذا ليس فيه
ما يحيل رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس
في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها اذ كل موجود
فرؤيته جائزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على
منعها بقوله تعالى لا تدركه الابصار لاختلاف التاويلات

في الاية وان ليس يقتضي قول من قال في الدنيا الاستحالة
وقد استدل بعضهم بهذه الاية نفسها على جواز الرؤية
وعدم استحالتها على الجملة وقد قيل لا تدركه ابصار الكفار
وقد قيل لا تدركه الابصار لا تحيط به وهو قول ابن عباس
وقد قيل لا تدركه الابصار وانما يدركه المبصرون وكل هذا
تاويلات لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها وكذلك
لا حجة لهم بقوله لن تراني الاية وقوله تبت اليك لما قدمنا
ولانها ليست على العموم ولان من قال معناها لن تراني في
الدنيا انما هو تاويل وايضا فليس فيه نص الامتناع
وانما جاءت في حق موسى وحيث تتطرق التاويلات
وتتسلط الاحتمالات فليس للقطع اليه سبيل وقوله
تبت اليك اي من سؤالي ما لم تقدره لي وقد قال ابو بكر
الهذلي في قوله لن تراني اي ليس لبشر ان يطيق ان ينظر الي
في الدنيا وان من نظر الي مات وقد رايت لبعض السلف
والمتاخرين ما معناه ان رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة لضعف
تركيب اهل الدنيا وقواهم وكونها متغيرة عرضا للافات والفنا
فلم يكن لهم قوة على الرؤية فاذا كان في الاخرة وركبوا تركيبا
اخر ورزقوا قوى ثابتة باقية واتم انوار ابصارهم
وقلوبهم قووا بها على الرؤية وقد رايت نحو هذا لمالك
بن انس قال لم ير في الدنيا لانه تعالى باق ولا يرى الباقي
بالفاني فاذا كان في الاخرة ورزقوا ابصارا باقية راى

الباقي بالباقي وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دليل على
الاستحالة الا من حيث ضعف القدرة فاذا قوى الله تعالى من شاء
من عباده واقدره على حمل اعباء الرؤية لم تمتنع في حقه وقد
تقدم ما ذكر في قوة بصر موسى ومحمد عليهما السلام ونفوذ
ادراكهما بقوة الهية منحاها لادراك ما ادركاه ورؤية ما
راياه والله اعلم وقد ذكر قاضي ابو بكر في اثناء اجوبته عن
الايتين ما معناه ان موسى عليه السلام راى الله فلذلك
خر صعقا وان الجبل راى ربه فصار دكا بادراك خلقه
الله له واستنبط ذلك والله اعلم من قوله ولكن انظر
الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ثم قال فلما تجلى
ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا وتجليه للجبل ظهوره
له حتى راه على هذا القول وقال جعفر بن محمد شغله بالجبل
حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقا بلا افاقة وقوله هذا
يدل على ان موسى راه وقد وقع لبعض المفسرين في الجبل
انه راه وبرؤية الجبل له استدل من قال برؤية نبينا محمد
صلعم اذ جعله دليلا على الجواز ولا مرية في الجواز اذ ليس
في الايات نص بالمنع واما وجوبه لنبينا محمد صلى الله
عليه وسلم والقول بانه راه بعينه فليس فيه قاطع ايضا
ولا نص اذ المعول فيه على ايتي النجم والتنازع فيهما
ماثور والاحتمال لهما ممكن ولا اثر قاطع متواتر عن
النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وحديث ابن عباس

خبر عن اعتقاده ولم يسنده الى النبي صلى الله عليه وسلم
فيجب العمل باعتقاد مضمنه ومثله حديث ابي ذر في تفسير
الاية وحديث معاذ محتمل للتاويل وهو مضطرب الاسناد
والمتن وحديث ابي ذر الاخر مختلف محتمل مشكل فروي
نور اني اراه وحكى بعض شيوخنا انه روي نوراني
اراه وفي حديثه الاخر سالته فقال رايت نورا وليس
يمكن الاحتجاج بواحد منهما على صحة الرؤية فان كان
الصحيح رايت نورا فهو قد اخبر انه لم ير الله وانما راى
نورا منعه وحجب عن رؤية الله والى هذا يرجع
قوله نور اني اراه اي كيف اراه مع حجاب النور المغشي
للبصر وهذا مثل ما جاء في الحديث الاخر حجابه
النور وفي الحديث الاخر لم اره بعيني ولكن رايته
بقلبي مرتين وتلا ثم دنا فتدلى والله قادر على
خلق الادراك الذي في البصر في القلب او كيف
شاء لا اله غيره فان ورد حديث نص بين في
الباب اعتقد ووجب المصير اليه اذ لا استحالة
فيه ولا مانع قطعي يرده والله الموفق للصواب
واما ورد في هذه القصة من مناجاته
لله وكلامه معه بقوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى
الى ما تضمنته الاحاديث فاكثر المفسرين على ان
الموحي الله الى جبرائيل وجبرائيل الى محمد صلعم الا شذوذا

الا شذوذا منهم فذكر عن جعفر بن محمد الصادق قال اوحى الله
اليه بلا واسطة ونحوه عن الواسطي والى هذا ذهب بعض
المتكلمين ان محمدا صلى الله عليه وسلم كلم ربه في الاسراء وحكي
عن الاشعري وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس وانكره اخرون
وذكر النقاش عن ابن عباس في قصة الاسراء عنه عليه السلام
في قوله ثم دنا فتدلى قال فارقني جبرائيل فانقطعت الاصوات
عني فسمعت كلام ربي وهو يقول ليهدا روعك يا محمد ادن
ادن وفي حديث انس في الاسراء نحو منه وقد احتجوا في
هذا بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من
وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء فقالوا
هي ثلاثة اقسام من وراء حجاب كتكليم موسى وبارسال
الملائكة كحال جميع الانبيا واكثر احوال نبينا صلى الله عليه
وسلم الثالث قوله وحيا ولم يبق من تقسيم صور الكلام
الا المشافهة مع المشاهدة وقد قيل الوحي هنا هو ما يلقيه
في قلب النبي صلى الله عليه وسلم دون واسطة وقد ذكر
ابو بكر البزار عن علي في حديث الاسراء ما هو اوضح في سماع
النبي صلى الله عليه وسلم لكلام الله من الاية فذكر فيه
فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل لي من وراء الحجاب
صدق عبدي انا اكبر انا اكبر وقال في سائر كلمات الاذان
مثل ذلك ويجيء الكلام في مشكل هذين الحديثين في الفصل
بعد هذا مع ما يشبهه ان شاء الله في اول فصل من الباب

منه وكلام الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ومن اختصه
من انبيائه جائز غير ممتنع عقلا ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه
فان صح في ذلك خبر اعتمد عليه وكلامه تعالى لموسى كائن حق
مقطوع به نص ذلك في الكتاب واكده بالمصدر دلالة على
الحقيقة ورفع مكانه على ما ورد في الحديث في السماء السابعة
بسبب كلامه ورفع محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فوق هذا كله
حتى بلغ مستوى وسمع صريف الاقلام فكيف يستحيل في
حق هذا او يبعد سماع الكلام فسبحان من خص من شاء بما
شاء وجعل بعضهم فوق بعض درجات واما ما ورد
في حديث الاسراء وظاهر الاية من الدنو والقرب من قوله دنى
فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فاكثر المفسرين ان الدنو
والتدلي منقسم ما بين محمد وجبرائيل عليهما السلام او مختص
باحدهما من الاخر او من السدرة المنتهى قال الرازي وقال
ابن عباس هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم دنا فتدلى من ربه
وقيل معنى دنا قرب وتدلى زاد في القرب وقيل هما بمعنى واحد
اي قرب وحكى مكي والماوردي عن ابن عباس هو الرب عز وجل
دنا من محمد صلعم فتدلى اليه اي امره وحكمه وحكى النقاش
عن الحسن قال دنا من عبده محمد صلعم فتدلى فقرب منه
فاراه ما شاء ان يريه من قدرته وعظمته قال وقال ابن
عباس هو مقدم ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه
وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنى من ربه قال

قال فارقني جبرائيل وانقطعت عني الاصوات وسمعت كلام
ربي وعن انس في الصحيح عرج بي جبرائيل الى سدرة المنتهى
ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين
او ادنى فاوحى اليه بما شاء واوحى اليه خمسين صلوة وذكر
حديث الاسراء وعن محمد بن كعب هو محمد دنى من ربه فكان
قاب قوسين قال قال جعفر بن محمد والدنو من الله لا حد له
ومن العباد بالحدود وقال ايضا انقطعت الكيفية عن
الدنو الا ترى كيف حجب جبرائيل عن دنوه ودنى محمد الى
ما اودع قلبه من المعرفة والايمان فتدلى بسكون قلبه
الى ما ادناه وزال عن قلبه الشك والارتياب قال القاضي
ابو الفضل رحمه الله اعلم ان ما وقع من اضافة الدنو
والقرب هنا من الله او الى الله فليس بدنو مكان ولا
قرب مدى بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس بدنو
حد وانما دنو النبي صلى الله عليه وسلم من ربه وقربه منه
ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته واشراق انوار معرفته
ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته ومن الله تعالى له مبرة
وتانيس وبسط واكرام ويتاول فيه ما يتاول في قوله ينزل
ربنا الى سماء الدنيا على احد الوجوه نزول افضال واجمال
وقبول واحسان قال الواسطي من توهم انه بنفسه دنا جعل
ثم مسافة بل كلما دنا بنفسه من الحق تدلى بعدا يعني عن درك
حقيقته اذ لا دنو للحق ولا بعد وقوله قاب قوسين او ادنى

فمن جعل الضمير عائدا الى الله لا الى جبرائيل على هذا كان عبارة
عن نهاية القرب ولطف المحل وايضاح المعرفة والاشراف
على الحقيقة من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وعبارة عن اجابة
الرغبة وقضاء المطالب واظهار التحفي وانافة المنزلة والمرتبة
من الله له ويتاول فيه ما يتاول في قوله من تقرب مني شبرا تقربت
منه ذراعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة قرب بالاجابة والقبول
واتيان بالاحسان وتعجيل المامول فصل في ذكر تفضيله في يوم
القيمة بخصوص الكرامة حدثنا القاضي ابو علي ثنا ابو الفضل
وابو الحسين قالا ثنا ابو يعلى ثنا السنجي ثنا ابن محبوب ثنا
الترمذي ثنا الحسين بن يزيد الكوفي ثنا عبد السلام بن حرب
عن ليث عن الربيع بن انس عن انس رضه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا
خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء الحمد بيدي
وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر وفي رواية ابن زحر عن الربيع
بن انس في لفظ هذا الحديث انا اول الناس خروجا اذا بعثوا
وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم
اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا ابلسوا لواء الكرم بيدي وانا اكرم
ولد ادم على ربي ولا فخر ويطوف علي الف خادم كانهم لؤلؤ
مكنون وعن ابي هريرة رضه واكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم
عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري
وعن ابي سعيد رضه قال قال رسول الله صلعم انا سيد ولد

ولد ادم يوم القيمة وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما نبي
يومئذ ادم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق
عنه الارض ولا فخر وعن ابي هريرة عنه صلى الله تعالى عليه
وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيمة واول من ينشق عنه
عنه القبر واول شافع واول مشفع وعن ابن عباس انا حامل
لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع
ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فادخلها
ومعي فقراء المومنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين
ولا فخر وعن انس انا اول الناس يشفع في الجنة وانا
اكثر الناس تبعا وعن انس قال النبي صلى الله عليه وسلم
انا سيد الناس يوم القيمة وتدرون لم ذلك يجمع الله
الاولين والاخرين وذكر حديث الشفاعة وعن ابي هريرة
انه عليه السلام قال اطمع ان اكون اعظم الانبياء اجرا
يوم القيمة وفي حديث اخر اما ترضون ان يكون ابراهيم
وعيسى فيكم يوم القيمة ثم قال انهما في امتي يوم القيمة
اما ابراهيم فيقول انت دعوتي وذريتي فاجعلني من
امتك واما عيسى عم فالانبياء اخوة بنو علات امهاتهم
شتى وان عيسى عم اخي ليس بيني وبينه نبي وانا
اولى الناس به قوله عليه انا سيد الناس يوم القيمة
هو سيدهم في الدنيا ويوم القيمة ولكن اشار في
ذلك عليه السلام لانفراده فيه بالسودد والشفاعة

دون غيره اذ لجا الناس اليه في ذلك فلم يجدوا سواه والسيد
هو الذي يلجاء الناس اليه في حوايجهم فكان ح سيدا منفردا
من بين البشر لم يزاحمه احد في ذلك ولا ادعاه كما قال الله
تعا لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والملك له في الدنيا
والاخرة لكن في الاخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك في
الدنيا وكذلك لجا الى محمد صلى الله تعا عليه وسلم جميع الناس
في الشفاعة فكان سيدهم في الاخرة دون دعوى وعن انس
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى باب الجنة يوم القيمة
فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك
امرت لا افتح لاحد قبلك وعن عبد الله بن عمرو قال رسول
الله صلعم حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه ابيض
من الورق وريحه اطيب من المسك كيزانه كنجوم السماء من
شرب منه لم يظما ابدا وعن ابي ذر نحوه وقال طوله ما بين
عمان الى ايلة يشخب فيه ميزابان من الجنة وعن ثوبان مثله
وقال احدهما من ذهب والاخر من ورق وفي رواية حارثة بن
وهب كما بين المدينة وصنعاء وقال انس ايلة وصنعاء
وقال ابن عمر كما بين الكوفة والحجر الاسود وروى حديث
الحوض ايضا انس وجابر وسمرة وابن عمر وعقبة بن عامر
وحارثة بن وهب الخزاعي والمستورد وابو برزة الاسلمي
وحذيفة بن اليمان وابو امامة وزيد بن ارقم وابن مسعود
وعبد الله بن زيد وسهل بن سعد وسويد بن جبلة

جبلة وابو سعيد الخدري وعبد الله بن الصنابحي وابو هريرة
والبراء وجندب وعايشة واسماء بنت ابي بكر وابو بكرة وخولة
بنت قيس وغيرهم رضوان الله تعا عليهم اجمعين فصل في
تفضيله بالمحبة والخلة جاءت بذلك الاثار الصحيحة واختص
صلى الله عليه وسلم على السنة المسلمين بحبيب الله اخبرنا
ابو القاسم بن ابراهيم الخطيب وغيره عن كريمة بنت احمد قالت
ثنا ابو الهيثم وثنا حسين بن محمد الحافظ سماعا عليه ثنا القاضي
ابو الوليد ثنا عبد الله بن احمد بن احمد ثنا ابو الهيثم ثنا ابو عبد الله
محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبد الله بن محمد ثنا
ابو عامر ثنا فليح ثنا ابو النضر عن بسر بن سعيد عن ابي
سعيد عن النبي صلعم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي
لاتخذت ابا بكر وفي حديث اخر خليل الله وان صاحبكم خليل الله
ومن طريق عبد الله بن مسعود وقد اتخذ الله صاحبكم
خليلا وعن ابن عباس قال جلس ناس من اصحاب النبي صلعم
ينتظرونه قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون
فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله تعا اتخذ من
خلقه ابراهيم خليلا وقال اخر ماذا باعجب من كلام موسى
كلمه الله تكليما وقال اخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال اخر
ادم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت
كلامكم وعجبكم ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وهو كذلك وموسى
نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وادم اصطفاه

الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء
الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا
فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها
ومعي فقراء المومنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين
ولا فخر وفي حديث ابي هريرة من قول الله لنبيه صلعم
اني اتخذتك خليلا فهو مكتوب في التورية انت حبيب
الرحمن قال القاضي ابو الفضل المصنف رحمه الله تعا
اختلف في تفسير الخلة واصل اشتقاقها فقيل الخليل
المنقطع الى الله الذي ليس في انقطاعه اليه ومحبته
له اختلال وقيل الخليل المختص واختار هذا القول
غير واحد وقال بعضهم اصل الخلة الاستصفاء وسمي
ابراهيم خليل الله لانه يوالي فيه ويعادي فيه وخلة الله
له نصره وجعله اماما لمن بعده وقيل الخليل اصله الفقير
المحتاج المنقطع ماخوذ من الخلة وهي الحاجة فسمي
بها ابراهيم لانه قصر حاجته على ربه وانقطع اليه بهمه
ولم يجعله قبل غيره اذ جاءه جبريل وهو في المنجنيق ليرمى
في النار فقال الك حاجة قال اما اليك فلا وقال ابو بكر
بن فورك الخلة صفاء المودة التي توجب الاختصاص
بتخلل الاسرار وقال بعضهم اصل الخلة المحبة ومعناها
الاسعاف والالطاف والترفيع والتشفيع وقد بين
ذلك في كتابه العزيز بقوله تعا وقالت اليهود والنصارى

والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم
فاحب للمحبوب ان لا يواخذ بذنوبه قال هذا والخلة اقوى من
البنوة لان البنوة قد يكون فيها العداوة كما قال الله تعا
ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم ولا يصح ان يكون عداوة
مع خلة فاذا تسمية ابراهيم ومحمد عليهما السلام بالخلة اما
بانقطاعهما الى الله ووقف حوايجهما عليه والانقطاع عمن دونه
والاضراب عن الوسايط والاسباب او لزيادة الاختصاص
منه تعا لهما وخفي الطافه عندهما وما خالل بواطنهما من
اسرار الهيته ومكنون غيوبه ومعرفته او لاستصفائه لهما
واستصفاء قلوبهما عمن سواه حتى لم يخاللهما حب لغيره ولهذا
قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم
معنى قوله صلى الله عليه وسلم ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت
ابا بكر خليلا لكن اخوة الاسلام واختلف العلماء وارباب
القلوب ايهما ارفع درجة الخلة او درجة المحبة فجعلها
بعضهم سواء فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا يكون الخليل
الا حبيبا لكنه خص ابراهيم بالخلة ومحمدا صلى الله عليه وسلم
بالمحبة وبعضهم قال درجة الخلة ارفع واحتج بقوله صلى
الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذه وقد اطلق المحبة
اطلق المحبة صلى الله عليه وسلم لفاطمة وابنيها واسامة رضي الله عنهم
وغيرهم واكثرهم جعل المحبة ارفع من الخلة لان درجة الحبيب
نبينا صلعم ارفع من درجة الخليل ابراهيم واصل المحبة الميل الى ما
يوافق

بوافق المحب ولكن هذا في حق من يصح الميل منه والانتفاع بالوفق
وهي درجة المخلوق فاما الخالق جل جلاله فمنزه عن الاغراض
فمحبته لعبده تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه
القرب وافاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجب
عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر اليه ببصيرته فيكون كما قال في
الحديث القدسي فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به
وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ولا ينبغي ان
يفهم من هذا سوى التجرد لله تعالى والانقطاع الى الله تعالى والاعراض
عن غير الله وصفاء القلب لله واخلاص الحركات لله كما قالت
عايشة رض كان خلقه القرآن برضاه يرضى وبسخطه يسخط
ومن هنا عبر بعضهم عن الخلة بقوله شعر قد تخللت مسلك
الروح مني وبذا سمي الخليل خليلا فاذا ما نطقت كنت حديثي
واذا ما سكت كنت الغليلا بالعين المعجمة ماكان داخل القلب
فاذا مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا عليه
السلام بما دلت عليه الآثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة
بالقبول من الامة وكفى بقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله
الآية حكى اهل التفسير ان هذه الآية لما نزلت قال الكفار
انما يريد محمد ان نتخذه حنانا اي رحمة كما اتخذت النصارى
عيسى عم فانزل الله غيظا لهم ورغما على مقالتهم هذه الآية
قل اطيعوا الله والرسول فزاده شرفا بامرهم بطاعته و
وقرنها بطاعته ثم توعدهم على التولي عنه بقوله تعالى فان تولوا

فان الله لا يحب الكافرين وقد نقل الامام ابو بكر بن فورك عن بعض
المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة والخلة يطول جملة اشاراته
ترجع الى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منه طرفا
يهدي الى ما بعده فمن ذلك قولهم الخليل يصل بالواسطة من
قوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض والحبيب
يصل اليه به من قوله فكان قاب قوسين او ادنى وقيل الخليل
الذي تكون مغفرته لحبيبه به في حد الطمع من قوله والذي اطمع
ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين
من قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الآية
والخليل قال ولا تخزني والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله النبي
فابتدئ بالبشارة قبل السؤال والخليل قال في المحنة حسبي
الله والحبيب قيل له يا ايها النبي حسبك الله والخليل
قال واجعل لي لسان صدق والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك
اعطي بلا سؤال والخليل قال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام
والحبيب قيل له انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل
البيت وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد اصحاب هذا المقال
من تفضيل المقامات والاحوال فكل يعمل على شاكلته فربكم
اعلم بمن هو اهدى سبيلا فصل في تفضيله بالشفاعة
والمقام المحمود قال الله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا اخبرنا الشيخ ابو علي الغساني الجياني فيما كتب به
الي بخطه ثنا سراج بن عبد الله القاضي ثنا ابو محمد

ويطهركم تطهيرا صح

الاصيلي ثنا ابو زيد ثنا ابو زيد وابو احمد قالا ثنا محمد بن يوسف
ثنا محمد بن اسمعيل بن ابان ثنا ابو الاحوص عن ادم بن علي قال
سمعت ابن عمر يقول ان الناس يصيرون يوم القيمة جثا كل امة
تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة الى النبي
صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود وعن
ابي هريرة سئل عنها رسول الله صلعم يعني قوله عسى ان يبعثك
ربك مقاما محمودا فقال هي الشفاعة وروى كعب بن مالك عنه
عليه السلام يحشر الناس يوم القيمة فاكون انا وامتي على
تل ويكسوني ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي فاقول ما شاء الله
ان اقول فذلك المقام المحمود وعن ابن عمر وذكر حديث الشفاعة
قال فيمشي حتى يأخذ بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه الله المقام
المحمود الذي وعده وعن ابن مسعود عنه عليه السلام انه
قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيره يغبطه فيه الاولون
والاخرون ونحوه عن كعب والحسن وفي رواية هو المقام الذي
اشفع لامتي فيه وعن ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اني لقائم مقام المحمود قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل
الله تبارك وتعالى على كرسيه الحديث وعن ابي موسى عنه عليه
السلام خيرت بين ان يدخل نصف امتي الجنة وبين الشفاعة
فاخترت الشفاعة لانها اعم اترونها للمتقين ولكنها للمذنبين
الخطائين وعن ابي هريرة قلت يا رسول الله ما ذا ورد عليك
في الشفاعة فقال شفاعتي لمن شهد ان لا اله الا الله مخلصا

مخلصا يصدق لسانه قلبه وعن ام حبيبة قال رسول الله صلعم
اريت ما تلقى امتي من بعدي وسفك بعضهم دماء بعض وسبق
لهم من الله ما سبق للامم قبلهم فسألت الله ان يؤتيني
شفاعة يوم القيمة فيهم ففعل وقال حذيفة يجمع الله الناس
في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة
عراة كما خلقوا سكوتا لا تكلم نفس الا باذنه فينادي محمد فيقول
لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس اليك والمهدي
من هديت وعبدك بين يديك ولك واليك لا ملجأ ولا منجا
منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فذلك
المقام المحمود الذي ذكر الله وقال ابن عباس اذا دخل اهل النار
النار واهل الجنة الجنة فيبقى اخر زمرة من الجنة واخر زمرة
من النار فيقول زمرة النار لزمرة الجنة ما نفعكم ايمانكم فيدعون
ربهم ويضجون فيسمعهم اهل الجنة فيسألون ادم وغيره
بعده في الشفاعة لهم فكل يعتذر حتى يأتوا محمدا فيشفع لهم
فذلك المقام المحمود ونحوه عن ابن مسعود ايضا ومجاهد
وذكره علي بن الحسين عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال جابر
بن عبد الله ليزيد الفقير سمعت بمقام محمد يعني الذي
يبعثه الله فيه قلت نعم قال فانه مقام محمد المحمود الذي
يخرج الله به من يخرج يعني من النار وذكر حديث الشفاعة
في اخراج الجهنميين وعن انس نحوه وقال فهذا المقام المحمود
الذي وعده وفي رواية انس وابي هريرة وغيرهما دخل حديث

بعضهم في حديث بعض قال عليه السلام قال يجمع الله الاولين
والاخرين يوم القيمة فيهتمون او قال فيلهمون فيقولون لو
استشفعنا الى ربنا ومن طريق عنه ماج الناس بعضهم
في بعض وعن ابي هريرة وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم
ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقولون الا تنظرون من يشفع لكم
ويأتون ادم فيقولون زاد بعضهم انت ادم ابو البشر
خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسكنك جنته
واسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شيء اشفع لنا عند
ربك حتى يريحنا من مكاننا الا ترى ما نحن فيه فيقول ان
ربي غضب اليوم لم يغضب مثله قبله ولا يغضب بعده مثله
ونهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي اذهبوا الى غيري
اذهبوا الى نوح فيأتون نوحا فيقولون انت اول الرسل
الى اهل الارض وسماك الله عبدا شكورا الا ترى ما نحن
فيه الا ترى ما بلغنا الا تشفع لنا الى ربك فيقول ان
ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب
بعده مثله نفسي نفسي قال في رواية انس ويذكر خطيئته
التي اصاب سؤال ربه بغير علم وفي رواية ابي هريرة وقد كانت
لي دعوة دعوتها على قومي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابراهيم
فانه خليل الله فيأتون ابراهيم فيقولون انت ابراهيم نبي الله
وخليله من اهل الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه
فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا فذكر مثله ويذكر ثلث

ثلث كلمات كذبهن نفسي نفسي لست لها ولكن عليكم بموسى
فانه كليم الله وفي رواية فانه عبدا اتاه الله التورية وكلمه
وقربه نجيا قال فيأتون موسى فيقول لست لها ويذكر
خطيئته التي اصاب وقتله النفس نفسي نفسي ولكن عليكم
بعيسى فانه روح الله وكلمته فيأتون عيسى فيقول لست
لها ولكن عليكم بمحمد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر
فاوتى فاقول انا لها فانطلق فاستأذن على ربي فيؤذن
لي فاذا رايته وقعت ساجدا وفي رواية فاتي تحت العرش
فاخر ساجدا وفي رواية فاقوم بين يديه فاحمده بمحامد
لا اقدر عليها الان يلهمنيها الله وفي رواية فيفتح الله
علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على احد
قبلي قال في رواية ابي هريرة فيقال يا محمد ارفع راسك سل
تعطه واشفع تشفع فارفع راسي فاقول يا رب امتي
يا رب امتي فيقول يا محمد ادخل امتك من لا حساب عليه
من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء الناس
فيما سوى ذلك من الابواب ولم يذكر في رواية انس
هذا الفصل وقال مكانه ثم اخر ساجدا فيقال لي يا محمد
ارفع راسك وقل تسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه
فاقول يا رب امتي امتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه
مثقال حبة من برة او شعيرة من ايمان فاخرجه
فانطلق فافعل ثم ارجع الى ربي فاحمده بتلك المحامد

وذكر مثل الاول وقال فيه مثقال حبة من خردل قال فافعل
ثم ارجع وذكر مثل ما تقدم وقال فيه من كان في قلبه ادنى
ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل فافعل وذكر في المرة
الرابعة فيقال لي ارفع راسك وقل تسمع واشفع تشفع
واسأل تعطه فاقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله
قال ليس ذلك اليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي
لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله ومن رواية قتادة عنه
قال فلا ادري في الثالثة او الرابعة فاقول يا رب ما بقي في النار
الا من حبسه القران اي وجب عليه الخلود وعن ابي بكر
وعقبة بن عامر وابي سعيد وحذيفة مثله قال فيأتون
محمدا فيؤذن له وتأتي الامانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط
وذكر في رواية ابي مالك عن حذيفة فيأتون محمدا فيشفع
فيضرب الصراط فيمرون اولهم كالبرق ثم كالريح والطير
وشد الرجال ونبيكم على الصراط يقول اللهم سلم سلم
حتى يجتاز الناس وذكر اخرهم جواز الحديث وفي رواية
ابي هريرة فاكون اول من يجيز وعن ابن عباس عنه عليه
السلام يوضع للانبياء منابر يجلسون عليها ويبقى
منبري لا اجلس عليه قائما بين يدي ربي منتصبا فيقول
الله تبارك وتعالى ما تريد ان اصنع بامتك فاقول يا رب
عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل
الجنة برحمته ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي ولا

ولا ازال اشفع حتى اعطى صكاكا برجال قد امر بهم الى النار
حتى خازن النار ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك في
امتك من نقمة ومن طريق زياد النميري عن انس ان رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا اول من تنفلق الارض
عن جمجمته ولا فخر وانا سيد الناس يوم القيمة ولا فخر
ومعي لواء الحمد يوم القيمة وانا اول من يفتح له
الجنة ولا فخر فاتي فاخذ بحلقة الجنة فيقول من هذا
فاقول محمد فيفتح لي فيستقبلني الجبار تعالى فاخر له ساجدا
وذكر نحو ما تقدم ومن رواية انس سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول لاشفعن يوم القيمة لاكثر مما
في الارض من حجر وشجر فقد اجتمع من اختلاف الفاظ
هذه الاثار ان شفاعته عليه السلام ومقامه المحمود من
اول الشفاعات الى اخرها من حين يجتمع الناس للحشر وتضيق
بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف
مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع لاراحة الناس
من الموقف ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس كما جاء في
الحديث عن ابي هريرة وحذيفة وهذا الحديث فيشفع
في تعجيل من لا حساب عليه من امته الى الجنة كما تقدم
في الحديث ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار
منهم حسب ما يقتضيه الاحاديث الصحيحة ثم فيمن
قال لا اله الا الله وليس هذا لسواه صلى الله عليه وسلم

وفي الحديث المشهور الصحيح لكل نبي دعوة يدعو بها واختبأت
دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة قال اهل العلم معناه دعوة
اعلم انها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم والا فكم لكل نبي
منهم من دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله عليه وسلم منها
ما لا يعد لكن حالهم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف وضمنت
لهم اجابة دعوة فيما شاؤه يدعون بها على يقين من الاجابة
وقد قال محمد بن زياد وابو صالح عن ابي هريرة في هذا الحديث لكل
نبي دعوة دعا بها في امته فاستجيب له وانا اريد ان اوخر
دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة وفي رواية ابي صالح لكل
نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ونحوه في رواية ابي
زرعة عن ابي هريرة وعن انس مثل رواية ابن زياد عن
ابي هريرة فتكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصة بالامة
مضمونة الاجابة والا فقد اخبر صلى الله عليه وسلم انه
سال لامته اشياء من امور الدين والدنيا اعطي بعضها
ومنع بعضها وادخر لهم هذه الدعوة ليوم الفاقة وخاتمة
المحن وعظم السوال والرغبة جزاه الله احسن ما جزى
نبيا عن امته وصلى الله عليه وسلم كثيرا

فصل في تفضيله في
الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة

حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي والفقيه ابو
الوليد هشام بن احمد بقراتي عليهما قالا حدثنا ابو علي الغساني
ثنا النمري ثنا ابن عبد المومن ثنا ابو بكر التمار ثنا ابو داود

ابو داود ثنا محمد بن سلمة ثنا ابن وهب عن ابن لهيعة وحيوة
وسعيد بن ابي ايوب عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير
عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم
يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي
فانه من صلى علي صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله تعالى لي
الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا ينبغي الا لعبد من عباد الله و
وارجوا ان اكون انا هو فمن سال الله لي الوسيلة حلت عليه
الشفاعة وفي حديث اخر عن ابي هريرة الوسيلة اعلى درجة
في الجنة وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بينا انا اسير في الجنة اذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللولو قلت
لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر الذي اعطاكه الله قال ثم ضرب
بيده الى طينته فاستخرج مسكا وعن عايشة وعبد الله بن
عمرو مثله قال ومجراه على الدر والياقوت وماؤه احلى من
العسل وابيض من الثلج وفي رواية عنه فاذا هو يجري ولم
يشق شقا عليه حوض يرد عليه امتي وذكر حديث الحوض
ونحوه عن ابن عباس وعن ابن عباس ايضا قال الكوثر الخير الذي
اعطاه الله اياه وقال سعيد بن جبير والنهر الذي في الجنة
من الخير الذي اعطاه وعن حذيفة فيما ذكر عليه السلام عن
ربه واعطاني الكوثر وهو نهر من الجنة يسيل في حوضي وعن
ابن عباس في قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى قال الف
قصر من لولو ترابهن المسك وفيه ما يصلحهن وفي رواية

اخرى وفيه ما ينبغي من الازواج والخدم فان قلت اذا تقرر
من دليل القران وصحيح الاثر واجماع الامة كونه اكرم البشر
وافضل الانبياء فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه عن
التفضيل كقوله فيما حدثناه الاسدي قال حدثنا السمرقندي
ثنا الفارسي ثنا الجلودي ثنا ابن سفين ثنا مسلم ثنا ابن
مثنى ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن قتادة سمعت ابا العالية
يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم يعني ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ينبغي لعبد ان يقول انا
خير من يونس بن متى وفي غير هذا الطريق عن ابي هريرة قال
يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لعبد الحديث
وفي حديث ابي هريرة في اليهودي الذي قال والذي اصطفى
موسى على البشر فلطمه رجل من الانصار وقال تقول ذلك
ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا فبلغ ذلك النبي
صلى الله عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين الانبياء وفي رواية
لا تخيروني على موسى فذكر الحديث وفيه ولا اقول ان احدا
افضل من يونس بن متى وعن ابي هريرة ومن قال انا خير من
يونس بن متى فقد كذب وعن ابن مسعود لا يقولن احدكم
انا خير من يونس بن متى وفي حديثه الاخر فجاءه رجل فقال
يا خير البرية فقال ذاك ابراهيم فاعلم ان للعلماء في هذه الاحاديث
تاويلات احدها ان نهيه عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه سيد
ولد ادم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف وان من فضل

من فضل بلا علم فقد كذب وكذلك قوله لا اقول ان احدا افضل
منه لا يقتضي تفضيله هو وانما هو في الظاهر كف عن التفضيل
الوجه الثاني انه قال صلى الله عليه وسلم على طريق التواضع
ونفي التكبر والعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض الوجه
الثالث ان لا يفضل بينهم تفضيلا يودي الى تنقيص
بعضهم او الغض منه لا سيما في جهة يونس عليه السلام اذ اخبر الله عنه
بما اخبر لئلا يقع في نفس من لا يعلم منه غضاضة وانحطاط من
رتبته الرفيعة اذ قال تعالى اذ ابق الى الفلك المشحون اذ ذهب
مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فربما يخيل لمن لا علم عنده
حطيطته بذلك الوجه الرابع منع التفضيل في حق النبوة
والرسالة فان الانبيا فيها على حد واحد اذ هي شي واحد لا يتفاضل
وانما التفاضل في زيادة الاحوال والخصوص والكرامات والرتب
والالطاف واما النبوة في نفسها فلا تتفاضل وانما التفاضل
بامور اخر زايدة عليها ولذلك منهم رسل ومنهم اولو العزم
من الرسل ومنهم من رفع مكانا عليا ومن اوتي الحكم صبيا
واوتي بعضهم الزبر وبعضهم البينات ومنهم من كلم الله
ورفع بعضهم درجات قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض
النبيين الاية وقال تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية
قال بعض اهل العلم والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا وذلك
بثلثة احوال ان يكون معجزاته واياته ابهر واشهر او يكون
امته ازكى واكثر او يكون في ذاته افضل واظهر وفضله

في ذاته راجع الى ما خصه الله به من كرامته واختصاصه
من كلام او خلة او رؤية او ما شاء الله من الطافه
ولايته واختصاصه وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان للنبوة اثقالا وان يونس تفسخ الربع فحفظ
صلى الله عليه وسلم موضع الفتنة من اوهام من يسبق
اليه بسببها جرح في نبوته او قدح في اصطفائه وحط
من رتبته ووهن في عصمته شفقة منه صلى الله عليه
وسلم على امته وقد يتوجه على هذا الترتيب وجه خامس
وهو ان يكون انا راجعا الى القائل نفسه اي لا يظن احد
وان بلغ من الزكاء والعصمة والطهارة ما بلغ انه خير
من يونس لاجل ما حكى الله عنه فان درجة النبوة افضل
واعلى وان تلك الاقدار لم تحطه عنها حبة خردل ولا ادنى
وسنزيد في القسم الثالث في هذا بيانا ان شاء الله فقد
بان لك الغرض وسقط بما حررناه شبهة المعترض

فصل في اسمائه عليه السلام وما تضمنه من فضيلته حدثنا
ابو عمران موسى بن ابي تليد الفقيه قال ثنا ابو عمر الحافظ
ثنا سعيد بن نصر ثنا قاسم بن اصبغ ثنا محمد بن وضاح
ثنا يحيى ثنا مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء انا
محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر
الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب وقد سماه الله

الله في كتابه محمدا واحمد فمن خصائصه تعالى له ان ضمن
اسماءه ثناءه وطوى اثناء ذكره عظيم شكره فاما اسمه
احمد فافعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعل مبالغة
من كثرة الحمد فهو صلى الله عليه وسلم اجل من حمد وافضل
من حُمد واكثر الناس حمدا فهو احمد المحمودين واحمد الحامدين
ومعه لواء الحمد يوم القيمة ليتم له كمال الحمد ويشهر في
تلك العرصات بصفة الحمد ويبعثه ربه هناك مقاما محمودا
كما وعده يحمده فيه الاولون والاخرون بشفاعته لهم
ويفتح عليه فيه من المحامد كما قال عليه السلام ما لم
يعط غيره وسمى امته في كتب انبيائه بالحمادين
فحقيق ان يسمى محمدا واحمد ثم في هذين الاسمين
من عجائب خصائصه وبدائع اياته فن اخر هو ان
الله جل اسمه حمى ان يسمى بهما احد قبل زمانه
اما احمد الذي اتى في الكتب وبشرت به الانبيا فمنع
الله تعالى بحكمته ان يسمى به احد غيره ولا يدعى به
مدعو قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب
او شك وكذلك محمد ايضا لم يسم به احد من العرب
ولا غيرهم الى ان شاع قبيل وجوده عليه السلام
وميلاده ان نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل
من العرب ابناءهم بذلك رجاء ان يكون احدهم هو والله
اعلم حيث يجعل رسالته وهم محمد بن احيحة بن الجلاح

الاوسي ومحمد بن مسلمة الانصاري ومحمد بن براء البكري ومحمد بن
سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمران الجعفي ومحمد بن خزاعي السلمي
لا سابع لهم ويقال اول من سمي محمد بن سفيان واليمن تقول
بل محمد بن اليحمد من الازد ثم حمى الله كل من تسمى به ان يدعي
النبوة او يدعيها احد له او يظهر عليه سبب يشكك احدا في
امره حتى تحققت السمتان له صلى الله عليه وسلم ولم ينازع
فيهما واما قوله وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ففسر في الحديث
ويكون محو الكفر اما من مكة وبلاد العرب وما زوي له من الارض
ووعد انه يبلغه ملك امته او يكون المحو عاما بمعنى الظهور
والغلبة كما قال تعالى ليظهره على الدين كله وقد ورد تفسيره
في الحديث انه الذي محيت به سيئات من اتبعه وقوله وانا الحاشر
الذي يحشر الناس على قدمي اي على زماني وعهدي اي ليس بعدي
نبي كما قال وخاتم النبيين وسمي عاقبا لانه عقب غيره من الانبياء
وقيل معنى على قدمي اي يحشر الناس بمشاهدتي كما قال تعالى لتكونوا
شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ومعنى
قوله لي خمسة اسماء قيل انها موجودة في الكتب المتقدمة
وعند اولي العلم من الامم السالفة والله اعلم وقد روي عنه
عليه السلام لي عشرة اسماء وذكر منها طه ويس
حكاه مكي وقد قيل في بعض تفاسير طه انه يا طاهر يا هادي
وفي يس يا سيد حكاه السلمي عن الواسطي وجعفر بن محمد وذكر
غيره لي عشرة اسماء فذكر الخمسة التي في الحديث الاول قال وانا

وانا رسول الرحمة ورسول الراحة ورسول الملاحم وانا المقفى
قفيت النبيين وانا قيم والقيم الجامع الكامل كذا وجدته
ولم اروه وارى ان صوابه قثم كما ذكرناه بعد عن الحربي وهو
اشبه بالتفسير وقد وقع ايضا في كتب الانبياء قال داود
اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة بعد الفترة فقد يكون القيم
بمعناه وروى النقاش عنه عليه السلام لي في القرآن سبعة
اسماء محمد واحمد ويس وطه والمدثر والمزمل وعبد الله
وفي حديث ابي موسى الاشعري انه كان عليه السلام
لنا نفسه اسماء فيقول انا محمد واحمد والمقفي والحاشر
ونبي التوبة ونبي الملحمة ويروى المرحمة والرحمة والراحة
وكل صحيح ان شاء الله تعالى ومعنى المقفي معنى العاقب واما
نبي الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة فقد قال تعالى وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين وكما وصفه بانه يزكيهم
ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم
وبالمؤمنين رؤوف رحيم وقد قال في صفة امته انها امة
مرحومة وقال تعالى فيهم وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة
اي يرحم بعضهم بعضا فبعثه عليه السلام رحمة لامته
ورحمة للعالمين ورحيما بهم ومترحما مستغفرا لهم
وجعل امته امة مرحومة ووصفها بالرحمة وامرها
عليه السلام بالتراحم واثنى عليه فقال ان الله يحب
من عباده الرحماء وقال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا
من

من في الارض يرحمكم من في السماء واما رواية نبي الملحمة
فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف صلى الله
عليه وسلم وهي صحيحة وروى حذيفة مثل حديث
ابي موسى وفيه ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم وروى
الحربي في حديثه عليه السلام انه قال اتاني ملك فقال لي
انت قثم اي مجتمع قال والقثوم الجامع للخير وهذا اسم
هو في ال بيته معلوم وقد جاءت من القابه عليه السلام
وسماته في القرآن عدة كثيرة سوى ما ذكرناه كالنور
والسراج المنير والمنذر والنذير والمبشر والبشير و
الشاهد والشهيد والحق المبين وخاتم النبيين والرؤف
الرحيم والامين وقدم الصدق ورحمة العالمين ونعمة الله
والعروة الوثقى والصراط المستقيم والنجم الثاقب والكريم
والنبي والامي وداعي الله في اوصاف كثيرة وسمات جليلة
وجرى منها في كتب الله المتقدمة وكتب انبيائه واحاديث
رسوله واطلاق الامة جملة شافية كتسميته بالمصطفى
والمجتبى وابي القاسم والحبيب ورسول رب العالمين
والشفيع المشفع والمتقي والمصلح والطاهر والمهيمن
والصادق والمصدوق والهادي وسيد ولد ادم وسيد
المرسلين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين وحبيب الله
وخليل الرحمن وصاحب الحوض المورود والشفاعة
والمقام المحمود وصاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة

والدرجة الرفيعة وصاحب التاج والمعراج واللواء والقضيب وراكب
البراق والناقة والنجيب وصاحب الحجة والسلطان والخاتم و
العلامة والبرهان وصاحب الهراوة والنعلين ومن اسمائه
في الكتب المتوكل والمختار ومقيم السنة والمقدس وروح القدس
وهو معنى البارقليط في الانجيل وقال ثعلب البارقليط الذي
يفرق بين الحق والباطل ومن اسمائه في الكتب السالفة ماذ ماذ
ومعناه طيب طيب وحمطايا والخاتم والحاتم حكاه كعب الاحبار
وقال ثعلب فالخاتم الذي ختم الانبياء والحاتم احسن الانبياء
خلقا وخلقا ويسمى بالسريانية مشفح والمنحمنا واسمه ايضا في التوراة
احيد روى ذلك عن ابن سيرين ومعنى صاحب القضيب اي السيف
وقع ذلك مفسرا في الانجيل قال معه قضيب من حديد يقاتل به
وامته كذلك وقد يحمل على انه القضيب الممشوق الذي كان يمسكه
عليه السلام وهو الان عند الخلفاء واما الهراوة التي وصف بها
فهي في اللغة العصا واراها والله اعلم العصا المذكورة في حديث
الحوض اذود الناس عنه بعصاي لاهل اليمن واما التاج فالمراد به
العمامة ولم تكن حينئذ الا للعرب والعمائم تيجان العرب واوصافه والقابه
وسماته في الكتب كثيرة وفيما ذكرنا منها مقنع ان شاء الله تعالى
وكانت كنيته المشهورة ابا القاسم وروى عن انس انه لما ولد له
ابراهيم جاءه جبرائيل فقال له السلام عليك يا ابا ابراهيم
في تشريف الله تعالى له بما سماه به من اسمائه الحسنى ووصفه
به من صفاته العلى قال القاضي ابو الفضل وفقه الله ما

ما احرى هذا الفصل بفصول الباب الاول لانخراطه في سلك مضمونها
وامتزاجه بعذب معينها لكن لم يشرح الله الصدر للهداية الى
استنباطه ولا انار الفكر لاستخراج جوهره والتقاطه الا عند
الخوض في الفصل الذي قبله فرأينا ان نضيفه اليه ونجمع
شمله فاعلم ان الله تعالى خص كثيرا من انبيائه بكرامة خلعها
عليهم من اسمائه كتسميته اسحاق واسمعيل بعليم وحليم
وابراهيم بحليم ونوحا بشكور وعيسى ويحيى ببر وموسى
بكريم وقويا امين ويوسف بحفيظ عليم وايوب بصابر
واسمعيل بصادق الوعد كما نطق بذلك الكتاب العزيز
من مواضع ذكرهم وفضل محمدا نبينا صلى الله عليه وسلم
بان حلاه منها في كتابه العزيز وعلى السنة انبيائه بعدة
كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد اعمال الفكر واحضار الذكر
اذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين ولا من تفرغ فيها
لتاليف فصلين وحررنا منها في هذا الفصل نحو ثلثين
اسما ولعل الله تعالى كما الهم لما علم منها وحققه يتم النعمة
بابانة ما لم يظهر لنا الان وبفتح غلقه فمن اسمائه تعالى
الحميد ومعناه المحمود لانه حمد نفسه وحمده عباده ويكون
ايضا بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات وسمى النبي
صلى الله عليه وسلم محمدا واحمد فمحمد وكذا وقع اسمه
في زبور داوود واحمد بمعنى اكبر من حمد واجل من حمد
وقد اشار الى نحو هذا حسان بقوله وشق له من اسمه

ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد ومن اسمائه تعالى
الرؤف الرحيم وهما بمعنى متقارب وسماه في كتابه بذلك
فقال بالمؤمنين رؤف رحيم ومن اسمائه تعالى الحق المبين
ومعنى الحق الموجود والمتحقق امره وكذلك المبين اي البين
امره والهيته بان وابان بمعنى ويكون بمعنى المبين لعباده
امر دينهم ومعادهم وسمى النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك في كتابه فقال حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال
وقل اني انا النذير المبين وقال قد جاءكم الحق من ربكم
وقال فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل محمد وقيل القرآن
ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق صدقه وامره وهو
بالمعنى الاول والمبين البين امره ورسالته والمبين
عن الله ما بعثه به كما قال لتبين للناس ما نزل اليهم
ومن اسمائه تعالى النور ومعناه ذو النور اي
اي منور السموات والارض بالانوار ومنور قلوب
المؤمنين بالهداية وسماه نورا فقال قد جاءكم من الله
نور وكتاب مبين قيل محمد وقيل القرآن وقال فيه
وسراجا منيرا سمي بذلك لوضوح امره وبيان نبوته
وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به ومن
اسمائه تعالى الشهيد ومعناه العالم وقيل الشاهد
على عباده يوم القيمة وسماه شهيدا وشاهدا وقال
انا ارسلناك شاهدا وقال ويكون الرسول عليكم

شهيدا او هو بمعنى الاول ومن اسمائه تعالى الكريم ومعناه
الكثير الخير وقيل المفضل وقيل العفو وقيل العلي
وفي الحديث المروي في اسمائه تعالى الاكرم وسماه تعالى
كريما بقوله انه لقول رسول كريم قيل محمد وقيل جبريل
وقال عليه السلام انا اكرم ولد ادم ومعاني الاسم
صحيحة في حقه عليه السلام ومن اسمائه تعالى العظيم
ومعناه الجليل الشان الذي كل شيء دونه وقال في النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم ووقع
في اول سفر من التوراة عن اسمعيل وسيلد عظيما
لامة عظيمة فهو عظيم وعلى خلق عظيم ومن اسمائه تعالى
الجبار ومعناه المصلح وقيل القاهر وقيل العلي العظيم
الشان وقيل المتكبر وسمي النبي صلى الله عليه وسلم
في كتاب داود بجبار فقال تقلد ايها الجبار سيفك
فان ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة
يمينك ومعناه في حق النبي صلى الله عليه وسلم اما
لاصلاحه الامة بالهداية والتعليم او لقهره اعداءه او لعلو
منزلته على البشر وعظيم خطره ونفى عنه تعالى في القرآن
جبرية التكبر التي لا تليق به فقال وما انت عليهم بجبار
ومن اسمائه تعالى الخبير ومعناه المطلع بكنه الشيء العالم
بحقيقته وقيل معناه المخبر وقال الله تعالى الرحمن
فاسأل به خبيرا قال القاضي بكر بن العلاء المأمور بالسؤال

بالسؤال غير النبي صلى الله عليه وسلم والمسؤول الخبير هو النبي
صلى الله عليه وسلم وقال غيره بل السائل النبي والمسؤول الله
فالنبي صلعم خبير بالوجهين المذكورين قيل لانه عالم على غاية
من العلم بما اعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر
لامته بما اذن له في اعلامهم به ومن اسمائه تعالى الفتاح
ومعناه الحاكم بين عباده او فاتح ابواب الرزق والرحمة والمنغلق
من امورهم عليهم او يفتح قلوبهم وبصائرهم لمعرفة الحق
ويكون ايضا بمعنى الناصر كقوله ان تستفتحوا فقد جاءكم
الفتح اي ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وقيل معناه مبتدئ
الفتح والنصر وسمى الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم
بالفاتح في حديث الاسراء الطويل من رواية الربيع بن انس
عن ابي العالية وغيره عن ابي هريرة وفيه من قول الله تعالى
وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه من قول النبي عليه السلام في
ثنائه على ربه وتعديد مراتبه ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا
وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم او الفاتح لابواب الرحمة
على امته والفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق والايمان بالله او الناصر
للحق او المبتدئ بهداية الامة او المبتدى المقدم في الانبياء
والخاتم لهم كما قال عليه السلام كنت اول الانبياء في الخلق
واخرهم في البعث ومن اسمائه تعالى في الحديث الصحيح الشكور
ومعناه المثيب على العمل القليل وقيل المثني على المطيعين ووصف
بذلك نبيه نوحا عليه السلام فقال انه كان عبدا شكورا وقد وصف

النبي صلى الله عليه وسلم بذلك نفسه فقال افلا اكون
عبدا شكورا اي معترفا بنعم ربي عارفا بقدر ذلك مثنيا
عليه مجهدا نفسي في الزيادة من ذلك لقوله لئن شكرتم لازيدنكم
ومن اسمائه تعالى العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة
ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه بمزية
منه فقال وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك
عظيما وقال ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا
تعلمون ومن اسمائه تعالى الاول والاخر ومعناهما السابق
للاشياء قبل وجودها والباقي بعد فنائها وتحقيقه
انه ليس له اول ولا اخر وقال عليه السلام كنت اول
الانبياء في الخلق واخرهم في البعث وفي تفسير قوله تعالى
واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح
فقدم محمدا صلى الله عليه وسلم وقد اشار الى نحو من
عمر بن الخطاب رضى ومنه قوله نحن الاخرون السابقون
وقوله انا اول من تنشق الارض عنه واول من يدخل
الجنة واول شافع واول مشفع وهو خاتم النبيين
واخر الرسل صلى الله عليه وسلم ومن اسمائه تعالى
القوي ذو القوة المتين ومعناه القادر وقد وصف
الله بذلك فقال ذي قوة عند ذي العرش مكين
قيل محمد وقيل جبرائيل ومن اسمائه تعالى الصادق
في الحديث المأثور وورد في الحديث ايضا اسمه

عليه السلام بالصادق المصدوق ومن اسمائه الولي
والمولى ومعناهما الناصر وقد قال الله تعالى انما وليكم الله
ورسوله وقال عليه السلام انا ولي كل مؤمن وقال تعالى
النبي اولى بالمؤمنين وقال عليه السلام من كنت مولاه
فعلي مولاه ومن اسمائه تعالى العفو ومعناه الصفوح
وقد وصف الله تعالى بهذا نبيه في القرآن والتوراة
وامره بالعفو فقال خذ العفو وقال فاعف عنهم واصفح
وقال له جبرائيل وقد سأله عن قوله خذ العفو قال
ان تعفو عمن ظلمك وقال في التوراة والانجيل
في الحديث المشهور في صفته ليس بفظ ولا غليظ
ولكن يعفو ويصفح ومن اسمائه تعالى الهادي وهو بمعنى
توفيق الله لمن اراد من عباده وبمعنى الدلالة والدعاء
قال تعالى والله يدعوا الى دار السلام ويهدي من يشاء الى
صراط مستقيم واصل الجميع من الميل وقيل من التقديم
وقيل في تفسير طه انه يا طاهر يا هادي يعني النبي صلعم وقال
تعالى له وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقال فيه وداعيا
الى الله باذنه فالله تعالى مختص بالمعنى الاول قال تعالى انك لا تهدي
من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وبمعنى الدلالة يطلق
على غيره تعالى ومن اسمائه تعالى المؤمن المهيمن وقيل هما بمعنى
واحد فمعنى المؤمن في حقه تعالى المصدق وعده عباده و
المصدق قوله الحق والمصدق لعباده المؤمنين ورسله

وقيل الموحد نفسه وقيل المؤمن عباده في الله تعالى من ظلمه
والمؤمنين في الآخرة من عذابه وقيل المهيمن بمعنى الامين
مصغر منه فقلبت الهمزة هاء وقد قيل ان قولهم في الدعاء آمين
انه اسم من اسماء الله تعالى ومعناه معنى المؤمن وقيل المهيمن
بمعنى الشاهد والحافظ والنبي صلى الله عليه امين ومؤمن
ومهيمن وقد سماه الله امينا فقال مطاع ثم امين وكان
عليه السلام يعرف بالامين وشهر به قبل النبوة وبعدها
وسماه العباس في شعره مهيمنا في قوله ثم احتوى بيتك المهيمن
من خندف علياء تحتها النطق قيل المراد يا ايها المهيمن
قاله القتيبي والامام ابو القسم القشيري وقال تعالى يؤمن
بالله ويؤمن للمؤمنين اي يصدق وقال انا امنة لاصحابي
فهذا بمعنى المؤمن ومن اسمائه تعالى القدوس ومعناه المنزه
عن النقايص المطهر من سمات الحدث وسمي بيت المقدس
لانه يتطهر فيه من الذنوب ومنه الوادي المقدس وروح
القدوس ووقع في كتب الانبياء في اسمائه عليه السلام المقدس
اي المطهر من الذنوب كما قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تاخر او الذي يتطهر به من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها
كما قال ويزكيهم وقال ويخرجهم من الظلمات الى النور او يكون
مقدسا بمعنى مطهرا من الاخلاق الذميمة والاوصاف
الدنية ومن اسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب
او الذي لا نظير له اي المعز لغيره وقال تعالى ولله العزة ولرسوله

ولرسوله اي الامتناع وجلالة القدر وقد وصف الله نفسه
بالبشارة والنذارة فقال يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان
وقال ان الله يبشرك بيحيى وبكلمة منه وسماه تعالى مبشرا
ونذيرا وبشيرا اي مبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته
ومن اسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر
بعضهم ايضا انهما من اسماء محمد صلى الله عليه وسلم وشرف
وكرم   قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وها انا اذكر
نكتة اذيل بها هذا الفصل واختم بها هذا القسم وازيح الاشكال
بها فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم تخلصه من
مهاوي التشبيه وتزحزحه عن شبه التمويه وهو ان تعتقد
ان الله جل اسمه في عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى
اسمائه وعلى صفاته لا يشبه شيئا من مخلوقاته ولا يشبه
به وان ما جاء مما اطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق
فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي اذ صفات القديم
بخلاف صفات المخلوق فكما ان ذاته لا تشبه الذوات
كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين اذ صفاتهم
لا تنفك عن الاغراض والاعراض وهو تعالى منزه عن
ذلك بل لم يزل بصفاته واسمائه وكفى في هذا قوله ليس
كمثله شيء ولله در من قال من العلماء العارفين
المحققين التوحيد اثبات ذات غير مشبهة للذوات
ولا معطلة من الصفات وزاد هذه النكتة الواسطي

رحمه بيانا وهي مقصودنا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه
اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة الا من جهة موافقة
اللفظ اللفظ وجلت الذات القديمة ان تكون لها صفة
حديثة كما استحال ان تكون للذات المحدثة صفة قديمة
وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة رضي الله
عنهم وقد فسر الامام ابو القاسم القشيري رحمه الله
عليه قوله هذا ليزيده بيانا فقال هذه الحكاية تشتمل على
جوامع مسائل التوحيد وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات
وهي بوجودها مستغنية وكيف يشبه فعله فعل الخلق
وهو لغير جلب انس او دفع نقص حصل ولا بخواطر
واغراض وجد ولا بمباشرة ومعالجة ظهر وفعل الخلق
لا يخرج عن هذه الوجوه وقال آخر من مشايخنا ما توهمتموه
باوهامكم او ادركتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم وقال
الامام ابو المعالي الجويني من اطمأن الى موجود انتهى اليه
فكره فهو مشبه ومن اطمأن الى النفي المحض فهو معطل
وان قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد
وما احسن قول ذي النون المصري حقيقة التوحيد ان تعلم ان
قدرة الله في الاشياء بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج وعلة كل
شيء صنعه ولا علة لصنعه وما تصور في وهمك فالله بخلافه
وهذا كلام عجيب نفيس محقق والفصل الاخير تفسير لقوله
ليس كمثله شيء والثاني تفسير لقوله لا يسئل عما يفعل وهم

وهم يسألون والثالث تفسير لقوله تعالى انما قولنا لشيء اذا اردناه
ان نقول له كن فيكون ثبتنا الله واياك على التوحيد والاثبات
والتنزيه وجنبنا طرفي الضلالة والغواية من التعطيل والتشبيه
بمنه ورحمته الباب الرابع فيما اظهره الله تعالى على يديه من المعجزات
وشرفه به من الخصائص والكرامات قال القاضي ابو الفضل وفقه الله
حسب المتامل المحقق ان كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا ولا
لطاعن في معجزاته فنحتاج الى نصب البراهين عليها وتحصين حوزتها
حتى لا يتوصل المطاعن اليها ونذكر شروط المعجز والتحدي
وحده وفساد قول من ابطل نسخ الشرائع ورده بل الفناه
لاهل ملته الملبين لدعوته المصدقين لنبوته ليكون تاكيدا في
محبتهم له ومنماة لاعمالهم وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ونيتنا
ان نثبت في هذا الباب امهات معجزاته ومشاهير آياته لتدل على عظيم
قدره عند ربه واتينا منها بالمحقق والصحيح الاسناد واكثره مما
بلغ القطع او كاد واضفنا اليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الائمة
واذا تامل المتامل المنصف ما قدمناه من جميل اثره وحميد سيره
وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد
حاله وصواب مقاله لم يمتر في صحة نبوته وصدق دعوته وقد كفى
هذا غير واحد في اسلامه والايمان به فقد روينا عن الترمذي وابن
قانع وغيرهما باسانيدهم ان عبد الله بن سلام قال لما قدم رسول الله
صلعم المدينة جئته لانظر اليه فلما استبنت وجهه عرفت ان وجهه
ليس بوجه كذاب حدثنا به القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله حدثنا

ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون عن ابي
يعلى البغدادي عن ابي علي السنجي عن ابن محبوب عن الترمذي
حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الوهاب الثقفي ومحمد بن
جعفر وابن ابي عدي ويحيى بن سعيد عن عوف بن ابي جميلة
الاعرابي عن زرارة بن اوفى عن عبد الله بن سلام الحديث
وعن ابي رمثة التيمي قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم
ومعي ابن لي فاريته فلما رايته قلت هذا نبي الله وروى
مسلم وغيره ان ضمادا لما وفد عليه فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله
فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا
الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال له اعد
علي كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك ابايعك
وقال جامع بن شداد كان رجل منا يقال له طارق فاخبرنا انه راى
النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال هل معكم شيء تبيعونه
قلنا هذا البعير قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر فاخذ
بخطامه وسار الى المدينة فقلنا بعنا من رجل لا ندري من هو
ومعنا ظعينة فقالت انا ضامنة لثمن هذا البعير رايت وجه
رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس بكم فاصبحنا فجاء رجل بتمر
فقال انا رسول رسول الله اليكم يامركم ان تاكلوا من هذا التمر و
تكتالوا حتى تستوفوا ففعلنا وفي خبر الجلندي ملك عمان
لما بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام قال

قال الجلندي والله لقد دلني على هذا النبي الامي انه لا يامر بخير
الا كان اول اخذ به ولا ينهى عن شيء الا كان اول تارك له وانه
يغلب ولا يبطر ويغلب ولا يضجر ويفي بالعهد وينجز الموعود
واشهد انه نبي وقال نفطويه في قوله يكاد زيتها يضيء ولو لم
تمسسه نار هذا تمثيل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
يقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يتل قرانا كما قال ابن
رواحة لو لم تكن فيه ايات مبينة لكان منظره ينبيك بالخبر
وقد ان ناخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة وبعده في معجز
القران وما فيه من برهان ودلالة فصل اعلم ان الله جل اسمه
قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته وصفاته
واسمائه وجميع تكليفاته ابتداء دون واسطة لو شاء
كما حكي عن سنته في بعض الانبياء وذكره بعض اهل التفسير
في قوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء
حجاب وجائز ان يصل اليهم جميع ذلك بواسطة
تبلغهم كلامه وتكون تلك الواسطة اما من غير البشر
كالملائكة مع الانبياء او من جنسهم كالانبياء مع الامم ولا مانع
لهذا من دليل العقل واذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل
بما دل على صدقهم من معجزاتهم وجب تصديقهم في جميع
ما اتوا به لان المعجزة مع التحدي من النبي قائم مقام قول
الله صدق عبدي فاطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه فيما
يقوله وهذا كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض فمن اراد

تتبعه وجده مستوفى في مصنفات ائمتنا رحمهم الله والنبوة
في لغة من همز ماخوذة من النبأ وهو الخبر وقد لا يهمز
على هذا التاويل تسهيلا والمعنى ان الله تعالى اطلعه على غيبه
واعلمه انه نبيه فيكون نبي منبأ فعيل بمعنى مفعول او يكون
مخبرا عما بعثه الله به ومنبئا بما اطلعه الله عليه فعيل بمعنى
فاعل ويكون عند من لم يهمزه من النبوة وهو ما ارتفع من الارض
معناه ان له رتبة شريفة ومكانة نبيهة عند مولاه منيفة (اي مرتفعة)
فالوصفان في حقه مؤتلفان واما الرسول فهو المرسل ولم
يات فعول بمعنى مفعل في اللغة الا نادرا وارساله امر الله له
بالابلاغ الى من ارسله اليه واشتقاقه من التتابع ومنه قولهم
جاء الناس ارسالا اذا تبع بعضهم بعضا فكانه الزم تكرير
التبليغ او الزمت الامة اتباعه واختلف العلماء هل النبي
والرسول بمعنى او بمعنيين فقيل هما سواء واصله من
الانباء وهو الاعلام واستدلوا بقوله تعالى وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي فقد اثبت لهما معا الارسال قال
ولا يكون النبي الا رسولا ولا الرسول الا نبيا وقيل هما مفترقان
من وجه اذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب والاعلام
بخواص النبوة او الرفعة لمعرفة ذلك وحوز درجتها وافترقا
في زيادة الرسالة للرسول وهو الامر بالانذار والاعلام كما
قلنا وحجتهم من الاية نفسها التفريق بين الاسمين ولو
كانا شيئا واحدا لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ قالوا والمعنى

والمعنى وما ارسلنا من نبي الى امة او نبي ليس بمرسل
الى احد وقد ذهب بعضهم الى ان الرسول من جاء بشرع
مبتدأ ومن لم يات به نبي غير رسول وان امر بالابلاغ
والانذار والصحيح والذي عليه الجماء الغفير ان كل رسول
نبي وليس كل نبي رسولا واول الرسل ادم واخرهم محمد صلعم
وفي حديث ابي ذر رضه ان الانبياء مائة الف واربعة وعشرون
الف نبي وذكر ان الرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر اولهم
ادم فقد بان لك ان معنى النبوة والرسالة ليستا عند المحققين
ذاتا للنبي ولا وصف ذات خلافا للكرامية في تطويل لهم وتهويل
ليس عليه تعويل واما الوحي فاصله الاسراع فلما كان النبي
صلى الله عليه وسلم يتلقى ما ياتيه من ربه بعجل سمي وحيا
وسميت انواع الالهامات وحيا تشبيها بالوحي الى النبي
وسمي الخط وحيا لسرعة حركة يد كاتبه ووحي الحاجب واللحظ
سرعة اشارتهما ومنه قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا
بكرة وعشيا اي اوما ورمز وقيل كتب ومنه قولهم الوحا
الوحا اي السرعة وقيل اصل الوحي السر والاخفاء ومنه سمي
الالهام وحيا ومنه قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى
اوليائهم اي يوسوسون في صدورهم ومنه قوله تعالى
واوحينا الى ام موسى اي القى في قلبها وقد قيل ذلك في قوله
تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي ما يلقيه في
قلبه دون واسطة فصل اعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت

به الأنبياء عليهم السلام معجزة هو أن الخلق عجزوا عن
الإتيان بمثلها وهي على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر
فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه فعل لله تعالى دل على صدق نبيه
كصرفهم عن تمني الموت وتعجيزهم عن الإتيان بمثل القرآن على
رأي بعضهم ونحوه وضرب هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا
على الإتيان بمثله كإحياء الموتى وقلب العصا حية وإخراج ناقة
من صخرة وكلام شجرة ونبع الماء من الأصابع وانشقاق القمر
مما لا يمكن أن يفعله أحد إلا الله تعالى فيكون ذلك على يد النبي
من فعل الله تعالى وتحديه من يكذبه أن يأتي بمثله تعجيز له واعلم
أن المعجزات التي ظهرت على يد نبينا صلى الله عليه وسلم ودلائل
نبوته وبراهين صدقه من هذين النوعين معا وهو أكثر الرسل
معجزة وأبهرهم آية وأظهرهم برهانا كما سنبينه فهي في كثرتها لا يحيط
بها ضبط فإن واحدا منها وهو القرآن لا يحصى عدد معجزاته بألف
ولا ألفين ولا أكثر لأن النبي صلعم قد تحدى بسورة منه فعجز
عنها قال أهل العلم وأقصر السور إنا أعطيناك الكوثر فكل
آية وآيات منه بعددها وقدرها معجزة ثم فيها نفسها معجزات
على ما سنفصله فيما انطوى عليه من المعجزات ثم معجزاته
صلى الله عليه وسلم على قسمين قسم منها علم قطعا ونقل إلينا
متواترا كالقرآن فلا مرية ولا خلاف بمجيء النبي صلى الله عليه
وسلم به وظهوره من قبله واستدلاله بحجته وإن أنكر هذا
معاند جاحد فهو كإنكاره وجود محمد صلى الله عليه وسلم في الدنيا

في الدنيا وإنما جاء اعتراض الجاحدين في الحجة به فهو في نفسه
وجميع ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة ووجه إعجازه معلوم
ضرورة ونظرا كما سنشرحه قال بعض أئمتنا ويجري هذا
المجرى على الجملة أنه قد جرى على يديه صلى الله عليه وسلم آيات
وخوارق عادات إن لم يبلغ واحد منها معينا القطع فيبلغه
جميعها فلا مرية في جريان معانيها على يديه ولا يختلف مؤمن
ولا كافر أنه جرت على يديه عجائب وإنما خلاف المعاند في كونها
من قبل الله تعالى وقد قدمنا كونها من قبل الله تعالى وأن ذلك بمثابة
قوله صدقت فقد علم وقوع مثل هذا أيضا من نبينا صلى الله عليه
وسلم ضرورة معانيها كما يعلم ضرورة جود حاتم وشجاعة عنترة
وحلم أحنف لاتفاق الأخبار الواردة عن كل واحد منهم على كرم هذا
وشجاعة هذا وحلم هذا وإن كان كل خبر بنفسه لا يوجب العلم ولا
يقطع بصحته والقسم الثاني ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو على
نوعين نوع مشتهر منتشر رواه العدد وشاع الخبر به عند
المحدثين والرواة ونقلة السير والأخبار كنبع الماء من بين الأصابع
وتكثير الطعام ونوع منه اختص به الواحد والاثنان ورواه العدد
اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره لكنه إذا جمع إلى مثله اتفقا في المعنى
واجتمعا على الإتيان بالمعجز كما قدمنا قال القاضي أبو الفضل رحمه الله
وأنا أقول صدعا بالحق إن كثيرا من هذه الآيات المأثورة عنه عليه السلام
معلومة بالقطع أما انشقاق القمر فالقرآن نص بوقوعه وأخبر عن
وجوده ولا يعدل عن ظاهره إلا بدليل وجاء برفع احتماله صحيح

احنف اسمه صخر بن [illegible] التابعي

الأخبار من طرق كثيرة فلا يوهن عزمنا خلاف أخرق منحل عرى
الدين ولا يلتفت إلى سخافة مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفاء
المؤمنين بل نرغم بهذا أنفه وننبذ بالعراء سخفه وكذلك
قصة نبع الماء وتكثير الطعام رواها الثقات والعدد الكثير
عن الجماء الغفير عن العدد الكثير من الصحابة رضوان الله تعالى
عليهم أجمعين ومنها ما رواه الكافة عن الكافة متصلا عمن
حدث بها من جملة الصحابة وأخبارهم أن ذلك كان في موطن
اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق وفي غزوة بواط وعمرة الحد يبية
وغزوة تبوك وأمثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر
يؤثر عن أحد من الصحابة مخالفة للراوي فيما حكاه ولا إنكار
لما ذكر عنهم أنهم رأوه كما رآه فسكوت الساكت منهم
كنطق الناطق إذ هم منزهون عن السكوت على باطل والمداهنة
في كذب وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه
منكرا عندهم وغير معروف لديهم لأنكروه كما أنكر بعضهم على
بعض أشياء رواها من السنن والسير وحروف القرآن وخطأ
بعضهم بعضا ووهمه في ذلك مما هو معلوم فهذا النوع كله
يلحق بالقطعي من معجزاته لما بيناه وأيضا فإن أمثال الأخبار
التي لا أصل لها وبنيت على باطل لا بد مع مرور الأزمان
وتداول الناس وأهل البحث من انكشاف ضعفها وخمول
ذكرها كما يشاهد في كثير من الأخبار الكاذبة والأراجيف
الطارئة وأعلام نبينا صلعم هذه الواردة من طريق الآحاد

الآحاد لا تزداد مع مرور الزمان إلا ظهورا ومع تداول الفرق
وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها وتضعيف أصلها
واجتهاد الملحد على إطفاء نورها إلا قوة وقبولا ولا للطاعن عليها
إلا حسرة وغليلا وكذلك إخباره عن الغيوب وإنباؤه بما يكون
وكان معلوم من آياته على الجملة بالضرورة وهذا حق لا غطاء عليه
وقد قال بهذا من أئمتنا القاضي والأستاذ أبو بكر وغيرهما رحمهما
الله تعالى وما عندي أوجب قول القائل إن هذه القصص المشهورة
من باب خبر الواحد إلا قلة مطالعته للأخبار وروايتها وشغله
بغير ذلك من المعارف وإلا فمن اعتنى بطرق النقل وطالع الأحاديث
والسير لم يرتب في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي
ذكرناه ولا يبعد أن يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل
عند آخر فإن أكثر الناس يعلمون بالخبر كون بغداد موجودة وأنها
مدينة عظيمة ودار الإمامة والخلافة وآحاد من الناس
لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها وهكذا يعلم الفقهاء من
أصحاب مالك بالضرورة وتواتر النقل عنه أن مذهبه إيجاب قراءة أم القرآن
في الصلاة للمنفرد والإمام وإجزاء النية في أول ليلة من رمضان
عما سواه وأن الشافعي يرى تجديد النية كل ليلة والاقتصار في المسح
على بعض الرأس وأن مذهبهما القصاص في القتل بالمحدد وغيره
وإيجاب النية في الوضوء واشتراط الولي في النكاح وأن أبا حنيفة رحمه
الله يخالفهما في هذه المسائل وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى
أقوالهم لا يعرف هذا من مذاهبهم فضلا عمن سواه وعند ذكرنا آحاد

عماسح

هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا ان شاء الله تعالى فصل في اعجاز
القرآن اعلم وفقنا الله تعالى واياك ان كتاب الله العزيز منطو على
وجوه من الاعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط انواعها في
اربعة وجوه اولها حسن تاليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه
ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك انهم كانوا ارباب
هذا الشان وفرسان الكلام وقد خصوا من البلاغة والحكم بما لم
يخص به غيرهم من الامم واوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت انسان
ومن فصل الخطاب ما يقيد الالباب جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقة
وفيهم غريزة وقوة ياتون منه على البداهة بالعجب ويدلون
به الى كل سبب فيخطبون بديها في المقامات وشديد الخطب
ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون ويتوسلون
ويتوصلون ويرفعون ويضعون فياتون من ذلك بالسحر الحلال
ويطوقون من اوصافهم اجمل من سمط اللآل فيخدعون
الالباب ويذللون الصعاب ويذهبون الاحن ويهيجون الدمن
ويجرئون الجبان ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون الناقص
كاملا ويتركون النبيه خاملا منهم البدوي ذو اللفظ الجزل
والقول الفصل والكلام الفخم والطبع الجوهري والمنزع القوي
ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة والالفاظ الناصعة والكلمات
الجامعة والطبع السهل والتصرف في القول القليل الكلفة الكثير
الرونق الرقيق الحاشية وكلا البابين فلهما في البلاغة الحجة
البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيع الناهج لا يشكون

لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا
فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب من ابوابها
وعلوا صرحا لبلوغ اسبابها فقالوا في الخطير والمهين وتفننوا
في الغث والسمين وتقاولوا في القل والكثر وتساجلوا في النظم
والنثر فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا ياتيه الباطل
من بين يديه ومن خلفه تنزيل من حكيم حميد احكمت اياته
وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على
كل مقول وتظافر ايجازه واعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه
وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه
وبدايعه واعتدل مع ايجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوايده
مختار لفظه وهم افسح ما كانوا في هذا الباب مجالا واشهر في الخطابة
رجالا واكثر في السجع والشعر سجالا واوسع في الغريب واللغة مقالا
بلغتهم التي بها يتحاورون ومنازعهم التي عنها يتناضلون
صارخا بهم في كل حين ومقرعا لهم بضعا وعشرين عاما على رؤس
الملاء اجمعين ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا
من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين وان كنتم في ريب
مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله الى قوله تعالى ولن تفعلوا
وقل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران
الاية وقل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وذلك ان المفترى
اسهل ووضع الباطل والمختلق على الاختيار اقرب واللفظ
اذا تبع المعنى الصحيح كان اصعب ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال

له وفلان يكتب كما يريد وللاول على الثاني فضل وبينهما
شاو بعيد فلم يزل يقرعهم صلى الله عليه وسلم اشد
التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه احلامهم ويحط
اعلامهم ويشتت نظامهم ويذم الهتهم واباءهم ويستبيح
ارضهم وديارهم واموالهم وهم في كل هذا ناكصون عن
معارضته محجمون عن مماثلته يخادعون انفسهم بالتشغيب
بالتكذيب والاغراء بالافتراء وقولهم ان هذا الا سحر يؤثر
وسحر مستمر وافك افتراه واساطير الاولين والمباهتة
والرضاء بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي اكنة مما تدعونا
اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا
لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون والادعاء مع العجز
بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد قال لهم الله ولن تفعلوا
فما فعلوا وما قدروا ومن تعاطا ذلك من سخفائهم كمسيلمة
كشف عواره لجميعهم وسلبهم الله تعالى ما ألفوه من فصيح
كلامهم والا فلم يخف على اهل الميز منهم انه ليس من نمط
فصاحتهم ولا من جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين
واتوا مذعنين من بين مهتد وبين مفتون ولهذا لما سمع
الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يامر
بالعدل والاحسان الاية قال والله ان له لحلاوة وان
عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر ما يقول
هذا بشر وذكر ابو عبيد ان اعرابيا سمع رجلا يقرا

فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحته وسمع اخر رجلا
يقرا فلما استياسوا منه خلصوا نجيا فقال اشهد ان مخلوقا
لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكي ان عمر بن خطاب رض كان يوما
نائما في المسجد فاذا هو بقائم على راسه يتشهد شهادة الحق
فاستخبره فاعلمه انه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب
وغيرها وانه سمع رجلا من اسرى المسلمين يقرا اية من كتابكم
فتاملتها فاذا قد جمع فيها ما انزل على عيسى بن مريم من احوال
الدنيا والاخرة وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله
ويتقه الاية وحكي الاصمعي انه سمع كلام جارية فقال لها قاتلك الله
ما افصحك فقالت او يعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى واوحينا
الى ام موسى ان ارضعيه الاية فجمع في اية واحدة بين امرين ونهيين
وخبرين وبشارتين فهذا نوع من اعجازه منفرد بذاته غير مضاف
الى غيره على التحقيق والصحيح من القولين وكون القران من قبل النبي
صلعم وانه اتى به معلوم ضرورة وكونه في فصاحته خارقا للعادة
معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل من
ليس من اهلها علم ذلك بعجز المنكرين من اهلها عن معارضته
واعتراف المقرين باعجاز بلاغته وانت اذا تاملت قوله تعالى ولكم
في القصاص حيوة يا اولي الالباب وقوله تعالى ولو ترى اذ فزعوا
فلا فوت واخذوا من مكان قريب وقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن
فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وقوله تعالى وقيل
يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي الاية وقوله تعالى فكلا اخذنا

بديعة فقصر عنها واسلمنا عليه خاطبا الاية واشبهها من الآي
بل اكثر القرآن حققت بما جمعته من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها
وديباجة عبارتها وحسن تأليف حروفها وتلاؤم كلمها وان تحت
كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر ملئت الدواوين
من بعض ما استفيد منها وكثرت المقالات في المستنبطات عنها
ثم هو في سرد القصص الطوال واخبار القرون السوالف التي
يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان
آية لمتأمله من ربط الكلام بعضه ببعض والتئام سرده و
تناصف وجوهه كقصة يوسف عليه السلام على طولها ثم
اذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها
حتى تكاد كل واحدة منها تنسي في البيان صاحبتها وتناصف
في الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس من ترديدها ولا
معاداة لمعادها فصل الوجه الثاني من اعجازه صورة نظمه
العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب
ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت مقاطع آيه
وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له
ولا استطاع احد مماثلة شيء منه بل حارت فيه عقولهم وتدلهت
دونه احلامهم ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم من نثر
او نظم او سجع او رجز او شعر ولما سمع كلامه صلى الله عليه
وسلم الوليد بن المغيرة وقرأ عليه القرآن رق فجاءه ابو جهل
منكرا عليه قال والله ما منكم احد اعلم بالاشعار مني والله

والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا وفي خبره الآخر
حين جمع قريشا عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب ترد
فاجمعوا فيه رأيا لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن
قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه قالوا نقول
مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول
شاعر قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه
ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر
قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال ما انتم
بقائلين من هذا شيئا الا وانا اعرف انه باطل وان اقرب القول
انه ساحر فانه سحر يفرق بين المرء وابنه والمرء واخيه والمرء
وزوجه والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون
الناس فانزل الله تعالى في الوليد ذرني ومن خلقت وحيدا
الآيات وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن يا قوم قد علمتم
اني لم اترك شيئا الا وقد علمته وقرأته وقلته والله لقد سمعت
قولا والله ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا
بالكهانة وقال النضر بن الحارث نحوه وفي حديث اسلام ابي
ذر ووصف اخاه انيسا فقال والله ما سمعت باشعر من
اخي انيس لقد ناقض اثني عشر شاعرا في الجاهلية انا احدهم
وانه انطلق الى مكة وجاء الى ابي بخبر النبي صلى الله عليه
وسلم قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر
لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على

اقراء الشعر فلم يلتئم على لسان احد بعدي انه شعر وانه
لصادق وانهم لكاذبون والاخبار في هذا صحيحة كثيرة
والاعجاز بكل واحد من النوعين الايجاز والبلاغة بذاتها
والاسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع اعجاز على
التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما اذ كل واحد
خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها والى هذا ذهب
غير واحد من ائمة المحققين وذهب بعض المقتدى بهم الى
ان الاعجاز في مجموع البلاغة والاسلوب واتى على ذلك بقول
تمجه الاسماع وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه والعلم
بهذا كله ضرورة وقطعا ومن تفنن في علوم البلاغة وارهف
خاطره ولسانه ادب هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه
وقد اختلف ائمة اهل السنة في وجه عجزهم عنه فاكثرهم
يقول انه مما جمع في قوة جزالته ونصاعة الفاظه وحسن
نظمه وايجازه وبديع تأليفه واسلوبه لا يصح ان يكون
في مقدور البشر وانه من باب الخوارق الممتنعة عن اقدار
الخلق عليها كاحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصا وذهب
الشيخ ابو الحسن الى انه مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر
ويقدرهم الله عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله
هذا وعجزهم عنه وقال به جماعة من اصحابه وعلى الطريقين
عجز العرب عنه ثابت واقامة الحجة عليهم بما يصح ان يكون
في مقدور البشر وتحديهم بان يأتوا بمثله قاطع وهو ابلغ

ابلغ في التعجيز واحرى بالتقريع والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم
بشيء ليس من قدرة البشر لازم وهو ابهر آية واقمع دلالة
وعلى كل حال فما اتوا في ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل
وتجرعوا كاسات الصغار والذل وكانوا من شموخ الانف
واباية الضيم بحيث لا يؤثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه
الا اضطرارا والا فالمعارضة لو كانت من قدرهم فالشغل
بها اهون عليهم واسرع بالنجح وقطع العذر وافحام
الخصم لديهم وهم ممن لهم قدرة على الكلام وقدوة في المعرفة
به لجميع الانام وما منهم الا من جهد جهده واستنفد ما عنده
في اخفاء ظهوره واطفاء نوره فما جلوا في ذلك خبيئة من بنات
شفاههم ولا اتوا بنطفة من معين مياههم مع طول الامد
وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل ابلسوا فما نبسوا
ومنعوا فانقطعوا فهذان نوعان من اعجازه فصل الوجه
الثالث من الاعجاز ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات
وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد على الوجه الذي اخبر كقوله
تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وقوله تعالى
وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقوله تعالى ليظهره على الدين
كله وقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم في الارض الآية وقوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح
فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم فارس في بضع
سنين ودخل الناس في الاسلام افواجا فما مات صلى الله عليه وسلم

وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف
المؤمنين في الارض ومكن فيها دينهم وملكهم اياها من
اقصى المشارق الى اقصى المغارب كما قال صلعم زويت لي
الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي
ما زوي لي منها وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
فكان كذلك لا يكاد يعد من سعى في تغييره وتبديل محكمه
من الملحدة والمعطلة لا سيما القرامطة فاجمعوا كيدهم
وحولهم وقوتهم اليوم نيفا على خمسمائة عام فما قدروا
على اطفاء شيء من نوره ولا تغيير كلمة من كلامه ولا
تشكيك المسلمين في حرف من حروفه والحمد لله ومنه قوله تعالى
سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم
الاية وقوله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى الاية وقوله
تعالى لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم الاية فكان كل ذلك
وما فيه من كشف اسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم
في حلفهم وتقريعهم بذلك كقوله تعالى ويقولون في انفسهم
لولا يعذبنا الله بما نقول وقوله تعالى يخفون في انفسهم
ما لا يبدون لك وقوله تعالى ومن الذين هادوا سماعون للكذب
الاية وقوله تعالى من الذين هادوا يحرفون الكلم من بعد مواضعه
الى قوله تعالى في الدين وقد قال مبديا ما قدره الله تعالى واعتقده
المؤمنون يوم بدر واذ يعدكم الله احدى الطائفتين
انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ومنه قوله

قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين ولما نزلت بشر النبي صلى الله
عليه وسلم بذلك اصحابه رضوان الله تعالى عليهم اجمعين بان الله
تعالى كفاه اياهم وكان المستهزؤن نفرا بمكة ينفرون الناس عنه
ويؤذونه فهلكوا وقوله تعالى والله يعصمك من الناس فكان كذلك
على كثرة من رام ضره وقصد قتله والاخبار بذلك معروفة
صحيحة الوجه الرابع ما انباه به من اخبار القرون السالفة
والامم البائدة والشرايع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة
الواحدة الا الفذ من احبار اهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم
ذلك فيورده النبي صلعم على وجهه ويأتي به على نصه فيعترف
العالم بذلك بصحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد علموا
انه صلى الله عليه وسلم امي لا يقرا ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة
ولا مثافنة لم يغب عنهم ولا جهل حاله احد منهم وقد كان
اهل الكتاب كثيرا ما يسئلونه صلعم عن هذا فينزل عليه من
القران ما يتلوا عليهم منه ذكرا كقصص الانبياء مع قومهم
وخبر موسى والخضر ويوسف واخوته واصحاب الكهف
وذي القرنين ولقمان وابنه واشباه ذلك من الانباء
وبدء الخلق وما في التورية والانجيل والزبور وصحف ابرهيم
وموسى مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب
ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فمن موفق آمن بما سبق له
من خير ومن شقي معاند حاسد ومع هذا فلم يحك عن واحد
من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم

على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم وتقريعهم
بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له عليه السلام
وتعنيتهم اياه عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستودع
سيرهم واعلامه لهم بمكتوم شرايعهم ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم
عن الروح وذي القرنين واصحاب الكهف وعيسى وحكم الرجم وما
حرم اسرائيل على نفسه وما حرم عليهم من الانعام ومن طيبات
كانت احلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم وقوله ذلك مثلهم في التورية
ومثلهم في الانجيل وغير ذلك من امورهم التي نزل فيها القران فاجابهم
وعرفهم بما اوحي اليه من ذلك انه انكر ذلك او كذبه بل اكثرهم
صرح بصحة نبوته وصدق مقالته واعترف بعناده وحسده
اياه كاهل نجران وابن صوريا وابني اخطب وغيرهم ومن باهت
في ذلك بعض المباهتة وادعى ان فيما عندهم من ذلك لما حكاه
مخالفة دعي الى اقامة حجته وكشف عورته فقيل له فاتوا بالتورية
فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله الظالمون فقرع ووبخ ودعا
الى احضار ممكن غير ممتنع فمن معترف بما جحده ومتواقح يلقي
على فضيحته من كتابه يده ولم يؤثر ان واحدا منهم اظهر خلاف
قوله من كتبه ولا ابدى صحيحا ولا سقيما من صحفه قال الله يا اهل
الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من
الكتاب ويعفو عن كثير الايتين هذه الوجوه الاربعة من
اعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية ومن الوجوه البينة
في اعجازه من غير هذه الوجوه اي وردت بتعجيز قوم في قضايا

في قضايا واعلامهم انهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا
على ذلك كقوله لليهود قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله
خالصة الاية قال ابو اسحق الزجاج في هذه الاية اعظم حجة
واظهر دلالة على صحة الرسالة لانه قال لهم فتمنوا الموت
واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه واحد منهم وعن النبي
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم
الا غص بريقه يعني يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم
ليظهر صدق رسوله وصحة ما اوحي اليه اذ لم يتمنه احد منهم
وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا ولكن يفعل ما يريد فظهرت
بذلك معجزته وبانت حجته قال ابو محمد الاصيلي من اعجب امرهم
انه لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم امر الله بذلك نبيه
يقدم عليه ولا يجيب اليه وهذا موجود مشاهد لمن اراد ان
يمتحنه منهم وكذلك اية المباهلة من هذا المعنى حيث وفد
عليه اساقفة نجران وابوا الاسلام فانزل الله عليه اية المباهلة
بقوله فمن حاجك فيه الاية فامتنعوا منها ورضوا باداء الجزية
وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبي وانه ما لاعن
قوما نبي قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم ومثله قوله وان كنتم
في ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا
فاخبرهم انهم لا يفعلونه كما كان وهذه الاية تدخل في باب
الاخبار عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها
فصل ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه واسماعهم

والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وانافة خطره
وهي على المكذبين به اعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيد
هم نفورا كما قال الله تعالى ويودون انقطاعه لكراهيتهم له ولهذا
قال عليه السلام ان القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو
الحكم واما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته اياه مع تلاوته
توليه انجذابا وتكسبه هشاشة لميل قلبه اليه وتصديقه
به قال الله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم
تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقال عز وجل لو انزلنا
هذا القرآن على جبل الآية ويدل على ان هذا شيء خص به انه
يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روي عن
نصراني انه مر بقارئ فوقف يبكي فقيل له مم بكيت
قال للشجا والنظم وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل
الاسلام وبعده فمنهم من اسلم لها لاول وهلة وآمن
به ومنهم من كفر فحكي في الصحيح عن جبير بن مطعم قال
سمعت النبي صلعم يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه
الآية ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون الى قوله المسيطرون
كاد قلبي ان يطير وفي رواية وذلك اول ما وقر الاسلام في قلبي
وعن عتبة بن ربيعة انه كلم النبي صلعم فيما جاء به من خلاف
قومه فتلا عليهم حم فصلت الى قوله صاعقة مثل صاعقة
عاد وثمود فامسك عتبة بيده على في النبي صلى الله عليه
وناشده الرحم ان يكف وفي رواية فجعل النبي صلعم يقرأ

يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمدا عليهما
حتى انتهى الى السجدة فسجد النبي صلعم وقام عتبة
لا يدري بما يراجعه ورجع الى اهله ولم يخرج الى قومه حتى
اتوه فاعتذر لهم وقال والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت
اذناي بمثله قط فما دريت ما اقول له وقد حكي عن غير واحد
ممن رام معارضته انه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك
فحكي ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمر بصبي
يقرأ وقيل يا ارض ابلعي ماءك فرجع فمحا ما عمل وقال
اشهد ان هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر وكان
افصح اهل وقته وكان يحيى بن حكم الغزال بليغ الاندلس في زمانه
فحكي انه رام شيئا من هذا فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على
مثالها وينسج بزعمه على منوالها قال فاعترتني منه خشية ورقة
حملتني على التوبة والانابة فصل ومن وجوه اعجازه المعدودة
كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله تعالى بحفظه
فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال تعالى لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه وسائر معجزات الانبياء عليهم السلام
انقضت بانقضاء اوقاتها فلم يبق الا خبرها والقرآن العزيز الباهرة
آياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم مدة خمسمائة عام وخمس
وثلاثين سنة لاول نزوله الى وقتنا هذا حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة
والاعصار كلها طافحة باهل البيان وحملة علم اللسان وائمة البلاغة
وفرسان الكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير والمعادي

للشرع عتيد فما منهم من اتى بشيء يؤثر في معارضته ولا الف
كلمتين في مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف
في ذلك الا بزند شحيح بل المأثور عن كل من رام ذلك القاؤه
في العجز بيديه والنكوص على عقبيه فصل وقد عد جماعة من الائمة
ومقلدي الامة في اعجازه وجوها كثيرة منها ان قارئه لا يمله وسامعه
لا يمجه بل الاكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له
محبة لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن و
البلاغة مبلغه يمل مع الترديد ويعادى اذا اعيد وكتابنا يستلذ به
في الخلوات ويؤنس بتلاوته في الازمات وسواه من الكتب لا يوجد
فيها ذلك حتى احدث اصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون
بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها ولهذا وصف رسول الله
صلعم القرآن بانه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره
ولا تفنى عجائبه هو الفصل ليس بالهزل لا يشبع منه العلماء
ولا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة هو الذي لم تنته
الجن حين سمعته ان قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى
الرشد ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة
ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته خاصة بمعرفتها
ولا القيام بها ولا يحيط بها احد من علماء الامم ولا يشتمل
عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه
على طرق الحجج القطعيات والرد على فرق الامم ببراهين قوية
وادلة بينة سهلة الالفاظ موجزة المقاصد رام المتحذلقون

المتحذلقون بعد ان ينصبوا ادلة مثلها فلم يقدروا عليها كقوله
تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق
مثلهم وقل يحييها الذي انشأها اول مرة ولو كان فيهما
آلهة الا الله لفسدتا الى ما حواه من علوم السير وانباء الامم
والمواعظ والحكم واخبار الدار الآخرة ومحاسن الآداب والشيم
قال الله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء ونزلنا عليك الكتاب
تبيانا لكل شيء ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل
وقال صلعم ان الله انزل هذا القرآن آمرا وزاجرا وسنة خالية
ومثلا مضروبا فيه نبأكم وخبر ما كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم
ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا تنقضي عجائبه هو الحق ليس بالهزل
من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم
به اقسط ومن عمل به اجر ومن تمسك به هدي الى صراط مستقيم
ومن طلب الهدى من غيره اضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله
هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله
المتين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه
لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق
على كثرة الرد ونحوه عن ابن مسعود وقال فيه لا اختلاف ولا
يتشان فيه نبأ الاولين والآخرين وفي الحديث قال الله تعالى
لمحمد صلى الله عليه وسلم اني منزل عليك توراة حديثة تفتح بها
اعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلم وفهم
الحكمة وربيع القلوب وعن كعب عليكم بالقرآن فانه فهم

العقول ونور الحكمة وقال تعالى ان هذا القرآن يقص على
بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقال تعالى هذا بيان
للناس وهدى الاية فجمع فيه مع وجازة الالفاظ وجوامع كلمه
اضعاف ما في الكتب قبله التي الفاظها على الضعف منه مرات
ومنها جمعه فيه بين الدليل والمدلول وذلك انه احتج بنظم
القرآن وحسن وصفه وايجازه وبلاغته واثناء هذه
البلاغة امره ونهيه ووعده ووعيده فالتالي له يفهم
موضع الحجة والتكليف معاً من كلام واحد وسورة منفردة
ومنها ان جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد ولم يكن في حيز
المنثور لان المنظوم اسهل على النفوس واوعى للقلوب
واسمع في الاذان واحلى على الافهام فالناس اليه اميل و
الاهواء اليه اسرع ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه
وتقريبه على متحفظيه قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن
للذكر وسائر الامم لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف
الجم على مرور السنين عليهم والقرآن ميسر حفظه
للغلمان في اقرب مدة ومنها مشاكلة بعض اجزائه
بعضا وحسن ائتلاف انواعها والتئام اقسامها
وحسن التخلص من قصة الى اخرى والخروج من باب
الى غيره على اختلاف معانيها وانقسام السورة الواحدة
على امر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد واثبات
نبوة وتوحيد وترغيب وترهيب الى غير ذلك من

من فوائده دون خلل يتخلل فصوله والكلام الفصيح اذا اعتوره
مثل هذا ضعفت قوته ولانت جزالته وقل رونقه وتقلقلت
الفاظه فتامل اول ص وما جمع فيها من اخبار الكفار وشقاقهم
وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم
لمحمد صلعم وتعجبهم مما اتى به والخبر عن اجتماع ملائهم على الكفر
وما ظهر من الحسد في كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم
بخزي الدنيا والاخرة وتكذيب الامم قبلهم واهلاك الله لهم
ووعيد هؤلاء مثل مصابهم وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم
على اذاهم وتسليته بكل ما تقدم ذكره ثم اخذ في ذكر داود
وقصص الانبياء عليهم السلام كل هذا في اوجز كلام واحسن
نظام ومنه الجمل الكثيرة التي انطوت عليها الكلمات القليلة
وهذا كله وكثير مما ذكرنا انه ذكر في اعجاز القرآن الى وجوه
كثيرة ذكرها الائمة لم نذكرها اذ اكثرها داخل في باب بلاغته فلا يجب
ان يعد فنا منفردا في اعجازه الا في باب تفصيل فنون البلاغة
وكذلك كثير مما قد ذكرناه عنهم يعد في خواصه وفضائله لا
اعجازه وحقيقة الاعجاز الوجوه الاربعة التي ذكرنا فليعتمد
عليها وما بعدها من خواص القرآن وعجائبه التي لا تنقضي
وبالله سبحانه التوفيق وهو المستعان وهو الموفق للصواب
فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس قال الله تعالى اقتربت
الساعة وانشق القمر وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر
مستمر اخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي واعراض

الكفرة عن اياته واجمع المفسرون واهل السنة على وقوعه
اخبرنا الحسين بن محمد الحافظ من كتابه ثنا القاضي سراج بن
عبد الله ثنا الاصيلي ثنا المروزي ثنا الفربري ثنا البخاري
ثنا مسدد ثنا يحيى عن شعبة وسفيان عن الاعمش عن ابراهيم
عن ابي معمر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال انشق القمر على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل
وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا
وفي رواية مجاهد ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعض
طرق الاعمش ورواه ايضا عن ابن مسعود الاسود
وقال حتى رايت الجبل بين فرجتي القمر ورواه عنه مسروق
انه كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة
فقال رجل منهم ان محمدا ان كان سحر القمر فانه لا يبلغ
من سحره ان يسحر الارض كلها فاسالوا من ياتيكم من
بلد اخر هل راوا هذا فاتوا فسالوا فاخبروهم انهم راوا
مثل ذلك وحكى السمرقندي عن الضحاك نحوه وقال فقال
ابو جهل هذا سحر فابعثوا الى اهل الافاق حتى تنظروا اراوا
ذلك ام لا فاخبر اهل الافاق انهم راوه منشقا فقالوا
يعني الكفار هذا سحر مستمر ورواه ايضا عن ابن مسعود
علقمة فهؤلاء اربعة عن عبد الله وقد رواه غير ابن
مسعود كما رواه ابن مسعود منهم انس وابن عباس
وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم فقال علي

رضي الله عنه من رواية ابي حذيفة الارحبي انشق القمر ونحن
مع النبي صلعم وعن انس رضي الله عنه سال اهل مكة النبي
صلعم ان يريهم اية فاراهم انشقاق القمر فرقتين حتى راوا
حراء بينهما رواه عن انس قتادة رضي الله عنهما وفي رواية
معمر وغيره عن قتادة رضي الله عنه اراهم القمر مرتين
انشقاقه فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر ورواه عن
جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد ورواه عن
ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ورواه عن ابن عمر مجاهد
رضي الله عنهما ورواه عن حذيفة ابو عبد الرحمن السلمي ومسلم
بن ابي عمران الازدي واكثر طرق هذه الاحاديث صحيحة
والاية مصرحة ولا يلتفت الى اعتراض مخذول بانه لو كان
هذا لم يخف على اهل الارض اذ هو شيء ظاهر لجميعهم اذ لم ينقل
لنا عن اهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق
ولو نقل الينا عمن لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم على الكذب لما
كانت علينا به حجة اذ ليس القمر في حد واحد لجميع اهل
الارض فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على اخرين
وقد يكون من قوم بضد ما هو من مقابليهم من اقطار
الارض او يحول بين قوم وبينه سحاب او جبال ولهذا
نجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض وفي بعضها
جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها الا
المدعون لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم واية القمر

كانت ليلة والعادة من الناس بالليل الهدو والسكون
وايجاف الابواب وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من
امور السماء شيئا الا من رصد ذلك واهتبل به وكذلك
ما يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد واكثرهم
لا يعلم به حتى يخبر وكثيرا ما يحدث الثقات بعجايب
يشاهدونها من انوار ونجوم طوالع عظام تظهر
في الاحيان بالليل في السماء ولا علم عند احد منها
وخرج الطحاوي في مشكل الحديث عن اسماء بنت
عميس من طريقين ان النبي صلى الله عليه كان يوحى
اليه وراسه في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت
الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصليت
يا علي قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم
انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه
شرقها قالت اسماء فرايتها غربت ثم رايتها طلعت
بعد ما غربت ووقفت على الجبال والارض وذلك
بالصهباء في خيبر قال وهذان الحديثان ثابتان و
رواتهما ثقات وحكى الطحاوي ان احمد بن صالح كان
يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث
اسماء لانه من علامات النبوة وروى يونس ابن
بكير في زيادة المغازي روايته عن ابن اسحق لما اسري
برسول الله صلعم واخبر قومه بالرفقة والعلامة التي

في العير قالوا متى تجيء قال يوم الاربعا فلما كان ذلك اليوم
اشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجيء فدعا رسول
الله صلعم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس فصل
في نبع الماء من بين اصابعه وتكثيره ببركته اما الاحاديث
في هذا فكثيرة جدا روى حديث نبع الماء من اصابعه صلى الله عليه
وسلم جماعة من الصحابة منهم انس وجابر وابن مسعود ثنا
ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله بقراتي عليه ثنا
القاضي عيسى بن سهل ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو عمر
بن الفخار ثنا ابو عيسى ثنا يحيى ثنا مالك عن اسحق بن عبد الله
بن ابي طلحة عن انس بن مالك رايت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وحانت صلوة العصر فالتمس الناس الوضوء فاتي رسول
لم يجدوه صح
الله صلعم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك
الاناء يده وامر الناس ان يتوضوا منه قال فرايت الماء ينبع من بين
اصابعه فتوضا الناس حتى توضوا من عند اخرهم ورواه ايضا
عن انس قتادة وقال باناء فيه ماء يغمر اصابعه او لا يكاد يغمر
قال كم كنتم قال زهاء ثلاثمائة وفي رواية عنه وهم بالزوراء
عند السوق ورواه ايضا حميد وثابت والحسن عن انس وفي رواية
حميد قلت كم كانوا قال ثمانين ونحوه عن ثابت عنه وعنه ايضا
وهم نحو من سبعين رجلا واما ابن مسعود ففي الصحيح عنه من
رواية علقمة بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا
ماء فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من معه فضل

ماء فاتي بماء فصبه في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من
بين اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحيح عن سالم
ابن الجعد عن جابر عطش الناس يوم الحديبيه ورسول الله
صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضا منها واقبل
الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء الا ما في ركوتك فوضع النبي
صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين
اصابعه كامثال العيون وفيه فقلت كم كنتم قالوا لو كنا مائة
الف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وروي مثله عن انس عن
جابر وفيه انه كان بالحديبية وفي رواية الوليد بن عبادة
ابن الصامت عنه في حديث مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط
قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء
وذكر الحديث بطوله وانه لم يجد الا قطرة في عزلاء شجب
فاتي به النبي صلعم فغمزه وتكلم بشيء لا ادري ما هو وقال
ناد بجفنة الركب فاتيت بها فوضعتها بين يديه وذكر
ان النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة وفرق
اصابعه وصب جابر عليه وقال بسم الله قال فرايت الماء
يفور من بين اصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت حتى
امتلات وامر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا فقلت
هل بقي احد له حاجة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يده من الجفنة وهي ملاى وعن الشعبي اتي النبي صلى الله
عليه وسلم في بعض اسفاره باداوة ماء وقيل ما معنا

يا رسول الله ماء غيرها فسكبها في ركوة ووضع اصبعه وسطها
وغمسها في الماء وجعل الناس يجيئون ويتوضؤون ثم يقومون
قال الترمذي وفي الباب عن عمران بن حصين ومثل هذا في المواطن
الحفلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة الى المحدث به لانهم كانوا
اسرع شيء الى تكذيبه لما جبلت عليه النفوس من ذلك ولانهم
كانوا ممن لا يسكت عن باطل فهؤلاء قد رووا هذا واشاعوه
ونسبوا حضور الجماء الغفير له ولم ينكر احد من الناس عليهم
ما حدثوا به عنهم انهم فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم
له فصل ومما يشبه هذا من معجزاته تفجير الماء ببركته وانبعاثه
بمسه ودعوته صلى الله عليه وسلم مما روى مالك في الموطا عن
معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك وانهم وردوا العين وهي
تبض بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين بايديهم
حتى اجتمع في شيء ثم غسل رسول الله صلعم فيه وجهه ويديه
واعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس قال في حديث ابن
اسحق فانخرق من الماء ما له حس كحس الصواعق ثم قال يوشك
يا معاذ ان طالت بك حياة ان ترى ما ههنا قد ملئ جنانا
وفي حديث البراء وسلمة بن الاكوع وحديثه اتم في قصة
الحديبية وهم اربع عشرة مائة وبئرها لا تروي خمسين
شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم على جباها قال البراء واتي بدلو منها
فبصق فدعا وقال سلمة فاما دعا واما بصق فيها فجاشت

فأرووا أنفسهم وركابهم وفي غير هذه الروايتين في هذه
القصة من طريق ابن شهاب في الحديبية فأخرج سهما من
كنانته فوضع في قعر قليب ليس فيه ماء فروي الناس حتى
ضربوا بعطن وعن أبي قتادة وذكر أن الناس شكوا إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم العطش في بعض أسفاره فدعا بالميضأة
فجعلها في ضبنه ثم التقم فمها فالله أعلم نفث فيها أم لا
فشرب الناس حتى رووا وملؤوا كل إناء معهم فخيل إلي أنها
كما أخذها مني وكانوا اثنين وسبعين رجلا وروي مثله عن عمران
بن حصين وذكر الطبري حديث أبي قتادة على غير ما ذكره أهل
الصحيح وأن النبي صلى الله عليه وسلم خرج بهم ممدا لأهل
مؤتة عند ما بلغه قتل الأمراء وذكر حديثا طويلا فيه معجزات
وآيات للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه إعلامهم أنهم يفقدون
الماء في غد وذكر حديث الميضأة قال والقوم زهاء ثلاثمائة
وفي كتاب مسلم أنه قال لأبي قتادة احفظ علي ميضأتك
فإنه سيكون لها نبأ وذكر نحوه ومن ذلك حديث عمران
بن حصين حين أصاب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه
عطش في بعض أسفارهم فوجه رجلين من أصحابه
وأعلمهما أنهما يجدان امرأة بمكان كذا معها بعير عليه
مزادتان الحديث فوجداها وأتيا بها إلى النبي صلى الله عليه
وسلم فجعل في إناء من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله
أن يقول ثم أعاد الماء في المزادتين ثم فتحت عزاليهما وأمر الناس

الناس فملؤوا أسقيتهم حتى لم يدعوا شيئا إلا ملؤوه
قال عمران ويخيل إلي أنهما لم تزدادا إلا امتلاء ثم أمر فجمع
للمرأة من الأزواد حتى ملأ ثوبها وقال اذهبي فإنا لم نأخذ
من مائك شيئا ولكن الله سقانا الحديث بطوله وعن سلمة
ابن الأكوع قال نبي الله صلى الله عليه وسلم هل من وضوء فجاء
رجل بإداوة فيها نطفة فأفرغها في قدح فتوضأنا كلنا
ندغفقه دغفقة أربع عشرة مائة وفي حديث عمر في جيش
العسرة وذكر ما أصابهم من العطش حتى إن الرجل لينحر
بعيره فيعصر فرثه فيشربه فرغب أبو بكر إلى النبي صلى الله
عليه وسلم في الدعاء فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء
فانسكبت فملؤوا ما معهم من آنية ولم تجاوز العسكر وعن
عمرو بن شعيب أن أبا طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم
وهو رديفه بذي المجاز عطشت وليس عندي ماء فنزل
النبي صلى الله عليه وسلم وضرب بقدمه الأرض فخرج الماء
فقال اشرب والحديث في هذا الباب كثير ومنه الإجابة بدعاء
الاستسقاء وما جانسه فصل ومن معجزاته تكثير الطعام
ببركته ودعائه قال ثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله
ثنا العذري ثنا الرازي ثنا الجلودي ثنا ابن سفيان
ثنا مسلم بن الحجاج ثنا سلمة بن شبيب ثنا الحسن بن
أعين ثنا معقل عن أبي الزبير عن جابر أن رجلا أتى النبي
صلى الله عليه وسلم يستطعمه فأطعمه شطر وسق شعير

فما زال يأكل منه وامرأته وضيفه حتى كاله فأتى النبي صلى
الله عليه وسلم فأخبره فقال لو لم تكله لأكلتم منه ولقام
بكم ومن ذلك حديث أبي طلحة المشهور وإطعامه صلى الله
عليه وسلم ثمانين أو سبعين رجلا من أقراص من شعير
جاء بها أنس تحت يده أي إبطه فأمر بها ففتت وقال
فيها ما شاء الله أن يقول وحديث جابر في إطعامه صلى الله
عليه وسلم يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير وعناق
قال جابر فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا
لتغط كما هي وإن عجيننا ليخبز وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم بصق في العجين والبرمة وبارك رواه عن جابر سعيد
بن ميناء وأيمن وعن ثابت مثله عن رجل من الأنصار وامرأته
ولم يسمها قال رجيء بمثل الكف فجعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم يبسطها في الإناء ويقول ما شاء الله وأكل
منه من في البيت والحجرة والدار وكان ذلك قد امتلأ منه
ممن قدم معه صلى الله عليه وسلم لذلك وبقي بعدما شبعوا
مثل ما كان في الإناء وحديث أبي أيوب أنه صنع لرسول الله
صلعم ولأبي بكر من الطعام زهاء ما يكفيهما فقال له النبي
صلعم ادع ثلاثين من أشراف الأنصار فدعاهم فأكلوا حتى
تركوه ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين
فأكلوا حتى تركوا وما خرج أحد منهم حتى أسلم وبايع قال
أبو أيوب فأكل من طعامي مائة وثمانون رجلا وعن سمرة

البرمة القدر

سمرة بن جندب أتي النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها
من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد آخرون ومن ذلك حديث
عبد الرحمن بن أبي بكر كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة
وذكر في الحديث أنه عجن صاع من طعام وصنعت شاة فشوي سواد بطنها
قال وايم الله ما من الثلاثين ومائة إلا وقد حز له من سواد بطنها
ثم جعل منها قصعتين فأكلنا أجمعون وفضل في القصعتين فحملته
على البعير ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري عن
أبيه ومثله لسلمة بن الأكوع وأبي هريرة وعمر بن الخطاب فذكروا
مخمصة أصابت الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض
مغازيه فدعا ببقية الأزواد فجاء الرجل بالحثية من الطعام
وفوق ذلك وأعلاهم الذي أتى بالصاع من التمر فجمعه على نطع قال
سلمة فحزرته كربضة العنز ثم دعا الناس بأوعيتهم فما بقي
في الجيش وعاء إلا ملؤوه وبقي منه وعن أبي هريرة أمرني النبي
صلى الله عليه وسلم أن أدعو له أهل الصفة فتتبعتهم
حتى جمعتهم فوضعت بين أيدينا صحفة فأكلنا ما شئنا وفرغنا
وهي مثلها حين وضعت إلا أن فيها أثر الأصابع وعن علي بن
أبي طالب رضي الله عنه جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني
عبد المطلب وكانوا أربعين منهم قوم يأكلون الجذعة ويشربون
الفرق فصنع لهم مدا من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي
كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي كأنه لم يشرب
وقال أنس إن النبي صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بزينب

وامره ان يدعو له قوما سماهم وكل من لقيت حتى امتلا البيت
والحجرة وقدم اليهم تورا فيه قدر مد من تمر جعل حيسا فوضعه
قدامه وغمس ثلث اصابعه وجعل القوم يتغدون ويخرجون
وبقي التور نحوا مما كان وكان القوم احدا واثنين وسبعين
وفي رواية اخرى في هذه القصة او مثلها ان القوم كانوا
زهاء ثلثمائة وانهم اكلوا حتى شبعوا وقال لي ارفع فلا
ادري حين وضعت كانت اكثر ام حين رفعت وفي حديث جعفر
بن محمد عن ابيه عن علي ان فاطمة طبخت قدرا لغدائهما ووجهت
عليا الى النبي صلى الله عليه وسلم ليتغدى معهما فامرها فغرفت
منها لجميع نسائه صحفة صحفة ثم له عليه السلام ولعلي ثم
لها ثم رفعت القدر وانها لتفيض قالت فاكلنا منها ما شاء الله
وامر عمر بن الخطاب ان يزود اربع مائة راكب من احمس فقال
يا رسول الله ما هي الا اصوع قال اذهب فذهب فزودهم منه وكان
قدر الفصيل الرابض من التمر وبقي بحاله من رواية دكين
الاحمسي ومن رواية جرير ومثله من رواية النعمان بن مقرن
الخبر بعينه الا انه قال اربع مائة راكب من مزينة ومن
ذلك حديث جابر في دين ابيه بعد موته وقد كان بذل لغرماء
ابيه اصل ماله فلم يقبلوه ولم يكن في ثمرها سنين كفاف دينهم
فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان امره بجدها وجعلها
بيادر في اصولها فمشى فيها ودعا فاوفى منه جابر غرماء ابيه
وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة وفي رواية مثل ما اعطاهم

اعطاهم قال وكان الغرماء يهود فعجبوا من ذلك وقال ابو هريرة
اصاب الناس مخمصة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من
شيء قلت نعم شيء من التمر في المزود قال فاتني به فادخل يده
فاخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة فدعا
ثم فاكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى اطعم الجيش كلهم
وشبعوا قال خذ ما جئت به وادخل يدك فيه واقبض
منه ولا تكبه فقبضت على اكثر ما جئت به فاكلت منه
واطعمت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر
الى ان قتل عثمان فانتهب مني وفي رواية فقد حملت من ذلك
التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله وذكرت مثل هذه
الحكاية في غزوة تبوك وان التمر كان بضع عشرة تمرة ومنه
ايضا حديث ابي هريرة حين اصابه الجوع فاستتبعه النبي
صلى الله عليه وسلم فوجد لبنا في قدح قد اهدي اليه وامره
ان يدعو اهل الصفة قال فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت
احق ان اصيب منه شربة اتقوى بها فدعوتهم وذكر
امر النبي صلى الله عليه وسلم له ان يسقيهم فجعلت اعطي
الرجل فيشرب حتى يروى ثم ياخذه الاخر حتى روي جميعهم
قال فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت انا
وانت اقعد فاشرب فشربت ثم قال اشرب وما زال يقولها
واشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق ما اجد له مسلكا
فاخذ القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة وفي حديث

خالد بن عبد العزى انه اجزر النبي صلى الله عليه وسلم شاة
وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا تبد عياله عظما عظما
وان النبي صلى الله عليه وسلم اكل من هذه الشاة وجعل
فضلتها في دلو خالد ودعا له بالبركة فنثرها لعياله
فاكلوا وافضلوا ذكر خبره الدولابي ومن حديث الاجرى
في انكاح النبي صلى الله عليه وسلم لعلي فاطمة ان النبي صلى
الله عليه وسلم امر بلالا بقصعة من اربعة امداد او خمسة
ويذبح جزورا لوليمتها قال فاتيته بذلك فطعن في راسها
ثم ادخل الناس رفقة رفقة ياكلون منها حتى فرغوا وبقيت
منها فضلة فبرك فيها وامر بحملها الى ازواجه وقال كلن
واطعمن من غشيكن وفي حديث انس تزوج النبي صلعم فصنعت
امي ام سليم حيسا فجعلته في تور فذهبت به الى رسول الله
صلعم فقال ضعه وادع لي فلانا وفلانا ومن لقيت فدعوتهم
ولم ادع احدا لقيته الا دعوته وذكر انهم كانوا زهاء ثلاث
مائة حتى ملؤوا الصفة والحجرة فقال لهم النبي صلعم تحلقوا عشرة
عشرة ووضع النبي صلعم يده على الطعام فدعا فيه وقال ما شاء
الله ان يقول فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لي ارفع فما ادري حين
وضعت كانت اكثر ام حين رفعت واكثر احاديث هذه الفصول
الثلثة في الصحيح وقد اجتمع على معنى حديث هذا الفصل بضعة
عشر من الصحابة رواه عنهم اضعافهم من التابعين ثم من لا يعد
بعدهم واكثرها في قصص مشهورة ومجامع مشهودة لا يمكن التحدث

التحدث عنها الا بالحق ولا يسكت الحاضر لها على ما انكر منها فصل
في كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة واجابتها دعوته
حدثنا احمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما اجازنيه
عن ابي عمر الطلمنكي عن ابي بكر بن المهندس عن ابي القاسم البغوي
ثنا احمد بن عمران الاخنسي ثنا ابو حيان التيمي وكان صدوقا
عن مجاهد عن ابن عمر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم في سفر فدنا منه اعرابي فقال يا اعرابي اين تريد قال
الى اهلي قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد ان لا اله الا
الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال
من يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهي
بشاطئ الوادي فاقبلت فادعها فانها تجيبك قال فدعوتها
فاقبلت تخد الارض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا
فشهدت انه كما قال ثم رجعت الى مكانها وعن بريدة سال اعرابي
النبي صلى الله عليه وسلم فقال قل لتلك الشجرة رسول الله
يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها و
خلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها
مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
السلام عليك يا رسول الله قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها
فرجعت فدلت عروقها في ذلك فاستوت فقال الاعرابي ائذن
لي اسجد لك قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان
تسجد لزوجها قال فائذن لي اقبل يديك ورجليك فاذن له

وفي الصحيح في حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به
فاذا بشجرتين بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلعم
الى احديهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي علي باذن
الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده وذكر
انه فعل بالاخرى مثل ذلك حتى اذا كان بالمنصف بينهما قال
التئما علي باذن الله فالتئما وفي رواية اخرى فقال يا جابر قل
لهذه الشجرة يقول لك رسول الله صلعم الحقي بصاحبتك
حتى اجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس
خلفهما فخرجت احضر وجلست احدث نفسي فالتفت فاذا
رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا والشجرتان قد افترقتا
فقامت كل واحدة منهما على ساق فوقف رسول الله صلعم
وقفة فقال برأسه هكذا يمينا وشمالا وروى اسامة بن
زيد نحوه قال قال لي رسول الله صلعم في بعض مغازيه هل تعني
مكانا لحاجة رسول الله صلعم فقلت ان الوادي ما فيه موضع
للناس فقال هل ترى من نخل او حجارة قلت ارى نخلات متقاربة
قال انطلق وقل لهن ان رسول الله صلعم يامركن ان تاتين لمخرج
رسول الله صلعم وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن فوالذي
بعثه بالحق لقد رايت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة
يتعاقدن حتى صرن ركاما خلفهن فلما قضى حاجته قال لي
قل لهن يفترقن فوالذي نفسي بيده لرايتهن والحجارة

والحجارة يتفرقن حتى عدن الى مواضعهن وقال يعلى بن سيابة
كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير وذكر نحوا من
هذين الحديثين وذكر فامر ودتين فانضما وفي رواية اشاءتين
وعن غيلان بن سلمة الثقفي مثله في شجرتين وعن ابن مسعود
عن النبي صلعم مثله في غزاة حنين وعن يعلى بن مرة وهو
ابن سيابة ايضا وذكر اشياء راها من رسول الله صلعم
فذكر ان طلحة او سمرة جاءت فاطافت به ثم رجعت الى
منبتها فقال رسول الله صلعم انها استاذنت ان تسلم علي
وفي حديث عبد الله بن مسعود آذنت النبي صلعم بالجن ليلة
استمعوا له شجرة وعن مجاهد عن ابن مسعود في هذا الحديث
ان الجن قالوا من يشهد لك قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة
فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل الحديث الاول او نحوه
قال القاضي ابو الفضل فهذا ابن عمر وبريدة وجابر وابن
مسعود ويعلى بن مرة واسامة ابن زيد وانس بن مالك
وعلي بن ابي طالب وابن عباس وغيرهم قد اتفقوا على هذه
القصة نفسها او معناها ورواها عنهم من التابعين
اضعافهم فصارت في انتشارها في القوة حيث هي وذكر ابن
فورك انه صلى الله عليه وسلم سار في غزوة الطائف ليلا
وهو وسن فاعترضته سدرة فانفرجت له نصفين حتى جاز
بينهما وبقيت على ساقين الى وقتنا وهي هناك معروفة معظمة
ومن ذلك حديث انس ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم

ورآه حزينا اتحب ان اريك اية قال نعم فنظر صلى الله عليه
وسلم الى شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فجاءت
تمشي حتى قامت بين يديه قال مرها فلترجع فعادت الى مكانها
وعن علي نحو هذا ولم يذكر فيها جبرائيل قال اللهم ارني اية
لا ابالي من كذبني بعدها فدعا شجرة وذكر مثله وحزنه
صلعم لتكذيب قومه وطلبه الاية لهم لا له وذكر ابن اسحق
ان النبي صلى الله عليه وسلم ارى ركانة مثل هذه الاية في شجرة
دعاها فاتت حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت وعن
الحسن انه عليه السلام شكى الى ربه من قومه وانهم يخوفونه
وساله اية يعلم بها الا مخافة عليه فاوحى اليه ان ائت
وادي كذا فيه شجرة فادع غصنا منها ياتك ففعل فجاء
يخط الارض خطا حتى انتصب بين يديه فحبسه ما
شاء الله ثم قال له ارجع كما جئت فرجع فقال يا رب علمت
ان لا مخافة علي ونحو منه عن عمر وقال فيه ارني اية
لا ابالي من كذبني بعدها وذكر نحوه وعن ابن عباس انه صلعم
قال لاعرابي ارايت ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة
اتشهد اني رسول الله قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى
اتاه فقال ارجع فعاد الى مكانه وخرجه الترمذي وقال
هذا حديث صحيح فصل في قصة حنين الجذع ويعضده
الاخبار حديث انين الجذع وهو في نفسه مشهور منتشر والخبر
به متواتر خرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر

عشر منهم ابي بن كعب وجابر بن عبد الله بن عباس وسهل بن سعد
وابو سعيد الخدري وبريدة وام سلمة والمطلب بن ابي وداعة
كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث قال الترمذي وحديث انس
صحيح قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل
فكان النبي صلعم اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر
سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وفي رواية انس حتى
ارتج المسجد بخواره وفي رواية سهل وكثر بكاء الناس لما راوا به
وفي رواية المطلب حتى تصدع وانشق حتى جاء النبي صلى الله
عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت زاد غيره فقال النبي صلعم
ان هذا بكاء لما فقد من الذكر وزاد غيره والذي نفسي بيده لو لم
التزمه لم يزل هكذا الى يوم القيمة تحزنا على رسول الله صلعم
فامر به رسول الله صلعم فدفن تحت المنبر كذا في حديث المطلب
وسهل بن سعد واسحق عن انس وفي بعض الروايات عن سهل
فدفن تحت منبره او جعلت في السقف وفي حديث ابي فكان
اذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلى اليه فلما هدم المسجد
اخذه ابي فكان عنده الى ان اكلته الارض وعاد رفاتا وذكر
الاسفرائني ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاه الى نفسه فجاءه
يخرق الارض فالتزمه ثم امره فعاد الى مكانه وفي حديث بريدة
فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم ان شئت اردك الى الحائط
الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص
وثمرة وان شئت اغرسك في الجنة فياكل اولياء الله من ثمرك

ثم اصغى له النبي صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال
بل تغرسني في الجنة ليأكل مني أولياء الله وأكون في مكان
لا أبلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم
قد فعلت ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء فكان
الحسن اذا حدث بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليه لمكانه فأنتم
احق ان تشتاقوا الى لقائه رواه عن جابر حفص بن عبيد الله
ويقال عبيد الله بن حفص وأيمن وابو نضرة وابن
المسيب وسعيد بن ابي كرب وكريب وابو صالح ورواه عن
انس بن مالك الحسن وثابت واسحق بن ابي طلحة ورواه عن
ابن عمر نافع وابو حية ورواه ابو نضرة وابو الوداك عن ابي
سعيد وعمار بن ابي عمار عن ابن عباس وابو حازم وعباس
بن سهل وكثير بن زيد عن المطلب وعبد الله بن بريدة عن
ابيه والطفيل بن ابي بن كعب عن ابيه قال القاضي ابو الفضل رحمه الله
عليه فهذا الحديث كما تراه خرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة
من ذكرنا وغيرهم من التابعين ضعفهم الى من لم نذكره وبمن
دون هذا العدد يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب والله المثبت
على الصواب فصل ومثل هذا في سائر الجمادات حدثنا القاضي
ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي ثنا القاضي ابو عبد الله
محمد بن المرابط ثنا المهلب ابو القاسم ثنا ابو الحسن القابسي
ثنا المروزي ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا محمد بن المثنى ثنا ابو

ابو احمد الزبيري قال ثنا اسرائيل عن منصور عن ابراهيم عن
علقمة عن عبد الله قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو
يؤكل وفي غير هذه الرواية عن ابن مسعود كنا نأكل مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه وقال
انس اخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا من حصى فسبحن في
يد رسول الله صلى الله عليه حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن
في يد ابي بكر فسبحن ثم في ايدينا فما سبحن وروى مثله ابو
ذر وذكر انهن سبحن في كف عمر وعثمان وقال علي كنا بمكة
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج الى بعض نواحيها
فما استقبله شجر ولا جبل الا قال له السلام عليك يا رسول
وعن جابر بن سمرة عنه عليه السلام اني لأعرف حجرا كان
بمكة كان يسلم علي قيل انه الحجر الاسود وعن عائشة لما استقبلني
جبريل بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا بشجر الا قال السلام
عليك يا رسول الله وعن جابر بن عبد الله لم يكن صلى الله
عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر الا سجد له وفي حديث العباس
اذ اشتمل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه بملاءة
ودعا لهم بالستر من النار كستره اياهم بملاءته فأمنت
اسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين وعن جعفر بن محمد
عن ابيه مرض النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه جبريل بطبق
فيه رمان وعنب فأكل منه صلى الله عليه وسلم فسبح وعن
انس صعد النبي صلعم وابو بكر وعمر وعثمان احدا فرجف

بهم فقال اثبت احد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان ومثله
عن ابي هريرة في حراء وزاد معه وعلي وطلحة والزبير وقال
فانما عليك نبي او صديق او شهيد والخبر في حراء ايضا عن
عثمان قال ومعه عشرة من اصحابه انا فيهم وزاد عبد الرحمن
وسعدا قال ونسيت الاثنين وفي حديث سعيد بن زيد ايضا
مثله وذكر عشرة وزاد نفسه وقد روي انه حين طلبته
قريش قال له ثبير اهبط يا رسول الله فاني اخاف ان يقتلوك
على ظهري فيعذبني الله فقال حراء الي يا رسول الله وروى ابن
عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على المنبر وما قدروا الله حق
قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه انا الجبار انا الجبار انا الكبير المتعال
فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن عنه وعن ابن عباس كان حول البيت
ستون وثلثمائة صنم مثبتة الارجل بالرصاص في الحجارة فلما دخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب
في يده اليها ولا يمسها بيده ويقول جاء الحق وزهق الباطل
الآية فما اشار الى وجه صنم الا وقع لقفاه ولا لقفاه الا وقع لوجهه
حتى ما بقي منها صنم ومثله في حديث ابن مسعود وقال فجعل يطعنها
ويقول جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ومن ذلك حديث
مع الراهب في ابتداء امره اذ خرج تاجرا مع عمه وكان الراهب لا يخرج
الى احد فخرج وجعل يتخللهم حتى اخذ بيد رسول الله صلعم فقال
هذا سيد العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له اشياخ قريش
ما علمك فقال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا له ولا يسجدان

الا لنبي وذكر القصة ثم قال وا قبل صلى الله عليه وسلم وعليه
غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم سبقوه الى فيء الشجرة
فلما جلس مال الفيء اليه فصل في الآيات في ضروب الحيوانات حدثنا
سراج بن عبد الملك ابو الحسين الحافظ ثنا ابي ثنا القاضي يونس
ثنا ابو الفضل الصقلي ثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده
قالا ثنا ابو العلاء احمد بن عمران ثنا محمد بن فضيل ثنا يونس بن عمرو
ثنا مجاهد عن عائشة قالت كان عندنا داجن فاذا كان عندنا
رسول الله قر وثبت مكانه فلم يجئ ولم يذهب فاذا خرج رسول
الله صلعم جاء وذهب وروي عن عمر ان رسول الله صلعم كان
في محفل من اصحابه اذ جاء اعرابي قد صاد ضبا فقال من هذا قالوا
نبي الله فقال واللات والعزى لا آمنت بك او يؤمن هذا الضب وطرحه
بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلعم يا ضب فأجابه
بلسان مبين يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك يا زين من
وافى القيامة قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه
وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال فمن انا قال
رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك وخاب من
كذبك فأسلم الاعرابي ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة عن
ابي سعيد الخدري بينا راع يرعى غنما له اذ عرض الذئب لشاة منها
فأخذها الراعي منه فأقعى الذئب وقال للراعي الا تتقي الله حلت بيني
وبين رزقي قال الراعي العجب من ذئب يتكلم بكلام الانس فقال
الذئب الا اخبرك بأعجب من ذلك رسول الله بين الحرتين يحدث

الناس بانبائهما قد سبق فاتى الراعي النبي صلى الله عليه وسلم
فاخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم قم فحدثهم ثم قال صدق
والحديث فيه قصة وفي بعضه طول وروى حديث الذئب عن
ابي هريرة وفي بعض الطرق عن ابي هريرة فقال الذئب انت اعجب
واقفا على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله نبيا قط اعظم منه
عنده قدرا قد فتحت له ابواب الجنة واشرف اهلها على اصحابه
ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير في جنود
الله قال الراعي من لي بغنمي قال الذئب انا ارعاها حتى ترجع فاسلم
الرجل اليه غنمه ومضى وذكر قصته واسلامه ووجوده النبي
صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب
شاة منها وعن اهبان بن اوس وانه كان صاحب القصة و
المحدث بها ومكلم الذئب وعن سلمة بن عمرو بن الاكوع وانه كان
صاحب القصة ايضا وسبب اسلامه بمثل حديث ابي سعيد
وقد روى ابن وهب مثل هذا انه جرى لابي سفيان بن حرب وصفوان
بن امية مع ذئب وجداه اخذ ظبيا فدخل الظبي الحرم فانصرف
الذئب فعجبا من ذلك فقال الذئب اعجب من ذلك محمد بن عبد الله
بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار فقال ابو سفيان
واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة ليتركنها خلوفا وقد روي
مثل هذا الخبر انه جرى لابي جهل واصحابه وعن عباس بن مرداس
لما تعجب من كلام ضمار صنمه وانشاده الشعر الذي ذكر فيه النبي

صلى الله عليه وسلم فاذا طائر سقط فقال يا عباس اتعجب من
كلام ضمار ولا تعجب من نفسك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدعو الى الاسلام وانت جالس فكان سبب اسلامه وعن جابر
بن عبد الله ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به وهو
على بعض حصون خيبر وكان في غنم يرعاها فقال يا رسول الله كيف
بالغنم قال احصب وجوهها فان الله سيؤدي عنك امانتك و
يردها الى اهلها ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت الى اهلها
وعن انس دخل النبي صلعم حائطا انصاريا وابو بكر وعمر ورجل من
الانصار وفي الحائط غنم فسجدت له فقال ابو بكر نحن احق بالسجود
لك منها الحديث وعن ابي هريرة دخل النبي صلعم حائطا فجاء بعير فسجد
له وذكر مثله ومثله في الجمل عن ثعلبة بن مالك وجابر بن عبد الله
ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر قال وكان لا يدخل احد الحائط
الا شد عليه الجمل فلما دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم دعاه
فوضع مشفره في الارض وبرك بين يديه فخطمه وقال ما بين
السماء والارض شيء الا يعلم اني رسول الله الا عاصي الجن والانس
ومثله عن عبد الله بن ابي اوفى وفي خبر آخر في حديث الجمل ان النبي
صلى الله عليه وسلم سألهم عن شأنه فاخبروه انهم ارادوا ذبحه
وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم انه شكا كثرة
العمل وقلة العلف وفي رواية انه شكا الي انكم اردتم ذبحه
بعدما استعملتموه في شاق العمل من صغره فقالوا نعم وقد روي
في قصة العضباء وكلامها النبي صلى الله عليه وسلم وتعريفها

له بنفسها ومبادرة العشب اليها في الرعي وتجنب الوحوش عنها
ونداءهم لها انك لمحمد وانها لم تاكل ولم تشرب بعد موته حتى
ماتت ذكره الاسفرائني وروى ابن وهب ان حمام مكة اظلت النبي
صلعم يوم فتحها فدعا لها بالبركة وروي عن انس وزيد بن ارقم
والمغيرة بن شعبة ان النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الغار امر الله
شجرة فنبتت تجاه النبي صلعم فسترته وامر حمامتين فوقفتا
بفم الغار وفي حديث آخر وان العنكبوت نسجت على بابه فلما اتى
الطالبون له ورأوا ذلك قالوا لو كان فيه احد لم تكن الحمامتان
ببابه والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله
بن قرط قرب الى النبي صلعم بدنات خمس او ست او سبع لينحرها
يوم عيد فازدلفن اليه بايتهن يبدأ وعن ام سلمة كان
النبي صلعم في صحراء فنادته ظبية يا رسول الله قال ما حاجتك
قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فاطلقني
حتى اذهب فارضعهما وارجع قال وتفعلين قالت نعم فاطلقها
فذهبت ورجعت فاوثقها فانتبه الاعرابي وقال يا رسول الله
الك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو في الصحراء
وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ومن هذا الباب
ما روي من تسخير الاسد لسفينة مولى رسول الله اذ وجهه
الى معاذ باليمن فلقي الاسد فعرفه انه مولى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر
في منصرفه مثل ذلك وفي رواية اخرى عنه ان سفينة تكسرت به

به فخرج الى جزيرة فاذا الاسد فقلت انا مولى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فجعل يغمزني بمنكبه حتى اقامني على الطريق واخذ عليه السلام
باذن شاة لقوم من عبد القيس بين اصبعيه ثم خلاها فصار لها
ميسما وبقي ذلك الاثر فيها وفي نسلها بعد وما روي عن ابراهيم
بن حماد بسنده من كلام الحمار الذي اصابه بخيبر وقال له اسمي
يزيد بن شهاب فسماه النبي صلعم يعفورا وانه كان يوجهه الى
دور اصحابه فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم وان
النبي صلعم لما مات تردى في بئر جزعا وحزنا فمات وحديث الناقة
التي شهدت عند النبي صلعم لصاحبها انه ما سرقها وانها ملكه
وفي العنز التي اتت رسول الله صلعم في عسكره وقد اصابهم
عطش ونزلوا على غير ماء وهم زهاء ثلاثمائة فحلبها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاروى الجند ثم قال لرافع املكها وما اراك
تربطها فوجدها قد انطلقت رواه ابن قانع وغيره وفيه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي جاء بها هو الذي ذهب بها
وقال لفرسه عليه السلام وقد قام الى الصلاة في بعض اسفاره
لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعله قبلته فما
حرك عضوا حتى صلى صلى الله عليه وسلم ويلحق بهذا ما رواه
الواقدي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وجه رسله الى الملوك فخرج
ستة نفر منهم في يوم واحد فاصبح كل رجل يتكلم بلسان القوم
الذي بعثه اليهم والحديث في هذا الباب كثير وقد جئنا بالمشهور
من ذلك وما وقع منه في كتب الائمة فصل في احياء الموتى وكلامهم

وكلام الصبيان والمراضيع وشهادتهم له بالنبوة حدثنا ابو الوليد
هشام بن احمد الفقيه بقراتي عليه والقاضي ابو الوليد محمد
بن رشد والقاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي وغير واحد
سماعا واذنا قالوا ثنا ابو علي الحافظ ثنا ابو عمر الحافظ ثنا
ابو زيد عبد الرحمن بن يحيى ثنا احمد بن سعيد ثنا ابن الاعرابي
ثنا ابو داود ثنا وهب بن بقية عن خالد هو الطحان عن
محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة ان يهودية اهدت
للنبي صلى الله عليه وسلم شاة مصلية سمتها فاكل
رسول الله صلعم منها واكل القوم فقال ارفعوا ايديكم فانها
اخبرتني انها مسمومة فمات بشر بن البراء وقال لليهودية
ما حملك على ما صنعت قالت ان كنت نبيا لم يضرك الذي
صنعت وان كنت ملكا ارحت الناس منك قال فامر بها فقتلت
وقد روى هذا الحديث انس وفيه قالت اردت قتلك فقال
ما كان الله ليسلطك على ذلك فقالوا نقتلها قال لا وكذلك
روي عن ابي هريرة من رواية غير وهب قال فما عرض لها ورواه
ايضا جابر بن عبد الله وفيه اخبرتني به هذه الذراع قال ولم
يعاقبها وفي رواية الحسن ان فخذها تكلمني انها مسمومة وفي رواية
ابي سلمة بن عبد الرحمن قالت اني مسمومة وكذلك ذكر الخبر ابن
اسحق وقال فيه فتجاوز عنها وفي الحديث الآخر عن انس انه
قال فما زلت اعرفها في لهوات رسول الله صلعم وفي حديث ابي هريرة
ان رسول الله صلعم قال في وجعه الذي مات منه ما زالت اكلة خيبر تعادني

فالآن قطعت ابهري وحكى ابن اسحق ان كان المسلمون ليرون
ان رسول الله صلعم مات شهيدا مع ما اكرمه الله به من
النبوة وقال ابن سحنون اجمع اهل الحديث ان رسول الله صلعم قتل
اليهودية التي سمته وقد ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك عن
ابي هريرة وانس وجابر وفي رواية ابن عباس انه دفعها الى اولياء
بشر بن البراء فقتلوها وكذلك قد اختلف في قتله الذي سحره
قال الواقدي وعفوه عنه اثبت عندنا وروى الحديث البزار عن
ابي سعيد فذكر مثله الا انه قال في آخره فبسط يده وقال كلوا
بسم الله فاكلنا وذكرنا اسم الله فلم يضر منا احدا قال القاضي ابو الفضل
وقد خرج حديث الشاة المسمومة اهل الصحيح وخرجه الائمة وهو
حديث مشهور واختلف ائمة اهل النظر في هذا الباب فمن قائل يقول هو
كلام يخلقه الله تعالى في الشاة الميتة او الحجر او الشجر وحروف واصوات
يحدثها فيها ويسمعها منها دون تغيير اشكالها ونقلها عن
هيئتها وهو مذهب الشيخ ابي الحسن والقاضي ابي بكر رحمهما الله
وآخرون ذهبوا الى ايجاد الحياة بها اولا ثم الكلام بعده وحكي هذا
ايضا عن شيخنا ابي الحسن وكل محتمل والله اعلم اذ لم يجعل الحياة
شرطا لوجود الحروف والاصوات اذ لا يستحيل وجودها مع عدم
الحياة بمجردها فاما اذا كانت عبارة عن الكلام النفسي فلا بد
من شرط الحياة لها اذ لا يوجد كلام النفس الا من حي خلافا للجبائية
من بين سائر متكلمي الفرق في احالة وجود الكلام اللفظي والحروف
والاصوات الا من حي مركب على تركيب من يصح منه النطق بالحروف

والاصوات والتزم ذلك في الحصا والجذع والذراع وقال ان
الله خلق فيها حياة وخرق لها فما ولسانا وآلة امكنها بها من
الكلام وهذا لو كان لكان نقله والتهمم به آكد من التهمم بنقل
تسبيحه او حنينه ولم ينقل احد من اهل السير والرواية
شيئا من ذلك فدل على سقوط دعواه مع انه لا ضرورة اليه
في النظر والموفق الله وروى وكيع رفعه عن فهد بن عطية
ان النبي صلعم اتي بصبي قد شب لم يتكلم قط فقال رسول الله صلعم
من انا فقال رسول الله وروي عن معرض بن معيقيب رايت من
النبي صلعم عجبا جيء بصبي يوم ولد فذكر مثله وهو حديث مبارك
اليمامة ويعرف بحديث شاصونة اسم راويه وفيه فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بعدها
حتى شب فكان يسمى مبارك اليمامة وكانت هذه القصة بمكة
في حجة الوداع وعن الحسن اتى رجل النبي صلعم فذكر له انه طرح
بنية له في وادي كذا فانطلق معه الى الوادي وناداها باسمها
يا فلانة اجيبي باذن الله فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك
فقال لها ان ابويك قد اسلما فان احببت ان اردك عليهما قالت
لا حاجة لي فيهما وجدت الله خيرا لي منهما وعن انس ان شابا
من الانصار توفي وله ام عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها
فقالت مات ابني قلنا نعم قالت اللهم ان كنت تعلم اني هاجرت
اليك والى نبيك رجاء ان تعينني على كل شدة فلا تحمل علي
هذه المصيبة فما برحنا ان كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا

وطعمنا وروي عن عبد الله بن عبيد الله الانصاري كنت فيمن دفن
ثابت بن قيس بن شماس وكان قتل باليمامة فسمعناه حين ادخلناه
القبر يقول محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الشهيد وعثمان
البر الرحيم فنظرنا فاذا هو ميت وذكر عن النعمان بن بشير ان
زيد بن خارجة خر ميتا في بعض ازقة المدينة فرفع وسجي
اذ سمعوه بين العشائين والنساء يصرخن حوله يقول انصتوا
انصتوا فحسر عن وجهه فقال محمد رسول الله النبي الامي وخاتم
النبيين كان ذلك في الكتاب الاول ثم قال صدق صدق وذكر ابا بكر
وعمر وعثمان ثم قال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله
وبركاته ثم عاد ميتا كما كان في ابراء المرضى وذوي العاهات
اخبرنا ابو الحسن علي بن مشرف فيما اجازنيه وقرانه على غيره
قال ثنا ابو اسحق الحبال قال ثنا ابو محمد النحاس ثنا ابن الورد
عن البرقي عن ابن هشام عن زياد البكائي عن محمد بن اسحق ثنا
ابن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم بقصة احد
بطولها قال وقالوا قال سعد بن ابي وقاص ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليناولني السهم لا نصل له فيقول ارم به وقد رمى رسول
الله صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قوسه حتى اندقت واصيبت
يومئذ عين قتادة يعني ابن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت احسن عينيه وروى قصة
قتادة عاصم بن عمر بن قتادة بن عمر بن قتادة ويزيد
ورواها ابو سعيد الخدري عن قتادة في يوم ذي قرد قال القاضي

علي ولا فاح وروى النسائي عن عثمان بن حنيف ان اعمى قال يا رسول
الله ادع الله ان يكشف لي عن بصري قال فانطلق فتوضأ ثم صل
ركعتين ثم قل اللهم اني اسالك واتوجه اليك بنبي محمد نبي الرحمة
يا محمد اني اتوجه بك الى ربك ان يكشف عن بصري اللهم شفعه
في قال فرجع وقد كشف الله عن بصره وروي ان ابن ملاعب
الاسنة اصابه استسقاء فبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم
فاخذ بيده حثوة من الارض فتفل عليها ثم اعطاها رسوله
فاخذها متعجبا يرى ان قد هزئ به فاتاه بها وهو على شفا فشربها
فشفاه الله وذكر العقيلي عن حبيب بن فديك ويقال فويك
ان اباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيئا فنفث رسول الله
صلى الله عليه وسلم في عينيه فابصر فرايته يدخل الخيط
في الابرة وهو ابن ثمانين ورمي كلثوم بن الحصين يوم احد
في نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فبرا وتفل على
شجة عبد الله بن انيس فلم تمد وتفل في عيني علي يوم خيبر
وكان رمدا فاصبح بارئا ونفث على ضربة بساق سلمة بن
الاكوع يوم خيبر فبرات وفي رجل زيد بن معاذ حين اصابها
السيف الى الكعب حين قتل ابن الاشرف فبرات وعلى ساق
علي بن الحكم يوم الخندق اذ انكسرت فبرا مكانه وما نزل عن
فرسه واشتكى علي بن ابي طالب فجعل يدعو فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم اشفه او عافه ثم ضربه برجله فما اشتكى ذلك الوجع
بعد وقطع ابو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفراء فجاء يحمل يده

بيده فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم والصقها فلصقت
رواه ابن وهب ومن روايته ان خبيب بن اساف اصيب يوم
بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى مال
شقه فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث عليه حتى صح واتته
امراة من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم فاتي بماء فمضمض
فاه وغسل يديه ثم اعطاها اياه وامرها بسقيه ومسه به
فبرا الغلام وعقل عقلا يفضل عقول الناس وعن ابن عباس جاءت
امراة بابن لها به جنون فمسح صدره فثع ثعة فخرج من جوفه
مثل الجرو الاسود فشفي وانكفات القدر على ذراع محمد بن حاطب
وهو طفل فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبرا لحينه وكانت في كف
شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان
الدابة فشكاها للنبي صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه
حتى رفعها ولم يبق لها اثر وسالته جارية طعاما وهو ياكل
فناولها من بين يديه وكانت قليلة الحياء فقالت انما اريد من
الذي في فيك فناولها ما في فيه ولم يكن يسال شيئا فيمنعه فلما
استقر في جوفها القي عليها من الحياء ما لم تكن امراة بالمدينة
اشد حياء منها فصل في اجابة دعائه وهذا باب واسع جدا واجابة
دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر على
الجملة معلوم ضرورة وقد جاء في حديث حذيفة كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا لرجل ادركت الدعوة ولده
وولده وولد ولده حدثنا ابو محمد العتابي بقراءتي عليه ثنا ابو القسم

حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن القابسي ثنا ابو زيد المروزي ثنا
محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبد الله بن ابي الاسود ثنا
حرمي اخبرنا شعبة عن قتادة عن انس قال قالت امي يا رسول الله
خادمك انس ادع الله له قال اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيما
اتيته ومن رواية عكرمة قال انس فوالله ان مالي لكثير وان ولدي وولد
ولدي ليتعادون اليوم على نحو المائة وفي رواية وما اعلم احدا اصاب من
رخاء العيش ما اصبت ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي
لا اقول سقطا ولا ولد ولد ومنه دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف بالبركة
قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا لرجوت ان اصيب تحته ذهبا وفتح الله
عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤوس حتى مجلت فيه الايدي
واخذت كل زوجة ثمانين الفا وكن اربعا وقيل مائة الف وقيل بل
صولحت احداهن لانه طلقها في مرضه على نيف وثمانين الفا واوصى
بخمسين الفا بعد صدقاته الفاشية في حياته وعوارفه العظيمة
اعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة بعير
وردت عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها وباقتابها
واحلاسها ودعا لمعاوية بالتمكين في البلاد فنال الخلافة ولسعد
بن ابي وقاص ان يجيب الله دعوته فما دعا على احد الا استجيب له
ودعا بعز الاسلام بعمر او بابي جهل فاستجيب له في عمر قال ابن مسعود
ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر واصاب الناس في بعض مغازيه عطش
فسال عمر الدعاء فدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم ثم
اقلعت ودعا في الاستسقاء فسقوا ثم شكوا اليه المطر فدعا

فدعا لهم فصحوا وقال لابي قتادة افلح وجهك اللهم بارك له في شعره
وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة وكانه ابن خمس عشرة وقال
للنابغة لا يفضض الله فاك فما سقطت له سن وفي رواية فكان
احسن الناس ثغرا اذا سقطت له سن نبتت له اخرى وعاش عشرين
ومائة وقيل اكثر من هذا ودعا لابن عباس اللهم فقهه في الدين
وعلمه التاويل فسمي بعد الحبر وترجمان القرآن ودعا لعبد الله
بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى شيئا الا ربح
فيه ودعا للمقداد بالبركة فكانت عنده غرائر من المال ودعا
بمثله لعروة بن ابي الجعد فقال فلقد كنت اقوم بالكناسة فما
ارجع حتى اربح اربعين الفا وقال البخاري في حديثه فكان
لو اشترى التراب ربح فيه وروي مثل هذا لغرقدة ايضا وندت
له ناقة فدعا فجاءه بها اعصار ريح حتى ردها عليه ودعا لام
ابي هريرة فاسلمت ودعا لعلي ان يكفى الحر والقر فكان يلبس في الشتاء
ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه حر ولا برد
ودعا لفاطمة ابنته الا يجيعها الله قالت فما جعت بعد وسأله
الطفيل بن عمرو اية لقومه فقال اللهم نور له فسطع نور بين عينيه
فقال يا رب اخاف ان يقولوا مثلة فتحول الى طرف سوطه فكان يضيء
في الليلة المظلمة فسمي ذا النور ودعا على مضر فاقحطوا حتى استعطفته
قريش فدعا لهم فسقوا ودعا على كسرى حين مزق كتابه ان يمزق
ملكه فلم يبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة في اقطار الدنيا
ودعا على صبي قطع عليه الصلاة ان يقطع الله اثره فاقعد وقال

لرجل راه ياكل بشماله كل بيمينك فقال لا استطيع فقال لا
استطعت فلم يرفعها الى فيه وقال لعتبة بن ابى لهب اللهم
سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد وقال لامراة اكلك
الاسد فاكلها وحديثه المشهور من رواية عبد الله بن
مسعود في دعائه على قريش حين وضعوا السلا على رقبته وهو
ساجد مع الفرث والدم وسماهم قال فلقد رايتهم قتلوا
يوم بدر ودعا على الحكم بن ابى العاص وكان يختلج بوجهه
ويغمز عند النبي صلعم اى لا فراه فقال كذلك كن فلم يزل
يختلج الى ان مات ودعا على محلم بن جثامة فمات لسبع
فلفظته الارض ثم ووري فلفظته مرات فالقوه بين
صدين ورضموا عليه بالحجارة والصد جانب الوادي وجحد
رجل بيع فرس وهى التى شهد فيها خزيمة للنبي صلى الله عليه
وسلم فرد الفرس بعد النبي صلى الله عليه وسلم على الرجل
وقال اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له فيها فاصبحت شاصية
برجلها اى رافعة وهذا الباب اكثر من ان يحاط فصل فى كراماته
وبركاته وانقلاب الاعيان له فيما لمسه او باشره اخبرنا احمد
بن محمد ثنا ابو ذر الهروي اجازة ثنا القاضي ابو علي سماعا والفقيه
ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما قالوا ثنا ابو الوليد القاضي
ثنا ابو ذر ثنا ابو محمد وابو اسحق وابو الهيثم ثنا الفربري ثنا البخاري
ثنا يزيد بن زريع ثنا سعيد عن قتادة عن انس بن مالك
ان اهل المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله صلعم فرسا لابي

اى رافعة

طلحة كان يقطف او به قطاف وقال غيره بطيئا فلما رجع قال
وجدنا فرسكم بحرا فكان بعد لا يجارى ونخس جمل جابر وكان
قد اعيى فنشط حتى كان ما يملك زمامه وصنع مثل ذلك بفرس
لجعيل الاشجعي خفقها بمخفقة معه وبرك عليها فلم يملك راسها نشاطا
وباع من بطنها باثني عشر الفا وركب حمارا قطوفا لسعد بن عبادة
فرده هملاجا لا يساير وكانت شعرات من شعره فى قلنسوة
خالد بن الوليد فلم يشهد بها قتالا الا رزق النصر وفى الصحيح
عن اسماء بنت ابى بكر انها اخرجت جبة طيالسة وقالت كان رسول
الله صلعم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى فنستشفي بها وحدثنا
القاضي ابو علي عن شيخه ابي القسم بن المامون قال كانت عندنا
قصعة من قصاع النبي صلعم فكنا نجعل فيها الماء للمرضى فيستشفون
بها واخذ جهجاه الغفاري القضيب من يد عثمان ليكسره على ركبته
فصاح الناس به فاخذته الاكلة فيها فقطعها ومات قبل الحول
وسكب من فضل وضوئه فى بئر قباء فما نزفت بعد وبزق فى بئر
كانت فى دار انس فلم يكن بالمدينة اعذب منها ومر على ماء فسال
عنه فقيل له اسمه بيسان وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه
طيب فطاب واتي بدلو من ماء زمزم فمج فيه فصار اطيب من المسك
واعطى الحسن والحسين لسانه فمصاه وكانا يبكيان عطشا
فسكتا وكان لام مالك عكة تهدي فيها للنبي صلعم فامرها النبي
صلعم ان لا تعصرها ثم دفعها اليها فاذا هي مملوءة سمنا فياتيها
بنوها يسالونها الادم وليس عندهم شيء فتعمد اليها فتجد فيها سمنا

فكانت تقيم ادمها حتى عصرتها وكان يتفل فى افواه الصبيان المراضيع
فيجزيهم ريقه الى الليل ومن ذلك بركة يده فيما لمسه وغرسه
لسلمان حين كاتبه مواليه على ثلاث مائة ودية يغرسها لهم كلها
تعلق وتطعم وعلى اربعين اوقية من ذهب فقام عليه السلام
وغرسها له بيده الا واحدة غرسها غيره فاخذت كلها الا
تلك الواحدة فقلعها النبي صلعم وردها فاخذت وفى كتاب
البزار فاطعم النخل من عامه الا الواحدة فقلعها رسول الله
صلعم وغرسها فاطعمت من عامها واعطاه مثل بيضة الدجاجة
من ذهب بعد ان ادارها على لسانه فوزن منها لمواليه اربعين
اوقية وبقي عنده مثل ما اعطاهم وفى حديث حنش بن
عقيل سقاني رسول الله صلعم شربة من سويق شرب اولها
وشربت اخرها فما برحت اجد شبعها اذا جعت وريها اذا
عطشت وبردها اذا ظمئت واعطى قتادة بن النعمان وصلى معه
العشاء فى ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق به فانه
سيضيء لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فاذا
دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان
فانطلق فاضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد
فضربه حتى خرج ودفع لعكاشة جذل حطب وقال اضرب
به حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد فى يده سيفا صارما
طويل القامة ابيض شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد
به المواقف الى ان استشهد فى قتال اهل الردة وكان هذا

السيف يسمى العون ودفعه لعبد الرحمن بن جحش يوم
احد وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع فى يده سيفا ومنه بركته
فى درور الشياه الحوائل باللبن الكثير كقصة شاة ام معبد واعنز
معاوية بن ثور وشاة انس وغنم حليمة مرضعته وشارف
وشاة عبد الله بن مسعود وكانت لم ينز عليها فحل وشاة المقداد
ومن ذلك تزويده اصحابه سقاء ماء بعد ان اوكاه ودعا فيه
فلما حضرتهم الصلاة نزلوا فحلوه فاذا فيه لبن طيب وزبدة
فى فمه من رواية حماد بن سلمة ومسح على راسه عمير بن سعد
وبرك فمات وهو ابن ثمانين فما شاب وروي مثل هذه القصص عن
غير واحد منهم السائب بن يزيد ومدلوك وكان يوجد لعتبة بن
فرقد طيب يغلب على طيب نسائه لان رسول الله صلعم مسح بيديه
على بطنه وظهره وسلت الدم عن وجه عائذ بن عمرو وكان جرح
يوم حنين ودعا له فكانت له غرة كغرة الفرس ومسح على راس
قيس بن زيد الجذامي ودعا له فهلك ابن مائة سنة وراسه
ابيض وموضع كف النبي صلعم وما مرت يده عليه من شعره
اسود فكان يدعى الاغر وروي مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة
الجهني ومسح وجه اخر فما زال على وجهه نور ومسح وجه قتادة
بن ملحان فكان لوجهه بريق حتى كان ينظر فى وجهه كما ينظر فى المراة
ووضع يده على راس حنظلة بن حذيم وبرك عليه فكان حنظلة يؤتى
بالرجل قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها فيوضع على موضع
كف النبي صلعم فيذهب الورم ونضح فى وجه زينب بنت ام سلمة

نضحة من ماء فما يعرف كان في وجه امراة من الجمال ما بها ومسح
على رأس صبي به عاهة فبرا واستوى بشعره وعلى عنق واحد
من الصبيان الموصى والمجانين فبرؤا واتاه رجل بجادرة فامره
ان ينضحها بماء من غير ان يخرج منها ففعل فبرا وعن طاوس لم يؤت
النبي صلعم باحد به مس فصك في صدره الا ذهب المس الجنون
ومج في دلو من بئر ثم صب فيها ففاح منها ريح المسك واخذ قبضة
من تراب يوم حنين ورمى بها في وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه
فانصرفوا يمسحون القذا عن اعينهم وشكا اليه ابو هريرة النسيان
فامره بسط ثوبه وغرف بيديه فيه ثم امره بضمه ففعل فما نسي
شيئا بعد وما يروى عنه في هذا كثير وضرب بصدر جرير بن عبد الله
ودعا له وكان ذكر له انه لا يثبت على الخيل فصار من افرس العرب
واثبتهم ومسح رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو صغير وكان
دميما ودعا له بالبركة ففرع الرجال طولا وتماما ومن ذلك ما اطلع
عليه من الغيوب وما يكون والاحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره
ولا ينزف غمره وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع
الواصل خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع
على الغيب حدثنا الامام ابو بكر محمد بن الوليد الفهري اجازة وقراءة
على غيره قال ابو بكر ثنا ابو علي التستري ثنا ابو عمر الهاشمي
اللؤلؤي ثنا ابو داود ثنا عثمان بن ابي شيبة ثنا جرير عن الاعمش
عن ابي وائل عن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم مقاما فما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة

الساعة الا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه
اصحابي هؤلاء وانه ليكون منه الشيء فاعرفه فاذكره كما يذكر الرجل
وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا راه عرفه ثم قال ما ادري
انسي اصحابي ام تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قائد فتنة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاث مائة فصاعدا
الا قد سماه لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته وقال ابو ذر لقد تركنا رسول
الله صلعم وما يحرك طائر جناحيه في السماء الا ذكر لنا منه علما وقد
خرج اهل الصحيح والائمة ما اعلم به اصحابه صلعم مما وعدهم به من الظهور
على اعدائه وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق وظهور
الامن حتى تظعن المراة من الحيرة الى مكة لا تخاف الا الله وان
المدينة ستغزى وبفتح خيبر على يدي علي في غد يومه وما يفتح الله
على امته من الدنيا ويؤتون من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى
وقيصر وما يحدث بينهم من الاختلاف والفتن والاهواء وسلوكهم
سبيل من قبلهم وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها
واحدة وانها ستكون لهم انماط ويغدو احدهم في حلة ويروح في
اخرى وتوضع بين يديه صحفة وترفع اخرى ويسترون بيوتهم
كما تستر الكعبة ثم قال اخر الحديث وانتم اليوم خير منكم يومئذ
وانهم اذا مشوا المطيطا وخدمتهم بنات فارس والروم رد
الله باسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم وقتالهم الترك
والخزر والروم وذهاب كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس
بعده وذهاب قيصر حتى لا قيصر بعده وذكر ان الروم ذات قرون

الى اخر الدهر وبذهاب الامثل فالامثل من الناس وتقارب الزمان
وقبض العلم وظهور الفتن والهرج وقال ويل للعرب من شر
قد اقترب وان زويت له الارض فارى مشارقها ومغاربها
وسيبلغ ملك امته ما زوي له فلذلك كان امتدت في المشارق
ما بين ارض الهند اقصى المشرق الى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه
وذلك ما لم تملكه امة من الامم ولم يمتد في الجنوب ولا في الشمال
مثل ذلك وقوله لا يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم
الساعة ذهب ابن المديني الى انهم العرب لانهم المختصون بالسقي
بالغرب وهي الدلو وغيره يذهب الى انهم اهل المغرب وقد ورد المغرب
كذا في الحديث بمعناه وفي حديث اخر من رواية ابي امامة لا تزال
طائفة من امتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى ياتيهم
امر الله وهم كذلك قيل يا رسول الله واين هم قال ببيت المقدس
وانبا بملك بني امية وولاية معاوية ووصاه واتخاذ بني
امية مال الله دولا وخروج ولد العباس بالرايات السود وملكهم
اضعاف ما ملكوا وخروج المهدي وما ينال اهل بيته وتقتيلهم
وتشريدهم وقتل علي وان اشقاها الذي يخضب هذه من هذه
اي لحيته من راسه وانه قسيم النار يدخل اولياؤه الجنة واعداؤه
النار فكان فيمن عاداه الخوارج والناصبة وطائفة ممن ينسب اليه
من الروافض كفروه وقال يقتل عثمان وهو يقرا المصحف وان
الله عسى ان يلبسه قميصا وانهم يريدون خلعه وانه سيقطر
دمه على قوله فسيكفيكهم الله وان الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا

حيا وبمجيء اربعة الفتن بعد الهلي وبنباح كلاب الحوأب على بعض ازواجه
وانه يقتل حولها قتلى كثير وتنجو بعد ما كادت فنبحت على عائشة عند
خروجها الى البصرة وان عمارا تقتله الفئة الباغية فقتله اصحاب
معاوية وقال لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك وويل لك من الناس
وقال في قزمان وقد ابلى مع المسلمين انه من اهل النار فقتل نفسه
وقال في جماعة فيهم ابو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة اخركم
موتا في النار فكان بعضهم يسال عن بعض فكان سمرة اخرهم
موتا هرم وخرف فاصطلى بالنار فاحترق فيها وقال في حنظلة
الغسيل سلوا زوجته عنه فاني رايت الملائكة تغسله فسالوها
فقالت انه خرج جنبا واعجله الحال عن الغسل قال ابو سعيد ووجدنا
راسه يقطر ماء وقال الخلافة في قريش ولن يزال هذا الامر فيهم
ما اقاموا الدين وقال يكون في ثقيف كذاب ومبير فراوهما الحجاج
والمختار وان مسيلمة يعقره الله وان فاطمة اول اهله لحوقا
به وانذر بالردة وان الخلافة بعده ثلاثون ثم ملكا فكانت
كذلك بمدة الحسن بن علي وقال ان هذا الامر بدا نبوة ورحمة
ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون عتوا
وجبروتا وفسادا في الامة واخبر بشان اويس القرني
وبامراء يؤخرون الصلاة عن وقتها وسيكون في امتي ثلاثون
كذابا فيهم اربع نسوة وفي حديث اخر ثلاثون دجالا كذابا اخرهم
الدجال الكذاب كلهم يكذب على الله ورسوله وقال يوشك
ان يكثر فيكم العجم ياكلون فيئكم ويضربون رقابكم ولا يفرون

الساعة حتى يسوق الناس بعصاه رجل من قحطان وقال
خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتي بعد
ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون
وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن وقال لا يأتي
زمان إلا والذي بعده شر منه وقال هلاك أمتي على يدي أغيلمة
من قريش قال أبو هريرة راويه لو شئت سميتهم لكم بنو فلان
وبنو فلان وأخبر بظهور القدرية والرافضة وسب آخر هذه
الأمة أولها وقلة الأنصار حتى يكونوا كالملح في الطعام فلم يزل أمرهم
يتبدد حتى لم يبق لهم جماعة وأنهم سيلقون بعده أثرة
وأخبر بشأن الخوارج وصفتهم والمخدج الذي فيهم وأن
سيماهم التحليق ويرى رعاء الغنم رؤس الناس والعراة الحفاة
يتبارون في البنيان وأن تلد الأمة ربتها وأن قريشا والأحزاب
لا يغزونه أبدا وأنه هو يغزوهم وأخبر بالموتان الذي يكون بعد
فتح بيت المقدس وما وعد من سكنى البصرة وأنهم يغزون
في البحر كالملوك على الأسرة وأن الدين لو كان منوطا بالثريا لناله
رجال من أبناء فارس وهاجت ريح في غزاة فقال هاجت لموت
منافق فلما رجعوا إلى المدينة وجدوا ذلك وقال لقوم من جلسائه
ضرس أحدكم في النار أعظم من أحد قال أبو هريرة فذهب القوم
يعني ماتوا وبقيت أنا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة وأعلم بالذي
غل خرزا من خرز يهود فوجدت في رحله وبالذي غل الشملة حيث
هي وناقته حيث هي وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها وبشأن

وبشأن كتاب حاطب إلى أهل مكة وبقضية عمير مع صفوان حين
ساره وشارطه على قتل النبي صلى الله عليه وسلم فلما جاء عمير النبي
صلعم قاصدا لقتله وأطلعه رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الأمر والسر أسلم وأخبر بالمال الذي تركه عمه عباس عند أم الفضل
بعد أن كتمه فقال ما علمه غيري وغيرها فأسلم وأعلم بأنه سيقتل
أبي بن خلف وفي عتبة بن أبي لهب أنه يأكله كلب الله وعن مصارع
أهل بدر فكان كما قال وقال في الحسن إن ابني هذا سيد وسيصلح
الله به بين فئتين ولسعد لعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام
ويستضر بك آخرون وأخبر بقتل أهل مؤتة يوم قتلوا وبينه و
وبينهم مسيرة شهر أو أزيد وبموت النجاشي يوم مات وهو
بأرضه وأخبر فيروز إذ ورد عليه رسولا من كسرى بموت
كسرى ذلك اليوم فلما حقق فيروز القصة أسلم وأخبر أبا ذر
بتطريده كما كان ووجده في المسجد نائما فقال له كيف بك
إذا أخرجت منه الحديث وبعيشته وحده وموته وحده
وأخبر أن أسرع أزواجه به لحوقا أطولهن يدا فكانت زينب
لطول يدها بالصدقة وأخبر بقتل الحسين بالطف
وأخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه وقال في زيد بن
صوحان يسبقه عضو منه إلى الجنة فقطعت يده في الجهاد
وقال في الذين كانوا معه على حراء اثبت فإنما عليك نبي وصديق
وشهيد فقتل علي وعمر وعثمان وطلحة والزبير وطعن سعد
وقال لسراقة كيف بك إذا ألبست سواري كسرى

فلما أتي بهما ألبسهما إياه وقال الحمد لله الذي سلبهما
كسرى وألبسهما سراقة وقال تبنى مدينة بين دجلة ودجيل
وقطربل والصراة تجبى إليها خزائن الأرض يخسف بها يعني
بغداد وقال سيكون في هذه الأمة رجل يقال له الوليد هو
شر لهذه الأمة من فرعون لقومه وقال لا تقوم الساعة
حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة وقال لعمر في سهيل
بن عمرو عسى أن يقوم مقاما يسرك يا عمر فكان كذلك قام
بمكة مقام أبي بكر يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم
وخطب بنحو خطبته وثبتهم وقوى بصائرهم وقال لخالد حين
وجهه لأكيدر إنك تجده يصيد البقر فوجدت هذه الأمور
كلها في حياته وبعد موته كما قال عليه السلام إلى ما أخبر
جلساءه من أسرارهم وبواطنهم واطلع عليه من أسرار
المنافقين وكفرهم وقولهم فيه وفي المؤمنين حتى إن كان
بعضهم ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من
يخبره لأخبرته حجارة البطحاء وإعلامه بصفة السحر
الذي سحره به لبيد بن الأعصم وكونه في مشط ومشاقة
في جف طلع نخلة ذكر وأنه ألقي في بئر ذروان فكان كما قال
ووجد على تلك الصفة وإعلامه قريشا بأكل الأرضة ما
في صحيفتهم التي تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا بها
رحمهم وأنها أبقت فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال
ووصفه لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه وخبره الآخر

الإسراء ونعته إياه نعت من عرفه وإعلامهم بعيرهم التي مر عليها
في طريقه وإنذارهم بوقت وصولها فكان كله كما قال إلى ما أخبر به
من الحوادث التي تكون ولم تأت بعد ومنها ما ظهرت مقدماتها كقوله
عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج
الملحمة فتح القسطنطينية ومن أشراط الساعة وآيات
حلولها وذكر الحشر والنشر وأخبار الأبرار والفجار والجنة
والنار وعرصات القيامة وبحسب هذا الفصل أن يكون
ديوانا مفردا يشتمل على أجزاء وحده وفيما أشرنا إليه
من نكت الأحاديث التي ذكرناها كفاية وأكثرها في الصحيح
وعند الأئمة في عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته
من آذاه قال الله تعالى والله يعصمك من الناس وقال واصبر
لحكم ربك فإنك بأعيننا وقال أليس الله بكاف عبده قيل
بكاف محمدا أعداءه المشركين وقيل غير هذا وقال إنا كفيناك
المستهزئين وقال وإذ يمكر بك الذين كفروا الآية أخبرنا القاضي
الشهيد أبو علي الصدفي وأبو طالب والفقيه الحافظ أبو بكر
محمد بن عبد الله المعافري قالا ثنا أبو الحسين الصيرفي قال ثنا
أبو يعلى البغدادي ثنا أبو علي السنجي ثنا أبو العباس المروزي
ثنا أبو عيسى الحافظ ثنا عبد بن حميد ثنا مسلم بن إبراهيم ثنا
الحارث بن عبيد عن سعيد الجريري عن عبد الله بن
عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت
هذه الآية والله يعصمك من الناس فأخرج رسول الله صلعم

وانسه من الفته فقال لهم يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمني
ربي عز وجل وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل
منزلا اختار له اصحابه شجرة يقيل تحتها فاتاه اعرابي فاخترط
سيفه قال من يمنعك مني فقال الله فرعدت يد الاعرابي
وسقط سيفه وضرب براسه الشجرة حتى سال دماغه فنزلت
الاية وقد رويت هذه القصة في الصحيح وان غورث بن الحارث
صاحب هذه القصة وان النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه
فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وقد حكيت
مثل هذه الحكاية انها جرت له يوم بدر وقد انفرد من
اصحابه لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله
وقد روي انه وقع مثلها في غزوة غطفان بذي امر مع رجل
اسمه دعثور بن الحارث وان الرجل اسلم فلما رجع الى قومه
الذين اغروه وكان سيدهم واشجعهم قالوا له اين ما كنت
تقول وقد امكنك فقال اني نظرت الى رجل ابيض طويل دفع
صدري فوقعت لظهري وسقط السيف فعرفت انه ملك
واسلمت قيل وفيه نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله
عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الاية وفي رواية
الخطابي ان غورث بن الحرث المحاربي اراد ان يفتك بالنبي صلعم
فلم يشعر به الا وهو قائم على راسه منتضيا سيفه فقال اللهم
اكفنيه بما شئت فانكب لوجهه من زلخة زلخها بين كتفيه
وندر سيفه من يده والزلخة وجع الظهر وقيل في قصته غير

غيرهما وذكر ان فيه نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله
عليكم اذ هم قوم الاية وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم
يخاف قريشا فلما نزلت هذه الاية استلقى ثم قال من شاء
فليخذلني وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب تضع
العضاه وهي جمر على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانما
يطؤها كثيبا اهيل وذكر ابن اسحق عنها انها لما بلغها نزول
تبت يدا ابي لهب وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها من الذم اتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه ابو بكر
وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما لم تر الا ابا بكر واخذ
الله ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم فقالت يا ابا بكر اين صاحبك
فقد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه
وعن الحكم بن ابي العاص تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم حتى
اذا رايناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا انه بقي بتهامة احد
فوقعنا مغشيا علينا فما افقنا حتى قضى صلاته ورجع الى اهله
ثم تواعدنا ليلة اخرى فجئنا حتى اذا رايناه جاءت الصفا والمروة
فحالت بيننا وبينه وعن عمر تواعدت انا وابو جهم بن حذيفة ليلة
قتل رسول الله صلعم فجئنا منزله فسمعنا له فافتتح وقرا الحاقة
ما الحاقة الى فهل ترى لهم من باقية فضرب ابو جهم على عضد
عمر وقال انج وفرا هاربين فكانت من مقدمات اسلام عمر ومنه
العبرة المشهورة والكفاية التامة عندما اخافته قريش
واجمعت على قتله وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام على رؤوسهم

وقد ضرب الله على ابصارهم وذر التراب على رؤوسهم
وخلص منهم وحمايته عن رؤيتهم في الغار بما هيا
الله له من الايات ومن العنكبوت التي نسجت عليه حتى قال
امية بن خلف حين قالوا ندخل الغار ما اربكم فيه وعليه
من نسج العنكبوت ما ارى انه قبل ان يولد محمد ووقفت
حمامتان على فم الغار فقالت قريش لو كان فيه احد
لما كانت هناك الحمام وقصته مع سراقة بن مالك بن جعشم
حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفي ابي بكر الجعائل فانذر
به فركب فرسه واتبعه حتى اذا قرب منه دعا عليه النبي صلعم
فساخت قوائم فرسه فخر عنها واستقسم بالازلام فخرج له
ما يكره ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم
وهو لا يلتفت وابو بكر يلتفت وقال للنبي صلى الله عليه وسلم
اتينا فقال لا تحزن ان الله معنا فساخت ثانيا الى ركبتيها
وخر عنها فزجرها فنهضت ولقوائمها مثل الدخان
فناداهم بالامان فكتب له النبي صلى الله عليه وسلم امانا
كتبه ابن فهيرة وقيل ابو بكر واخبرهم بالاخبار وامره
النبي صلعم ان لا يترك احدا يلحق بهم فانصرف يقول للناس
كفيتم ما ههنا وقيل بل قال لهما اراكما دعوتما علي فادعوا لي
فنجا ووقع في نفسه ظهور النبي صلعم وفي خبر اخر ان راعيا
عرف خبرهما فخرج يشتد يعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب
على قلبه فما يدري ما يصنع وانسي ما خرج له حتى رجع الى

الى موضعه وجاءه فيما ذكر ابن اسحق وغيره ابو جهل بصخرة
وهو ساجد وقريش ينظرون ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست
يداه الى عنقه واقبل يرجع القهقرى الى خلفه ثم ساله ان يدعو له
ففعل فانطلقت يداه وكان قد تواعد مع قريش بذلك وحلف
لئن رآه ليدمغنه فسالوه عن شانه فذكر انه عرض لي دونه فحل
ما رايت مثله قط هم بي ان ياكلني فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ذاك جبريل لو دنا لاخذه وذكر السمرقندي ان رجلا من بني المغيرة
اتى النبي صلعم ليقتله فطمس الله على بصره فلم ير النبي صلى الله
عليه وسلم وسمع قوله فرجع الى اصحابه فلم يرهم حتى نادوه وذكر ان
في هاتين القصتين نزلت انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الايتين
ومن ذلك ما ذكره ابن اسحق في قصته اذ خرج الى بني قريظة
في اصحابه فجلس الى جدار بعض اطامهم فانبعث عمرو بن جحاش
احدهم ليطرح عليه رحى فقام النبي صلى الله عليه وسلم فانصرف
الى المدينة واعلمهم بقصتهم وقد قيل ان قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم في هذه القصة نزلت وحكى
السمرقندي انه خرج الى بني النضير يستعين في عقل الكلابيين
اللذين قتلهما عمرو بن امية فقال له حيي بن اخطب اجلس
يا ابا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سالتنا فجلس النبي صلعم
مع ابي بكر وعمر وتوامر حيي معهم على قتله فاعلم جبريل النبي صلعم
بذلك فقام كانه يريد حاجته حتى دخل المدينة وذكر اهل التفسير معنى
الحديث عن ابي هريرة ان ابا جهل وعد قريشا لئن راى محمدا صلعم

يصلي ليطأ رقبته فلما صلى النبي صلعم اعلموه فاقبل فلما قرب منه
ولى هاربا ناكصا على عقبيه متقيا بيديه فسئل فقال لما دنوت
منه اشرفت على خندق مملو نارا كدت اهوي فيه وابصرت هولا
عظيما وخفق اجنحة قد ملأت الارض فقال النبي عليه السلام تلك
الملائكة لو دنا لاختطفته عضوا عضوا ثم انزل على النبي صلعم كلا ان
الانسان ليطغى الى اخر السورة ويروى ان شيبة بن عثمان الحجبي ادركه
يوم حنين وكان حمزة قد قتل اباه وعمه فقال اليوم ادرك ثاري
من محمد فلما اختلط الناس اتاه من خلفه ورفع سيفه ليصبه عليه قال
فلما دنوت منه ارتفع الي شواظ من نار اسرع من البرق فوليت
هاربا واحس بي النبي صلعم فدعاني فوضع يده على صدري وهو
ابغض الخلق الي فما رفعها الا وهو احب الخلق الي وقال لي ادن
فقاتل فتقدمت امامه اضرب بسيفي واقيه بنفسي ولو لقيت
ابي تلك الساعة لاوقعت به دونه وعن فضالة ابن عمير اردت قتل
النبي صلعم عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال
افضالة قلت نعم قال ما كنت تحدث به نفسك قلت لا شيء فضحك
واستغفر لي ووضع يده على صدري فسكن قلبي فوالله ما رفعها
حتى ما خلق الله شيئا احب الي منه ومن مشهور ذلك خبر عامر
بن الطفيل واربد بن قيس حين وفدا على النبي صلعم وكان عامر
قال له انا اشغل عنك وجه محمد فاضربه انت فلم يره فعل
شيئا فلما كلمه في ذلك قال له والله ما هممت ان اضربه الا وجدتك
بيني وبينه افاضربك ومن عصمته تعالى له ان كثيرا من اليهود

اليهود والكهنة انذروا به وعينوه لقريش واخبروهم بسطوته
بهم وحضوهم على قتله فعصمه الله تعالى حتى بلغ فيه امره ومن ذلك
نصره بالرعب امامه مسيرة شهر كما قال عليه السلام فصل
ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله له من المعارف والعلوم وخصه
به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ومعرفته من امور
شرايعه وقوانين دينه وسياسة عباده ومصالح امته وما كان
في الامم قبله وقصص الانبياء والرسل والجبابرة والقرون الماضية
من لدن ادم الى زمنه وحفظ شرايعهم وكتبهم ووعي سيرهم
وسرد انبائهم وايام الله فيهم وصفات اعيانهم واختلاف
ارائهم والمعرفة بمددهم واعمارهم وحكم حكمائهم ومحاجة كل امة من
الكفرة ومعارضة كل فرقة من الكتابيين بما في كتبهم واعلامهم
باسرارها ومخبآت علومها واخبارهم بما كتموه من ذلك وغيروه الى
الاحتواء على لغات العرب وغريب الفاظ فرقها والاحاطة بضروب
فصاحتها والحفظ لايامها وامثالها وحكمها ومعاني اشعارها
والتخصيص بجوامع كلمها الى المعرفة بضرب الامثال الصحيحة والحكم
البينة لتقريب التفهيم للغامض والتبيين للمشكل الى تمهيد قواعد الشرع
الذي لا تناقض فيه ولا تخاذل مع اشتمال شريعته على محاسن الاخلاق
ومحامد الاداب وكل شيء مستحسن مفضل لم ينكر منه ملحد ذو عقل
سليم شيئا الا من جهة الخذلان بل كل جاحد له وكافر من الجاهلية به
اذا سمع ما يدعو اليه صوبه واستحسنه دون طلب اقامة برهان
عليه ثم ما احل لهم من الطيبات وحرم عليهم من الخبائث وصان به انفسهم

واعراضهم واموالهم من المعاقبات والحدود عاجلا والتخويف بالنار اجلا
مما لا يعلم ولا يقوم بجملة الا من مارس الدرس والعكوف على الكتب و
ومثافنة بعض هذا الى الاحتواء على ضروب العلوم وفنون المعارف
كالطب والعبارة والفرائض والحساب والنسب وغير ذلك من العلم
مما اتخذ اهل هذه المعارف كلامه عليه السلام فيها قدوة واصولا في
علمهم كقوله عليه السلام الرؤيا لاول عابر وهي على رجل طائر وقوله
الرؤيا ثلث رؤيا حق ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه ورؤيا تحزين من
الشيطان وقوله اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب وقوله
اصل كل داء البردة وما روي عنه في حديث ابي هريرة من قوله المعدة
حوض البدن والعروق اليها واردة وان كان هذا حديثا لا نصححه لضعفه
وكونه موضوعا تكلم عليه الدارقطني وقال خير ما تداويتم به
السعوط واللدود والحجامة والمشي وخير الحجامة يوم سبع
عشرة وتسع عشرة واحدى عشرين وفي العود الهندي
سبعة اشفية وقوله ما ملأ ابن ادم وعاء شرا من بطن
الى قوله فان كان لا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث
للنفس وقوله وقد سئل عن سبا ارجل هو ام امراة ام ارض
فقال رجل ولد عشرة تيامن منهم ستة وتشاءم اربعة
الحديث بطوله وكذلك جوابه في نسب قضاعة وغير ذلك
مما اضطرت العرب على شغلها بالنسب الى سؤاله عما اختلفوا
فيه من ذلك وقوله حمير راس العرب ونابها ومذحج هامتها
وغلصمتها والازد كاهلها وجمجمتها وهمدان غاربها وذروتها

وذروتها وقوله ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله
السموات والارض وقوله في الحوض زواياه سواء وقوله في حديث
الذكر وان الحسنة بعشر فتلك مائة وخمسون على اللسان
والف وخمسمائة في الميزان وقوله وهو بموضع نعم موضع الحمام
هذا وقوله ما بين المشرق والمغرب قبلة وقوله لعيينة او الاقرع
انا افرس بالخيل منك وقوله لكاتبه ضع القلم على اذنك
فانه اذكر للمملي هذا مع انه صلعم كان لا يكتب ولكنه اوتي
علم كل شيء حتى قد وردت اثار بمعرفته حروف الخط وحسن
تصويرها كقوله لا تمدوا بسم الله الرحمن الرحيم رواه ابن شعبان
من طريق ابن عباس وقوله في الحديث الاخر الذي يروى عن معاوية
انه كان يكتب بين يديه عليه السلام فقال له الق الدواة
وحرف القلم واقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن
الله ومد الرحمن وجود الرحيم وهذا وان لم يصح الرواية انه عليه
السلام كتب فلا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة
واما علمه عليه السلام بلغات العرب وحفظ معاني اشعارها
فامر مشهور قد نبهنا على بعضه اول الكتاب وكذلك حفظه
لكثير من لغات الامم كقوله في الحديث سنه سنه وهي حسنة
بالحبشية وقوله ويكثر الهرج وهو القتل بها وقوله في حديث ابي
هريرة اشكنب درد اي وجع البطن بالفارسية الى غير ذلك مما لا
يعلم بعض هذا ولا يقوم به ولا ببعضه الا من مارس الدرس والعكوف على
الكتب ومثافنة عمره وهو رجل كما قال الله امي لم يكتب ولم يقرأ

ولا عرف بصحبة من هذه صفته ولا نشا بين قوم لهم علم ولا
قراءة لشيء من هذه الامور ولا عرف هو قبل بشيء منها
قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه
بيمينك الاية فكانت غاية معارف العرب النسب واخبار
اوائلها والشعر والبيان وانما حصل لهم ذلك بعد التفرغ
لعلم ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة اهله عنه وهذا الفن
نقطة من بحر علمه صلى الله عليه وسلم ولا سبيل الى جحد الملحد
لشيء مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة في دفع ما نصصناه
الا قولهم اساطير الاولين وانما يعلمه بشر فرد الله قولهم بقوله
لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين
ثم قالوا مكابرة العيان فان الذي نسبوا تعليمه اليه اما
سلمان او العبد الرومي وسلمان انما عرفه بعد الهجرة ونزول
الكثير من القران وظهور ما لا ينعد من الايات واما الرومي
فكان اسلم وكان يقرا على النبي صلعم واختلف في اسمه
وقيل بل كان النبي صلعم يجلس عنده عند المروة وكلاهما
اعجمي اللسان وهم الفصحاء اللد والخطباء اللسن قد عجزوا
عن معارضة ما اتى به والاتيان بمثله بل عن فهم وصف
وسورة تاليفه ونظمه فكيف باعجمي الكن نعم وقد كان سلمان
او بلعام الرومي او يعيش او جبر او يسار على اختلافهم في اسمه
بين اظهرهم يكلمونهم مدة اعمارهم فهل حكي عن واحد منهم
شيء من مثل ما كان يجيء به محمد صلعم وهل عرف واحد منهم

منهم بمعرفة شيء من ذلك وما منع العدو حينئذ على كثرة
عدده ودؤوب طلبه وقوة حسده ان يجلس الى هذا
فياخذ عنه ايضا ما يعارض به ويتعلم منه ما يحتج به
على شيعته كفعل النضر بن الحارث بما كان يمخرق به من اخبار
كتبه ولا غاب النبي صلعم عن قومه ولا كثرت اختلافاته
الى اهل الكتب فيقال انه انما استمد منهم بل لم يزل بين اظهرهم
يرعى في صغره وشبابه على عادة ابنائهم ثم لم يخرج عن
بلادهم الا في سفرة او سفرتين لم يطل فيهما مكثه مدة
يحتمل فيها تعلم القليل فكيف الكثير بل كان في سفره في
صحبة قومه ورفاقة عشيرته لم يغب عنهم ولا خالف
حاله مدة مقامه بمكة من تعلم واختلاف الى حبر او قس
او منجم او كاهن بل لو كان هذا بعد كله لكان مجيء ما اتى به
في معجز القران قاطعا لكل عذر ومدحضا لكل حجة ومجليا
لكل امر ... ومن خصائصه عليه السلام وكراماته
وباهر اياته انباؤه مع الملائكة والجن وامداد الله له
بالملائكة وطاعة الجن له ورؤية كثير من اصحابه لهم قال الله
تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه الاية وقال اذ يوحي ربك
الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا وقال اذ تستغيثون
ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين وقال واذ صرفنا
اليك نفرا من الجن يستمعون القران الاية حدثنا
سفيان بن العاصي الفقيه بسماعي عليه ثنا ابو الليث

السمرقندي قال ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا الجلودي
ثنا ابن سفيان ثنا مسلم ثنا عبيد الله بن معاذ ثنا
ابي ثنا شعبة عن سليمان الشيباني سمع زر بن حبيش
عن عبد الله قال لقد رأى من ايات ربه الكبرى قال رأى
جبريل في صورته له ستمائة جناح والخبر في محادثته
مع جبريل واسرافيل وغيرهم من الملائكة وما شاهده
من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الاسراء مشهور
وقد راهم بحضرته جماعة من اصحابه في مواطن مختلفة فرأى
اصحابه جبريل عليه السلام في صورة رجل يسأله عن الاسلام
والايمان ورأى ابن عباس واسامة وغيرهما عنده جبريل
في صورة دحية ورأى سعد على يمينه ويساره جبريل
وميكائيل في صورة رجلين عليهما ثياب بيض ومثله
عن غير واحد وسمع بعضهم زجر الملائكة خيلها يوم
بدر وبعضهم رأى تطاير الرؤوس من الكفار ولا يرون
الضارب ورأى ابو سفيان بن الحارث يومئذ رجالا بيضا
على خيل بلق بين السماء والارض ما يقوم لها شيء وقد كانت
الملائكة تصافح عمران بن الحصين واري النبي صلعم حمزة
في الكعبة فخر مغشيا ورأى عبد الله بن مسعود الجن ليلة
الجن وسمع كلامهم وشبههم برجال الزط وذكر ابن
سعد ان مصعب بن عمير لما قتل يوم احد اخذ الراية ملك
على صورته فكان النبي صلعم يقول له فقال له الملك لست

لست بمصعب فعلم انه ملك وقد ذكر غير واحد من المصنفين
عن عمر بن الخطاب انه قال بينا نحن جلوس مع النبي صلى الله
عليه وسلم اذ اقبل شيخ بيده عصى فسلم على النبي صلعم
فرد عليه وقال نغمة الجن من انت قال انا هامة بن الهيم
بن لاقيس بن ابليس فذكر انه لقي نوحا ومن بعده في حديث
طويل وان النبي صلعم علمه سورا من القران وذكر الواقدي
قتل خالد عند هدمه العزى للسوداء التي خرجت له ناشرة
شعرها عريانة فجزلها بسيفه واعلم النبي صلعم فقال له تلك
العزى وقال عليه السلام ان شيطانا تفلت البارحة
على صلاتي فامكنني الله منه فاخذته فاردت ان اربطه
الى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت
دعوة اخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا الاية فرده الله
خاسئا وهو باب واسع ... ومن دلائل نبوته وعلاماته
رسالته ما ترادفت به الاخبار عن الرهبان والاحبار وعلماء
اهل الكتاب من صفته وصفة امته واسمه وعلاماته
وذكر الخاتم الذي بين كتفيه وما وجد من ذلك في اشعار
الموحدين المتقدمين من تبع والاوس بن حارثة وكعب بن
لؤي وسفيان بن مجاشع وقس بن ساعدة وما ذكر عن
سيف بن ذي يزن وغيرهم وما عرف به من امره زيد بن عمرو
بن نفيل وورقة بن نوفل وعثكلان الحميري وعلماء يهود

وشاهدوا عليهم صاحبه نبتح من صفته وخبره وما
ألفي من ذلك في التوراة والإنجيل مما قد جمعه العلماء
وبيّنوه ونقلوه عنهما ثقات من اسلم منهم مثل ابن سلام
وبني سعية وابن يامين ومخيريق وكعب واشباههم
ممن اسلم من علماء يهود وبحيرا ونسطور الحبشة وصاحب
بصرى وضغاطر واسقف الشام والجارود وسلمان
والنجاشي ونصارى الحبشة واساقف نجران وغيرهم
ممن اسلم من علماء النصارى وقد اعترف بذلك هرقل
وصاحب رومة عالما النصارى ورئيساهم ومقوقس
صاحب مصر والشيخ صاحبه وابن صوريا وابن اخطب
واخوه وكعب بن اسد والزبير باطيا وغيرهم من علماء
اليهود ممن حمله الحسد والنفاسة على البقاء على
الشقاء والاخبار في هذا كثيرة لا تنحصر وقد قرع
اسماع اليهود والنصارى بما ذكر انه في كتبهم من
صفته وصفة اصحابه واحتج عليهم بما انطوى
من ذلك صحفهم وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه وليّهم
السنتهم ببيان امره ودعوتهم المباهلة على الكاذب
فما منهم الا من نفر عن معارضته وابداء ما الزمهم
من كتبهم اظهاره ولو وجدوا خلاف قوله لكان اظهاره
اهون عليهم من بذل النفوس والاموال وتخريب الديار

الديار ونبذ القتال وقد قال لهم قل فأتوا بالتوراة فاتلوها
ان كنتم صادقين الى ما انذر به الكهان مثل شافع بن
كليب وشق وسطيح وسواد بن قارب وخنافر وافعى نجران
وجذل بن جذل الكندي وابن خلصة الدوسي وسعد بن
بنت كريز وفاطمة بنت النعمان ومن لا يعد كثرة الى ما ظهر
على السنة الاصنام من نبوته وحلول وقت رسالته وسمع
من هواتف الجان ومن ذبائح النصب واجواف الصور وما
وجد من اسم النبي م والشهادة له بالرسالة مكتوبا في
الحجارة والقبور بالخط القديم ما اكثره مشهور واسلام
من اسلم بسبب ذلك معلوم مذكور   ومن ذلك ما
ظهر من الآيات عند مولده وما حكته امه ومن حضره من العجائب
وكونه رافعا رأسه عندما وضعته شاخصا ببصره الى السماء
وما رأته من النور الذي خرج معه عند ولادته وما رأته
اذ ذاك ام عثمان بن ابي العاص من تدلي النجوم وظهور النور
عند ولادته حتى ما تنظر الا النور وقول الشفاء ام عبد الرحمن
بن عوف لما سقط عليه السلام على يدي واستهل سمعت قائلا
يقول رحمك الله تعالى واضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى
نظرت الى قصور الروم وما تعرفه حليمة وزوجها ظئراه
من بركته ودرور لبنها ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة
شبابه وحسن نشأته وما جرى من العجائب ليلة
مولده من ارتجاج ايوان كسرى وسقوط شرفاته وغيض

بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكان لها الف عام لم تخمد وانه
كان اذا اكل مع عمه ابي طالب وآله وهو صغير شبعوا ورووا
فاذا غاب فاكلوا في غيبته لم يشبعوا وكان سائر ولد ابي طالب
يصبحون شعثا ويصبح صلى الله عليه وسلم صقيلا دهينا كحيلا
قالت ام ايمن حاضنته ما رأيته عليه السلام شكى جوعا ولا
عطشا صغيرا ولا كبيرا ومن ذلك حراسة السماء بالشهب
وقطع رصد الشياطين ومنعهم استراق السمع وما نشأ
عليه من بغض الاصنام والعفة عن امور الجاهلية وما خصه
الله تعالى به من ذلك وحماه حتى في ستره في الخبر المشهور عند
بناء الكعبة اذ اخذ ازاره ليجعله على عاتقه ليحمل عليه الحجارة
وتعرى فسقط الى الارض حتى رد ازاره عليه فقال له عمه
ما بالك قال اني نهيت عن التعري ومن ذلك اظلال الله تعالى له
بالغمام في سفره وفي رواية ان خديجة ونساءها رأينه لما
قدم وملكان يظلانه فذكرت ذلك لميسرة فاخبرها انه رأى
ذلك منذ خرج معه في سفره وقد روي ان حليمة رأت غمامة
تظله وهو عندها وروي ذلك عن اخيه من الرضاعة ومن
ذلك انه نزل في بعض اسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة
فاعشوشب ما حولها واينعت هي فاشرقت وتدلت عليه اغصانها
بمحضر من رآه وميل فيء الشجرة اليه في الخبر الآخر حتى اظلته
وما ذكر انه كان لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر لانه كان
نورا وان الذباب كان لا يقع على جسده ولا ثيابه ومن ذلك

ومن ذلك تحبيب الخلوة اليه حتى اوحي اليه ثم اعلامه بموته
ودنو اجله وان قبره في المدينة وفي بيته وان بينه وبين
منبره روضة من رياض الجنة وتخيير الله له عند موته وما
اشتمل عليه حديث الوفاة من كراماته وتشريفه وصلاة
الملائكة على جسده على ما رويناه في بعضها واستئذان
ملك الموت عليه ولم يستأذن على غيره قبله ونداؤهم
الذي سمعوه الا لا تنزعوا القميص عنه عند غسله وما روي
من تعزية الخضر والملائكة اهل بيته عند موته الى ما ظهر
على اصحابه من كراماته وبركته في حياته ومماته كاستسقاء
عمر بعمه وتبرك غير واحد بذريته   قال القاضي ابو
الفضل قد اتينا في هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة
وجمل من علامات نبوته مقنعة في واحد منها الكفاية
والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا واقتصرنا من
الاحاديث وغريبها على ما صح واشتهر الا يسيرا من غريبه
مما ذكره مشاهير الائمة وحذفنا الاسناد في جمهورها
طلبا للاختصار وبحسب هذا الفصل لو تقصى ان يكون
ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات عدة ومعجزات نبينا اظهر من
سائر معجزات الرسل بوجهين احدهما كثرتها وانه لم يؤت
نبي معجزة الا وعند نبينا مثلها او ما هو ابلغ منها وقد نبه
الناس على ذلك فان اردته فتأمل فصول هذا الباب و
معجزات من تقدم من الانبياء تقف على ذلك ان شاء الله

تعالى واما كونها كثيرة فهذا القرآن كله معجز واقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض ائمة المحققين سورة انا اعطيناك الكوثر او اية في قدرها وذهب بعضهم الى ان كل اية منه كيف كانت معجزة وزاد اخرون ان كل جملة منتظمة منه معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين والحق ما ذكرناه اولا لقوله تعالى فاتوا بسورة من مثله فهو اقل ما تحداهم به مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه واذا كان هذا ففي القرآن من الكلمات نحو من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف على عدد بعضهم وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر عشر كلمات فيتجزا القرآن على نسبة عدد انا اعطيناك الكوثر ازيد من سبعة الاف جزء وكل واحد منها معجز في نفسه ثم اعجازه كما تقدم بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في كل جزء من هذا العدد معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه اعجاز اخر من الاخبار بعلوم الغيب فقد يكون في السورة الواحدة من التجزئة الخبر عن اشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه معجز فتضاعف العدد كرة اخرى ثم وجوه الاعجاز الاخر التي ذكرناها توجب التضعيف هذا في حق القرآن فلا يكاد ياخذ العدد معجزاته ولا يحوي الحصر براهينه ثم الاحاديث الواردة والاخبار الصادرة عنه صلى الله عليه وسلم في هذه الابواب وعما دل على امره مما اشرنا

اشرنا الى جمله يبلغ نحوا من هذا الوجه الثاني وضوح معجزاته صلى الله عليه وسلم فان معجزات الرسل كانت بقدر همم اهل زمانهم وبحسب الفن الذي سما فيه قرنه فلما كان زمن موسى عليه السلام غاية علم اهله السحر بعث اليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه فجاءهم منها ما خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم وابطل سحرهم وكذلك زمن عيسى اغنى ما كان الطب واوفر ما كان اهله فجاءهم امر لا يقدرون عليه واتاهم ما لم يحتسبوه من احياء الميت وابراء الاكمه والابرص دون معالجة ولا طب وهكذا سائر معجزات الانبياء ثم ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وجملة معارف العرب وعلومها اربعة البلاغة والشعر والخبر والكهانة فانزل عليه القرآن الخارق لهذه الاربعة فصول من الفصاحة والايجاز والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ومن النظم الغريب والاسلوب العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم الى طريقه ولا علموا في اساليب الاوزان منهجه ومن الاخبار عن الكوائن والحوادث والاسرار والمخبآت والضمائر فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه وان كان اعدى العدو فابطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها من اصلها برجم الشهب ورصد النجوم وجاء من الاخبار عن القرون السالفة وانباء الانبياء والامم البائدة والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه

على الوجوه التي بسطناها وبينا المعجز فيها ثم بقاء هذه المعجزة الجامعة لهذه الوجوه الى الفصول الاخر التي ذكرناها في معجزات القرآن ثابتة الى يوم القيامة بينة الحجة لكل امة تاتي لا تخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتامل وجوه اعجازه الى ما اخبر به من الغيوب على هذه السبيل فلا يمر عصر ولا زمن الا ويظهر صدقه بظهور مخبره على ما اخبر فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة زيادة في اليقين والنفس اشد طمانينة الى عين اليقين منها الى علم اليقين وان كان كل عندها حقا وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع واياته تتجدد ولا تضمحل ولهذا اشار صلى الله عليه وسلم بقوله حدثنا القاضي الشهيد ابو علي ثنا القاضي ابو الوليد ثنا ابو محمد وابو اسحق وابو الهيثم قالوا ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا عبد العزيز بن عبد الله ثنا الليث عن سعيد عن ابيه عن ابي هريرة عن النبي عم قال ما من الانبياء نبي الا اعطي من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحاه الله الي فارجو اني اكثرهم تابعا يوم القيمة هذا معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر والصحيح ان شاء الله وذهب غير واحد من العلماء في تاويل هذا الحديث وظهور معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم الى معنى اخر من ظهورها بكونها وحيا وكلاما لا يمكن

لا يمكن التخييل فيه ولا التحيل عليه والتشبيه فان غيرها من معجزات الرسل قد رام المعاندون لها باشياء طمعوا في التخييل بها على الضعفا كالقاء السحرة حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما يخيله الساحر يتحيل فيه والقرآن كلام ليس للحيلة ولا للسحر في التخييل فيه عمل فكان من هذا الوجه عندهم اظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا خطيب ان يكون شاعرا او خطيبا بضرب من الحيل والتمويه والتاويل الاول اخلص وارضى وفي هذا التاويل الثاني ما يغمض الخفي عليه ويعصى ووجه ثالث على مذهب من قال بالصرفة وان المعارضة كانت في مقدور البشر فصرفوا عنها او على احد مذهبي اهل السنة من ان الاتيان بمثله من جنس مقدورهم ولكن لم يكن ذلك قبل ولا يكون بعد لان الله لم يقدرهم ولا يقدرهم عليه وبين المذهبين فرق بين وعليهما جميعا فترك العرب الاتيان بما في مقدورهم او ما هو من جنس مقدورهم ورضاهم بالبلاء والجلاء والسباء والاذلال وتغير الحال وسلب النفوس والاموال والتقريع والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد ابين اية للعجز عن الاتيان بمثله والنكول عن معارضته وانهم منعوا عن شي هو من جنس مقدورهم والى هذا ذهب الامام ابو المعالي الجويني وغيره قال وهذا عندنا ابلغ في خرق العادة بالافعال البديعة في انفسها كقلب العصا حية ونحوها فانه قد يسبق الى

بل الناظر بدراية ذلك من اختصاص صاحب تلك الصنعة بمعرفة ذلك الفن وفضل علمه الى البرهة ذلك اصح في النظر واما
التحدي للخلائق منذ مئين من السنين بكلام من جنس كلامهم
ليأتوا بمثله فلم يأتوا فلم يبق بعد توفر الدواعي على المعارضة
ثم عدمها الا منع الله الخلق عنها بمثابة ما لو قال نبي آيتي ان
يمنع الله القيام عن الناس مع مقدرتهم عليه وارتفاع الزمانة
عنهم فلو كان ذلك وعجزهم الله عن القيام لكان ذلك
من ابهر آية واظهر دلالة وبالله التوفيق وقد غاب عن
بعض العلماء وجه ظهور آيته على سائر آيات الانبياء حتى
احتاج للعذر عن ذلك بدقة افهام العرب وذكاء البابها
ووفور عقولها وانهم ادركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم
من ذلك بحسب ادراكهم وغيرهم من القبط وبني اسرائيل
وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل كانوا من الغباوة وقلة
الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم وجوز عليهم
السامري ذلك في العجل بعد ايمانهم وعبدوا المسيح مع
اجماعهم على صلبه وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه
لهم فجاءتهم من الآيات الظاهرة البينة للابصار
بقدر غلظ افهامهم ما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن
نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا
الذي هو ادنى بالذي هو خير والعرب على جاهليتها اكثرها يعترف
بالصانع وانما كانت تتقرب بالاصنام الى الله زلفى ومنهم من آمن

من آمن بالله وحده من قبل الرسل صلى الله عليه وسلم بدليل عقله
وصفاء لبه ولما جاءهم الرسول بكتاب الله فهموا حكمته و
تبينوا بفضل ادراكهم لاول وهلة معجزته فآمنوا به
وازدادوا كل يوم ايمانا ورفضوا الدنيا كلها في صحبته و
هجروا ديارهم واموالهم وقتلوا آباءهم وابناءهم في نصرته
وان في معنى هذا بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرجه
لو احتيج اليه وحقق لكن قدمنا من بيان معجزة نبينا صلعم
وظهورها ما يغني عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها
وبالله استعين فيما يجب على الانام من
حقوقه عليه السلام قال القاضي ابو الفضل وهذا قسم
لخصنا فيه الكلام في اربعة ابواب على ما ذكرناه اول الكتاب
ومجموعها في وجوب تصديقه واتباعه وطاعته ومحبته
ومناصحته وتوقيره وبره وحكم الصلاة عليه والتسليم
وزيارة قبره في فرض الايمان به ووجوب
طاعته واتباع سنته اذا تقرر بما قدمناه ثبوت
نبوته وصحة رسالته وجب الايمان به وتصديقه فيما
اتى به قال الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي
انزلنا وقال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
لتؤمنوا بالله ورسوله وقال فآمنوا بالله ورسوله النبي
الامي الآية فالايمان بالنبي محمد عليه السلام واجب متعين
لا يتم ايمان الا به ولا يصح اسلام الا معه قال الله تعالى

ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا ثنا
ابو محمد الخشني الفقيه بقراءتي عليه ثنا الامام ابو علي الطبري
ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا ابن عمرويه ثنا ابن سفيان
ثنا ابو الحسين ثنا امية بن بسطام ثنا يزيد بن زريع ثنا
روح عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن ابيه عن ابي هريرة
عن رسول الله صلعم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا
ان لا اله الا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فاذا فعلوا ذلك
عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله
قال القاضي ابو الفضل والايمان به عليه السلام هو تصديق
نبوته ورسالة الله له وتصديقه في جميع ما جاء به وما
قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بانه
رسول الله فاذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة
بذلك باللسان تم الايمان به والتصديق له كما ورد في هذا
الحديث نفسه من رواية عبد الله بن عمر امرت ان اقاتل الناس
حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقد زاده
وضوحا في حديث جبريل اذ قال اخبرني عن الاسلام فقال
النبي صلعم ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله وذكر اركان الاسلام ثم ساله عن الايمان قال ان تؤمن
بالله وملائكته وكتبه ورسله الحديث فقد قرر ان الايمان
به محتاج الى العقد بالجنان والاسلام به مضطر الى
النطق باللسان وهذه الحالة المحمودة التامة واما

واما الحالة المذمومة فالشهادة باللسان دون تصديق
القلب وهذا هو النفاق قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون
قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله
يشهد ان المنافقين لكاذبون اي كاذبون في قولهم ذلك
عن اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه فلما لم يصدق
ذلك ضمائرهم لم ينفعهم ان يقولوا بالسنتهم ما ليس في
قلوبهم فخرجوا عن اسم الايمان ولم يكن لهم في الآخرة حكمه
اذ لم يكن معهم ولحقوا بالكافرين في الدرك الاسفل من النار
وبقي عليهم حكم الاسلام باظهار شهادة اللسان في احكام الدنيا
المتعلقة بالائمة وحكام المسلمين الذين احكامهم على
الظواهر بما اظهروه من علامة الاسلام اذ لم يجعل للبشر
سبيل الى السرائر ولا امروا بالبحث عنها بل نهى النبي صلعم
عن التحكم عليها وذم ذلك وقال هلا شققت عن قلبه
والفرق بين القول والعقد ما جعل في حديث جبريل
الشهادة من الاسلام والتصديق من الايمان وبقيت حالتان
اخريان بين هذين احديهما ان يصدق بقلبه ثم يخترم
قبل اتساع وقت الشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط
بعضهم من تمام الايمان القول والشهادة ورآه بعضهم
مؤمنا مستوجبا للجنة لقوله عليه السلام يخرج من النار
من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان فلم يذكر سوى ما في القلب
وهذا مؤمن بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك غيره وهذا

هو الصحيح وهذا الوجه الثاني ان يصدق بقلبه ويطول مهله وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد في عمره ولا مرة فهذا اختلف فيه ايضا فقيل هو مؤمن لانه مصدق والشهادة من جملة الاعمال فهو عاص بتركها غير مخلد وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده الشهادة اذ الشهادة انشاء عقد والتزام ايمان وهي مرتبطة مع العقد ولا يتم التصديق مع المهلة الا بها وهذا هو الصحيح وهذا نبذ يفضي الى متسع من الكلام في الاسلام والايمان وابوابهما وفي الزيادة فيهما والنقصان وهل التجزي ممتنع على مجرد التصديق لا يصح فيه جملة وانما يرجع الى ما زاد عليه من عمل او قد يعرض فيه لاختلاف صفاته وتباين حالاته من قوة يقين وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة ودوام حالة وحضور قلب وفي بسط هذا خروج عن غرض التأليف وفيما ذكرنا غنية فيما قصدنا ان شاء الله تعالى

واما وجوب طاعته فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته لان ذلك مما اتى به قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله وقال قل اطيعوا الله والرسول واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال وان تطيعوه تهتدوا وقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال ومن يطع الله والرسول فاولئك الاية وقال وما ارسلنا

ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله فجعل تعالى طاعة رسوله طاعته وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد على مخالفته بسوء العقاب واوجب امتثال امره واجتناب نهيه قال المفسرون والائمة طاعة الرسول في التزام سنته والتسليم لما جاء به وقالوا وما ارسل الله من رسول الا فرض طاعته على من ارسله اليه وقالوا من يطع الرسول في سنته يطع الله في فرائضه وسئل سهل بن عبد الله عن شرائع الاسلام فقال وما اتاكم الرسول فخذوه وقال السمرقندي يقال اطيعوا الله في فرائضه والرسول في سننه وقيل اطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول فيما بلغكم ويقال اطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية والنبي بالشهادة له بالنبوة حدثنا ابو محمد ابن عتاب بقرائتي عليه ثنا حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن علي بن محمد بن خلف ثنا محمد بن احمد ثنا محمد بن يوسف ثنا البخاري ثنا عبدان انا عبد الله انا يونس عن الزهري اخبرني ابو سلمة عبد الرحمن انه سمع ابا هريرة يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن اطاع اميري فقد اطاعني ومن عصى اميري فقد عصاني فطاعة الرسول من طاعة الله اذ الله امر بطاعته فطاعته امتثال لما امر الله به وطاعة له وقد حكى عن الكفار في دركات جهنم يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم

التمني وقال عليه السلام اذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم وفي حديث ابي هريرة عنه عليه السلام كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن يابى قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى وفي الحديث الاخر الصحيح عنه عليه السلام مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل اتى قوما فقال يا قوم اني رايت الجيش بعيني واني انا النذير العريان فالنجاء فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من اطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق وفي الحديث الاخر مثله كمثل من بنى دارا وجعل فيها مادبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المادبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم ياكل من المادبة فالدار الجنة والداعي محمد فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس

واما وجوب اتباعه وامتثال سنته والاقتداء بهديه فقد قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون وقال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الى قوله تسليما اي ينقادون لحكمك يقال سلم واستسلم واسلم

اذا انقاد وقال لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر الاية قال محمد بن علي الترمذي الاسوة في الرسول الاقتداء به والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول او فعل وقال غير واحد من المفسرين بمعناه وقيل هو عتاب للمتخلفين عنه وقال سهل في قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم قال بمتابعة السنة فامرهم تعالى بذلك ووعدهم الاهتداء به لان الله ارسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم ووعدهم محبته تعالى في الاية الاخرى ومغفرته اذا اتبعوه واثروه على اهوائهم وما تجنح اليه نفوسهم وان صحة ايمانهم بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض عليه وروي عن الحسن ان اقواما قالوا يا رسول الله انا نحب الله فانزل الله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الاية وروي ان الاية نزلت في كعب بن الاشرف وغيره وانهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه ونحن اشد حبا لله فانزل الله الاية وقال الزجاج معناه ان كنتم تحبون الله ان تقصدوا طاعته فافعلوا ما امركم به اذ محبة العبد لله والرسول طاعته لهما ورضاه بما امرا ومحبة الله لهم عفوه عنهم وانعامه عليهم برحمته ويقال الحب من الله عصمة وتوفيق ومن العباد طاعة كما قال القائل

تعصي الاله وانت تظهر حبه هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع

ويقال محبة العبد لله تعظيمه له و

وحببته منه ومحبة الله له وحمده له وارادته الجميل له ويكون
بمعنى مدحه لهم وثنائه عليهم قال القشيري فاذا كان بمعنى الرحمة
والارادة والمدح كان من صفات الذات وسائر ما يعود في ذكر محبة
العبد غير هذا مجاز والله تعالى حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن
جعفر الفقيه قال ثنا ابو الاصبغ عيسى بن سهل وثنا ابو الحسن
يونس بن مغيث الفقيه قراءة عليه قالا ثنا حاتم بن محمد قال
ثنا ابو حفص الجهني ثنا ابو بكر الآجري ثنا ابراهيم بن موسى
الجوزي ثنا داود بن رشيد ثنا الوليد بن مسلم عن ثور بن
يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر
الكلاعي عن العرباض بن سارية في حديثه في موعظة النبي صلعم
انه قال فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا
عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة
وكل بدعة ضلالة زاد في حديث جابر بمعناه وكل ضلالة في النار
وفي حديث ابي رافع عنه عليه السلام لا الفين احدكم متكئا على
اريكته يأتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول
لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه وفي حديث عائشة
صنع رسول الله صلعم شيئا رخص فيه فتنزه عنه قوم
فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم قال ما بال قوم
يتنزهون عن الشيء اصنعه فوالله اني لاعلمهم بالله واشد
هم له خشية وروي عنه عليه السلام انه قال القرآن صعب
مستصعب على من كرهه وهو الحكم فمن استمسك بحديثي وفهمه وحفظه

وحفظه جاء مع القرآن ومن تهاون بالقرآن وحديثي خسر
الدنيا والآخرة امرت امتي ان ياخذوا بقولي ويطيعوا امري
ويتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقرآن قال الله
تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه الآية وقال عليه السلام
من اقتدى بي فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس مني وعن
ابي هريرة عن النبي صلعم انه قال ان احسن الحديث كتاب الله
وخير الهدى هدى محمد وشر الامور محدثاتها وعن عبد الله
بن عمرو بن العاص قال النبي صلعم العلم ثلاثة فما سوى ذلك
فهو فضل آية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة وعن الحسن
بن ابي الحسن قال عليه السلام عمل قليل في سنة خير من عمل
كثير في بدعة وقال عليه السلام ان يدخل العبد الجنة بالسنة
تمسك بها وعن ابي هريرة عن النبي صلعم قال المتمسك بسنتي
عند فساد امتي له اجر مائة شهيد وقال عليه السلام ان بني
اسرائيل افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وان امتي تفترق
على ثلاث وسبعين كلها في النار الا واحدة قال ومن هم
يا رسول الله قال الذي انا عليه اليوم واصحابي وعن عمرو بن
عوف المزني ان النبي صلعم قال لبلال بن الحارث من احيا
سنة من سنتي قد اميتت بعدي فان له من الاجر مثل من
عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيئا ومن ابتدع بدعة
ضلالة لا ترضي الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها
لا ينقص ذلك من اوزار الناس شيئا واما ورد عن

السلف والائمة من اتباع سنته والاقتداء بهديه وسيرته
فحدثنا الشيخ ابو عمران موسى بن عبد الرحمن بن ابي تليد الفقيه
سماعا عليه قال ثنا ابو عمر الحافظ ثنا سعيد بن نصر ثنا
قاسم بن اصبغ ووهب بن ميسرة قالا ثنا محمد بن وضاح
ثنا يحيى بن يحيى ثنا مالك عن ابن شهاب عن رجل من آل
خالد بن اسيد انه سأل عبد الله بن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن
انا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في القرآن ولا نجد
صلاة السفر فقال ابن عمر يا ابن اخي ان الله بعث الينا محمدا
صلعم ولا نعلم شيئا فانما نفعل كما رأيناه يفعل وقال
عمر بن عبد العزيز سن رسول الله صلعم وولاة الامر
بعده سننا الاخذ بها تصديق لكتاب الله واستكمال لطاعة
الله وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها ولا
النظر في رأي من خالفها من اقتدى بها فهو مهتد ومن
انتصر بها فهو منصور ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين
ولاه الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا وقال
الحسن بن ابي الحسن عمل قليل في سنة خير من عمل كثير
في بدعة وقال ابن شهاب بلغنا عن رجال من اهل العلم
قالوا الاعتصام بالسنة نجاة وكتب عمر بن الخطاب بتعلم
السنة والفرائض واللحن اي اللغة وقال ان ناسا يجيؤنكم
يعني بالقرآن فخذوهم بالسنن فان اصحاب السنن اعلم
بكتاب الله وفي خبره حين صلى بذي الحليفة ركعتين فقال

فقال اصنع كما رأيت رسول الله صلعم يصنع وعن علي حين
قرن فقال له عثمان ترى اني انهى الناس عنه وتفعله قال لم اكن
ادع سنة رسول الله صلعم لقول احد من الناس وعنه الا اني
لست نبيا ولا يوحى الي ولكني اعمل بكتاب الله وسنة نبيه
صلعم ما استطعت وكان ابن مسعود يقول القصد في
السنة خير من الاجتهاد في البدعة وقال ابن عمر صلاة السفر
ركعتان من خالف السنة كفر وقال ابي بن كعب عليكم بالسبيل
والسنة فانه ما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر
الله ففاضت عيناه من خشية ربه فيعذبه الله ابدا وما على
الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر
جلده من خشية الله الا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها
فهي كذلك اذ اصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها الا
حط الله عنه خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها فان اقتصادا
في سبيل الله وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة
وانظروا ان يكون عملكم ان كان اجتهادا او اقتصادا ان
يكون على منهاج الانبياء وسنتهم وكتب بعض عمال عمر بن
عبد العزيز الى عمر بحال بلده وكثرة لصوصها هل يأخذهم
بالظنة او يحملهم على البينة وما جرت عليه السنة فكتب
اليه [illegible] بالبينة وما جرت عليه السنة فان لم يصلحهم الحق فلا
اصلحهم الله وعن عطاء في قوله فان تنازعتم في شيء فردوه
الى الله والرسول الى كتاب الله وسنة رسول الله وقال الشافعي

ليس في سنة رسول الله الا اتباعها وقال عمر ونظر الى الحجر
الاسود انك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا اني رايت رسول الله
صلعم يقبلك ما قبلتك ثم قبله ورئي عبد الله بن عمر
يدير ناقته في مكان فسئل فقال لا ادري الا اني رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله ففعلته وقال ابو عثمان
الحيري من امر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق
بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه نطق بالبدعة وقال
سهل التستري اصول مذهبنا ثلاثة الاقتداء بالنبي
صلعم في الاخلاق والافعال والاكل من الحلال واخلاص النية
في جميع الاعمال وجاء في تفسير قوله والعمل الصالح يرفعه
انه الاقتداء برسول الله صلعم وحكي عن احمد بن حنبل
قال كنت يوما مع جماعة تجردوا ودخلوا الماء فاستعملت
الحديث من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يدخل الحمام
الا بمئزر ولم اتجرد فرايت تلك الليلة قائلا لي يا احمد
ابشر فان الله قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك
اماما يقتدى بك قلت من انت قال جبريل
فصل ومخالفة امره وتبديل سنته ضلال وبدعة متوعد
من الله عليه بالخذلان والعذاب قال الله تعالى فليحذر
الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب
اليم وقال ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى
ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى الاية حدثنا ابو محمد عبد الله

عبد الله بن ابي جعفر وعبد الرحمن بن عتاب بقراتي عليهما قالا
حدثنا ابو القسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن القاضي قال ثنا
ابو الحسن بن مسرور الدباغ ثنا احمد بن ابي سليمان ثنا سحنون
بن سعيد ثنا ابن القسم ثنا مالك عن العلاء بن عبد الرحمن
عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرج الى المقبرة وذكر الحديث في صفة امته وفيه
فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال فاناديهم
الا هلم الا هلم فيقال انهم قد بدلوا بعدك فاقول فسحقا
فسحقا فسحقا وروى انس ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال من رغب عن سنتي فليس مني وقال من ادخل في امرنا
ما ليس منه فهو رد وروى ابن ابي رافع عن ابيه عن النبي
صلعم قال لا الفين احدكم متكئا على اريكته ياتيه الامر من
امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا
في كتاب الله اتبعناه زاد في حديث المقدام الا وان ما حرم
رسول الله صلعم مثل ما حرم الله وقال عليه السلام وجيء
بكتاب في كتف كفى بقوم حمقا او قال ضلالا ان يرغبوا عما جاء
به نبيهم الى غير نبيهم او كتاب غير كتابهم فنزلت اولم
يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم الاية وقال عليه
السلام هلك المتنطعون وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه
لست تاركا شيئا كان يعمل به رسول الله صلعم الا عملت به اني
اخشى ان تركت شيئا من امره ان ازيغ

في لزوم محبته قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم
وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون
كسادها الاية فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة وحجة على الزام
محبته ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها عليه السلام
اذ قرع تعالى من كان ماله واهله وولده احب اليه من الله ورسوله
واوعدهم بقوله فتربصوا حتى ياتي الله بامره ثم فسقهم بتمام
الاية واعلمهم انهم ممن ضل ولم يهده الله حدثنا ابو علي
الغساني الحافظ فيما اجازنيه وهو مما قراته على غير واحد
قال ثنا سراج بن عبد الله القاضي ثنا ابو محمد الاصيلي ثنا
المروزي ثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل
ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا ابن علية عن عبد العزيز بن صهيب
عن انس ان رسول الله صلعم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون
احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين وعن ابي هريرة مثله
وعن انس عنه عليه السلام ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان
ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء
لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف
في النار وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال للنبي صلعم لانت
احب الي من كل شيء الا نفسي التي بين جنبي فقال النبي صلعم
لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه فقال عمر والذي
انزل عليك الكتاب لانت احب الي من نفسي التي بين جنبي
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الان يا عمر قال سهل من لم ير ولاية

ولاية الرسول عليه السلام عليه في جميع الاحوال ويرى نفسه
في ملكه لا يذوق حلاوة سنته لان النبي صلعم قال لا يؤمن
احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه الحديث
محبته حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراتي عليه ثنا ابو القسم حاتم
بن محمد ثنا ابو الحسن علي بن خلف ثنا ابو زيد المروزي ثنا
محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبدان ثنا ابي ثنا شعبة
عن عمرو بن مرة عن سالم بن ابي الجعد عن انس ان رجلا
اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة يا رسول الله
قال ما اعددت لها قال ما اعددت لها من كثير صلاة ولا صوم
ولا صدقة ولكني احب الله ورسوله قال انت مع من احببت وعن
صفوان بن قدامة هاجرت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتيته فقلت
يا رسول الله ناولني يدك ابايعك فناولني يده فقلت يا رسول الله
اني احبك قال المرء مع من احب وروى هذا اللفظ عن النبي صلعم
عبد الله بن مسعود وابو موسى وانس وعن ابي ذر بمعناه
وعن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ بيد حسن وحسين
فقال من احبني واحب هذين واباهما وامهما كان معي في
درجتي يوم القيمة وروى ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله لانت احب الي من نفسي ومالي
واني لاذكرك فما اصبر حتى اجيء فانظر اليك واني ذكرت موتي
وموتك فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين
وان دخلتها لا اراك فانزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول

فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا فدعا به فقراها
عليه وفي حديث اخر كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليه
لا يطرف فقال ما بالك قال بابي وامي اتمتع من النظر اليك
فاذا كان يوم القيمة رفعك الله بتفضيله فانزل الله الاية
وفي حديث انس ومن احبني كان معي في الجنة
ومن السلف والائمة من محبتهم للنبي صلعم وشوقهم له
حدثنا القاضي الشهيد العذري ثنا الرازي ثنا الجلودي
ثنا ابن سفيان ثنا مسلم ثنا قتيبة ثنا يعقوب بن عبد الرحمن
عن سهيل عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اشد امتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود احدهم لو راني
باهله وماله ومثله عن ابي ذر وتقدم حديث عمر وقوله للنبي
صلعم لانت احب الي من نفسي وما تقدم عن الصحابة في مثله
وعن عمرو بن العاصي ما كان احد احب الي من رسول الله صلعم
وعن عبدة بنت خالد بن معدان قالت ما كان خالد ياوي
الى فرشه الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم والى اصحابه من المهاجرين والانصار يسميهم ويقول
هم اصلي وفصلي واليهم يحن قلبي طال شوقي اليهم فعجل
رب قبضي اليك حتى يغلبه النوم وروي عن ابي بكر انه قال
للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لاسلام ابي
طالب كان اقر لعيني من اسلامه يعني اباه ابا قحافة وذلك

وذلك ان اسلام ابي طالب كان اقر لعينك ونحوه عن عمر بن الخطاب
قال للعباس ان تسلم احب الي من ان يسلم الخطاب لان ذلك احب
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن اسحق ان امراة من
الانصار قتل ابوها واخوها وزوجها يوم احد مع رسول الله
صعلم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا
هو بحمد الله كما تحبين قالت ارنيه حتى انظر اليه فلما راته قالت
كل مصيبة بعدك جلل وسئل علي بن ابي طالب كيف كان
حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان والله احب الينا
من اموالنا واولادنا واباينا وامهاتنا ومن الماء البارد على
الظماء وعن زيد بن اسلم خرج عمر ليلة يحرس فراى مصباحا
في بيت واذا عجوز تنفش صوفا وتقول على محمد صلاة الابرار
صلى عليه الطيبون الاخيار قد كنت قواما بكاء بالاسحار
يا ليت شعري والمنايا اطوار هل يجمعني وحبيبي الدار
تعني النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكي وفي الحكاية طول
وروي ان عبد الله بن عمر خدرت رجله فقيل له اذكر احب
الناس اليك يزل عنك فصاح يا محمداه فانتشرت ولما احتضر
بلال نادت امراته واحزناه فقال واطرباه غدا القى الاحبة
محمدا وحزبه وروي ان امراة قالت لعايشة اكشفي لي
قبر رسول الله صعلم فكشفته لها فبكت حتى ماتت ولما اخرج
اهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه قال له ابو سفيان
بن حرب انشدك بالله يا زيد اتحب ان محمدا الان عندنا مكانك

يضرب عنقه وانك في اهلك فقال زيد والله ما احب ان محمدا الان
في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة واني جالس في اهلي فقال
ابو سفيان ما رايت من الناس احدا يحب احدا كحب اصحاب
محمد محمدا صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس كانت المراة اذا
اتت النبي صعلم حلفها بالله ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة
بارض عن ارض وما خرجت الا حبا لله ولرسوله ووقف ابن
عمر على ابن الزبير بعد قتله فاستغفر له وقال كنت والله ما
علمت صواما قواما تحب الله ورسوله فصل في علامة محبته
صلى الله عليه وسلم اعلم ان من احب شيئا اثره واثر موافقته والا
لم يكن صادقا في حبه وكان مدعيا فالصادق في حب النبي صعلم
من تظهر علامة ذلك عليه واولها الاقتداء به واستعمال سنته
واتباع اقواله وافعاله وامتثال اوامره واجتناب نواهيه
والتادب بادابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه وشاهد
هذا قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم و
وايثار ما شرعه وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته
قال الله تعالى والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم
يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة
مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة
واسخاط العباد في رضا الله حدثنا القاضي ابو علي الحافظ
ثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل ابن خيرون قالا
ثنا ابو يعلى البغدادي ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا

ثنا ابو عيسى ثنا مسلم بن حاتم ثنا محمد بن عبد الله الانصاري
عن ابيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال انس بن
مالك قال لي رسول الله صعلم يا بني ان قدرت ان تصبح وتمسي ليس
في قلبك غش لاحد فافعل ثم قال لي يا بني وذلك من سنتي ومن
احيا سنتي فقد احبني ومن احبني كان معي في الجنة فمن
اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالفها
في بعض هذه الامور فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها
ودليله قوله عليه السلام للذي حده في الخمر فلعنه بعضهم
وقال ما اكثر ما يؤتى به فقال عليه السلام لا تلعنه فانه
يحب الله ورسوله ومن علامات محبة النبي كثرة ذكره له فمن احب
شيئا اكثر ذكره ومنها كثرة شوقه الى لقائه فكل حبيب
يحب لقاء حبيبه وفي حديث الاشعريين عند قدومهم
المدينة انهم كانوا يرتجزون غدا نلقى الاحبة محمدا وحزبه
وتقدم قول بلال ومثله قال عمار قبل قتله وما ذكرناه من
قصة خالد بن معدان ومن علاماته مع كثرة ذكره تعظيمه له
وتوقيره عند ذكره واظهار الخشوع والانكسار مع سماع
اسمه قال اسحق التجيبي كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
بعده لا يذكرونه الا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك
كثير من التابعين منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقا اليه
ومنهم من يفعله تهيبا وتوقيرا ومنها محبته لمن احب النبي
صعلم ومن هو بسببه من ال بيته وصحابته من المهاجرين

والانقباض وعداوة من عاداهم وبغض من ابغضهم وسبّهم
فمن احب شيئا احب من يحب قال عليه السلام في الحسن
والحسين اللهم اني احبهما فاحبهما وفي رواية في الحسن اللهم
من يحبه وقال من احبهما فقد احبني ومن احبني فقد احب
الله ومن ابغضهما فقد ابغضني ومن ابغضني فقد ابغض
الله وقال الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم
فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم
فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك
ان ياخذه وقال في فاطمة انها بضعة مني يغضبني ما اغضبها
وقال لعائشة في اسامة بن زيد احبيه فاني احبه وقال اية
الايمان حب الانصار واية النفاق بغضهم وفي حديث ابن عمر من
احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم
فالحقيقة من ملك شيئا احب كل شي يحبه وهذه سيرة
السلف حتى في المباحات وشهوات النفس وقد قال انس حين
راى النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدبا من حوالي القصعة
فما زلت احب الدبا من يومئذ وهذا الحسن بن علي وعبد الله
بن عباس وابن جعفر اتوا سلمى وسالوها ان تصنع لهم طعاما
مما كان يعجب رسول الله صلعم وكان ابن عمر يلبس النعال السبتية
ويصبغ بالصفرة اذ راى النبي صلعم يفعل نحو ذلك ومنها
بغض من ابغض الله ورسوله ومعاداة من عاداه ومجانبة
من خالف سنته وابتدع في دينه واستثقاله كل امر يخالف شريعته

شريعته قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر
يوادون من حاد الله ورسوله وهؤلاء اصحابه عليه السلام قد
قتلوا احباءهم وقاتلوا اباءهم وابناءهم في مرضاته وقال له
عبد الله بن عبد الله بن ابي لو شئت لاتيتك براسه يعني اباه
ومنها ان يحب القران الذي اتى به عليه السلام وهدى به واهتدى
وتخلق به حتى قالت عائشة كان خلقه القران وحبه للقران
تلاوته والعمل به وتفهمه ويحب سنته ويقف عند حدودها قال
سهل بن عبد الله علامة حب الله حب القران وعلامة حب الله
وحب القران حب النبي صلعم وعلامة حب النبي صلعم حب السنة
وعلامة حب السنة حب الاخرة وعلامة حب الاخرة بغض
الدنيا وعلامة بغض الدنيا الا يدخر منها الا زادا وبلغة
وقال ابن مسعود لا يسال احد عن نفسه الا القران فان كان
يحب القران فهو يحب الله ورسوله ومن علامة حبه النبي صلعم
شفقته على امته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ورفع المضار
عنهم كما كان عليه السلام بالمؤمنين رؤوفا رحيما ومن علامة
تمام محبته زهد مدعيها في الدنيا وايثاره الفقر واتصافه
به وقد قال عليه السلام لابي سعيد الخدري ان الفقر الى من
يحبني منكم اسرع من السيل من اعلى الوادي او الجبل الى اسفله
وفي حديث عبد الله بن مغفل قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم
يا رسول الله اني احبك فقال انظر ما تقول قال اني والله احبك
ثلاث مرات قال ان كنت تحبني فاعد للفقر تجفافا ثم ذكر نحو حديث

ابي سعيد بمعناه فصل في معنى المحبة للنبي صلعم وحقيقتها اختلف
الناس في تفسير محبة الله ومحبة النبي صلعم وكثرت عباراتهم
في ذلك وليست ترجع بالحقيقة الى اختلاف مقال ولكنها اختلاف
احوال فقال سفيان المحبة اتباع الرسول عليه السلام كانه
التفت الى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الاية
وقال بعضهم محبة الرسول اعتقاد نصرته والذب عن سنته
والانقياد لها وهيبة مخالفته وقال بعضهم المحبة دوام
الذكر للمحبوب وقال اخر ايثار المحبوب وقال بعضهم المحبة
الشوق الى المحبوب وقال بعضهم المحبة مواطاة القلب لمراد
الرب يحب ما احب ويكره ما كره وقال اخر المحبة ميل القلب الى
موافق له واكثر العبارات المتقدمة اشارة الى ثمرات المحبة
دون حقيقتها وحقيقة المحبة الميل الى ما يوافق الانسان
وتكون موافقته له اما لاستلذاذه بادراكه كحب الصور الجميلة
والاصوات الحسنة والاطعمة والاشربة اللذيذة واشباهها
مما كل طبع سليم مائل اليها لموافقتها له او لاستلذاذه بادراكه
بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة شريفة كحب الصالحين و
العلماء واهل المعروف والماثور عنهم السير الجميلة والافعال
الحسنة فان طبع الانسان مائل الى الشغف بامثال هؤلاء حتى
يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع من امة في اخرين ما يؤدي
الى الجلاء عن الاوطان وهتك الحرم واخترام النفوس او يكون
حبه اياه لموافقته له من جهة احسانه له وانعامه عليه فقد

فقد جبلت النفوس على حب من احسن اليها فاذا تقرر لك هذا نظرت
هذه الاسباب كلها في حقه عليه السلام فعلمت انه عليه السلام جامع
لهذه المعاني الثلاثة الموجبة اما جمال الصورة وكمال الاخلاق في
الباطن فقد قررنا منها قبل فيما مر من الكتاب ما لا يحتاج الى
زيادة واما احسانه وانعامه على امته فكذلك قد مر منه
في اوصاف الله تعالى له من رافته بهم ورحمته لهم وهدايته اياهم
وشفقته عليهم واستنقاذهم به من النار وانه بالمؤمنين رؤوف
رحيم ورحمة للعالمين ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه
ويتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم
الى صراط مستقيم فاي احسان اجل قدرا واعظم خطرا من
احسانه الى جميع المؤمنين واي افضال اعم منفعة واكثر فائدة
من انعامه على كافة المسلمين اذ كان ذريعتهم الى الهداية ومنقذهم
من العماية وداعيهم الى الفلاح والكرامة ووسيلتهم الى ربهم
وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدائم
والنعيم السرمد فقد استبان لك انه عليه السلام مستوجب
للمحبة الحقيقية شرعا بما قدمناه من صحيح الاثار وعادة
وجبلة بما ذكرناه انفا لافاضته الاحسان وعمومه الاجمال فاذا
كان الانسان يحب من منحه في دنياه مرة او مرتين معروفا
او استنقذه من هلكة او مضرة مدة التاذي بها قليل منقطع
فمن منحه ما لا يبيد من النعيم ووقاه ما لا يفنى من عذاب الجحيم اولى
بالحب واذا كان يحب بالطبع ملك لحسن سيرته او حاكم لما يؤثر

من قوام طريقته او قاصٍ بعيد الدار لما يشاهد من علمه او كرم
شيمته ممن جمع هذه الخصال على غاية مراتب الكمال احق بالحب واولى
بالميل وقد قال علي رض في صفته عليه السلام من رآه بديهة
هابه ومن خالطه معرفة احبه وذكرنا عن بعض الصحابة انه
كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه. فصل في وجوب مناصحته
عليه السلام قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون
حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور
رحيم قال اهل التفسير اذا نصحوا لله ورسوله اذا كانوا مخلصين
مسلمين في السر والعلانية حدثنا الفقيه ابو الوليد بقراءتي
عليه ثنا حسين بن محمد ثنا يوسف بن عبد الله ثنا ابن عبد المؤمن
ثنا ابو بكر التمار ثنا ابو داود ثنا احمد بن يونس ثنا زهير
ثنا سهيل بن ابي صالح عن عطاء بن يزيد عن تميم الداري قال قال
رسول الله صلعم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين
النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة
المسلمين وعامتهم قال ائمتنا رحمهم الله النصيحة لله ولرسوله
ولائمة المسلمين وعامتهم واجبة قال الامام ابو سليمان
البستي يحكى انه يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها ومعناها
في اللغة الاخلاص من قولهم نصحت العسل اذا خلصته من شمعه
وقال ابو بكر بن ابي اسحق الخفاف النصح فعل الشيء الذي
به الصلاح والملائمة ماخوذ من النصاح وهو الخيط الذي
يخاط به الثوب وقال ابو اسحق الزجاج فنصيحة الله تعالى صحة

صحة الاعتقاد له بالوحدانية ووصفه بما هو اهله وتنزيهه عما
لا يجوز عليه والرغبة في محابه والبعد من مساخطه والاخلاص
في عبادته والنصيحة لكتابه الايمان به والعمل بما فيه وتحسين
تلاوته والتخشع عنده والتعظيم له وتفهمه والتفقه فيه
والذب عنه من تأويل الغالين وطعن الملحدين والنصيحة لرسوله
التصديق بنبوته وبذل الطاعة له فيما امر به ونهى عنه قال ابو سليمان
وقال ابو بكر موازرته ونصرته وحمايته حيا وميتا واحياء سنته
بالطلب والذب عنها ونشرها والتخلق باخلاقه الكريمة وادابه
الجميلة وقال ابو ابراهيم اسحق التجيبي نصيحة رسول الله التصديق
بما جاء به والاعتصام بسنته ونشرها والحض عليها والدعوة
الى الله والى كتابه والى رسوله واليها والى العمل بها وقال احمد بن محمد
من مفروضات القلوب اعتقاد النصيحة لرسول الله صلعم قال ابو بكر
الاجري وغيره النصح له يقتضي نصحين نصحا في حياته ونصحا
بعد مماته ففي حياته نصح اصحابه له بالنصر والمحاماة عنه ومعاداة
من عاداه والسمع والطاعة له وبذل النفوس والاموال دونه
كما قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية وقال وينصرون
الله ورسوله الاية واما نصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام
التوقير والاجلال وشدة المحبة له والمثابرة على تعلم سنته
والتفقه في شريعته ومحبة ال بيته واصحابه ومجانبة
من رغب عن سنته وانحرف عنها وبغضه والتحذير منه
والشفقة على امته والبحث عن تعرف اخلاقه وسيره

وادابه والصبر على ذلك فعلى ما ذكره يكون النصيحة احدى ثمرات
المحبة وعلامة من علاماتها كما قدمناه وحكى الامام ابو القاسم القشيري
ان عمرو بن الليث احد ملوك خراسان ومشاهير الثوار المعروف
بالصفار رئي في النوم فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي فقيل بماذا
قال صعدت ذروة جبل يوما فاشرفت على جنودي فاعجبتني
كثرتهم فتمنيت اني حضرت رسول الله صلعم فاعنته ونصرته
فشكر الله لي ذلك وغفر لي واما النصيحة لائمة المسلمين فطاعتهم
في الحق ومعونتهم فيه وامرهم به وتذكيرهم اياه على احسن وجه
وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من امور المسلمين وترك
الخروج عليهم وتضريب الناس وافساد قلوبهم عليهم والنصح لعامة
المسلمين ارشادهم الى مصالحهم ومعونتهم في امر دينهم ودنياهم
بالقول والفعل وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم
وستر عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع اليهم الباب
الثالث في تعظيم امره ووجوب توقيره وبره قال الله تعالى
يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا
بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه الاية وقال يا ايها
الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله يا ايها الذين امنوا
لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الثلاث الايات وقال لا تجعلوا
دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فاوجب تعالى تعزيره
وتوقيره والزم اكرامه وتعظيمه قال ابن عباس تعزروه
تجلوه وقال المبرد تعزروه تبالغوا في تعظيمه وقال الاخفش تنصرونه

تنصرونه وقال الطبري تعينونه وقرئ تعززوه بزاءين من العز
ونهى عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الادب بسبقه بالكلام على
قول ابن عباس وغيره وهو اختيار ثعلب قال سهل بن عبد الله لا تقولوا
قبل ان يقول واذا قال فاستمعوا له وانصتوا ونهوا عن التقدم
والتعجل بقضاء امر قبل قضائه فيه وان يفتاتوا بشيء في ذلك
من قتال او غيره من امر دينهم الا بامره ولا يسبقوه به والى هذا
يرجع قول الحسن ومجاهد والضحاك والسدي والثوري ثم
وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك فقال واتقوا الله ان الله سميع
عليم قال الماوردي اتقوه يعني في التقدم وقال السلمي اتقوا
الله في اهمال حقه وتضييع حرمته ان الله سميع لقولكم عليم
بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول كما
يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته وقيل كما ينادي بعضهم بعضا
باسمه قال ابو محمد مكي اي لا تسابقوه بالكلام وتغلظوا له بالخطاب
ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض ولكن عظموه ووقروه ونادوه
باشرف ما يحب ان ينادى به يا رسول الله يا نبي الله وهذا كقوله
في الاية الاخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا
على احد التاويلين وقال غيره لا تخاطبوه الا مستفهمين ثم خوفهم
الله بحبط اعمالهم ان هم فعلوا ذلك وحذرهم منه قيل نزلت الاية
في وفد بني تميم وقيل في غيرهم اتوا النبي صلعم فنادوه يا محمد
يا محمد اخرج الينا فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم بان اكثرهم
لا يعقلون وقيل نزلت الاية الاولى في محاورة كانت بين

إبي بكر وعمر بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم واختلاف جرى
بينهما حتى ارتفعت أصواتهما وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن
شماس خطيب النبي صلى الله عليه وسلم في مفاخرة بني تميم وكان
في أذنيه صمم فكان يرفع صوته فلما نزلت هذه الآية أقام في
منزله وخشي أن يكون حبط عمله ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا نبي الله لقد خشيت أن أكون هلكت نهانا الله أن نجهر بالقول
وأنا امرؤ جهير الصوت فقال النبي صلعم يا ثابت أما ترضى أن
تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة
وروي أن أبا بكر لما نزلت هذه الآية قال والله يا رسول الله لا
بعدها إلا كأخي السرار وإن عمر كان إذا حدثه حدثه كأخي السرار
ما كان يسمع رسول الله صلعم بعد هذه الآية حتى يستفهمه
فأنزل الله تعالى فيهم إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول
الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر
عظيم وقيل نزلت إن الذين ينادونك من وراء الحجرات في غير
بني تميم نادوه باسمه وروى صفوان بن عسال بينا النبي
صلى الله عليه وسلم في سفر إذ ناداه أعرابي بصوت جهوري أيا
محمد فقلنا له اغضض من صوتك فإنك قد نهيت عن رفع الصوت
وقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا قال بعض
المفسرين هي لغة كانت في الأنصار نهوا عن قولها تعظيما للنبي
صلعم وتبجيلا له لأن معناها ارعنا نرعك فنهوا عن قولها
إذ مقتضاها كأنهم لا يرعونه إلا برعايته لهم بل حقه أن يرعى

اكلمك

يرعى على كل حال وقيل كانت اليهود تعرض بها للنبي صلعم بالرعونة
فنهي المسلمون عن قولها قطعا للذريعة ومنعا للتشبه بهم
في قولها لمشاركة اللفظة وقيل غير هذا فصل في عادة الصحابة
في تعظيمه عليه السلام وتوقيره وإجلاله حدثنا القاضي
أبو علي الصدفي وأبو بحر الأسدي سماعا عليهما في آخرين
قالوا ثنا أحمد بن عمر ثنا أحمد بن الحسن ثنا محمد بن عيسى
ثنا إبراهيم بن سفيان ثنا مسلم ثنا محمد بن المثنى وأبو معن
الرقاشي وإسحق بن منصور ثنا الضحاك بن مخلد ثنا
حيوة بن شريح حدثني يزيد بن أبي حبيب عن ابن شماسة
المهري قال حضرنا عمرو بن العاصي وذكر حديثا طويلا فيه
عن عمرو قال وما كان أحد أحب إلي من رسول الله صلعم ولا
أجل في عيني منه وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا
له ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه
وروى الترمذي عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس فيهم
أبو بكر وعمر فلا يرفع أحد منهم إليه بصره إلا أبو بكر وعمر
فإنهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما ويتبسمان إليه ويتبسم
لهما وروى أسامة بن شريك أتيت النبي صلعم وأصحابه
حوله كأنما على رؤسهم الطير وفي حديث صفته إذا تكلم أطرق
جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير وقال عروة بن مسعود حين
وجهته قريش عام القضية إلى رسول الله صلعم ورأى من
تعظيم أصحابه له ما رأى وأنه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه

وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة إلا
تلقوها بأكفهم فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم ولا تسقط
منه شعرة إلا ابتدروها وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره وإذا
تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيما
له فلما رجع إلى قريش قال يا معشر قريش إني جئت كسرى
في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه وإني والله ما رأيت
ملكا في قوم قط مثل محمد في أصحابه وفي رواية إن رأيت
ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم محمدا أصحابه وقد رأيت
قوما لا يسلمونه أبدا وعن أنس لقد رأيت رسول الله صلعم
والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة
إلا في يد رجل ومن هذا لما أذنت قريش بالطواف بالبيت
حين وجهه النبي صلعم إليهم في القضية أبى وقال ما كنت
لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلعم وفي حديث طلحة أن أصحاب
رسول الله صلعم قالوا لأعرابي جاهل سله عمن قضى نحبه وكانوا
يهابونه ويوقرونه فسأله فأعرض عنه إذ طلع طلحة فقال
رسول الله صلعم هذا ممن قضى نحبه وفي حديث قيلة فلما رأيت
رسول الله صلعم جالسا القرفصاء أرعدت من الفرق
وذلك هيبة له وتعظيما وفي حديث المغيرة كان أصحاب النبي
صلعم يقرعون بابه بالأظافير وقال البراء بن عازب لقد كنت
أريد أن أسأل رسول الله صلعم عن الأمر فأؤخر سنين من
هيبته فصل واعلم أن حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته
وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته وذلك عند ذكره

ذكره عليه السلام وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته
ومعاملة آله وعترته وتعظيم أهل بيته وصحابته قال أبو إبراهيم
التجيبي واجب على كل مؤمن متى ذكره أو ذكر عنده أن يخضع له
ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في هيبته وإجلاله
بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما أدبنا الله به
قال القاضي أبو الفضل وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وأئمتنا
الماضين رضي الله عنهم حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن
عبد الرحمن الأشعري وأبو القسم أحمد بن بقي الحاكم وغير واحد
فيما أجازونيه قالوا أخبرنا أبو العباس أحمد بن عمر بن دلهاث قال
ثنا أبو الحسن علي بن فهر ثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن الفرج
ثنا أبو الحسن عبد الله بن المنتاب ثنا يعقوب بن إسحق
بن أبي إسرائيل ثنا ابن حميد قال ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين
مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك
يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله عز
وجل أدب قوما فقال لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي
الآية ومدح قوما فقال إن الذين يغضون أصواتهم الآية
وذم قوما فقال إن الذين ينادونك من وراء الآية وإن حرمته
ميتا كحرمته حيا فاستكان لها أبو جعفر وقال يا أبا عبد الله
أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك
آدم عليه السلام إلى الله يوم القيمة بل استقبله واستشفع

فيستغفك الله قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم الاية
وقال مالك وقد سئل عن ايوب السختيانى ما حدثتكم
عن احد الا وايوب افضل منه قال وحج حجتين فكنت ارمقه
ولا اسمع منه غير انه كان اذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم
بكى حتى ارحمه فلما رايت منه ما رايت واجلاله للنبى صلى الله عليه وسلم كتبت عنه
وقال مصعب بن عبد الله كان مالك اذا ذكر النبى صلعم يتغير
لونه وينحنى حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل له يوما فى ذلك
فقال لو رايتم ما رايت لما انكرتم على ما ترون لقد كنت ارى
محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نساله عن حديث ابدا
الا يبكى حتى نرحمه ولقد كنت ارى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة
والتبسم فاذا ذكر عنده النبى صلعم اصفر وما رايته يحدث عن
رسول الله صلعم الا على طهارة ولقد اختلفت اليه زمانا فما كنت
اراه الا على ثلاث خصال اما مصليا واما صامتا واما يقرا
القران ولا يتكلم فيما لا يعنيه وكان من العلماء والعباد الذين
يخشون الله عز وجل ولقد كان عبد الرحمن بن القسم يذكر
النبى صلى الله عليه وسلم فينظر الى لونه كانه نزف منه الدم وقد
جف لسانه فى فمه هيبة لرسول الله صلعم ولقد كنت اتى عامر
بن عبد الله بن الزبير فاذا ذكر عنده النبى صلى الله عليه وسلم
بكى حتى لا يبقى فى عينيه دموع ولقد رايت الزهرى وكان
من اهنى الناس واقربهم فاذا ذكر عنده النبى صلى الله عليه وسلم
فكانه ما عرفك ولا عرفته ولقد كنت اتى صفوان بن سليم وكان

وكان من المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر النبى صلعم
بكى فلا يزال يبكى حتى يقوم الناس عنه ويتركوه وروى
عن قتادة انه كان اذا سمع الحديث اخذه العويل و
الزويل ولما كثر على مالك الناس قيل لو جعلت مستمليا
يسمعهم فقال قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبى وحرمته حيا وميتا وكان
عبد الرحمن بن مهدى اذا قرا حديث النبى صلعم امرهم
بالسكوت وقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى
ويتاول انه يجب له من الانصات عند قراءة حديثه
ما يجب له عند سماع قوله فصل فى سيرة السلف فى تعظيم
رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته حدثنا
الحسين بن محمد الحافظ ثنا ابو الفضل بن خيرون ثنا ابو بكر
البرقانى وغيره ثنا ابو الحسن الدارقطنى ثنا على بن مبشر
ثنا احمد بن سنان القطان ثنا يزيد بن هارون ثنا المسعودى
عن مسلم البطين عن عمرو بن ميمون قال اختلفت الى ابن
مسعود سنة فما سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا انه حدث يوما فجرى على لسانه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم علاه كرب حتى رايت العرق يتحدر
عن جبهته ثم قال هكذا ان شاء الله او فوق ذا او ما
دون ذا او ما قرب من ذا وفى رواية فتربد وجهه وفى
رواية وقد تغرغرت عيناه وانتفخت اوداجه وقال ابراهيم

بن عبد الله بن قريم الانصارى قاضى المدينة مر مالك بن انس
على ابى حازم وهو يحدث فجازه وقال انى لم اجد موضعا اجلس
فيه فكرهت ان اخذ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا
قائم وقال مالك جاء رجل الى ابن المسيب فساله عن حديث
وهو مضطجع فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت انك
لم تتعن فقال انى كرهت ان احدثك عن رسول الله صلعم
وانا مضطجع وروى عن محمد بن سيرين انه قد يكون يضحك
فاذا ذكر عنده حديث النبى صلعم خشع وقال ابو مصعب
كان مالك بن انس لا يحدث بحديث رسول الله صلعم الا
وهو على وضوء اجلالا له وحكى مالك ذلك عن جعفر بن محمد
وقال مصعب بن عبد الله كان مالك بن انس اذا حدث عن
رسول الله صلعم توضأ وتهيأ ولبس ثيابه ثم يحدث قال
مصعب فسئل عن ذلك فقال انه حديث رسول الله صلعم قال
مطرف كان اذا اتى الناس مالكا خرجت اليهم الجارية فتقول
لهم يقول لكم الشيخ تريدون الحديث او المسائل فان قالوا
المسائل خرج اليهم وان قالوا الحديث دخل مغتسله و
اغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس ساجه وتعمم
ووضع على راسه رداءه وتلقى له منصة فيخرج فيجلس
عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث
رسول الله صلعم قال غيره ولم يكن يجلس على تلك المنصة
الا اذا حدث عن رسول الله صلعم قال ابن ابى اويس فقيل لمالك

لمالك فى ذلك فقال احب ان اعظم حديث رسول الله صلعم
ولا احدث به الا على طهارة متمكنا قال وكان يكره ان يحدث
فى الطريق او هو قائم او هو مستعجل وقال احب ان افهم
حديث رسول الله صلعم قال عبد الله بن المبارك كنت عند
مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة وهو
يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله صلعم فلما
فرغ من المجلس وتفرق عنه الناس قلت له يا ابا عبد الله
لقد رايت اليوم منك عجبا قال نعم انما صبرت اجلالا لحديث
رسول الله صلعم قال ابن مهدى مشيت يوما مع مالك
الى العقيق فسالته عن حديث فانتهرنى وقال لى كنت فى
عينى اجل من ان تسال عن حديث رسول الله صلعم ونحن
نمشى وساله جرير بن عبد الحميد القاضى عن حديث وهو قائم
فامر بحبسه فقيل له انه قاض فقال القاضى احق من
ادب وذكر ان هشام بن الغازى سال مالكا عن حديث وهو
واقف فضربه عشرين سوطا ثم اشفق عليه فحدثه عشرين
حديثا فقال هشام وددت لو زادنى سياطا ويزيدنى
حديثا قال عبد الله بن صالح كان مالك والليث لا يكتبان
الحديث الا وهما طاهران وكان قتادة يستحب ان
لا يقرا احاديث النبى صلعم الا على وضوء ولا يحدث
الا على طهارة وكان الاعمش اذا اراد ان يحدث وهو
على غير وضوء تيمم فصل ومن توقيره صلى الله عليه
وسلم وبره بر اله وذريته وامهات المؤمنين ازواجه

كما حض عليه عليه السلام وسلكه السلف رضي الله
عنهم قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت الاية وقال تعالى وازواجه امهاتهم اخبرنا
الشيخ ابو محمد بن احمد العدل من كتابه وكتبت من اصله
ثنا ابو الحسن المقرئ الفرغاني حدثتني ام القسم بنت الشيخ
ابي بكر الخفاف حدثني ابي حاتم هو ابن عقيل ثنا يحيى هو
ابن اسمعيل ثنا يحيى هو الحماني ثنا وكيع عن ابيه عن سعيد
بن مسروق عن يزيد بن حيان عن زيد بن ارقم قال قال
رسول الله صلعم انشدكم الله اهل بيتي ثلاثا قلنا
لزيد من اهل بيته قال ال علي وال جعفر وال عقيل وال
العباس وقال عليه السلام اني تارك فيكم ما ان اخذتم
به لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي فانظروا كيف
تخلفوني فيهما وقال عليه السلام معرفة ال محمد براءة
من النار وحب ال محمد جواز على الصراط والولاية لال محمد
امان من العذاب قال بعض العلماء معرفتهم هي معرفة
مكانهم من النبي صلعم واذا عرفهم بذلك عرف وجوب
حقهم وحرمتهم بسببه وعن عمر بن ابي سلمة لما نزلت انما
يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا
وذلك في بيت ام سلمة دعا فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم
بكساء وعلي خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء اهل
بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وعن سعد بن
ابي وقاص لما نزلت اية المباهلة دعا النبي صلعم عليا

عليا وحسنا وحسينا وفاطمة وقال اللهم هؤلاء اهلي وقال
النبي صلعم في علي من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من
والاه وعاد من عاداه وقال فيه لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك
الا منافق وقال للعباس والذي نفسي بيده لا يدخل قلب
رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله ومن اذى عمي فقد
اذاني وانما عم الرجل صنو ابيه وقال للعباس اغد علي يا عم
مع ولدك فجمعهم وجللهم بملاءته وقال هذا عمي وصنو ابي
وهؤلاء اهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم فامنت
اسكفة الباب وحوائط البيت امين امين وكان ياخذ بيد اسامة
بن زيد والحسن ويقول اللهم اني احبهما فاحبهما وقال ابو بكر
رضي الله عنه ارقبوا محمدا في اهل بيته وقال ايضا والذي نفسي بيده
لقرابة رسول الله صلعم احب الي ان اصل من قرابتي وقال عليه السلام
احب الله من احب حسنا وقال من احبني واحب هذين واشار
الى حسن وحسين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم
القيمة وقال من اهان قريشا اهانه الله وقال قدموا قريشا
ولا تقدموها وقال لام سلمة لا تؤذيني في عائشة وعن
عقبة بن الحرث رايت ابا بكر رضي الله عنه وجعل الحسن على عنقه وهو
يقول بابي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي وعلي يضحك وروى
عن عبد الله بن حسن بن حسن قال اتيت عمر بن عبد العزيز
في حاجة فقال لي اذا كانت لك حاجة فارسل الي واكتب فاني
استحيي من الله ان يراك على بابي وعن الشعبي صلى زيد بن ثابت

على جنازة امه ثم قربت له بغلته ليركبها فجاءه ابن عباس
فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله صلعم
فقال هكذا نفعل بالعلماء فقبل زيد يد ابن عباس وقال
هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا ورأى ابن عمر محمد بن
اسامة بن زيد فقال ليت هذا عبدي فقيل له هو
محمد بن اسامة فطاطا ابن عمر راسه ونقر بيده الارض
وقال لو راه رسول الله صلعم لاحبه وقال الاوزاعي وفدت
بنت اسامة بن زيد صاحب رسول الله صلعم على عمر بن عبد العزيز
ومعها مولى لها يمسك بيدها فقام لها عمر ومشى اليها
حتى جعل يديها بين يديه ويداه في ثيابه ومشى بها حتى
اجلسها على مجلسه وجلس بين يديها وما ترك لها
حاجة الا قضاها ولما فرض عمر بن الخطاب لابنه عبد الله
في ثلثة الاف ولاسامة بن زيد في ثلثة الاف وخمسمائة
قال عبد الله لابيه لم فضلته علي فوالله ما سبقني الى مشهد
فقال له لان زيدا كان احب رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ابيك واسامة احب اليه منك فاثرت حب رسول
الله صلعم على حبي وبلغ معاوية ان كابس بن ربيعة
يشبه برسول الله صلعم فلما دخل عليه من باب الدار قام
عن سريره وقبل بين عينيه واقطعه المرغاب لشبهه
برسول الله صلعم وروي ان مالكا رضي الله عنه لما ضربه
جعفر بن سليمان ونال منه ما نال وحمل مغشيا عليه دخل

عليه الناس فافاق فقال اشهدكم اني جعلت ضاربي
في حل فسئل بعد ذلك فقال خفت ان اموت فالقى النبي
صلعم فاستحيي منه ان يدخل بعض اله النار بسببي وقيل
ان المنصور اقاده من جعفر فقال له اعوذ بالله والله
ما ارتفع منها سوط عن جسمي الا وقد جعلته في حل
لقرابته من رسول الله صلعم وقال ابو بكر بن عياش
لو اتاني ابو بكر وعمر وعلي لبدات بحاجة علي لقرابته
من رسول الله صلعم ولان اخر من السماء الى الارض احب
الي من ان اقدمه عليهما وقيل لابن عباس ماتت فلانة
لبعض ازواج النبي صلعم فسجد فقيل له اتسجد هذه
الساعة فقال اليس قال رسول الله صلعم اذا رايتم اية
فاسجدوا واي اية اعظم من ذهاب ازواج النبي صلعم
وكان ابو بكر وعمر يزوران ام ايمن مولاة النبي صلعم ويقولان
كان رسول الله صلعم يزورها ولما وردت حليمة السعدية
على النبي صلعم بسط لها رداءه وقضى حاجتها فلما توفي
وفدت على ابي بكر وعمر فصنعا مثل ذلك فصل ومن
توقيره وبره عليه السلام توقير اصحابه وبرهم
ومعرفة حقهم والاقتداء بهم وحسن الثناء عليهم
والاستغفار لهم والامساك عما شجر بينهم ومعاداة
من عاداهم والاضراب عن اخبار المؤرخين وجهلة
الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في احد

منهم وان يلتمس لهم فيما نقل من مثل فيما كان بينهم
من الفتن احسن التاويلات ويخرج لهم اصوب المخارج اذ
هم اهل ذلك ولا يذكر احد منهم بسوء ولا يغمص عليه امر
بل يذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرتهم ويسكت
عما وراء ذلك كما قال عليه السلام اذا ذكر اصحابي فامسكوا وقال الله تعالى
محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم
الى اخر السورة وقال والسابقون الاولون من المهاجرين
والانصار الاية وقال لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك
تحت الشجرة وقال رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية
حدثنا القاضي ابو علي ثنا ابو الحسين وابو الفضل قالا ثنا ابو يعلى
ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا الترمذي ثنا
الحسن بن الصباح ثنا سفيان بن عيينة عن زائدة
عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة
قال قال رسول الله صلعم اقتدوا باللذين من بعدي
ابي بكر وعمر وقال اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم
وعن انس قال قال رسول الله صلعم مثل اصحابي كمثل
الملح في الطعام لا يصلح الطعام الا به وقال الله الله
في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي
احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم
فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله
يوشك ان ياخذه وقال لا تسبوا اصحابي فلو انفق

اي اتقوا الله في حق اصحابي

انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه
وقال من سب اصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال اذا ذكر
اصحابي فامسكوا وقال في حديث جابر ان الله اختار
اصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين
واختار لي منهم اربعة ابا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم
خير اصحابي وفي اصحابي كلهم خير وقال من احب عمر فقد
احبني ومن ابغض عمر فقد ابغضني قال مالك بن انس
وغيره من ابغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء المسلمين
حق ونزع باية الحشر والذين جاءوا من بعدهم الاية
وقال من غاظه اصحاب محمد فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ
بهم الكفار وقال عبد الله بن المبارك خصلتان من
كانتا فيه نجا الصدق وحب اصحاب محمد صلعم قال ايوب
السختياني من احب ابا بكر فقد اقام الدين ومن احب
عمر فقد اوضح السبيل ومن احب عثمان فقد استضاء بنور الله
ومن احب عليا فقد اخذ بالعروة الوثقى ومن احسن
الثناء على اصحاب محمد صلعم فقد برئ من النفاق ومن
انتقص احدا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف
الصالح واخاف ان لا يصعد له عمل الى السماء حتى يحبهم
جميعا ويكون قلبه سليما وفي حديث خالد بن سعيد
ان النبي صلعم قال ايها الناس اني راض عن ابي بكر فاعرفوا

له ذلك يا ايها الناس اني راض عن عمر وعن علي وعثمان وطلحة والزبير
وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا لهم ذلك ايها الناس
ان الله غفر لاهل بدر والحديبية ايها الناس احفظوني في اصحابي
واصهاري واختاني لا يطالبنكم احد منهم بمظلمة فانها مظلمة
لا توهب في القيمة غدا وقال رجل للمعافى ابن عمران اين عمر بن
عبد العزيز من معاوية فغضب وقال لا يقاس باصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم احد معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وامينه على
وحي الله واتي النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل
عليه وقال كان يبغض عثمان رضي الله عنه فابغضه الله تعالى
وقال عليه السلام في الانصار اعفوا عن مسيئهم واقبلوا عن
محسنهم وقال احفظوني في اصحابي واصهاري فانه من حفظني
فيهم حفظه الله في الدنيا والاخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى
الله ومن تخلى الله منه يوشك ان ياخذه وعنه عليه السلام
من حفظني في اصحابي كنت له حافظا يوم القيمة وقال صلى الله
تعالى عليه وسلم من حفظني في اصحابي ورد علي الحوض
ومن لم يحفظني في اصحابي لم يرد علي الحوض ولم يرني الا من
بعيد قال مالك رحمه الله تعالى هذا النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم مؤدب الخلق الذي هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين
يخرج في جوف الليل الى البقيع فيدعو لهم ويستغفر لهم كالمودع
لهم وبذلك امره الله وامر نبيه صلى الله عليه وسلم بحبهم
وموالاتهم ومعاداة من عاداهم وروي عن كعب رضي الله تعالى

الله تعالى عنه ليس احد من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
الا له شفاعة يوم القيمة وطلب من المغيرة بن نوفل
ان يشفع له يوم القيمة قال سهل بن عبد الله التستري
لم يؤمن بالرسول من لم يوقر اصحابه ولم يعز اوامره
فصل ومن اعظامه واكباره اعظام جميع اسبابه واكرام
مشاهده وامكنته من مكة والمدينة ومعاهده وما
لمسه عليه السلام او عرف به وروي عن صفية
بنت نجدة قالت كان لابي محذورة قصة في مقدم راسه
اذا قعد وارسلها اصابت الارض فقيل الا تحلقها
فقال لم اكن بالذي احلقها وقد مسها رسول الله صلى
الله عليه وسلم بيده وكانت في قلنسوة خالد بن وليد
شعرات من شعره عليه السلام فسقطت قلنسوته في
بعض حروبه فشد عليها شدة انكر عليه اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم كثرة من قتل فيها فقال لم افعلها بسبب
القلنسوة بل لما تضمنته من شعره عليه السلام لئلا اسلب
بركتها وتقع في ايدي المشركين ورئي ابن عمر رضي الله
عنهما واضعا يده على مقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
من المنبر ثم وضعها على وجهه ولهذا كان مالك رحمه الله
تعالى لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول استحي من الله تعالى
ان اطا تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر
دابة وروي انه وهب للشافعي كراعا كثيرا كان عنده

فقال له الشافعي امسك منها دابة فاجابه بمثل هذا الجواب
وقد حكى ابو عبد الرحمن السلمي عن احمد بن فضلويه الزاهد
وكان من الغزاة الرماة انه قال ما مسست بيدي
الا على طهارة منذ بلغني ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اخذ القوس بيده وافتى مالك فيمن قال تربة المدينة
رديئة بضرب ثلاثين درة وامر بحبسه وكان له قدر
وقال ما احوجه الى ضرب عنقه تربة دفن فيها رسول
الله صلى الله عليه وسلم يزعم انها غير طيبة وفي الصحيح
انه قال عليه السلام في المدينة من احدث فيها حدثا
او آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين
لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وحكي ان جهجاها
الغفاري اخذ قضيب رسول الله صلى الله عليه وسلم
من يد عثمان رضي الله عنه وتناوله ليكسره على
ركبته فصاح به الناس فاخذته الاكلة في ركبته
فقطعها ومات قبل الحول وقال عليه السلام من حلف
على منبري كاذبا فليتبوأ مقعده من النار وحدثت
ان ابا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائرا وقرب
من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا ولما رأينا رسم
من لم يدع لنا فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا نزلنا عن
الاكوار نمشي كرامة لمن بان عنه ان نلم به ركبا وحكي
عن بعض المريدين انه لما اشرف على مدينة الرسول انشأ

يقول متمثلا رفع الحجاب لنا فلاح لناظر قمر تقطع
دونه الاوهام واذا المطي بنا بلغن محمدا فظهورهن على
الرجال حرام قربننا من خير من وطئ الثرى فلها علينا
حرمة وذمام وحكي عن بعض المشايخ انه حج ماشيا فقيل
له في ذلك فقال العبد الآبق يأتي الى بيت مولاه راكبا
لو قدرت ان امشي على رأسي ما مشيت على قدمي
قال القاضي وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل
وتردد بها جبريل وميكائيل وعرجت منها الملائكة
والروح وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح
واشتملت تربتها على جسد سيد البشر وانتشر
عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر مدارس
آيات ومساجد وصلوات ومشاهد الفضائل والخيرات
ومعاهد البراهين والمعجزات ومناسك الدين ومشاعر
المسلمين ومواقف سيد المرسلين ومتبوأ خاتم
النبيين حيث انفجرت النبوة واين فاض عبابها ومواطن
طويت فيها الرسالة واول ارض مس جلد المصطفى
ترابها ان تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها وتقبل
ربوعها وجدرانها وانشد يا دار خير المرسلين
ومن به هدي الانام وخص بالآيات عندي لاجلك لوعة
وصبابة وتشوق متوقد الجمرات وعلي عهد ان ملأت
محاجري من تلكم الجدرات والعرصات لاعفرن مصون

شيبي بينها من كثرة التقبيل والرشفات لولا العوادي
والاعادي زرتها ابدا ولو سحبا على الوجنات لكن
ساهدي من حفيل تحيتي لقطين تلك الدار والحجرات
اذكى من المسك المفتق نفحة تغشاه بالآصال والبكرات
وتخصه بزواكي الصلوات ونوامي التسليم والبركات
الباب الرابع في حكم الصلوة عليه والتسليم وفرض
ذلك وفضيلته قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون
على النبي الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه ان الله
وملائكته يباركون على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وقيل ان الله يترحم على النبي صلى الله عليه وملائكته
يدعون له قال المبرد واصل الصلوة الترحم فهي من
الله رحمة ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة من
الله وقد ورد في الحديث صفة صلوة الملائكة على من
جلس ينتظر الصلوة اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعاء
وقال بكر القشيري الصلوة من الله تعالى لمن دون النبي
صلى الله عليه وسلم رحمة وللنبي صلى الله عليه وسلم
تشريف وزيادة تكرمة وقال ابو العالية صلوة الله
ثناؤه عند الملائكة وصلوة الملائكة الدعاء قال
القاضي ابو الفضل رحمة الله عليه وقد فرق النبي
صلى الله عليه وسلم في حديث تعليم الصلوة عليه
بين لفظة الصلوة ولفظة البركة فدل انهما بمعنيين

بمعنيين واما التسليم الذي امر الله تعالى به عباده فقال القاضي ابو بكر
بن بكير نزلت هذه الآية على النبي عليه السلام فامر الله اصحابه ان
يسلموا عليه وكذلك من بعدهم امروا ان يسلموا على النبي عليه السلام
عند حضورهم قبره وعند ذكره وفي معنى السلام عليه ثلاثة وجوه
احدها السلامة لك ومعك ويكون السلام مصدرا كاللذاذ واللذاذة
الثاني اي السلام على حفظك ورعايتك متول له وكفيل به ويكون
هنا السلام اسم الله الثالث بمعنى المسالمة له والانقياد كما قال الله تعالى
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم
حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فصل اعلم ان الصلوة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فرض على الجملة غير محدد بوقت لامر الله تعالى بالصلوة عليه وحمل
الائمة والعلماء له على الوجوب واجمعوا عليه وحكى ابو جعفر الطبري
ان محمل الآية عنده على الندب وادعى فيه الاجماع ولعله فيما زاد على المرة
والواجب منه الذي يسقط به الحرج ومأثم ترك الفرض مرة كالشهادة له
بالنبوة وما عدا ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن الاسلام وشعار
اهله قال القاضي ابو الحسن بن القصار المشهور عن اصحابنا ان ذلك واجب
في الجملة على الانسان وفرض عليه ان يأتي بها مرة من دهره مع القدرة على
ذلك وقال القاضي ابو بكر بن بكير افترض الله على خلقه ان يصلوا على
نبيه ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب ان
يكثر المرء منها ولا يغفل عنها قال القاضي ابو محمد بن نصر الصلوة على
النبي عليه السلام واجبة في الجملة قال القاضي ابو عبد الله محمد بن سعيد
ذهب مالك واصحابه وغيرهم من اهل العلم الى ان الصلوة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

فرض بالجملة بعقد الايمان لا تتعين في الصلوة وان من صلى عليه مرة واحدة
من عمره سقط الفرض عنه وقال الشافعي الفرض منها الذي امر الله به ورسول
عليه الصلوة والسلام هو في الصلوة وقالوا واما في غيرها فلا خلاف انها غير
واجبة واما في الصلوة فحكى الامامان ابو جعفر الطبري والطحاوي و
غيرهما اجماع جميع المتقدمين والمتأخرين من علماء الامة على ان الصلوة على
النبي عليه السلام في التشهد غير واجبة وشذ الشافعي في ذلك فقال من
لم يصل على النبي عليه السلام من بعد التشهد الاخر وقبل السلام فصلاته فاسدة
وان صلى عليه قبل ذلك ولم يجزه ولا سلف له في هذا القول والا سنة يتبعها
وقد بالغ في انكار هذه المسألة عليه لمخالفته فيها من تقدمه جماعة وشنعوا
عليه الخلاف فيها منهم الطبري والقشيري وغير واحد وقال ابو بكر ابن المنذر يستحق
ان لا يصلي احد صلوة الا صلى فيها على رسول الله عليه السلام فان ترك ذلك تارك فصلوته
مجزية في مذهب مالك واهل المدينة وسفيان الثوري واهل الكوفة من اصحاب الرأي وغيرهم
وهو قول جل اهل العلم وحكي عن مالك وسفيان انها في التشهد الاخير مستحبة وان
تاركها في التشهد مسيء وشذ الشافعي فاوجب على تاركها في الصلوة الاعادة واوجب
اسحاق الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان وحكى ابو محمد بن زيد عن محمد بن
المواز ان الصلوة على النبي عليه السلام فرض وقال ابو محمد يريد ليست من فرائض الصلوة
وقال محمد بن عبد الحكم وغيره وحكى ابن القصار وعبد الوهاب ان محمد بن مواز
يراها فريضة في الصلوة كقول الشافعي وحكى ابو يعلى العبدي المالكي عن المذهب فيها
ثلثة اقوال في الصلوة الوجوب والسنة والندب وقد خالف الخطابي من اصحاب الشافعي
وغيره الشافعي في هذه المسئلة قال الخطابي وليست بواجبة في الصلوة وهو قول جماعة
الفقهاء الا الشافعي ولا اعلم له فيها قدوة والدليل على انها ليست من فروض الصلوة

الصلوة عمل السلف الصالح قبل الشافعي واجماعهم عليه وقد شنع الناس عليه هذه المسئلة
جدا وهذا التشهد ابن مسعود الذي اختاره الشافعي وهو الذي علمه النبي عليه السلام ليس
فيه من الصلوة على النبي عليه السلام وكذلك كل من روى التشهد عن النبي عليه السلام
كابي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وابي سعيد الخدري وابي موسى الاشعري وعبد الله
بن الزبير رضي الله عنهم لم يذكروا فيه صلوة على النبي عليه السلام وقد قال ابن عباس وجابر
كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن ونحوه عن ابي سعيد
وقال ابن عمر كان ابو بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما يعلمون الصبيان في الكتاب وعلمه ايضا على
المنبر عمر رضي الله عنه وفي الحديث لا صلوة لمن لم يصل علي قال ابن القصار معناه كاملة
او لمن لم يصل علي مرة في عمره وضعف اهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث وفي حديث
ابي جعفر عن ابن مسعود عن النبي عليه السلام من صلى صلوة لم يصل فيها علي وعلى اهل
بيتي لم يقبل منه قال الدارقطني الصواب انه من قول ابي جعفر محمد بن علي بن
الحسين لو صليت صلوة لم اصل فيها على النبي وعلى اهل بيته لرأيت انها لا تتم فصل في
المواطن التي يستحب فيها الصلوة والتسليم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرغب من ذلك
في تشهد الصلوة كما قدمناه وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء حدثنا القاضي ابو علي رحمه الله
قراءتي عليه قال حدثنا الامام ابو القاسم البلخي قال حدثنا الفارسي عن ابي القاسم
الخزاعي عن ابي سعيد الهيثم بن كليب عن ابي عيسى الحافظ قال حدثنا محمود بن غيلان
قال ثنا عبد الله بن زيد المقري قال حدثنا حيوة بن شريح قال ثنا ابو هاني الخولاني
ان عمرو بن مالك الجنبي اخبره انه سمع فضالة بن عبيد يقول سمع النبي عليه السلام
رجلا يدعو في صلوته فلم يصل على النبي عليه السلام فقال النبي عليه السلام عجل هذا
ثم دعاه فقال له ولغيره اذا صلى احدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي
ثم ليدع بما شاء وروي من غير هذا السند بتحميد الله وهو اصح وعن عمر بن الخطاب

السلام

قال الصلوة والدعاء معلق بين السماء والارض ولا يصعد الى الله منه شيء حتى يصلى على النبي
عليه السلام وعن علي عن النبي عليه السلام بمعناه وقال وعلى آل محمد وروي ان الدعاء
محجوب حتى يصلي الداعي على النبي عليه السلام وعن ابن مسعود اذا اراد احدكم ان يسأل الله
شيئا فليبدأ بمدحه والثناء عليه بما هو اهله ثم يصلي على النبي عليه السلام ثم يسأل فانه
اجدر ان ينجح وعن جابر قال رسول الله عليه السلام لا تجعلوني كقدح الراكب فان الراكب
يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فان احتاج الى شراب شربه او الوضوء توضأ
والا اهراقه ولكن اجعلوني في اول الدعاء واوسطه والآخرة وقال ابن عطاء للدعاء اركان
واجنحة واسباب واوقات فان وافق اركانه قوي وان وافق اجنحته طار في السماء
وان وافق مواقيته فاز وان وافق اسبابه انجح فاركانه حضور القلب والرقة
والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه من الاسباب واجنحته الصدق
ومواقيته الاسحار واسبابه الصلوة على محمد عليه السلام وفي الحديث الدعاء بين الصلوتين
على لا يرد وفي حديث آخر كل دعاء محجوب دون السماء فاذا جاءت الصلوة على
صعد الدعاء وفي دعاء ابن عباس الذي رواه عنه حنش فقال في آخره واستجب
دعائي ثم تبدأ بالصلوة على النبي عليه السلام ان تصلي على محمد عبدك ونبيك ورسولك
افضل ما صليت على احد من خلقك اجمعين آمين ومن مواطن الصلوة عند ذكره
وسماع اسمه او كتابه او عند الاذان وقال عليه السلام رغم انف رجل ذكرت عنده
فلم يصل علي وكره ابن حبيب ذكر النبي عليه السلام عند الذبح وكره سحنون الصلوة
عليه عند التعجب وقال لا يصلى عليه الا على طريق الاحتساب وطلب الثواب
وقال اصبغ عن ابن القاسم موطنان لا يذكر فيهما الا الله الذبيحة والعطاس فلا يقل
فيهما بعد ذكر الله محمد رسول الله ولو قال بعد ذكر الله صلى الله على محمد لم يكن تسمية
له مع الله وقال اشهب قال ولا ينبغي ان تجعل الصلوة على النبي عليه السلام استنانا

ورووا استنانا وروى النسائي عن اوس بن اوس عن النبي عليه السلام
الامر بالاكثار من الصلوة عليه يوم الجمعة ومن مواطن الصلوة عليه والسلام
دخول المسجد قال ابو اسحاق محمد بن القاسم بن شعبان وينبغي لمن دخل
المسجد ان يصلي على النبي عليه السلام وعلى آله ويترحم عليه وآله ويبارك عليه
وآله ويسلم عليه وآله تسليما يقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك
واذا خرج يقول مثل ذلك ويجعل رحمتك فضلك وقال عمرو بن دينار في قوله
فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال ان لم يكن في البيت احد فقل السلام
على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام
على اهل البيت ورحمة الله وبركاته قال ابن عباس رضه المراد بالبيوت
هنا المسجد وقال النخعي اذا لم يكن في المسجد احد فقل السلام على
رسول الله واذا لم يكن في البيوت احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
وعن علقمة اذا دخل المسجد اقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله
وبركاته صلى الله وملائكته على محمد ونحوه عن كعب اذا دخل واذا خرج ولم يذكر
الصلوة واحتج ابن شعبان لما ذكره بحديث فاطمة بنت رسول الله عليه السلام
كان يفعله اذا دخل المسجد ومثله عن ابي بكر بن عمرو بن حزم وذكر السلام
والرحمة وقد ذكرنا هذا الحديث آخر القسم والاختلاف في الفاظه ومن مواطن
الصلوة عليه ايضا الصلوة على الجنائز وذكر عن ابي امامة انها من السنة ومن
مواطن الصلوة التي مضى عليها عمل الامة ولم تنكرها الصلوة على النبي عليه السلام
وآله في الرسائل وما يكتب بعد البسملة ولم يكن هذا في الصدر الاول
واحدث عند ولاية بني هاشم فمضى عمل الناس في اقطار الارض ومنهم
من يختم به ايضا الكتب وقال عليه الصلوة والسلام من صلى علي في كتاب لم تزل

الملائكة تستغفر له مادام اسمى فى ذلك الكتاب ومن مواطن
التسليم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تشهد الصلوة حدثنا ابو
القاسم خلف بن ابراهيم المقرى الخطيب رح وغيره قال ثنى كريمة
بنت محمد قالت ثنا ابو الهيثم قال حدثنا محمد بن يوسف
قال حدثنا محمد بن اسمعيل قال حدثنا ابو نعيم قال
حدثنا الاعمش عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود
عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا صلى احدكم
فليقل التحيات لله والصلوة والطيبات السلام عليك
ايها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين فانكم اذا قلتموها
اصابت كل عبد صالح فى السماء والارض
هذا احد مواطن التسليم عليه وسنة اول التشهد
وقد روى مالك عن ابن عمر انه كان يقول ذلك
اذا فرغ من تشهده واراد ان يسلم واستحب مالك فى المبسوط
ان يسلم بمثل ذلك قبل السلام قال محمد بن مسلمة اراد ما جاء عن عائشة
وابن عمر انهما كانا يقولان عند سلامهما السلام عليك ايها النبى ورحمة
الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين واستحب اهل العلم ان ينوى
الانسان عند سلامه كل عباد صالح فى السماء والارض من الملائكة وبنى آدم
والجن قال مالك فى المجموعة واحب للمأموم اذا سلم امامه
ان يقول السلام على النبى ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فصل فى

فصل فى كيفية الصلوة عليه والتسليم حدثنا ابو اسحق
ابراهيم بن جعفر الفقيه بقراءتى عليه ثنا القاضى ابو
الاصبغ ثنا ابو عبد الله بن عتاب ثنا ابو بكر بن واقد وغيره
ثنا ابو عيسى ثنا عبيد الله ثنا يحيى ثنا مالك عن عبد الله بن ابى
بكر بن حزم عن ابيه عن عمرو بن سليم الزرقى انه قال اخبرنى
ابو حميد الساعدى انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلى عليك
فقال قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته كما صليت
على ابراهيم وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على
آل ابراهيم انك حميد مجيد وفى رواية مالك عن ابى مسعود
الانصارى قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت
على آل ابراهيم وبارك على محمد كما باركت على آل ابراهيم فى العالمين
انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم وفى رواية كعب بن
عجرة اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك
على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد وعن
عقبة بن عمرو فى حديثه اللهم صل على محمد النبى الامى وعلى
آل محمد وفى رواية ابى سعيد الخدرى اللهم صل على محمد عبدك
ورسولك وذكر معناه وحدثنا القاضى ابو عبد الله التميمى
سماعا عليه وقراءة على الحسين بن الطرابلسى الخزرجى رحمه الله عن عبيد الله بن
نعيم الاشتانى ثنا ابو نعيم عبد الملك بن محمد بن محمد بن الحسن ابن ابى مريم الحافظ
على بن احمد الهلالى عن حرب بن الحسن عن يحيى بن المساور
عن عمرو بن خالد عن زيد بن على بن الحسين عن ابيه على

عن ابيه الحسين عن ابيه على بن ابى طالب قال عدهن فى يدى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عدهن فى يدى جبريل
وقال هكذا انزلت من عند رب العزة اللهم صل على محمد وعلى آل
محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم
بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك
حميد مجيد اللهم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى
آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت
على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وسلم على
محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك
حميد مجيد وعن ابى هريرة عن النبى صلعم من سره
ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت
فليقل اللهم صل على محمد النبى وازواجه امهات
المؤمنين وذريته واهل بيته كما صليت على ابراهيم انك
حميد مجيد وفى رواية زيد بن خارجة الانصارى
سألت النبى صلعم كيف نصلى عليك فقال صلوا
واجتهدوا فى الدعاء ثم قولوا اللهم بارك على محمد وعلى
آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد وعن سلامة
الكندى كان على يعلمنا الصلاة على النبى صلعم اللهم
داحى المدحوات وبارئ المسموكات اجعل شرائف صلواتك
ونوامى بركاتك ورأفة تحننك على محمد عبدك ورسولك
الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق

بالحق والدامغ لجيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع بامرك
بطاعتك مستوفزا فى مرضاتك واعيا لوحيك حافظا
لعهدك ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى قبسا لقابس
آلاء الله تصل باهله اسبابه به هديت القلوب بعد
خوضات الفتن والاثم موضحات الاعلام ونائرات الاحكام
ومنيرات الاسلام فهو امينك المأمون وخازن علمك
المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك
بالحق رحمة اللهم افسح له فى عدنك واجزه مضاعفات
الخير من فضلك مهنئات له غير مكدرات من فوز ثوابك
المحلول وجزيل عطائك المعلول اللهم اعل على بناء
الناس بناءه واكرم مثواه لديك ونزله واتمم له نوره
واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة ومرضى المقالة
ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان عظيم وعنه ايضا
فى الصلوة على النبى صلعم ان الله وملائكته يصلون
على النبى الآية لبيك وسعديك صلوات الله البر الرحيم
والملائكة المقربين والنبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وما سبح لك من شئ يا رب العالمين على محمد
ابن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين وامام
المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعى
اليك باذنك السراج المنير وعليه السلام وعن عبد الله
بن مسعود اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك

على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد
عبدك ورسولك امام الخير ورسول الرحمة اللهم
ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد
مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل
ابراهيم انك حميد مجيد وكان الحسن البصري يقول من
اراد ان يشرب بالكاس الاوفى من حوض المصطفى فليقل
اللهم صل على محمد وآله واصحابه واولاده وازواجه
وذريته واهل بيته واصهاره وانصاره واشياعه
ومحبيه وامته وعلينا معهم اجمعين يا ارحم الراحمين
وعن طاوس عن ابن عباس انه كان يقول اللهم تقبل
شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته العليا وآته سؤله
في الاخرة والاولى كما آتيت ابراهيم وموسى وعن وهيب
ابن الورد انه كان يقول في دعائه اللهم اعط محمدا
افضل ما سالك لنفسه واعط محمدا افضل ما سالك
له احد من خلقك واعط محمدا افضل ما انت مسؤول له
الى يوم القيمة وعن ابن مسعود انه كان يقول اذا
صليتم على النبي صلعم فاحسنوا الصلاة عليه فانكم
لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم اجعل
صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين
وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام

امام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما
محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم صل على محمد وعلى
آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد وما يؤثر في تطويل
الصلاة وتكثير الثناء على اهل البيت وغيرهم كثير وقوله
والسلام كما قد علمتم هو ما علمهم في التشهد من قوله
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين وفي تشهد علي السلام
على رسول الله السلام على انبياء الله ورسله السلام
على رسول الله السلام على محمد بن عبد الله السلام علينا
وعلى المؤمنين والمؤمنات من غاب منهم ومن شهد
اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته واغفر لي
ولوالدي وما ولدا وارحمهما السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
جاء في هذا الحديث عن علي الدعا للنبي بالمغفرة وفي حديث
الصلاة عليه ايضا قبل الدعاء له بالرحمة ولم يات في غيره
من الاحاديث المعروفة المرفوعة وقد ذهب ابو عمر بن
عبد البر وغيره الى انه لا يدعى للنبي بالرحمة وانما يدعى له
بالصلاة والبركة التي تختص به ويدعى لغيره بالمغفرة
والرحمة وقد ذكر ابو محمد بن ابي زيد في الصلاة على
النبي اللهم ارحم محمدا وآل محمد كما رحمت على ابراهيم وآل
ابراهيم ولم يات هذا في حديث صحيح وحجته قوله في السلام

السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته فصل
في فضيلة الصلوة على النبي والتسليم عليه والدعاء له
حدثنا احمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه ثنا القاضي
يونس بن مغيث ثنا ابو بكر بن معاوية ثنا النسائي
سويد بن نصر انا عبد الله عن حيوة بن شريح قال
اخبرني كعب ابن علقمة انه سمع عبد الرحمن بن جبير
مولى نافع انه سمع عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا
مثل ما يقول وصلوا علي فانه من صلى علي صلى الله عليه
عشرا ثم سلوا لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي
الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سال لي الوسيلة
حلت عليه الشفاعة وروى انس بن مالك ان النبي صلعم
قال من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه
عشر خطيئات ورفع له عشر درجات وفي رواية وكتب له
عشر حسنات وعن انس عنه عليه السلام ان جبريل
ناداني فقال من صلى عليك صلاة صلى الله عليه عشرا
ورفعه عشر درجات ومن رواية عبد الرحمن بن عوف
عنه عليه السلام لقيت جبريل فقال اني ابشرك ان
الله يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك
صليت عليه ونحوه من رواية ابي هريرة ومالك بن اوس
ابن الحدثان وعبيد الله بن ابي طلحة وعن زيد بن الحباب

الحباب سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من قال اللهم صل
على محمد وانزله المنزل المقرب عندك يوم القيمة وجبت له
شفاعتي وعن ابن مسعود اولى الناس بي يوم القيمة اكثرهم علي صلاة
وعن ابي هريرة عنه عليه السلام من صلى علي في كتاب لم تزل
الملائكة تستغفر له ما بقي اسمي في ذلك الكتاب وعن عامر بن
ربيعة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى علي
صلاة صلت عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل من ذلك عبد او
ليكثر وعن ابي بن كعب كان رسول الله صلعم اذا ذهب
ربع الليل قام فقال يا ايها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة
تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه فقال ابي بن كعب يا رسول الله
اني اكثر الصلاة عليك فكم اجعل لك من صلاتي فقال ما شئت
قال الربع قال ما شئت فان زدت فهو خير قال الثلث قال ما شئت
فان زدت فهو خير قال النصف قال ما شئت وان زدت فهو
خير قال الثلثين قال ما شئت وان زدت فهو خير قال يا رسول الله
فاجعل صلاتي كلها لك قال اذا تكفى ويغفر ذنبك وعن
ابي طلحة دخلت على النبي صلعم فرايت من بشره وطلاقته
ما لم اره قط فسألته فقال وما يمنعني وقد خرج جبريل آنفا
فاتاني ببشرى من ربي ان الله بعثني اليك ابشرك انه
ليس احد من امتك يصلي عليك الا صلى الله عليه وملائكته بها عشرا
وعن جابر بن عبد الله قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة

والصلوة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه
مقاما محمودا الذي وعدته حلت له الشفاعة يوم القيمة وعن
سعد بن ابي وقاص من قال حين يسمع المؤذن وانا اشهد ان
لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا غفر له وروى
ابن وهب ان النبي صلعم قال من سلم علي عشرا فكانما اعتق
رقبة من النار وفي بعض الاثار ليردن علي اقوام ما اعرفهم
الا بكثرة صلوتهم علي وفي اخرى ان انجاكم يوم القيمة من
اهوالها ومواطنها اكثركم علي صلاة وعن ابي بكر الصلوة
على النبي صلعم امحق للذنوب من الماء البارد للنار والسلام
عليه افضل من عتق الرقاب فصل في ذم من لم يصل على
النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا القاضي ابو الوليد
ابو علي رحمه الله ثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسن
الصيرفي قالا ثنا ابو يعلى السنجي ثنا محمد بن محبوب
ثنا ابو عيسى ثنا احمد بن ابراهيم الدورقي ثنا ربعي
بن ابراهيم عن عبد الرحمن بن اسحق عن سعيد بن
ابي سعيد عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم
انف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له
ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه الكبر فلم يدخلاه
الجنة قال عبد الرحمن واظنه قال او احدهما وفي حديث

وفي حديث اخر ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال امين
ثم صعد فقال امين فسأله معاذ عن ذلك فقال ان جبريل عم
اتاني فقال يا محمد من سميت بين يديه فلم يصل عليك فمات فدخل
النار فابعده الله قل امين فقلت امين وقال فيمن ادرك رمضان
فلم يقبل منه فمات مثل ذلك ومن ادرك ابويه او احدهما فلم
يبرهما فمات مثله وعن علي بن ابي طالب عنه عليه السلام انه قال
البخيل كل البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل علي وعن ابي هريرة
قال ابو القسم صلعم ايما قوم جلسوا مجلسا ثم تفرقوا قبل
ان يذكروا الله ويصلوا على النبي صلعم كان عليهم من الله
ترة ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم وعن ابي هريرة من نسي
الصلوة نسي طريق الجنة وعن قتادة عنه عليه السلام من
الجفاء ان اذكر عند الرجل فلا يصلي علي وعن جابر عنه عليه
ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا على غير صلاة على النبي صلعم الا
تفرقوا عن انتن من ريح الجيفة وعن ابي سعيد عن النبي صلعم
قال لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه على النبي صلعم الا
كان عليهم حسرة وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب وحكى
ابو عيسى الترمذي عن بعض اهل العلم قال اذا صلى الرجل على
النبي صلعم مرة في المجلس اجزا عنه ما كان في ذلك المجلس
فصل في تخصيصه عليه السلام بتبليغ صلاة من صلى عليه
او سلم من الانام حدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي ثنا الحسين
بن محمد ثنا ابو عمر الحافظ ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابن داسة

١٥٧

ثنا ابو داود ثنا ابن عوف ثنا المقرئ ثنا حيوة عن ابي صخر
حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يسلم علي
الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام وذكر ابو بكر
بن ابي شيبة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم من صلى
علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا بلغته وعن
ابن مسعود ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن
امتي السلام ونحوه عن ابي هريرة وعن ابن عمر اكثروا
من السلام على نبيكم كل جمعة فانه يؤتى به منكم في كل
جمعة وفي رواية فان احدا لا يصلي علي الا عرضت علي صلاته
حين يفرغ منها وعن الحسن عنه عليه السلام حيثما كنتم
فصلوا علي فان صلاتكم تبلغني وعن ابن عباس ليس احد من
امة محمد يسلم عليه ويصلي عليه الا بلغه وذكر بعضهم ان
العبد اذا صلى على النبي صلعم عرض عليه اسمه وعن الحسن بن
علي اذا دخلت المسجد فسلم على النبي فان رسول الله صلعم قال
لا تتخذوا بيتي عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي
حيث كنتم فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم وفي حديث اوس
اكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة فان صلاتكم معروضة علي
وعن سليمان بن سحيم رأيت النبي صلعم في النوم فقلت يا رسول
الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك اتفقه سلامهم
قال نعم وارد عليهم وعن ابن شهاب بلغنا ان النبي صلعم قال

قال اكثروا من الصلاة علي في الليلة الزهراء واليوم الازهر
فانهما يؤديان عنكم وان الارض لا تاكل اجساد الانبياء
وما من مسلم يصلي علي الا حملها ملك حتى يؤديها الي ويسميه
حتى انه ليقول ان فلانا يقول كذا وكذا فصل في الاختلاف
في الصلوة على غير النبي وسائر الانبياء عليهم السلام
قال القاضي وفقه الله عامة اهل العلم متفقون على جواز
الصلوة على غير النبي صلعم وروي عن ابن عباس انه لا يجوز
الصلاة على غير النبي صلعم وروي عنه لا ينبغي الصلاة على احد
الا النبيين وقال سفيان يكره ان يصلى الا على نبي ووجدت
بخط بعض شيوخي مذهب مالك انه لا يجوز ان يصلى
على احد من الانبياء سوى محمد عليه السلام وهذا غير
معروف من مذهبه وقد قال مالك في المبسوطة ليحيى بن
اسحق اكره الصلاة على غير الانبياء وما ينبغي لنا ان نتعدى
ما امرنا به قال يحيى بن يحيى لست اخذ بقوله ولا بأس بالصلاة
على الانبياء كلهم وعلى غيرهم واحتج بحديث ابن عمر وبما جاء
في حديث تعليم النبي صلعم الصلاة عليه وفيه وعلى ازواجه
وعلى اله قالوا والاسانيد عن ابن عباس لينة والصلاة في
لسان العرب بمعنى الترحم والدعاء وذلك على الاطلاق حتى
يمنع منه حديث صحيح او اجماع وقد قال تعالى هو الذي يصلي
عليكم وملائكته الاية وقال خذ من اموالهم صدقة تطهرهم
وتزكيهم بها وصل عليهم الاية وقال اولئك عليهم

صلوات من ربهم ورحمة وقال النبي صلعم اللهم صل على
آل ابي اوفى وكان اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على
آل فلان وفي حديث الصلاة اللهم صل على محمد وعلى ازواجه
وذريته وفي آخر وعلى آل محمد قيل اتباعه وقيل امته
وقيل الاتباع والرهط والعشيرة وقيل آل الرجل ولده
وقيل قومه وقيل اهله الذين حرمت عليهم الصدقة
وفي رواية انس سئل النبي صلى الله عليه وسلم من آل
محمد قال كل تقي ويجيء على مذهب الحسن ان المراد بآل محمد
محمد نفسه فانه كان يقول في صلاته على النبي اللهم
اجعل صلواتك وبركاتك على آل احمد يريد نفسه لانه
كان لا يخل بالفرض ويأتي النفل لان الفرض الذي امر
الله به هو الصلاة على محمد نفسه وهذا مثل قوله
لقد اوتي مزمارا من مزامير آل داود يريد من مزامير
داود وفي حديث ابي حميد الساعدي في الصلاة اللهم
صل على محمد وازواجه وذريته وفي حديث ابن عمر انه
كان يصلي على النبي صلعم وعلى ابي بكر وعمر ذكره مالك
في الموطأ من رواية يحيى الاندلسي وروى ابن وهب
عن انس بن مالك كنا ندعو لاصحابنا بالغيب فنقول
اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم ابرار الذين
يقومون بالليل ويصومون بالنهار قال القاضي والذي
ذهب اليه المحققون واميل اليه ما قاله مالك وسفيان

وسفيان رح وروى عن ابن عباس واختاره غير واحد من الفقهاء
والمتكلمين انه لا يصلى على غير الانبياء توقيرا لهم وتعزيرا كما يخص
الله تعالى عند ذكره بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولا يشاركه فيه
غيره كذلك يجب تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء بالصلوة
والتسليم ولا يشارك فيه سواهم كما امر الله بقوله صلوا عليه وسلموا
تسليما ويذكر من سواهم من الائمة وغيرهم بالغفران والرضى كما قال الله تعالى
يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وقال تعالى
والتابعين لهم باحسان رضي الله عنهم اجمعين وقال تعالى والذين اتبعوهم
باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وايضا فهو امر لم يكن لهم معروفا
في الصدر الاول كما قال ابو عمران وانما احدثه الرافضة والمتشيعة في بعض
الائمة فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلوة وساووهم بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
في ذلك وايضا فان التشبه باهل البدع منهي عنه فتجب مخالفتهم فيما
التزموه من ذلك وذكر الصلوة على الآل والازواج مع النبي صلى الله عليه وسلم
بحكم التبع والاضافة اليه لا على التخصيص قالوا والصلوة على النبي عليه السلام
على من صلى عليه مجراها مجرى الدعاء والمواجهة ليس فيها معنى التعظيم
والتوقير قالوا وقد قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم
بعضا فكذلك يجب ان يكون الدعاء له مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض
وهذا الصحيح اختيار الامام ابي المظفر الاسفرايني من شيوخنا **فصل في**
حكم زيارة قبره عليه الصلوة والسلام وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف
يسلم ويدعو وزيارة قبره عليه السلام سنة من المسلمين مجمع عليها وفضيلة
مرغب فيها وروى عن ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري

وجبت له شفاعتي **وعن انس** بن مالك رض قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
من زارني في المدينة محتسبا كان في جواري وكنت له شفيعا يوم القيمة
وفي حديث آخر من زارني بعد موتي فكانما زارني في حياتي وكره
مالك ان يقال زرنا قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد اختلف في معنى
ذلك فقيل كراهة الاسم لما ورد من قوله عليه السلام لعن الله زوارات القبور
وهذا يرده قوله نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها وقوله من زار
قبري فقد اطلق اسم الزيارة وقيل لان ذلك لما قيل ان الزائر افضل من المزور
وهذا ايضا ليس بشيء اذ ليس كل زائر بهذه الصفة وليس عموما
وقد ورد في حديث اهل الجنة زيارتهم لربهم ولم يمنع هذا اللفظ في حقه
تعالى وقال ابو عمران انما كره ان يقال طواف الزيارة وزرنا قبر النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم لاستعمال الناس ذلك بعضهم لبعض وكره تسوية
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع الناس بهذا اللفظ وان يخص بان يقال سلمنا
على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وايضا فان زيارة مباحة بين الناس وواجب شد
الرحال الى قبره عليه الصلوة والسلام يريد بالوجوب هنا وجوب ندب
وترغيب وتاكيد والاولى عندي ان معنى كراهة مالك له لاضافة
الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وانه لو قال زرنا النبي صلى الله عليه وسلم
لم يكرهه لقوله عليه الصلوة والسلام اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد
بعدي اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد
فحمى اضافة هذا اللفظ الى القبر والتشبه بفعل اولئك قطعا
للذريعة وحسما للباب والله اعلم **قال** اسحق بن ابراهيم الفقيه
ومما لم يزل من شان من حج المرور بالمدينة

بالمدينة والقصد الى الصلاة في مسجد رسول الله صلعم
والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامس
يديه ومواطئ قدميه والعمود الذي كان يستند اليه وينزل
جبريل بالوحي فيه عليه وبمن عمره وقصده من الصحابة
وائمة المسلمين والاعتبار بذلك كله وقال ابن ابي فديك
سمعت بعض من ادركت يقول بلغنا انه من وقف عند قبر
النبي صلعم فتلا هذه الاية ان الله وملائكته يصلون على
النبي ثم قال صلى الله عليك يا محمد من يقولها سبعين
مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة
وعن يزيد بن ابي سعيد المهري قدمت على عمر بن عبد العزيز
فلما ودعته قال لي اليك حاجة اذا اتيت المدينة سترى قبر
النبي صلعم فاقرئه مني السلام قال غيره وكان يبرد اليه البريد
من الشام قال بعضهم رأيت انس بن مالك اتى قبر النبي صلعم
فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلاة فسلم على النبي
صلعم ثم انصرف قال مالك في رواية ابن وهب اذا سلم على النبي
صلعم ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدنو ويسلم
ولا يمس القبر بيده وقال في المبسوط لا ارى ان يقف عند قبر
النبي صلعم يدعو ولكن يسلم ويمضي قال ابن ابي مليكة من
احب ان يقوم وجاه النبي صلعم فليجعل القنديل الذي في
القبلة عند القبر على راسه وقال نافع كان ابن عمر يسلم على

القبر رأيته مائة مرة وأكثر يجيء إلى القبر فيقول السلام
على النبي صلى الله عليه وسلم السلام على أبي بكر السلام على أبي حفص ثم
ينصرف وفي الموطأ من رواية يحيى بن يحيى الليثي أنه كان
يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي على النبي وعلى
أبي بكر وعمر وعند ابن القاسم والقعنبي ويدعو لأبي بكر
وعمر قال مالك في رواية ابن وهب يقول المسلم السلام
عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته قال في المبسوط ويسلم
على أبي بكر وعمر قال القاضي أبو الوليد الباجي وعندي أنه يدعو
للنبي بلفظ الصلاة ولأبي بكر وعمر كما في حديث ابن عمر من
الخلاف وقال ابن حبيب ويقول إذا دخل مسجد الرسول بسم الله
وسلام على رسول الله السلام علينا من ربنا
وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب
رحمتك وجنتك واحفظني من الشيطان الرجيم ثم اقصد
إلى الروضة وهي ما بين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل
وقوفك بالقبر تحمد الله فيهما وتسأله تمام ما خرجت إليه والعون
عليه وإن كانت ركعتاك في غير الروضة أجزأتاك وفي الروضة
أفضل وقد قال عليه السلام ما بين بيتي ومنبري روضة من
رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة ثم تقف بالقبر
متواضعا متوقرا فتصلي عليه وتثني بما يحضرك وتسلم على
أبي بكر وعمر وتدعو لهما وأكثر من الصلاة على النبي صلعم بالليل

بالليل والنهار ولا تدع أن تأتي مسجد قباء وقبور الشهداء
قال مالك في كتاب محمد ويسلم على النبي صلعم إذا دخل وخرج يعني
في المدينة وفيما بين ذلك قال محمد وإذا خرج جعل آخر عهده
الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا وروى ابن وهب
عن فاطمة بنت النبي صلعم أن النبي صلعم قال إذا دخلت المسجد
فصل على النبي صلعم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك
وفي رواية أخرى فليسلم مكان فليصل ويقول إذا خرج اللهم
إني أسألك من فضلك وفي أخرى اللهم احفظني من الشيطان
وعن محمد بن سيرين كان الناس يقولون إذا دخلوا المسجد صلى
الله وملائكته على محمد السلام عليك أيها النبي ورحمة الله
بسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا وكانوا يقولون إذا خرجوا
مثل ذلك وعن فاطمة أيضا كان النبي صلعم إذا دخل المسجد
قال صلعم ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا وفي رواية حمد الله
وسمى وصلى على النبي صلعم وذكر مثله وفي رواية بسم الله
والسلام على رسول الله وعن غيرها كان رسول الله صلعم إذا دخل
المسجد قال اللهم افتح لي أبواب رحمتك ويسر لي أبواب رزقك
وعن أبي هريرة إذا دخل أحدكم المسجد فليصل على النبي صلعم وليقل
اللهم افتح لي وقال مالك في المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد
وخرج منه من أهل المدينة الوقوف بالقبر وإنما ذلك للغرباء
وقال فيه أيضا ولا بأس لمن قدم من سفر أو خرج إلى سفر أن
يقف على قبر النبي صلعم فيصلي عليه ويدعو له ولأبي بكر

وعمر فقيل له فإن ناسا من أهل المدينة لا يقدمون من سفر
ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر وربما
وقفوا في الجمعة أو في الأيام المرة والمرتين أو أكثر عند القبر
فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغني هذا عن أحد من
أهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح آخر هذه الأمة
إلا ما أصلح أولها ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها
أنهم كانوا يفعلون ذلك ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده
قال ابن القاسم ورأيت أهل المدينة إذا خرجوا منها أو
دخلوها أتوا القبر فسلموا قال وذلك رأيي أي مالك قال
الباجي ففرق بين أهل المدينة والغرباء لأن الغرباء قصدوا
لذلك وأهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من أجل القبر
والتسليم وقال عليه السلام لا تجعل قبري وثنا يعبد
اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد
وقال لا تجعلوا قبري عيدا ومن كتاب أحمد بن سعيد الهندي
فيمن وقف بالقبر لا يلصق به ولا يمسه ولا يقف عنده
طويلا وفي العتبية يبدأ بالركوع قبل السلام في مسجد
النبي صلعم وأحب مواضع التنفل فيه مصلى النبي صلعم حيث
العمود المخلق وأما في الفريضة فالتقدم إلى الصفوف
والتنفل فيه للغرباء أحب إلي من التنفل في البيوت
فيما يلزم من دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم من
الأدب سوى ما قدمناه وفضله وفضل الصلاة فيه

فيه وفي مسجد مكة وذكر قبره ومنبره وفضل
سكنى المدينة ومكة قال الله تعالى لمسجد أسس
على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه روي
أن النبي صلعم سئل أي مسجد هو قال مسجدي
هذا وهو قول ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن
عمر ومالك بن أنس وغيرهم وعن ابن عباس أنه مسجد
قباء حدثنا هشام بن أحمد الفقيه بقراءتي عليه قال
ثنا الحسين بن محمد الحافظ ثنا أبو عمر النمري ثنا أبو
محمد بن عبد المؤمن ثنا أبو بكر بن داسة ثنا أبو
داود ثنا مسدد ثنا سفيان عن الزهري عن سعيد بن
المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلعم قال لا تشد الرحال
إلا إلى ثلاثة مساجد مسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد
الأقصى وقد تقدمت الآثار في الصلاة على النبي صلى
الله عليه وسلم عند دخول المسجد وعن عبد الله بن
عمرو بن العاص أن النبي صلعم كان إذا دخل المسجد قال
أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من
الشيطان الرجيم وقال مالك رحمه الله سمع عمر بن الخطاب
رضه صوتا في المسجد فدعا بصاحبه فقال ممن أنت
قال رجل من ثقيف قال لو كنت من هاتين القريتين
إن مسجدنا لا يرفع فيه الصوت قال محمد بن مسلمة لا ينبغي
لأحد أن يعتمد المسجد برفع الصوت ولا بشيء من الأذى

وان ينزه عما يكره قال القاضي حكى ذلك كله القاضي
اسمعيل في مبسوطه في باب فضل مسجد النبي صعلم
والعلماء كلهم متفقون ان حكم سائر المساجد هذا
الحكم قال القاضي اسمعيل وقال محمد بن مسلمة ويكره
في مسجد الرسول صعلم الجهر على المصلين فيما يخلط عليهم
صلاتهم وليس مما يخص به المساجد رفع الصوت
قد كره رفع الصوت بالتلبية في مسجد الجماعة الا المسجد
الحرام ومسجدنا وقال ابو هريرة عنه عليه السلام
صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه
الا المسجد الحرام قال القاضي اختلف الناس في معنى
هذا الاستثناء على اختلافهم في المفاضلة بين مكة
والمدينة فذهب مالك في رواية اشهب عنه وقاله
ابن نافع صاحبه وجماعة اصحابه الى ان معنى الحديث
ان الصلاة في مسجد الرسول افضل من الصلاة في سائر
المساجد بالف صلاة الا المسجد الحرام فان الصلاة
في مسجد النبي صعلم افضل من الصلاة فيه بدون
الالف واحتجوا بما روي عن عمر بن الخطاب صلاة في المسجد
الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه فتاتي فضيلة
مسجد الرسول عليه بتسع مائة وعلى غيره بالف وهذا
مبني على تفضيل المدينة على مكة على ما قدمناه وهو
قول عمر بن الخطاب ومالك واكثر المدنيين وذهب اهل

اهل مكة والكوفة الى تفضيل مكة وهو قول عطا وابن وهب
وابن حبيب من اصحاب مالك وحكاه الساجي عن الشافعي وحملوا
الاستثناء في الحديث المتقدم على ظاهره وان الصلاة في
المسجد الحرام افضل واحتجوا بحديث عبد الله بن الزبير عن
النبي صعلم بمثل حديث ابي هريرة وفيه وصلاة في المسجد
الحرام افضل من الصلاة في مسجدي هذا بمائة صلاة وروى
قتادة مثله فياتي فضل الصلاة في المسجد الحرام على هذا
على الصلاة في سائر المساجد بمائة الف ولا خلاف ان موضع
قبره افضل بقاع الارض قال القاضي ابو الوليد الباجي
الذي يقتضيه الحديث مخالفة حكم مكة لسائر المساجد
ولا يعلم منه حكمها مع المدينة وذهب الطحاوي الى هذا
التفضيل انما هو في صلاة الفرض وذهب مطرف من اصحابنا
الى ان ذلك في النافلة ايضا قال وجمعة خير من جمعة
ورمضان خير من رمضان وقد ذكر عبد الرزاق في تفضيل
رمضان بالمدينة وغيرها حديثا نحوه وقال عليه السلام
ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومثله عن
ابي هريرة وابي سعيد وزاد ومنبري على حوضي وفي حديث
اخر منبري على ترعة من ترع الجنة قال الطبري فيه معنيان
احدهما ان المراد بالبيت بيت سكناه على الظاهر مع انه روي
ما يبينه بين حجرتي ومنبري والثاني ان البيت هنا القبر
وهو قول زيد بن اسلم في الحديث كما روي بين قبري ومنبري

وقال الطبري واذا كان قبره في بيته اتفقت معاني الروايات
ولم يكن بينها خلاف لان قبره في حجرته وهو بيته وقوله ومنبري
على حوضي قيل يحتمل انه منبره بعينه الذي كان في الدنيا وهو اظهر
والثاني ان يكون له هناك منبر والثالث ان قصد منبره
والحضور عنده لملازمة الاعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب
الشرب منه قاله الباجي وقوله روضة من رياض الجنة يحتمل
معنيين احدهما انه موجب لذلك وان الدعاء والصلاة
فيه يستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال
السيوف والثاني ان تلك البقعة قد ينقلها الله فتكون
في الجنة بعينها قاله الداودي وروى ابن عمر وجماعة من
الصحابة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في المدينة لا يصبر
على لاوايها وشدتها احد الا كنت له شهيدا او شفيعا يوم
القيمة وقال فيمن تحمل عن المدينة والمدينة خير لهم لو كانوا
يعلمون وقال انما المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها
وقال لا يخرج احد من المدينة رغبة عنها الا ابدلها الله
خيرا منه وروي عنه عليه السلام من مات في احد الحرمين
حاجا او معتمرا بعثه الله يوم القيمة لا حساب عليه ولا عذاب
وفي طريق اخر بعث من الامنين يوم القيمة وعن ابن عمر
من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها فاني اشفع لمن يموت
بها وتماه قصة اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا
الى قوله امنا قال بعض المفسرين امنا من النار وقيل كان

كان يامن من الطلب من احدث حدثا ولجا اليه في الجاهلية
وهذا مثل قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا على
قول بعضهم وحكي ان قوما اتوا سعدون الخولاني بالمنستير
فاعلموه ان كتامة قتلوا رجلا واضرموا عليه النار طول الليل
فلم تعمل فيه وبقي ابيض البدن فقال لعله حج ثلاث حجج قالوا
نعم قال حدثت ان من حج حجة ادى فرضه ومن حج ثانية داين
ربه ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار ولما
نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قال مرحبا بك
من بيت ما اعظمك واعظم حرمتك وفي الحديث عنه عليه السلام
ما من احد يدعو الله عند الركن الاسود الا استجاب الله له
وكذلك عند الميزاب وعنه عليه السلام من صلى خلف المقام
ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وحشر يوم القيمة
من الامنين قرات على القاضي الحافظ ابي علي رحمه الله حدثنا
ابو العباس العذري قال ثنا ابو اسامة محمد بن احمد بن محمد
الهروي ثنا الحسن بن رشيق سمعت ابا الحسن محمد بن الحسن
بن راشد سمعت ابا بكر محمد بن ادريس سمعت
الحميدي قال سمعت سفيان بن عيينة قال سمعت عمرو بن
دينار قال سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله صعلم
يقول ما دعا احد بشيء في هذا الملتزم الا استجيب له
قال ابن عباس وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ
سمعت هذا من رسول الله صعلم الا استجيب لي وقال عمرو بن

دعا به ربنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت
هذا من ابن عباس الا استجيب لي وقال سفيان وانا ما دعوت
الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو الا استجيب لي
قال الحميدي وانا ما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت
هذا من سفيان الا استجيب لي وقال محمد بن ادريس وانا
ما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من
الحميدي الا استجيب لي وقال ابو الحسن محمد بن الحسن وانا
فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن
ادريس الا استجيب لي قال ابو اسامة وما اذكر الحسن
بن رشيق الا استجيب لي من امر الدنيا وانا ارجو ان يستجيب
لي من امر الآخرة قال العذري وانا ما دعوت الله بشيء في
هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابي اسامة الا استجيب لي
قال ابو علي وانا فقد دعوت الله فيه باشياء كثيرة استجيب لي
بعضها وارجو من سعة فضله ان يستجيب لي بقيتها
قال القاضي ابو الفضل ذكرنا نبذا من هذه النكت
في هذا الفصل وان لم تكن من الباب لتعلقها بالفصل
الذي قبله حرصا على تمام الفائدة والله الموفق للصواب
برحمته

فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم

وما يستحيل او يجوز عليه وما يمتنع او يصح من الاحوال
البشرية ان يضاف اليه قال الله تعالى وما محمد الا رسول
قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل الاية وقال تعالى ما

المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل
وامه صديقة كانا ياكلان الطعام وقال وما ارسلنا قبلك
من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق وقال
قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم الاية فمحمد صلعم وسائر
الانبياء من البشر ولولا ذلك لما اطاق الناس مقاومتهم
والقبول عنهم ومخاطبتهم قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا
لجعلناه رجلا اي لما كان الا في صورة البشر الذين
يمكنكم مخالطتهم اذ لا تطيقون مقاومة الملك
ومخاطبته ورؤيته اذا كان على صورته وقال قل لو
كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم
من السماء ملكا رسولا اي لا يمكن في سنة الله ارسال الملك
الا لمن هو من جنسه او من خصه الله تعالى واصطفاه وقواه
على مقاومته كالانبياء والرسل فالانبياء والرسل وسائط
بين الله وبين خلقه يبلغونهم اوامره ونواهيه ووعده ووعيده
ويعرفونهم بما لم يعلموه من امره وخلقه وجلاله وسلطانه
وجبروته وملكوته فظواهرهم واجسادهم وبنيتهم متصفة
باوصاف البشر طارئ عليها ما يطرأ على البشر من الاعراض
والاسقام والموت والفناء ونعوت الانسانية وارواحهم
وبواطنهم متصفة باعلى من اوصاف البشر متعلقة
بالملأ الاعلى متشبهة بصفات الملائكة سليمة
من التغير والآفات لا يلحقها غالبا عجز البشرية

ولا ضعف الانسانية اذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية
كظواهرهم لما اطاقوا الاخذ عن الملائكة ورؤيتهم ومخاطبتهم
ومخالطتهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر ولو كانت اجسامهم
وظواهرهم متسمة بنعوت الملائكة وبخلاف صفات البشر
لما اطاق البشر ومن ارسلوا اليه مخالطتهم كما تقدم
من قول الله تعالى فجعلوا من جهة الاجسام والظواهر مع
البشر ومن جهة الارواح والبواطن مع الملائكة كما قال
عليه السلام لو كنت متخذا من امتي خليلا لاتخذت
ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام لكن صاحبكم خليل
الرحمن وكما قال تنام عيناي ولا ينام قلبي وقال اني لست
كهيئتكم اني اظل يطعمني ربي ويسقيني فبواطنهم منزهة
عن الآفات مطهرة من النقائص والاعتلالات وهذه
جملة لن يكتفي بمضمونها كل ذي همة بل الاكثر يحتاج الى بسط
وتفصيل على ما ياتي بعد هذا في البابين بعون الله وهو
حسبي ونعم الوكيل

فيما يختص بالامور الدينية

والكلام في عصمة نبينا وسائر الانبياء صلوات
الله عليهم قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه اعلم
ان الطوارئ من التغييرات والآفات على آحاد البشر
لا تخلو ان تطرأ على جسمه او على حواسه بغير قصد
واختيار وكله في الحقيقة عمل وفعل ولكن جرى
رسم المشايخ بتفصيله الى ثلاثة انواع

عقد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح وجميع البشر تطرأ عليهم
الآفات والتغييرات بالاختيار وبغير الاختيار في هذه الوجوه
كلها والنبي صلعم وان كان من البشر ويجوز على جبلته ما يجوز
على جبلة البشر فقد قامت البراهين القاطعة وتمت
كلمة الاجماع على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير من الآفات
التي تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار كما سنبينه ان شاء
الله تعالى فيما ياتي به من التفاصيل

في حكم عقد قلب النبي

منذ وقت نبوته اعلم منحنا الله واياك توفيقه ان ما تعلق
منه بطريق التوحيد والعلم بالله وصفاته والايمان
به وبما اوحي اليه فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين
والانتفاء عن الجهل بشيء من ذلك او الشك او الريب فيه
والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين هذا ما
وقع اجماع المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة ان يكون
في عقود الانبياء سواه ولا يعترض على هذا بقول ابراهيم
قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اذ لم يشك ابراهيم في اخبار الله
له باحياء الموتى ولكن اراد طمأنينة القلب وترك
المنازعة لمشاهدة الاحياء فحصل له العلم الاول بوقوعه
واراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته الوجه الثاني
ان ابراهيم عليه السلام انما اراد اختبار منزلته عند ربه
وعلم اجابة دعوته بسؤال ذلك من ربه ويكون قوله تعالى
اولم تؤمن اي تصدق بمنزلتك مني وخلتك واصطفائك

الوجه الثالث انه سأل زيادة يقين وقوة طمانينة وان
لم يكن في الاول شك اذ العلوم الضرورية والنظرية قد
تتفاضل في قوتها وطريان الشكوك على الضروريات
يمتنع ويجوز في النظريات فاراد الانتقال من النظر
او الخبر الى المشاهدة والترقي من علم اليقين الى عين اليقين
فليس الخبر كالمعاينة ولهذا قال سهل بن عبد الله سأل
كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا في حاله الوجه
الرابع انه لما احتج على المشركين بان ربه يحيي ويميت طلب
ذلك من ربه ليصح احتجاجه عيانا الوجه الخامس من قول
بعضهم هو سؤال على طريق الادب المراد اقدرني على
احياء الموتى وقوله ليطمئن قلبي عن هذه الامنية الوجه
السادس انه ادى من نفسه الشك وما شك لكن
ليجاوب فيزداد قربه وقول نبينا عليه السلام نحن احق
بالشك من ابراهيم نفي لان يكون ابراهيم شك وابعاد
للخواطر الضعيفة ان يظن هذا بابراهيم اي نحن موقنون
بالبعث واحياء الله الموتى فلو شك ابراهيم لكنا اولى
بالشك منه اما على طريق الادب او ان يريد امته الذين
يجوز عليهم الشك او على طريق التواضع والاشفاق
ان حملت قصة ابراهيم على اختبار حاله او زيادة يقينه
فان قلت فما معنى قوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك
فسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك الايتين فاحذر

فاحذر ثبت الله قلبك ان يخطر ببالك ما ذكره فيه
بعض المفسرين عن ابن عباس او غيره من اثبات شك
للنبي صلعم فيما اوحي اليه وانه من البشر فمثل هذا
لا يجوز عليه جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي صلعم
ولم يسئل ونحوه عن ابن جبير والحسن وحكى قتادة
ان النبي صلعم قال ما اشك ولا اسأل وعامة المفسرين
على هذا واختلفوا في معنى الاية فقيل المراد قل يا محمد للشاك
ان كنت في شك الاية قالوا وفي السورة نفسها ما دل
على هذا التأويل قوله قل يا ايها الناس ان كنتم في شك
من ديني الاية وقيل المراد بالخطاب العرب وغير النبي صلعم
كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك الاية الخطاب له والمراد
غيره ومثله فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ونظيره
كثير قال بكر بن العلاء الا تراه يقول ولا تكونن من الذين
كذبوا بايات الله وهو عليه السلام كان المكذب فيما يدعو
اليه فكيف يكون ممن كذب به فهذا كله يدل ان المراد
بالخطاب غيره ومثل هذه الاية قوله الرحمن فاسئل به خبيرا
المأمور هاهنا غير النبي صلعم ليسئل النبي صلعم والنبي
صلى الله عليه وسلم هو الخبير المسؤل لا المستخبر السائل
وقيل ان هذا الشك الذي امر غير النبي صلعم بسؤال
الذين يقرؤن الكتاب انما هو فيما قصه الله من اخبار
الامم لا فيما دعا اليه من التوحيد والشريعة ومثل هذا

قوله تعالى واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية
المراد به المشركون والخطاب مواجهة للنبي صلعم قاله
القتبي وقيل المراد سلنا عمن ارسلنا من قبلك فحذف الخافض
وتم الكلام ثم ابتدا اجعلنا من دون
الرحمن الى اخر الاية على طريق الانكار اي ما جعلنا حكاه مكي
وقيل امر النبي صلعم ان يسئل الانبياء ليلة الاسرا عن
ذلك فكان اشد يقينا من ان يحتاج الى السؤال فروي
انه قال لا اسئل قد اكتفيت قاله ابن زيد وقيل سل
امم من ارسلنا هل جاؤهم بغير التوحيد وهو معنى قول
مجاهد والسدي وقتادة والضحاك والمراد بهذا والذي
قبله اعلامه بما بعثت به الرسل وانه تعالى لم ياذن
في عبادة غيره لاحد ردا على مشركي العرب وغيرهم
في قولهم انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وكذلك قوله
تعالى والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك
بالحق فلا تكونن من الممترين اي في علمهم بانك رسول الله
وان لم يقروا بذلك وليس المراد به شكه فيما ذكر في اول
الاية وقد يكون ايضا على مثل ما تقدم اي قل لمن امترى
يا محمد في ذلك لا تكونن من الممترين بدليل قوله اول الاية
افغير الله ابتغي حكما الاية وان النبي صلعم يخاطب بذلك
غيره وقيل هو تقرير كقوله ءانت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله وقد علم انه لم يقل وقيل معناه

معناه ما كنت في شك فاسئل تزدد طمانينة وعلما الى علمك
ويقينك وقيل ان كنت تشك فيما شرفناك وفضلناك
به فاسئلهم عن صفتك في الكتب ونشر فضائلك
وحكي عن ابي عبيدة ان المراد ان كنت في شك من غيرك
فيما انزلنا فان قيل فما معنى قوله حتى اذا استياس
الرسل وظنوا انهم قد كذبوا على قراءة التخفيف قلنا
المعنى في ذلك ما قالته عايشة معاذ الله ان يظن ذلك
الرسل بربها وانما معنى ذلك ان الرسل لما استياسوا
ظنوا ان من وعدهم النصر من اتباعهم كذبوهم وعلى هذا
اكثر المفسرين وقيل ان الضمير في ظنوا عائد على الاتباع
والامم لا على الانبياء والرسل وهو قول ابن عباس والنخعي
وابن جبير وجماعة من العلماء وبهذا المعنى قرأ مجاهد
كذبوا بالفتح فلا تشغل بالك من شاذ التفسير بسواه
مما لا يليق بمنصب العلما فكيف بالانبيا وكذلك ما ورد في حديث
السيرة ومبتدأ الوحي من قوله لخديجة لقد خشيت
على نفسي ليس معناه الشك فيما اتاه الله بعد روية
الملك ولكن لعله خشي الا يحتمل قوته مقاومة الملك
واعباء الوحي فينخلع قلبه او تزهق نفسه هذا على ما
ورد في الصحيح انه قال بعد لقائه الملك او يكون ذلك
قبل لقائه الملك واعلام الله تعالى له بالنبوة لاول
ما عرضت عليه من العجايب وسلم عليه الحجر والشجر

وبداية المنامات والتباشير كما روي في بعض طرق هذا الحديث
ان ذلك كان اولا في المنام ثم أري في اليقظة مثل ذلك تأنيساً
له عليه السلام لئلا يفجأه الامر مشاهدة ومشافهة فلا
يحتمله لاول حالة بنية البشرية وفي الصحيح عن عائشة
اول ما بدئ به رسول الله صلعم من الوحي الرؤيا الصادقة
قالت ثم حبب اليه الخلاء وقالت الى ان جاءه الحق وهو
في غار حراء الحديث وعن ابن عباس مكث النبي صلعم بمكة
خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين
ولا يرى شيئا وثمان سنين يوحى اليه وقد روى ابن اسحق
عن بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وذكر
جواره بغار حراء قال فجاءني وانا نائم فقال اقرأ فقلت
ما اقرأ وذكر حديث عائشة في غطه له واقرائه اقرأ
باسم ربك السور قال فانصرف عني وهببت من نومي
كأنما صورت في قلبي ولم يكن ابغض الي من شاعر او مجنون
قلت لا تحدث عني قريش بهذا ابدا لاعمدن الى حالق
من الجبل فلاطرحن نفسي منه فلاقتلنها فبينا انا
عامد لذلك اذ سمعت مناديا ينادي من السماء يا محمد
انت رسول الله وانا جبريل فرفعت رأسي فاذا جبريل على
صورة رجل وذكر الحديث فقد بين في هذا ان قوله ما قال
وقصده ما قصد انما كان قبل لقاء جبريل عليه
السلام وقبل اعلام الله له بالنبوة واظهاره واصطفائه

اصطفائه له بالرسالة ومثله حديث عمرو بن شرحبيل انه
عليه السلام قال لخديجة اني اذا خلوت وحدي سمعت
نداء وقد خشيت والله ان يكون هذا لامر ومن رواية حماد
بن سلمة ان النبي صلعم قال لخديجة اني لاسمع صوتا واري
ضوءا واخشى ان يكون بي جنون وعلى هذا يتأول لو صح قوله
في بعض هذه الاحاديث ان الابعد شاعر او مجنون والفاظ
يفهم منها معاني الشك في تصحيح ما رآه وانه كان كله في
ابتداء امره وقبل لقاء الملك له واعلام الله تعالى انه رسول
كيف وبعض هذه الالفاظ لا يصح طرقها واما بعد
اعلام الله تعالى له ولقائه الملك فلا يصح فيه ريب ولا
يجوز عليه شك فيما القي اليه وقد روى ابن اسحق
عن شيوخه ان رسول الله صلعم كان يرقى من العين بمكة
قبل ان ينزل عليه فلما نزل عليه القرآن اصابه نحو
ما كان يصيبه فقالت له خديجة اوجه اليك من يرقيك قال
اما الآن فلا وحديث خديجة واختبارها امر جبريل بكشف
رأسها الحديث انما ذلك في حق خديجة لتحقق نبوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الذي يأتيه ملك
وزوال الشك عنها لا انها فعلته للنبي صلعم
وليختبر هو حاله بذلك بل قد ورد في حديث عبد الله بن
محمد بن يحيى بن عروة عن هشام عن ابيه عن عائشة
ان ورقة امر خديجة ان تختبر الامر بذلك وفي حديث
اسمعيل بن ابي حكيم انها قالت لرسول الله صلعم

يا بن عم هل تستطيع ان تخبرني بصاحبك اذا جاءك
قال نعم فلما جاءه جبريل اخبرها فقالت له اجلس الى
شقي وذكر الحديث الى آخره وفيه فقالت ما هذا
بشيطان هذا الملك يا ابن عم فاثبت وابشر وآمنت به
فهذا يدل انها مستثبتة بما فعلته لنفسها ومستظهرة
لايمانها لا للنبي صلعم وقول معمر في فترة الوحي فحزن
النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه
مرارا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال لا يقدح
في هذا الاصل لقول معمر عنه فيما بلغنا ولم يسنده
ولا ذكر رواته ولا من حدث به ولا ان النبي صلعم
قاله ولا يعرف مثل هذا الا من جهة النبي صلعم مع انه
قد يحمل على انه كان اول الامر كما ذكرناه او انه فعل ذلك
لما احرجه من تكذيب من بلغه كما قال تعالى فلعلك باخع
نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث ويصحح
معنى هذا التأويل حديث رواه شريك عن عبد الله بن
محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله ان المشركين لما اجتمعوا
بدار الندوة للتشاور في شأن النبي صلعم واتفق رأيهم
على ان يقولوا انه ساحر اشتد ذلك عليه وتزمل
في ثيابه وتدثر فيها فاتاه جبريل فقال يا ايها
المزمل يا ايها المدثر او خاف ان الفترة لامر
او سبب منه فخشي ان يكون عقوبة من ربه ففعل
ذلك بنفسه ولم يرد بعد شرع بالنهي عن ذلك

ذلك فيعترض به ونحو هذا فرار يونس عليه السلام خشية
تكذيب قومه له لما وعدهم به من العذاب وقول الله في يونس
فظن ان لن نقدر عليه معناه ان لن نضيق عليه قال مكي
طمع في رحمة الله وان لا نضيق عليه مسلكه في خروجه وقيل
حسن ظنه بمولاه انه لا يقضي عليه العقوبة وقيل نقدر
عليه ما اصابه وقد قرئ نقدر عليه بالتشديد وقيل
نؤاخذه بغضبه وذهابه وقال ابن زيد معناه افظن
ان لن نقدر عليه على الاستفهام ولا يليق ان يظن بنبي
ان يجهل صفة من صفات ربه وكذلك قوله اذ ذهب
مغاضبا الصحيح مغاضبا لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس
والضحاك وغيرهما لا لربه اذ مغاضبة الله معاداة له ومعاداة
الله كفر لا يليق بالمؤمنين فكيف بالانبياء وقيل مستحييا
من قومه ان يسموه بالكذب او يقتلوه كما ورد في الخبر وقيل
مغاضبا لبعض الملوك فيما امره به من التوجه الى امر امره
الله به على لسان نبي آخر فقال له يونس غيري اقوى عليه مني
فخرج لذلك مغاضبا وقد روي عن ابن عباس ان ارسال
يونس ونبوته انما كان بعد ان نبذه الحوت واستدل من
قوله فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة
من يقطين وارسلناه ويستدل ايضا بقوله ولا تكن
كصاحب الحوت وذكر القصة ثم قال فاجتباه ربه فجعله
من الصالحين فتكون هذه القصة اذا قبل نبوته

فما معنى قوله عليه السلام انه ليغان على قلبي فاستغفر
الله كل يوم مائة مرة وفي طريق في اليوم اكثر من سبعين
مرة فاحذر ان يقع ببالك ان يكون هذا الغين وسوسة او
ريبا وقع في قلبه عليه السلام بل اصل الغين في هذا
ما يتغشى القلب ويغطيه قاله ابو عبيد واصله من غين
السماء وهو اطباق الغيم عليها وقال غيره الغين شي يغشى
القلب ولا يغطيه كل التغطية كالغيم الرقيق الذي يعرض
في الهواء فلا يمنع ضوء الشمس وكذلك لا يفهم من الحديث
انه يغان على قلبه مائة مرة او اكثر من سبعين مرة
في اليوم اذ ليس يقتضيه لفظه الذي ذكرناه وهو اكثر
الروايات وانما هذا عدد للاستغفار لا للغين فيكون
المراد بهذا الغين اشارة الى غفلات قلبه وفترات نفسه
وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما كان صلعم
دفع اليه من مقاساة البشر وسياسة الامة ومعاناة
الاهل ومقاومة الولي والعدو ومصلحة النفس وكلفه
من اعباء اداء الرسالة وحمل الامانة وهو في كل هذا في
طاعة ربه وعبادة خالقه ولكن لما كان صلى الله عليه وسلم
ارفع الخلق عند الله مكانة واعلاهم درجة واتمهم به معرفة
وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلو همه وتفرده بربه واقباله
بكليته عليه ومقامه هنالك ارفع حاليه راى عليه السلام
حال فترته عنها وشغله بسواها غضا من علي حاله وخفضا

وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك وهذا اولى وجوه
الحديث واشهرها والى معنى ما اشرنا اليه مال كثير من الناس
وحام حوله فقارب ولم يرد وقد قربنا غامض معناه وكشفنا
للمستفيد محياه وهو مبني على جواز الفترات والغفلات
والسهو في غير طريق البلاغ على ما سياتي وذهبت طائفة
من ارباب القلوب ومشيخة المتصوفة ممن قال بتنزيه النبي
صلى الله عليه وسلم عن هذا جملة واجله ان يجوز عليه في
حال سهو او فترة الى ان معنى الحديث ما يهم خاطره ويغم
فكره من امر امته عليه السلام لاهتمامه بهم وكثرة شفقته
عليهم فيستغفر لهم قالوا وقد يكون الغين هنا على قلبه السكينة
التي تتغشاه لقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه ويكون استغفاره
عليه السلام عندها اظهارا للعبودية والافتقار وقال
ابن عطاء استغفاره وفعله هذا تعريف للامة يحملهم على
الاستغفار قال غيره ويستشعرون الحذر ولا يركنون
الى الامن وقد يحتمل ان يكون هذه الاغانة حالة خشية واعظام
تغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكرا لله تعالى وملازمة
لعبوديته كما قال في ملازمة العبادة افلا اكون عبدا شكورا
وعلى هذه الوجوه الاخيرة يحمل ما روي في بعض طرق هذا
الحديث عنه عليه السلام انه ليغان على قلبي في اليوم اكثر من
سبعين مرة فاستغفر الله فان قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد عليه السلام
ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين

وكذلك قوله لنوح عليه السلام فلا تسألن ما ليس لك به
علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين قيل انه لا يلتفت
في ذلك الى قول من قال في اية نبينا عليه السلام لا تكونن
ممن يجهل ان الله لو شاء لجمعهم على الهدى وفي اية نوح
لا تكونن ممن يجهل ان وعد الله حق لقوله وان وعدك
الحق اذ فيه اثبات الجهل بصفة من صفات الله تعالى
وذلك لا يجوز على الانبياء عليهم السلام والمقصود
وعظهم ان لا يتشبهوا في امورهم بسمات الجاهلين كما
قال اني اعظك وليس في اية منهما دليل على كونهم على
تلك الصفة التي نهاهم عن الكون عليها فكيف واية نوح
قبلها فلا تسألن ما ليس لك به علم فحمل ما بعدها على
ما قبلها اولى لان مثل هذا قد يحتاج الى اذن وقد تجوز
اباحة السؤال فيه ابتداء فنهاه الله تعالى ان يساله
عما طوى عنه علمه واكنه من غيبه من السبب الموجب لهلاك
ابنه ثم اكمل الله نعمته عليه باعلامه ذلك بقوله انه ليس
من اهلك انه عمل غير صالح حكى معناه مكي كذلك امر
نبينا في الاية الاخرى بالتزام الصبر على اعراض قومه ولا يحرج
عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر حكاه ابو بكر
بن فورك وقيل معنى الخطاب لامة محمد اي فلا تكونوا من
الجاهلين حكاه ابو محمد مكي وقال مثله في القران كثير فبهذا
الفضل وجب القول بعصمة الانبياء منه بعد النبوة قطعا

قطعا فان قلت فاذا قررت عصمتهم من هذا وانه لا يجوز
عليهم شيء من ذلك فما معنى اذا وعيد الله لنبينا صلعم ان
فعله وتحذيره منه كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك
الاية وقوله ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك
الاية وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة الاية وقوله لاخذنا
باليمين وقوله وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل
الله وقوله فان يشاء الله يختم على قلبك وقوله وان لم تفعل
فما بلغت رسالته وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين
فاعلم وفقنا الله تعالى واياك انه عليه السلام لا يصح
ولا يجوز ان لا يبلغ وان يخالف امر ربه ولا ان يشرك
ولا يتقول على الله ما لا يحب او يفتري عليه او يضل او
يختم على قلبه او يطيع الكافرين لكن يسر امره بالمكاشفة
والبيان في البلاغ للمخالفين وان ابلاغه ان لم يكن بهذه
السبيل فكانه ما بلغ وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله
والله يعصمك من الناس كما قال لموسى وهرون لا تخافا
لتشتد بصائرهم في الابلاغ واظهار دين الله ويذهب
عنهم خوف العدو والمضعف للنفس واما قوله ولو تقول
علينا بعض الاقاويل الاية وقوله اذا لاذقناك ضعف
الحياة فمعناه ان هذا جزاء من فعل هذا وجزاؤك لو كنت
ممن يفعله وهو لا يفعله وكذلك قوله وان تطع اكثر من في الارض
يضلوك فالمراد غيره كما قال ان تطيعوا الذين كفروا الاية وقوله

ان يشاء الله يختم على قلبك ولئن اشركت ليحبطن عملك وما
اشبهه فالمراد غيره وان هذه حال من اشرك والنبي صلعم
لا يجوز عليه هذا وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين
فيه انه اطاعهم والله ينهاه عما يشاء ويامره بما يشاء كما
قال ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية وما كان طردهم
عليه السلام ولا كان من الظالمين فصل واما عصمتهم
من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف والصواب
انهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته
والتشكك في شيء من ذلك وقد تعاضدت الاخبار والآثار
عن الانبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا
ونشأتهم على التوحيد والايمان بل على اشراق انوار المعارف
ونفحات الطاف السعادة كما نبهنا عليه في الباب الثاني
من القسم الاول من كتابنا هذا ولم ينقل احد من اهل الاخبار
ان احدا نبئ واصطفي ممن عرف بكفر واشراك قبل ذلك ومستند
هذا الباب النقل وقد استدل بعضهم بان القلوب تنفر
عمن كانت هذه سبيله وانا اقول ان قريشا قد رمت نبينا
بكل ما افترته وعير كفار الامم انبياءها بكل ما امكنها
واختلقته مما نص الله عليه او نقلته الينا الرواة ولم نجد
في شيء من ذلك تعييرا لواحد منهم برفضه آلهته وتقريعه
بذمه بترك ما كان قد جامعهم عليه ولو كان هذا لكانوا
بذلك مبادرين وبتلونه في معبوده محتجين ولكان

وكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل افظع واقطع في
الحجة من توبيخه بنهيهم عن ترك آلهتهم وما كان يعبد آباؤهم
من قبل ففي اطباقهم على الاعراض عنه دليل على انهم لم يجدوا
سبيلا اليه اذ لو كان لنقل وما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عند
تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا
عليها كما حكاه الله عنهم وقد استدل القاضي القشيري
على تنزيههم عن هذا بقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك الآية وبقوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين
الى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه قال فطهره الله تعالى في الميثاق
وبعيد ان ياخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم ياخذ ميثاق
النبيين بالايمان به ونصره قبل مولده بدهور ويجوز عليه
الشرك او غيره من الذنوب هذا ما لا يجوزه الا ملحد هذا
معنى كلامه وكيف يكون ذلك وقد اتاه جبريل وشق قلبه
صغيرا واستخرج منه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك
ثم غسله وملاه حكمة وايمانا كما تظاهرت به اخبار المبدأ
ولا يشتبه عليك بقول ابراهيم عن الكوكب والقمر والشمس
هذا ربي فانه قد قيل كان هذا في سن الطفولية وابتداء
النظر والاستدلال وقبل لزوم التكليف وذهب معظم
الحذاق من العلماء والمفسرين الى انه انما قال ذلك مبكتا
لقومه ومستدلا عليهم وقيل معناه الاستفهام الوارد
مورد الانكار والمراد افهذا ربي قال الزجاج قوله هذا ربي

اي على قولكم كما قال اين شركائي اي عندكم ويدل على انه
لم يعتقد شيئا من ذلك ولا اشرك قط بالله طرفة العين
قول الله تعالى عنه اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون ثم قال
افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون
فانهم عدو لي الا رب العالمين وقال اذ جاء ربه بقلب
سليم اي من الشرك وقوله واجنبني وبني ان نعبد
الاصنام فان قلت فما معنى لئن لم يهدني ربي لاكونن
من القوم الضالين قيل انه ان لم يؤيدني بمعونته اكون
مثلكم في ضلالكم وعبادتكم على معنى الاشفاق والحذر
والا فهو معصوم في الازل من الضلال فان قلت
فما معنى قوله وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم
من ارضنا او لتعودن في ملتنا ثم قال بعد عن الرسل
قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا
الله منها فلا يشكل عليك لفظة العود انها تقتضي
انهم انما يعودون الى ما كانوا فيه من ملتهم فقد تاتي
هذه اللفظة في كلام العرب لغير ما ليس له ابتداء بمعنى
الصيرورة كما جاء في حديث الجهنميين عادوا حمما ولم يكونوا
قبل ذلك ومثله قول الشاعر فعادا بعد ابوالا
وما كانا قبل كذلك فان قلت فما معنى قوله ووجدك
ضالا فهدى فليس هو من الضلال الذي هو الكفر قيل
ضالا عن النبوة فهداك اليها قاله الطبري وقيل وجدك

وجدك بين اهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك للايمان والى
ارشادهم وتحنوه عن التشدي وبغيره وقيل ضالا عن شريعتك
اي لا تعرفها فهداك اليها والضلال هنا التحير ولهذا كان عليه
السلام يخلو بغار حرا في طلب ما يتوجه به الى ربه ويتشرع
حتى هداه الله الى الاسلام قال معناه القشيري وقيل لا تعرف
الحق فهداك اليه وهذا مثل قوله وعلمك ما لم تكن تعلم قاله
علي بن عيسى قال ابن عباس لم تكن له ضلالة معصية وقيل هدى
اي بين امرك بالبراهين وقيل وجدك ضالا بين مكة و
المدينة فهداك الى المدينة وقيل المعنى وجدك فهدى بك ضالا وعن
جعفر بن محمد ووجدك ضالا عن محبتي لك في الازل اي لا تعرفها
فمننت عليك بمعرفتي وقرا الحسن بن علي ووجدك ضال فهدى
اي اهتدى بك وقال ابن عطاء ووجدك ضالا اي محبا لمعرفتي
والضال المحب كما قال انك لفي ضلالك القديم اي محبتك القديمة
ولم يريدوا هاهنا في الدين اذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا
ومثله عند هذا قوله انا لنراها في ضلال مبين اي محبة
بينة وقال الجنيد ووجدك متحيرا في بيان ما انزل اليك
فهداك لبيانه لقوله وانزلنا اليك الذكر الآية وقيل
وجدك لم يعرفك احد بالنبوة حتى اظهرك فهدى بك
السعداء ولا اعلم احدا قال من المفسرين فيها ضالا عن
الايمان وكذلك في قصة موسى عليه السلام قوله فعلتها
اذا وانا من الضالين اي من المخطئين الفاعلين شيئا بغير

قصد قاله ابن عرفة وقال الازهري معناه من الناسين
وقد قيل في قوله ووجدك ضالا فهدى اي ناسيا كما
قال ان تضل احديهما الاية قوله تعالى والمعنى قوله ما كنت
تدري ما الكتاب ولا الايمان فالجواب ان السمرقندي
قال معناه ما كنت تدري قبل الوحي ان تقرا القران ولا
كيف تدعوا الخلق الى الايمان وقال بكر القاضي
نحوه قال الايمان الذي هو الفرائض والاحكام فكان قبل
مؤمنا بتوحيده ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها
قبل فزاد بالتكليف ايمانا وهو احسن وجوهه فان قلت
ما معنى قوله تعالى وان كنت من قبله لمن الغافلين فاعلم
انه ليس بمعنى قوله والذين هم عن اياتنا غافلون بل حكى
ابو عبيد الهروي ان معناه لمن الغافلين عن قصة يوسف
عليه السلام اذ لم يعلمها الا بوحينا وكذلك الحديث
الذي يرويه عثمان بن ابي شيبة بسنده عن جابر ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال كان يشهد مع المشركين
مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه
اذهب حتى نقوم خلفه فقال الاخر كيف نقوم خلفه
وعهده باستلام الاصنام فلم يشهدهم بعد فهذا حديث
انكره احمد بن حنبل جدا وقال هذا موضوع او شبيه
بالموضوع وقال الدارقطني يقال ان عثمان وهم في

في اسناده والحديث بالجملة منكر غير متفق على اسناده
فلا يلتفت اليه والمعروف عن النبي صلعم خلافه عند اهل
العلم من قوله بغضت الي الاصنام وقوله في الحديث الاخر
الذي روته ام ايمن حين كلمه عمه واله في حضور بعض
اعيادهم وعزموا عليه فيه بعد كراهته لذلك فخرج معهم
ورجع مرعوبا فقال كلما دنوت منها من صنم تمثل لي
شخص ابيض طويل يصيح بي وراءك لا تمسه فما شهد
بعد لهم عيدا وقوله في قصة بحيرا حين استحلف النبي
صلعم باللات والعزى اذ لقيه بالشام في سفرته مع عمه
ابي طالب وهو صبي ورأى فيه علامات النبوة فاختبره
بذلك فقال له النبي صلعم لا تسألني بهما فوالله ما ابغضت
شيئا قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله الا ما اخبرتني عما
اسألك عنه فقال سل عما بدا لك وكذلك المعروف من
سيرته عليه السلام وتوفيق الله تعالى له انه كان قبل
نبوته يخالف المشركين في وقوفهم بمزدلفة في الحج فكان
يقف هو بعرفة لانه كان موقف ابراهيم عليه السلام فصل
قال القاضي ابو الفضل رض قد بان بما قدمناه عقود
الانبياء في التوحيد والايمان والوحي وعصمتهم في ذلك
على ما بيناه فاما ما عدا هذا الباب من عقود قلوبهم
فجماعها انها مملوة علما ويقينا على الجملة وانها قد
احتوت من المعرفة والعلم بامور الدين والدنيا

ما لا شيء فوقه ومن طالع الاخبار واعتنى بالحديث وتامل
ما قلناه وجده وقد قدمنا منه في حق نبينا عليه السلام
في الباب الرابع اول قسم من هذا الكتاب ما ينبهك على ما ورد
الا ان احوالهم في هذه المعارف تختلف فاما ما تعلق منها
بامر الدنيا فلا يشترط في حق الانبيا العصمة من عدم
معرفة الانبياء ببعضها او اعتقادها على خلاف ما هي عليه
ولا وصم عليهم فيه اذ هممهم متعلقة بالاخرة وانبائها
وامر الشريعة وقوانينها وامور الدنيا تضادها
بخلاف غيرهم من اهل الدنيا الذين يعلمون ظاهرا من
الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون كما سنبين هذا
في الباب الثاني ان شاء الله تعالى ولكنه لا يقال انهم
لا يعلمون شيئا من امر الدنيا فان ذلك يؤدي الى
الغفلة والبله وهم المنزهون عنه بل قد ارسلوا
الى اهل الدنيا وقلدوا سياستهم والنظر في مصالح دينهم
ودنياهم وهذا لا يكون مع عدم العلم بامور الدنيا بالكلية
واحوال الانبياء وسيرهم في هذا الباب معلومة ومعرفتهم
بذلك كله مشهورة واما ان كان هذا العقد مما يتعلق بالدين
فلا يصح من النبي الا العلم به ولا يجوز عليه جهله جملة لانه
لا يخلو ان يكون حصل عنده ذلك عن وحي من الله فهو
ما لا يصح الشك فيه على ما قدمناه فكيف الجهل بل
حصل له العلم اليقين او يكون فعل ذلك باجتهاده فيما

فيما لم ينزل عليه في شيء على القول بتجويز وقوع الاجتهاد منه
في ذلك على قول المحققين وعلى مقتضى حديث ام سلمة اني
انما اقضي بينكم برأيي فيما لم ينزل علي فيه خرجه الثقات
وكقصة اسرى بدر والاذن للمتخلفين على راي بعضهم
فلا يكون ايضا ما يعتقده مما يثمره اجتهاده الا حقا
وصحيحا هذا هو الحق الذي لا يلتفت الى خلاف من خالفه
فيه لا على القول بتصويب المجتهدين الذي هو الحق والصواب
عندنا ولا على القول الاخر بان الحق في طرف واحد لعصمة
النبي صلعم من الخطا في الاجتهاد في الشرعيات ولان
القول في تخطئة المجتهدين انما هو بعد استقرار الشرع
ونظر النبي واجتهاده انما هو فيما لم ينزل عليه فيه شيء ولم
يشرع له مثله هذا فيما عقده عليه صلعم قلبه فاما ما لم
يعقد عليه قلبه من امر النوازل الشرعية فقد كان لا
يعلم منها اولا الا ما علمه الله تعالى شيئا شيئا
حتى استقر علم جملتها عنده اما بوحي من الله تعالى او اذن
ان يشرع في ذلك ويحكم بما اراه الله وقد كان ينتظر الوحي
في كثير منها ولكنه لم يمت حتى استفرغ علم جميعها عنده
عليه السلام وتقررت معارفها لديه على التحقيق
ورفع الشك والريب وانتفاء الجهل عنه بالجملة فلا
يصح منه الجهل بشيء من تفاصيل الشرع الذي امر
بالدعوة اليه اذ لا يصح دعوته الى ما لا يعلمه واما ما تعلق

يعتقده من ملكوت السموات والارض وخلق الله
تع وتعيين اسمائه الحسنى واياته الكبرى وامور
الاخرة واشراط الساعة واحوال السعداء والاشقياء
وعلم ما كان ويكون مما لا يعلمه الا بوحي فعلى ما تقدم من
انه معصوم فيه لا ياخذه فيما اعلم منه شك ولا
ريب بل هو فيه على غاية اليقين لكنه لا يشترط له
العلم بجميع تفاصيل ذلك وان كان عنده من علم ذلك
ما ليس عند جميع البشر لقوله اني لا اعلم الا ما علمني
ربي ولقوله ولا خطر على قلب بشر ولا تعلم نفس ما اخفي
لهم من قرة اعين الاية وقول موسى لخضر هل اتبعك
على ان تعلمني مما علمت رشدا وقوله صلعم اسئلك
باسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم اعلم وقوله اسئلك
بكل اسم سميت به نفسك او استاثرت به في علم
الغيب عندك وقد قال الله تع وفوق كل ذي علم عليم
قال زيد بن اسلم وغيره حتى ينتهي العلم الى الله وهذا
ما لا خفاء به اذ معلوماته تع لا يحاط بها ولا
منتهى لها هذا حكم عقد النبي صلعم في التوحيد والشرع
والمعارف والامور الدينية فصل واعلم ان الامة
مجتمعة على عصمة النبي صلعم من الشيطان وكفايته
منه لا في جسمه من نوع الاذى ولا على خاطره بالوساوس
حدثنا القاضي الحافظ ابو علي رحمه الله قال ثنا

ثنا ابو الفضل بن خيرون العدل ثنا اسمعيل بن الصفار ثنا
عباس الترقفي ثنا محمد بن يوسف ثنا سفيان عن منصور عن
سالم بن ابي الجعد عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال
قال رسول الله صلعم ما منكم من احد الا وكل به قرينه من
الجن وقرينه من الملائكة قالوا واياك يا رسول الله قال
واياي ولكن الله تع اعانني عليه فاسلم زاد غيره عن
منصور فلا يامرني الا بخير عن عايشة بمعناه روي
فاسلم بضم الميم اي فاسلم انا منه وصحح بعضهم هذه
الرواية ورجحها وروي فاسلم يعني القرين انه انتقل عن
حال كفره الى الاسلام فصار لا يامر الا بخير كالملك
وهو ظاهر الحديث ورواه بعضهم فاستسلم قال القاضي
ابو الفضل رحمه الله فاذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه
المسلط على بني ادم فكيف بمن بعد منه ولم يلزم صحبته
ولا اقدر على الدنو منه وقد جاءت الاثار بتصدي الشياطين
له في غير موطن رغبة في اطفاء نوره واماتة نفسه
وادخال شغل عليه اذ يئسوا من اغوائه فانقلبوا
خاسرين كتعرضه له في صلاته فاخذه النبي صلعم
واسره ففي الصحاح وقد قال ابو هريرة عنه عليه السلام
ان الشيطان عرض لي قال عبد الرزاق في صورة
هر فشد علي يقطع علي الصلاة فامكنني الله تع
منه فذعته ولقد هممت ان اوثقه الى سارية حتى

تصبحوا تنظرون اليه فذكرت قول اخي سليمان رب اغفر لي
وهب لي ملكا الاية فرده الله تع خاسئا وفي حديث
ابي الدرداء عنه عليه السلام ان عدو الله ابليس جاء بي
بشهاب من نار ليجعله في وجهي والنبي صلعم في الصلوة وذكر
تعوذه بالله ولعنه ثم اردت اخذه وذكر نحوه وقال لاصبح
موثقا يتلاعب به ولدان اهل المدينة وكذلك في حديثه في
الاسراء وطلب عفريت له بشعلة نار فعلمه جبريل ما يتعوذ
به منه ذكره في الموطا ولما يقدر على اذيه بمباشرته تسبب
بالتوسط الى عداه كقضيته مع قريش في الائتمار بقتل
النبي صلعم وتصوره في صورة الشيخ النجدي ومرة اخرى
في غزوة يوم بدر في صورة سراقة بن مالك وهو قوله تع
واذ زين لهم الشيطان اعمالهم ومرة ينذر بشانه عند
العقبة وكل هذا فقد كفاه الله تع امره وعصمه ضره
وشره وقد قال عليه السلام ان عيسى عليه السلام كفي من
لمسه فجاء ليطعن بيده في خاصرته حين ولد فطعن في الحجاب
وقال صلعم حين لد في مرضه وقيل له خشينا ان يكون
بك ذات الجنب فقال انها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه
علي فان قيل فما معنى قوله تع واما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله الاية فقد قال بعض المفسرين
انها راجعة الى قوله واعرض عن الجاهلين ثم قال واما ينزغنك
اي يستخفنك غضب يحملك على الاعراض عنهم فاستعذ

فاستعذ بالله وقيل النزغ هنا الفساد كما قال من بعد
ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي وقيل ينزغنك
يغرينك ويحركنك والنزغ ادنى الوسوسة فامره الله
تع انه متى تحرك عليه غضب على عدوه او رام الشيطان
من اغرائه وخواطر ادنى وساوسه ما لم يجعل له سبيل
اليه ان يستعيذ منه فيكفى امره ويكون سبب تمام
عصمته اذ لم يسلط عليه باكثر من التعرض له ولم يجعل
له قدرة عليه وقد قيل في هذه الاية غير هذا وكذلك لا يصح
ان يتصور له الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه لا
في اول الرسالة ولا بعدها والاعتماد في ذلك دليل المعجزة
بل لا يشك النبي صلعم ان ما ياتيه من الله تع الملك
ورسوله حقيقة اما بعلم ضروري يخلقه الله تع له او ببرهان
يظهر لديه ليتم كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل
لكلماته فان قيل فما معنى قوله تع وما ارسلنا من قبلك
من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الاية فاعلم
ان للناس في معنى هذه الاية اقاويل منها السهل والوعث
والسمين والغث واولى ما يقال فيها ما عليه الجمهور من
المفسرين ان التمني هاهنا التلاوة والقاء الشيطان
فيها اشتغاله بخاطر واذكار من امور الدنيا للتالي حتى
يدخل عليه الوهم والنسيان فيما تلاه او يدخل غير ذلك
على افهام السامعين من التحريف وسوء التاويل

مايريد الله وينسخ ويكشف لبسه ويحكم اياته وسيأتي
الكلام على هذه الاية بعد بأشبع من هذا ان شاء الله تعالى
وقد حكى السمرقندي انكار قول من قال بتسلط الشيطان
على ملك سليمان وغلبته عليه وان مثل هذا لا يصح وقد
ذكرنا قصة سليمان مبينة بعد هذا ومن قال الجسد
هو الولد الذي ولد له وقال ابو محمد مكي في قصة ايوب
وقوله اني مسني الشيطان انه لا يجوز لاحد ان يتأول
ان الشيطان هو الذي امرضه والقى الضر في بدنه
ولا يكون ذلك الا بفعل الله وامره ليبتليهم ويثيبهم
قال مكي وقيل ان الذي اصابه الشيطان ما وسوس به
الى اهله فان قلت فما معنى قوله تع عن يوشع وما انسانيه
الا الشيطان وقوله عن يوسف فانساه الشيطان
ذكر ربه وقول نبينا عليه السلام حين نام عن الصلوة
يوم الوادي ان هذا واد به شيطان وقول موسى عليه السلام
في وكزته هذا من عمل الشيطان فاعلم ان هذا الكلام
قد يرد في جميع هذا على مورد مستمر كلام العرب في وصفهم
كل قبيح من شخص او فعل بالشيطان او فعله كما قال
تع طلعها كأنه رؤس الشياطين وقال صلعم فليقاتله فانما
هو شيطان وايضا فان قول يوشع لم يكلفنا الجواب
عنه اذ لم يثبت له في ذلك الوقت نبوة مع موسى
قال الله تع واذ قال موسى لفتاه والمروي انه انما

اتى بعد موت موسى عليه السلام وقيل قبيل موته وقول
موسى كان قبل نبوته بدليل القران وقصة يوسف قد ذكر
انها كانت قبل نبوته وقد قال المفسرون في قوله فانساه
الشيطان قولين احدهما ان الذي انساه الشيطان
ذكر ربه احد صاحبي السجن وربه الملك اي انساه
ان يذكره للملك شأن يوسف عليه السلام وايضا فان مثل
هذا من فعل الشيطان ليس فيه تسلط على يوسف ويوشع
بوسوسة وانما هو بشغل خواطرهما بامور اخر وتذكيرهما
من امورهما ما ينسيهما ما نسيا واما قوله عليه السلام ان
هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته بل
ان كان بمقتضى ظاهره فقد بين امر ذلك الشيطان
بقوله ان الشيطان اتى بلالا فلم يزل يهديه كما يهدى
الصبي حتى نام فاعلم ان تسلط الشيطان في ذلك الوادي
انما كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر هذا ان جعلنا
قوله هذا واد به شيطان تنبيها على سبب النوم عن الصلوة
واما ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي
وعلة لترك الصلاة به وهو دليل مساق حديث
زيد بن اسلم فلا اعتراض به في هذا الباب لبيانه وارتفاع
اشكاله فصل واما اقواله عليه السلام فقامت الدلائل
الواضحة بصحة المعجزة على صدقه واجمعت الامة فيما
كان طريقه البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار عن شيء

منها بخلاف ما هو به لا قصدا وعمدا ولا غلطا او سهوا اما
تعمد الخلف في ذلك فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام
قول الله صدق فيما قال اتفاقا وباطباق اهل الملة اجماعا
واما وقوعه على جهة الغلط في ذلك فبهذه السبيل عند
الاستاذ ابي اسحاق الاسفرايني ومن قال بقوله ومن جهة
الاجماع فقط وورود الشرع بانتفاء ذلك وعصمة النبي
لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضي ابي بكر الباقلاني
ومن وافقه لاختلاف بينهم في مقتضى دليل المعجزة
لا نطول بذكره فنخرج عن غرض الكتاب فلنعتمد على
ما وقع عليه اجماع المسلمين انه لا يجوز عليه خلف في القول
في ابلاغ الشريعة والاعلام بما اخبر به عن ربه وما
اوحاه اليه من وحيه لا على وجه العمد ولا على غير عمد
ولا في حالي الرضا والسخط والصحة والمرض وفي حديث
عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله اكتب كل ما اسمع منك
قال نعم قلت في الرضا والغضب قال نعم فاني لا اقول في
ذلك كله الا حقا ولنزد ما اشرنا اليه من دليل
المعجزة عليه بيانا فنقول اذا قامت المعجزة على صدقه وانه
لا يقول الا حقا ولا يبلغ عن الله الا صدقا وان المعجزة
قائمة مقام قول الله له صدقت فيما تذكره عني وهو
يقول اني رسول الله اليكم لابلغكم ما ارسلت به اليكم
وابين لكم ما نزل عليكم وما ينطق عن الهوى ان هو

ان هو الا وحي يوحى وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم وما
اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فلا يصح ان يوجد
منه في هذا الباب خبر بخلاف مخبره على اي وجه كان فلو جوزنا
الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره ولا اختلط الحق بالباطل
فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص
فتنزيه النبي صلعم عن ذلك كله واجب برهانا واجماعا كما قال
ابو اسحاق فصل وقد توجهت ههنا لبعض الطاعنين سؤالات
منها ما روي من ان النبي صلعم لما قرأ سورة والنجم وقال
افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى قال تلك الغرانيق
العلى وان شفاعتها لترتجى ويروى ترتضى وفي رواية ان
شفاعتها لترتجى وانها لمع الغرانيق العلى وفي اخرى والغرانقة
العلى تلك الشفاعة ترتجى فلما ختم السورة سجد وسجد معه
المسلمون والكفار لما سمعوه اثنى على الهتهم وما وقع في بعض
الروايات ان الشيطان القاها على لسانه وان النبي صلعم كان
تمنى لو نزل عليه شيء يقارب بينه وبين قومه وفي رواية اخرى
ان لا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه وذكر هذه القصة وان جبريل
جاءه فعرض عليه السورة فلما بلغ الكلمتين قال له ما جئتك
بهاتين فحزن لذلك النبي صلعم فانزل الله تسلية له وما
ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاية وقوله وان كادوا
ليفتنونك الاية فاعلم اكرمك الله ان لنا في الكلام على مشكل
هذا الحديث مأخذين احدهما في توهين اصله والثاني على

بتسليمه اما المأخذ الاول فيكفيك ان هذا حديث لم يخرجه
احد من اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل
وانما اولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل
غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم وصدق
القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال لقد بلي الناس ببعض
اهل الاهواء والتفسير وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف
نقلته واضطراب رواياته وانقطاع اسناده واختلاف كلماته
فقائل يقول انه في الصلوة واخر يقول قالها في نادي قومه حين
انزلت عليه السورة واخر يقول قالها وقد اصابته سنة
واخر يقول بل حدث نفسه فسها واخر يقول ان الشيطان
قالها على لسانه وان النبي صعلم لما عرضها على جبرائيل قال
ما هكذا اقرأتك واخر يقول بل اعلمهم الشيطان ان النبي
صعلم قرأها فلما بلغ النبي صعلم ذلك قال والله ما هكذا
انزلت الى غير ذلك من اختلاف الرواة ومن حكيت هذه الحكاية
عنه من المفسرين والتابعين لم يسندها احد منهم ولا
رفعها الى صاحب واكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية
والمرفوع فيه حديث شعبة عن ابي بشر عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس فيما احسب الشك في الحديث ان النبي صعلم
كان بمكة وذكر القصة قال ابو بكر البزار هذا الحديث
لا نعلمه يروى عن النبي صعلم باسناد متصل يجوز ذكره الا
هذا ولم يسنده عن شعبة الا امية بن خالد وغيره يرسله

يرسله عن سعيد بن جبير وانما يعرف عن الكلبي عن ابي صالح
عن ابن عباس فقد بين لك ابو بكر انه لا يعرف من طريق يجوز
ذكره سوى هذا وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك
فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه واما حديث
الكلبي فما لا يجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما
اشار اليه البزار رحمه الله والذي منه في الصحيح ان النبي صعلم
قرأ والنجم وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والجن
والانس هذا توهينه من طريق النقل فاما من جهة المعنى
فقد قامت الحجة واجمعت الامة على عصمته صعلم ونزاهته عن مثل
هذه الرذيلة اما من تمنيه ان ينزل عليه مثل هذا من مدح الهة
غير الله وهو كفر وان يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن
حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي صعلم ان من القرآن
ما ليس منه حتى ينبهه جبرائيل عليه السلام وذلك كله ممتنع في
حقه عليه السلام او يقول ذلك النبي صعلم من قبل نفسه عمدا
وذلك كفر او سهوا وهو معصوم من هذا كله وقد قررنا بالبرهان
والاجماع عصمته عليه السلام من جريان الكفر على قلبه او لسانه
لا عمدا ولا سهوا او ان يتشبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان
او يكون للشيطان عليه سبيل او ان يتقول على الله لا عمدا ولا سهوا
ما لم ينزل وقد قال تعه ولو تقول علينا بعض الاقاويل الاية
وقال اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات الاية ووجه
ثان وهو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا وذلك ان هذا الكلام

لو كان كما روي لكان بعيد الالتيام متناقض الاقسام
ممتزج المدح بالذم متخاذل التأليف والنظم ولما كان النبي
صلى الله عليه وسلم ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد
المشركين ممن يخفى عليه ذلك وهذا لا يخفى على ادنى متأمل
فكيف بمن رجح حلمه واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام
علمه ووجه ثالث انه قد علم من عادة المنافقين ومعاندي
المشركين وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم
لاول وهلة وتخليط العدو على النبي صعلم لاقل فتنة و
تعييرهم المسلمين والشماتة بهم الفينة بعد الفينة وارتداد
من في قلبه مرض ممن اظهر الاسلام لادنى شبهة ولم يحك
احد في هذه القصة شيئا سوى هذه الرواية الضعيفة
الاصل ولو كان ذلك لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة
ولاقامت بها اليهود عليهم الحجة كما فعلوا مكابرة في قصة
الاسراء حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة وكذلك ما
روي في قصة القضية ولا فتنة اعظم من هذه البلية
لو وجدت ولا تشغيب للمعادي حينئذ اشد من هذه الحادثة
لو امكنت فما روي عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم فيها بنت
شفة فدل على بطلها واجتثاث اصلها ولا شك في ادخال
بعض شياطين الانس والجن هذا الحديث على بعض مغفلي
المحدثين ليلبس على ضعفاء المسلمين ووجه رابع ذكر الرواة
لهذه القضية ان فيها نزلت وان كادوا ليفتنونك الاية

الايتين وهاتان الايتان تردان الخبر الذي رووه لان
الله تعه ذكر انهم كادوا يفتنونه حتى يفتري وانه لولا
ان ثبته الله لكاد يركن اليهم فمضمون هذا ومفهومه
ان الله عصمه من ان يفتري وثبته حتى لم يركن اليهم
قليلا فكيف كثيرا وهم يروون في اخبارهم الواهية انه
زاد على الركون والافتراء بمدح الهتهم وانه قال عليه السلام
افتريت على الله وقلت ما لم يقل وهذا ضد مفهوم الاية
وهي تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة وهذا مثل قوله
في الاية الاخرى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم
ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء
وقد روي عن ابن عباس رضه كل ما في القرآن كاد فهو ما لا يكون
قال الله تعه يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ولم يذهب و
اكاد اخفيها ولم يفعل قال القشيري القاضي ولقد طالبه
قريش وثقيف اذ مر بالهتهم ان يقبل بوجهه اليها
ووعدوه الايمان به ان فعل فما فعل ولا كان ليفعل قال
ابن الانباري ما قارب الرسول ولا ركن وقد ذكرت في معنى الاية
تفاسير اخر ما ذكرناه من نص الله على عصمة رسوله يرد سفسافها
فلم يبق في الاية الا ان الله امتن على رسوله بعصمته وتثبيته
بما كاده به الكفار وراموا من فتنته ومرادنا من ذلك تنزيهه
وعصمته صعلم وهو مفهوم الاية واما المأخذ الثاني
فهو مبني على تسليم الحديث لو صح وقد اعاذنا الله من صحته

ولكن على ذلك من حال فقد اجاب على ذلك ائمة المسلمين
باجوبة منها الغث والسمين فمنها ما روى قتادة ومقاتل
ان النبي صلعم اصابته سنة عند قراءته هذه السورة
فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح اذ لا يجوز
على النبي صلعم مثله في حالة من احواله ولا يخلقه الله على لسانه
ولا يستولي الشيطان عليه في نوم ولا يقظة لعصمته في هذا
الباب من جميع العمد والسهو وفي قول الكلبي ان النبي صلعم
حدث نفسه فقال ذلك الشيطان على لسانه وفي رواية
ابن شهاب عن ابي بكر بن عبد الرحمن قال وسها فلما اخبر بذلك
قال انما ذلك من الشيطان وكل هذا لا يصح ان يقوله عليه
السلام لا سهوا ولا قصدا ولا يتقوله الشيطان على لسانه
وقيل لعل النبي صلعم قاله في اثناء تلاوته على تقدير التقرير
والتوبيخ للكفار كقول ابراهيم هذا ربي على احد التأويلات
وكقوله بل فعله كبيرهم هذا بعد السكت وبيان الفصل بين
الكلامين ثم رجع الى تلاوته وهذا ممكن مع بيان الفصل وقرينة
تدل على المراد وانه ليس من المتلو وهو احد ما ذكره القاضي ابو بكر
ولا يعترض على هذا بما روى انه كان في الصلوة فقد كان الكلام
فيها قبل غير ممنوع والذي يظهر ويترجح في تأويله عنده وعند غيره
من المحققين على تسليمه ان النبي صلعم كان كما امره ربه يرتل
القرآن ترتيلا ويفصل الآي تفصيلا في قراءته كما رواه الثقات عنه
فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات ودسه فيها

فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلعم بحيث
يسمعه من دنا اليه من الكفار فظنوها من قول النبي صلعم و
اشاعوها ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة قبل
ذلك على ما انزلها الله وتحققهم من حال النبي صلعم في ذم الاوثان
وعيبها على ما عرف منه وقد حكى موسى بن عقبة في مغازيه
نحو هذا وقال ان المسلمين لم يسمعوها وانما القى الشيطان
ذلك في اسماع المشركين وقلوبهم ويكون ما روي من حزن النبي
صلعم لهذه الاشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة وقد قال تعالى
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان
الآية يعني تمنى تلا قال الله تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني اي
تلاوة وقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهبه ويزيل
اللبس به ويحكم آياته وقيل معنى الآية هو ما يقع للنبي صلعم من
السهو اذا قرأ فينتبه لذلك ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبي في
الآية انه حدث نفسه وقال اذا تمنى اي حدث نفسه وفي رواية
ابي بكر بن عبد الرحمن نحوه وهذا السهو في القراءة انما يصح فيما
ليس طريقه تغيير المعاني وتبديل الالفاظ وزيادة ما ليس
من القرآن بل السهو عن اسقاط آية منه او كلمة ولكنه لا يقر
على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به للحين على ما سنذكره
في حكم ما يجوز عليه من السهو وما لا يجوز ومما يظهر في تأويله
ايضا ان مجاهدا روى هذه القصة والغرانقة العلى فان
سلمنا القصة قلنا لا يبعد ان هذا كان قرآنا والمراد

بالغرانقة العلى وان شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه
الرواية وبهذا فسر الكلبي الغرانقة انها الملائكة وذلك
ان الكفار كانوا يعتقدون الاوثان والملائكة بنات الله
كما حكى الله عنهم ورد عليهم في هذه السورة بقوله
ألكم الذكر وله الانثى فانكر الله كل هذا من قولهم ورجاء
الشفاعة من الملائكة صحيح فلما تأوله المشركون
على ان المراد بهذا الذكر آلهتهم ولبس عليهم الشيطان
ذلك وزينه في قلوبهم والقاه اليهم نسخ الله
ما القى الشيطان واحكم آياته ورفع تلاوة تلك
اللفظتين اللتين وجد الشيطان بهما سبيلا للالباس
كما نسخ كثير من القرآن ورفعت تلاوته وكان في انزال
الله تعالى لذلك حكمة وفي نسخه حكمة ليضل به من يشاء
ويهدي من يشاء وما يضل به الا الفاسقين وليجعل
ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية
قلوبهم الآية وان الظالمين لفي شقاق بعيد الآيتين
وقيل ان النبي صلعم لما قرأ هذه السورة وبلغ ذكر اللات
والعزى ومناة الثالثة الاخرى خاف الكفار ان يأتي بشيء
من ذمها فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا في
تلاوة النبي صلعم ويشنعوا عليه على عادتهم وقولهم لا تسمعوا
لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ونسب هذا الفعل
الى الشيطان لحمله لهم عليه واشاعوا ذلك واذاعوه وان النبي

صلعم قاله فحزن لذلك من كذبهم وافترائهم عليه
فسلاه الله تعالى بقوله وما ارسلنا من قبلك الآية وبين
للناس الحق والباطل وحفظ القرآن واحكم آياته ورفع ما لبس
به العدو كما ضمنه تعالى من قوله انا نحن نزلنا الذكر الآية ومن
ذلك ما روي من قصة يونس عليه السلام انه وعد قومه العذاب
من ربه فلما تابوا كشف عنهم العذاب فقال لا ارجع اليهم كذابا
ابدا فذهب مغاضبا فاعلم اكرمك الله تعالى ان ليس في خبر من
الاخبار الواردة في هذا الباب ان يونس عليه السلام قال لهم
ان الله مهلككم وانما فيه انه دعا عليهم بالهلاك والدعاء ليس
بخبر يطلب صدقه من كذبه لكنه قال لهم ان العذاب مصبحكم
وقت كذا وكذا فكان ذلك كما قال ثم رفع الله عنهم العذاب وتداركهم
قال الله تعالى الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب
الخزي في الحيوة الدنيا الآية وروي في الاخبار انهم رأوا دلائل
العذاب ومخايله قاله ابن مسعود وقال سعيد بن جبير غشاهم
العذاب كما يغشى الثوب القبر فان قلت فما معنى ما روي ان
عبد الله بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلعم ثم ارتد مشركا
وصار الى قريش فقال لهم اني كنت اصرف محمدا حيث اريد
كان يملي علي عزيز حكيم فاقول او عليم حكيم فيقول نعم كل صواب
وفي حديث اخر فيقول له النبي صلعم اكتب كذا فيقول اكتب
كذا فيقول اكتب كيف شئت ويقول اكتب عليما حكيما فيقول
اكتب سميعا بصيرا فيقول اكتب كيف شئت وفي الصحيح عن

انس ان نصرانيا كان يكتب للنبي صلعم بعد ما اسلم ثم ارتد وكان
يقول ما يدري محمد الا ما كتبت له ما علم حبتنا الله واياك على الحق
ولا جعل للشيطان وتلبيسه الحق بالباطل الينا سبيلا انه
مثل هذه الحكاية اولا لا توقع في قلب مؤمن ريبا اذ هي حكاية
عن من ارتد وكفر بالله ونحن لا نقبل خبر المسلم المتهم فكيف
بكافر افترى هو ومثله على الله ورسوله ما هو اعظم من ذلك والعجب
لسليم العقل يشغل بمثل هذه الحكاية سره وقد صدرت من
عدو كافر مبغض للدين مفتر على الله ورسوله ولم ترد عن احد
من المسلمين من الصحابة انه شاهد ما قاله وافتراه على نبي الله
وانما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله واولئك هم
الكاذبون وما وقع من ذكرها في حديث انس وظاهر حكايته
لها فليس فيه ما يدل على انه شاهدها ولعله حكى ما سمع وقد
علل البزار حديثه ذلك وقال رواه ثابت عنه ولم يتابع عليه
ورواه حميد عن انس قال واظن حميدا انما سمعه من ثابت
قال القاضي ابو الفضل ولهذا لم يخرج اهل الصحيح حديث ثابت
ولا حميد والصحيح حديث عبد العزيز بن رفيع عن انس الذي
خرجه اهل الصحة وذكرناه وليس فيه عن انس قول شيء من ذلك
من قبل نفسه الا من حكايته عن المرتد النصراني ولو كانت
صحيحة لما كان فيها قدح ولا توهيم للنبي صلعم فيما اوحي اليه
ولا جواز للنسيان والغلط عليه والتحريف فيما بلغه ولا
طعن في نظم القرآن وانه من عند الله اذ ليس فيه لو صح اكثر

اكثر من ان الكاتب قال له عليم حكيم او كتبه فقال له النبي صلعم
كذلك هو فسبقه لسانه او قلمه لكلمة او كلمتين مما نزل على
الرسول قبل اظهار الرسول لها اذ كان ما تقدم مما املاه
الرسول يدل عليها ويقتضي وقوعها بقوة فطنة الكاتب
على الكلام ومعرفته به وجودة حسه وفطنته كما يتفق
ذلك للعارف اذا سمع البيت ان يسبق الى قافيته او مبتدا
الكلام الحسن الى ما يتم به ولا يتفق ذلك في جملة الكلام كما لا يتفق
ذلك في آية ولا سورة وكذلك قوله عليه السلام ان صح كل صواب
فقد يكون هذا فيما كان فيه من مقاطع الآي وجهان وقراءتان
انزلتا جميعا على النبي صلعم فاملى احديهما وتوصل الكاتب
بفطنته ومعرفته بمقتضى الكلام الى الاخرى فذكرها للنبي
صلى الله عليه السلام فيذكر النبي صلعم لها فصوبها له ثم
احكم الله من ذلك ما احكم ونسخ ما نسخ كما قد وجد ذلك
في بعض مقاطع الآي مثل قوله تعالى ان تعذبهم فانهم عبادك
وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم وهذه قراءة الجمهور وقد
قرا جماعة فانك انت الغفور الرحيم وليست من المصحف وكذلك
كلمات جاءت على وجهين في غير المقاطع قرا بهما جميعا الجمهور
وثبتتا في المصحف مثل وانظر الى العظام كيف ننشزها
وننشرها ويقص الحق ويقضي الحق وكل هذا لا يوجب ريبا ولا يسبب
للنبي صلعم غلطا ولا وهما وقد قيل ان هذا يحتمل ان يكون
فيما يكتبه عن النبي صلعم الى الناس غير القرآن فيصف الله

ويستشهد في ذلك كيف شاء فصل هذا القول فيما طريقه البلاغ
واما ما ليس سبيله سبيل البلاغ من الاخبار التي لا مستند لها
الى الاحكام الشرعية ولا اخبار المعاد ولا تضاف الى وحي بل في
امور الدنيا واحوال نفسه فالذي يجب تنزيه النبي صلعم عن ان
يقع خبره في شيء من ذلك بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا ولا
غلطا وانه معصوم من ذلك في حال رضاه وفي حال سخطه وجده
ومزحه وصحته ومرضه ودليل ذلك اتفاق السلف و
اجماعهم عليه وذلك انا نعلم من دين الصحابة وعادتهم
مبادرتهم الى تصديق جميع احواله والثقة بجميع اخباره
في اي باب كانت وفي اي شيء وقعت وانه لم يكن لهم توقف
ولا تردد في شيء منها ولا استثبات عن حاله عند ذلك
هل وقع فيها سهو ام لا ولما احتج ابن ابي الحقيق اليهودي على عمر
حين اجلاهم من خيبر باقرار رسول الله صلعم لهم واحتج عليه عمر
بقوله صلعم فكيف بك اذا اخرجت من خيبر فقال اليهودي
كانت هزيلة من ابي القاسم فقال له عمر كذبت يا عدو الله وايضا
فان آثاره واخباره وسيره وشمائله معتنى بها مستقصى
تفاصيلها ولم يرد في شيء منها استدراكه عليه السلام لغلط
في قول قاله او اعتراف بوهم في شيء اخبر به ولو كان ذلك لنقل
كما نقل من قصته عليه السلام رجوعه عما اشار به على الانصار
في تلقيح النخل وكان ذلك رايا لا خبرا وغير ذلك من الامور التي
ليست من هذا الباب كقوله والله لا احلف على يمين فارى

غيرها خيرا منها الا فعلت الذي حلفت عليه وكفرت عن يميني
وقوله انكم تختصمون الي الحديث وقوله عليه السلام
اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر كما سنبين كل ما في هذا
من مشكل في هذا الباب والذي بعده ان شاء الله مع اشباههما
وايضا فان الكذب متى عرف من احد في شيء من الاخبار
بخلاف ما هو على اي وجه كان استريب بخبره واتهم
في حديثه ولم يقع قوله في النفوس موقعا ولهذا ترك
المحدثون والعلماء الحديث عمن عرف بالوهم والغفلة وسوء
الحفظ وكثرة الغلط مع ثقته وايضا فان تعمد الكذب
في امور الدنيا معصية والاكثار منه كبيرة باجماع مسقط
للمروءة وكل هذا مما ينزه عنه منصب النبوة والمرة الواحدة
منه فيما يستبشع ويستشنع مما يخل بصاحبها ويزري بقائلها
لاحقة بذلك واما فيما لا يقع هذا الموقع فان عددناها
من الصغائر فهل تجري على حكمها في الخلاف فيها مختلف
فيه والصواب تنزيه النبوة عن قليله وكثيره سهوه وعمده
اذ عمدة النبوة البلاغ والاعلام والتبيين وتصديق ما جاء
به النبي صلعم وتجويز شيء من هذا قادح في ذلك ومشكك
فيه مناقض للمعجزة فلنقطع عن يقين بانه لا يجوز
على الانبياء خلف في القول في وجه من الوجوه لا بقصد
ولا بغير قصد ولا نتسامح مع من تسامح في تجويز ذلك
عليهم حال السهو فيما ليس طريقه البلاغ نعم وبانه
لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة ولا الاتسام به

في امورهم ودنياهم لان ذلك يزري ويريب بهم وينفر
القلوب عن تصديقهم وانظر احوال عصر النبي صلعم من
قريش وغيرها من الامم وسؤالهم عن حاله في صدق لسانه
وما عرفوا به من ذلك واعترفوا به مما عرف واتفق النقل على
عصمة نبينا صلعم منه قبل وبعد وقد ذكرنا من الاثار فيه
في الباب الثاني في اول الكتاب ما يبين لك صحة ما اشرنا
اليه فصل فان قلت فما معنى قوله عليه السلام في حديث السهو
الذي حدثنا به الفقيه ابو اسحق ابراهيم بن جعفر قال ثنا
القاضي ابو الاصبغ بن سهل قال ثنا حاتم بن محمد ثنا ابو عبد الله
بن الفخار ثنا ابو عيسى ثنا ابو عبيد الله ثنا يحيى عن مالك
عن داود بن الحصين عن ابي سفيان مولى بن ابي احمد انه قال
سمعت ابا هريرة يقول صلى رسول الله صلعم صلوة العصر
فسلم ركعتين فقام ذو اليدين فقال يا رسول الله اقصرت
الصلوة ام نسيت فقال رسول الله صلعم كل ذلك لم يكن وفي
الرواية الاخرى ما قصرت الصلوة وما نسيت الحديث
بقصته فاخبر بنفي الحالتين وانهما لم تكن وقد كان
احد ذلك كما قال ذو اليدين قد كان بعض ذلك يا رسول
الله فاعلم وفقنا الله واياك ان للعلماء في ذلك اجوبة
بعضها بصدد الانصاف ومنها ما هو بنية التعسف
والاعتساف وها انا اقول اما على القول بتجويز الوهم
والغلط فيما ليس طريقه من القول البلاغ وهو الذي
زيفناه من القولين فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه

وشبهه واما على مذهب من يمنع السهو والنسيان
في افعاله جملة ويرى انه في مثل هذا عامد لصورة النسيان
ليسن فهو صادق في خبره لانه لم ينس ولا قصرت ولكنه
تعمد هذا الفعل في هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه مثله
وهو قول مرغوب عنه نذكره في موضعه ان شاء الله تعالى
واما على احالة السهو عليه في الاقوال وتجويز السهو عليه فيما
ليس طريقه القول كما سنذكره ففيه اجوبة منها ان
النبي صلعم اخبر عن اعتقاده وضميره اما انكاره القصر
فحق وصدق باطنا وظاهرا واما النسيان فاخبر صلعم
عن اعتقاده وانه لم ينس في ظنه فكانه قصد الخبر بهذا
عن ظنه وان لم ينطق به وهذا صدق ايضا وجه ثان
ان قوله ولم انس راجع الى السلام اي اني سلمت قصدا
وسهوت عن العدد اي لم انس في نفس السلام وهذا
محتمل وفيه بعد وجه ثالث وهو ابعدها ما ذهب اليه
بعضهم وان احتمله اللفظ من قوله كل ذلك لم يكن اي لم يجتمع
القصر والنسيان بل كان احدهما ومفهوم اللفظ خلافه
مع الرواية الاخرى الصحيحة وهو قوله ما قصرت الصلوة
وما نسيت هذا ما رايت فيه لائمتنا وكل من هذه الوجوه
محتمل للفظ على بعد بعضها وتعسف الاخر منها قال القاضي
ابو الفضل رحمه الله والذي اقول ويظهر لي انه اقرب من هذه
الوجوه كلها ان قوله لم انس انكار للفظ الذي نفاه عن نفسه وانكره

على غيره بقوله بئس ما لاحدكم ان يقول نسيت اية
كذا وكذا ولكنه نسي وبقوله في بعض روايات الحديث
الاخر لست انسى ولكن انسى فلما قال له السائل
اقصرت الصلوة ام نسيت انكر قصرها كما كان ونسيانه
هو من قبل نفسه وانه ان كان جرى شيء من ذلك فقد نسي
حتى سال غيره فتحقق انه نسي واجري عليه ذلك
ليسن فقوله على هذا لم انس ولم تقصر وكل ذلك لم يكن
صدق وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة ولكنه نسي
وجه اخر استثرته من كلام بعض المشايخ وذلك انه
قال ان النبي صلعم كان يسهو ولا ينسى ولذلك نفى عن
نفسه النسيان قال لان النسيان غفلة وافة والسهو
انما هو شغل قال فكان النبي صلعم يسهو في صلاته ولا يغفل
عنها وكان يشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة
شغلا بها لا غفلة عنها فهذا ان تحقق على هذا المعنى
لم يكن في قوله ما قصرت ولا نسيت خلف في قول واما قصة
كلمات ابراهيم عليه السلام المذكورة في الحديث انها كذبات
الثلاث المنصوصة في القران منها اثنتان في قوله اني سقيم
وبل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك عن زوجته انها اختي
فاعلم اكرمك الله ان هذه كلها خارجة عن الكذب لا
في القصد ولا في غيره وهي داخلة في باب المعاريض التي
فيها مندوحة عن الكذب اما قوله اني سقيم فقال الحسن وغيره

وغيره معناه ساسقم اي ان كل مخلوق معرض لذلك فاعتذر
لقومه من الخروج معهم الى عيدهم بهذا وقيل بل سقيم
بما قدر علي من الموت وقيل سقيم القلب بما اشاهده من
كفركم وعنادكم وقيل بل كانت الحمى تاخذه عند طلوع
نجم معلوم فلما راه اعتذر بعادته وكل هذا ليس فيه
كذب بل هو خبر صحيح صدق وقيل بل عرض بسقم
حجته عليهم وضعف ما اراد بيانه لهم من جهة النجوم
التي كانوا يشتغلون بها وانه اثناء نظره في ذلك وقبل استقامة
حجته عليهم في حال سقم ومرض حال مع انه لم يشك هو ولا ضعف
ايمانه ولكنه ضعف في استدلاله عليهم وسقم نظره كما يقال حجة
سقيمة ونظر معلول حتى الهمه الله باستدلاله وصحة حجته عليهم
بالكواكب والشمس والقمر ما نصه الله وقدمنا بيانه واما
قوله بل فعله كبيرهم هذا الاية فانه علق خبره بشرط نطقه كانه
قال ان كان ينطق فهو فعله على طريق التبكيت لقومه وهذا صدق
ايضا ولا خلف فيه واما قوله اختي فقد بين في الحديث وقال فانك
اختي في الاسلام وهو صدق والله تعالى يقول انما المؤمنون
اخوة فان قلت فهذا النبي كذبات وقال في حديث الشفاعة و
يذكر كذباته فمعناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب
وان كان حقا في الباطن الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها
خلاف باطنها اشفق ابراهيم عليه السلام من مواخذته بها
واما الحديث كان النبي صلعم اذا اراد غزوة ورى بغيرها فليس فيه

خلف في القول انما هو بشرط مقصده لئلا يأخذ عدوه حذره
وكتم وجه ذهابه بذكر السؤال عن موضع آخر والبحث عن اخباره
والتعريض بذكره لا انه يقول تجهزوا الى غزوة كذا او وجهتنا
الى موضع كذا خلاف مقصده فهذا لم يكن والاول ليس فيه خبر
بخلف المخبر فان قلت فما معنى قول موسى سئل اي الناس اعلم
فقال انا اعلم فعتب الله عليه ذلك اذ لم يرد العلم اليه الحديث وفيه
قال بل عبد لنا بمجمع البحرين اعلم منك وهذا خبر قد انبأ الله انه
ليس كذلك فاعلم انه قد وقع في هذا الحديث من بعض طرقه
الصحيحة عن ابن عباس هل تعلم احدا اعلم منك فاذا كان
جوابه على علمه فهو خبر حق وصدق لا خلف فيه ولا شبهة
وعلى الطريق الآخر فحمله على ظنه ومعتقده كما لو صرح به لان
حاله في النبوة والاصطفا يقتضي ذلك فيكون اخباره بذلك
ايضا عن اعتقاده وحسبانه صدقا لا خلف فيه وقد يريد
بقوله انا اعلم بما تقتضيه وظائف النبوة من علوم التوحيد
وامور الشريعة وسياسة الامة ويكون الخضر اعلم منه بامور
اخر لا يعلمها احد الا باعلام الله تعالى من علوم غيبه كالقصص
المذكورة في خبرهما فكان موسى اعلم على الجملة بما تقدم وهو اعلم
على الخصوص بما اعلم ويدل عليه قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما
وعتب الله عليه فيما قاله العلماء انكار هذا القول عليه لانه
لم يرد العلم اليه كما قالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا او لانه
لم يرض قوله شرعا وذلك والله اعلم لئلا يقتدي به فيه من

من لم يبلغ كماله في تزكية نفسه وعلو درجته من امته فيهلك
لما تضمنه من مدح الانسان نفسه ويورث ذلك من الكبر والعجب
والتعاطي والدعوى وان نزه عن هذه الرذائل الانبياء فغيرهم بمدرجة
سبيلها ودرك ليلها الا من عصمه الله فالتحفظ منها اولى لنفسه
وليقتدى به ولهذا قال عليه السلام تحفظا من مثل هذا مما قد علم
به انا سيد ولد آدم ولا فخر وهذا الحديث احد حجج القائلين
بنبوة الخضر لقوله فيه انا اعلم من موسى ولا يكون الولي اعلم
من النبي واما الانبياء فيتفاضلون في المعارف وبقوله وما فعلته
عن امري فدل انه بوحي ومن قال انه ليس بنبي قال يحتمل
ان يكون فعله بامر نبي آخر وهذا يضعف لانه ما علمنا انه كان
في زمن موسى نبي غيره الا اخاه هارون وما نقل احد من اهل
الاخبار في ذلك شيئا يعول عليه واذا جعلنا اعلم منك ليس على
العموم وانما هو على الخصوص وفي قضايا معينة لم يحتج الى اثبات
نبوة الخضر ولهذا قال بعض الشيوخ كان موسى اعلم من الخضر
فيما اخذ عن الله والخضر اعلم بما دفع اليه من موسى وقال آخر
انما الجئ موسى الى الخضر للتأديب لا للتعليم   واما ما يتعلق
بالجوارح من الاعمال ولا يخرج من جملتها القول باللسان فيما عدا
الخبر الذي وقع فيه الكلام ولا الاعتقاد بالقلب فيما عدا
التوحيد وما قدمناه من معارفه المختصة به فاجمع المسلمون
على عصمة الانبياء من الفواحش والكبائر الموبقات ومستند
الجمهور في ذلك الاجماع الذي ذكرناه وهو مذهب القاضي

ابو بكر ومنعها غيره بدليل العقل مع الاجماع وهو قول الكافة
واختاره ابو اسحق وكذلك لا خلاف انهم معصومون من
كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ لان كل ذلك يقتضي العصمة
منه المعجزة مع الاجماع على ذلك من الكافة واما الصغائر
فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الانبيا وهو مذهب
ابي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين
وسنورد بعد هذا ما احتجوا به وذهبت طائفة اخرى
الى الوقف وقالوا العقل لا يحيل وقوعها منهم ولم يأت
في الشرع قاطع باحد الوجهين وذهبت طائفة اخرى من
المحققين من الفقهاء والمتكلمين الى عصمتهم من الصغائر
كعصمتهم من الكبائر قالوا لاختلاف الناس في الصغائر
وتعيينها من الكبائر واشكال ذلك وقول ابن عباس وغيره
ان كل ما عصي الله به فهو كبيرة وانه انما سمي منها الصغير
بالاضافة الى ما هو اكبر منه ومخالفة الباري تعالى في اي امر كان
يجب كونه كبيرة قال القاضي ابو محمد عبد الوهاب لا يمكن
ان يقال ان في معاصي الله صغيرة الا على معنى انها تغتفر
باجتناب الكبائر ولا يكون لها حكم مع ذلك بخلاف الكبائر
اذا لم يتب منها فلا يحبطها شيء والمشيئة في العفو عنها
الى الله تعالى وهو قول القاضي ابي بكر وجماعة ائمة
الاشعرية وكثير من ائمة الفقهاء وقال بعض ائمتنا ولا
يجب على القولين ان يختلف انهم معصومون عن تكرار

تكرار الصغائر وكثرتها اذ يلحقها ذلك بالكبائر ولا في صغيرة
ادت الى ازالة الحشمة واسقطت المروءة واوجبت الازراء
والخساسة فهذا ايضا مما يعصم عنه الانبياء اجماعا لان
مثل هذا يحط منصب المتسم به ويزري بصاحبه وينفر
القلوب عنه والانبياء منزهون عن ذلك بل يلحق بهذا ما كان
من قبيل فادى الى مثله لخروجه بما ادى اليه عن اسم المباح الى الحظر
وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم من مواقعة المكروه قصدا
وقد استدل بعض الائمة على عصمتهم من الصغائر بالمصير
الى امتثال افعالهم واتباع آثارهم وسيرهم مطلقا وجمهور الفقهاء
على ذلك من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة من غير التزام
قرينة بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا في حكم ذلك وحكى
ابن خويز منداد وابو الفرج عن مالك التزام ذلك وجوبا وهو
قول الابهري وابن القصار واكثر اصحابنا وقول اكثر اهل العراق
وابن سريج والاصطخري وابن خيران من الشافعية واكثر الشافعية
على ان ذلك ندب وذهبت طائفة الى الاباحة وقيد بعضهم
الاتباع فيما كان من الامور الدينية وعلم به مقصد القربة
ومن قال بالاباحة في افعاله لم يقيد قال فلو جوزنا عليهم الصغائر
لم يمكن الاقتداء بهم في افعالهم اذ ليس كل فعل من افعاله يتميز
مقصده به من القربة او الاباحة او الحظر او المعصية ولا يصح
ان يؤمر المرء بامتثال امر لعله معصية لا سيما على من يرى تقديم
الفعل على القول اذا تعارضا من الاصوليين ونزيد هذا حجة

بان نقول من جوز الصغائر ومن نفاها عن نبينا عليه
السلام مجمعون انه لا يقر على منكر من قول او فعل وانه
متى رأى شيئا فسكت عنه صلعم دل على جوازه
فكيف يكون هذا حاله في حق غيره ثم يجوز وقوعه
منه في نفسه وعلى هذا المأخذ تجب عصمتهم من
مواقعة المكروه كما قيل واذ الحظر او الندب على الاقتدا
بفعله ينافي الزجر والنهي عن فعل المكروه وايضا فقد
علم من دين الصحابة قطعا الاقتداء بافعال النبي صلعم
كيف توجهت وفي كل فن كالاقتداء باقواله فقد نبذوا
خواتيمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم حين خلع
نعله واحتجاجهم برؤية ابن عمر اياه جالسا لقضاء
حاجته مستقبلا بيت المقدس واحتج غير واحد
منهم في غير شيء مما بابه العبادة او العادة بقوله
رايت رسول الله صلعم يفعله وقال هلا اخبرتيها اني
اقبل وانا صائم وقالت عايشة محتجة كنت
افعله انا ورسول الله صلعم وغضب صلعم على الذي
اخبر بمثل هذا عنه فقال يحل الله لرسوله ما يشاء وقال
اني لاخشيكم لله واعلمكم بحدوده والاثار في هذا اعظم
من ان يحيط عليها لكنه نعلم من مجموعها على القطع
اتباعهم افعاله واقتداؤهم بها ولو جوزوا عليه
المخالفة في شيء من هذا لما اتسق هذا ولنقل عنهم

عنهم وظهر بحثهم على ذلك ولما انكر عليه السلام على
الاخر قوله واعتذاره بما ذكرناه واما المباحات فجائز وقوعها
منهم اذ ليس فيها قدح بل هي ماذون فيها وايديهم
كان يدي غيرهم مسلطة عليها الا انهم بما خصوا به
من رفيع المنزلة وشرحت له صدورهم من انوار المعرفة
واصطفوا به من تعلق الهمم بالله تعالى والدار الاخرة لا
ياخذون من المباحات الا الضرورات مما يتقوون به على سلوك
طريقهم وصلاح دينهم وضرورة دنياهم وما اخذ على
هذه السبيل التحق طاعة وصار قربة كما بينا منه اول
الكتاب منه طرفا في خصال نبينا عليه السلام فبان لك
عظيم فضل الله على نبينا وعلى ساير انبياء عليهم السلام
بان جعل افعالهم قربات وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة
ورسم المعصية. فصل وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي
قبل النبوة فمنعها قوم وجوزها قوم اخرون والصحيح انشاء
الله تعالى تنزيههم من كل عيب وعصمتهم مما يوجب الريب فكيف
والمسئلة تصورها كالممتنع فان المعاصي والنواهي انما تكون
بعد تقرر الشرع وقد اختلف الناس في حال نبينا عليه السلام
قبل ان يوحى اليه هل كان متبعا بشرع قبله ام لا فقال جماعة
لم يكن متبعا لشيء هذا قول الجمهور فالمعاصي على هذا القول
غير موجودة ولا معتبرة حينئذ اذ الاحكام الشرعية ثم
اختلفت حجج القائلين بهذه المقالة عليها فذهب سيف

السنة ومقتدى فرق الامة القاضي ابو بكر الى ان
طريق العلم بذلك النقل وموارد الخبر من طريق السمع
وحجته انه لو كان ذلك لنقل ولما امكن كتمه وستره في
العادة اذ كان من مهم امره واولى ما اهتبل به من سيرته
ولفخر به اهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر شيء
من ذلك جملة وذهبت طائفة الى امتناع ذلك عقلا قالوا
لانه يبعد ان يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا هذا على
التحسين والتقبيح العقليين وهي طريقة غير سديدة
واستناد ذلك الى النقل كما تقدم للقاضي ابي بكر اولى
واظهر وقالت فرقة اخرى بالوقف في امره عليه السلام
وترك قطع الحكم عليه بشيء في ذلك اذ لم يحل الوجهين منها
العقل ولا استبان عندها في احدهما طريق النقل وهو
مذهب ابي المعالي وقالت فرقة ثالثة انه كان عاملا
بشرع من قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع ام لا
فوقف بعضهم عن تعيينه واحجم وجسر بعضهم على التعيين
وصمم ثم اختلفت هذه المعينة فيمن كان يتبع فقيل نوح
وقيل ابراهيم وقيل موسى وقيل عيسى صلوات الله عليهم
اجمعين فهذه جملة المذاهب في هذه المسئلة والاظهر فيها
ما ذهب اليه القاضي ابو بكر وابعدها مذاهب المعينين اذ لو كان
شيء من ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف جملة ولا حجة لهم
في ان عيسى اخر الانبياء فلزمت شريعته من جاء بعدها اذ لم

اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى بل الصحيح انه لم تكن لنبي
دعوة عامة الا لنبينا ولا حجة ايضا للاخر في قوله
تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا ولا للاخر في قوله شرع
لكم من الدين ما وصى به نوحا فحمل هذه الاية على
اتباعهم في التوحيد كقوله اولئك الذين هدى الله
فبهداهم اقتده وقد سمى تعالى فيهم من لم يبعث
ولم تكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب على
قول من يقول انه ليس برسول وقد سمى الله تعالى جماعة
منهم في هذه الاية وشرائعهم مختلفة لا يمكن الجمع
بينها فدل ان المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد و
وعبادة الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع
الاتباع هذا القول في ساير الانبياء غير نبينا او يخالفون
بينهم اما من منع الاتباع عقلا فيطرد اصله في كل
رسول بلا مرية واما من مال الى النقل فاينما تصور له
وتقرر اتبعه ومن قال بالوقف فعلى اصله ومن قال
بوجوب الاتباع لمن قبله يلتزمه بمساق حجته في كل نبي
فصل هذا حكم ما تكون المخالفة فيه من الاعمال عن قصد وهو
ما يسمى معصية ويدخل تحت التكليف واما ما يكون
بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان في الوظائف الشرعية
مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك المؤاخذة
عليه فاحوال الانبياء في ترك المؤاخذة به وكونه ليس بمعصية

لهم مع اممهم سواء ثم ذلك على نوعين ما طريقه البلاغ
وتقرير الشرع وتعلق الاحكام وتعليم الامة بالفعل واخذ
هم باتباعه فيه وما هو خارج عن هذا مما يختص بنفسه
اما الاول فحكمه عند جماعة من العلماء حكم السهو في القول
في هذا الباب وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك في حق
النبي صلى الله عليه وسلم وعصمته من جوازه عليه قصدا
او سهوا فكذلك قالوا الافعال في هذا الباب لا يجوز طرو
المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا لانها بمعنى القول من جهة
التبليغ والاداء وطرو هذه العوارض عليها يوجب التشكيك
ويسبب المطاعن واعتذروا عن احاديث السهو بتوجيهات
نذكرها بعد هذا والى هذا مال ابو اسحق وذهب الاكثرون
من الفقهاء والمتكلمين الى ان المخالفة في الافعال البلاغية
والاحكام الشرعية سهوا وعن غير قصد منه جائز عليه
كما تقرر من احاديث السهو في الصلاة وفرقوا بين ذلك وبين
الاقوال البلاغية لقيام المعجزة على الصدق في القول ومخالفة
ذلك تناقضها واما السهو في الافعال فغير مناقض لها ولا
قادح في النبوة بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات البشر
كما قال عليه السلام انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت
فذكروني نعم بل حالة النسيان والسهو هنا في حقه عليه السلام
سبب افادة علم وتقرير شرع كما قال عليه السلام اني لانسى
او انسى لاسن بل قد روي لست انسى ولكن انسى

انسى لاسن وهذه الحالة زيادة له في التبليغ وتمام عليه
في النعمة بعيدة عن سمات النقص واعراض الطعن فان القائلين
بتجويز ذلك يشترطون ان الرسل لا تقر على السهو بل ينبهون
عليه ويعرفون حكمه بالفور على قول بعضهم وهو الصحيح وقبل
انقراضهم على قول الاخرين واما ما ليس طريقه البلاغ ولا
بيان الاحكام من افعاله عليه السلام وما يختص به من امور
دينه واذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع فيه فالاكثر من طبقات
علماء الامة على جواز السهو والغلط عليه فيها ولحوق الفترات
بقلبه وذلك بما كلفه من مقاساة الخلق وسياسات الامة
ومعاناة الاهل وملاحظة الاعداء ولكنه ليس على سبيل
التكرار ولا الاتصال بل على سبيل الندور كما قال عليه السلام
انه ليغان على قلبي فاستغفر الله وليس في هذا شيء يحط
من رتبته ويناقض معجزته وذهبت طائفة الى منع السهو
والنسيان والغفلات والفترات في حقه عليه السلام جملة
وهو مذهب جماعة المتصوفة واصحاب علم القلوب والمقامات
ولهم في هذه الاحاديث مذاهب نذكرها ان شاء الله تعالى

في الكلام على الاحاديث المذكور فيها السهو منه صلعم

قد قدمنا في الفصول قبل هذا ما يجوز فيه عليه السهو
عليه السلام وما يمتنع واحلناه في الاخبار جملة وفي
الاقوال الدينية قطعا واجزنا وقوعه في الافعال
الدينية على الوجه الذي رتبناه واشرنا الى ما ورد

في ذلك ونحن نبسط القول فيه الصحيح من الاحاديث الواردة
في سهوه عليه السلام في الصلوة ثلث احاديث اولها حديث ذي اليدين
في السلام من اثنتين الثاني حديث ابن بحينة في القيام من
اثنتين الثالث حديث ابن مسعود ان النبي صلعم الظهر خمسا
وهذه الاحاديث مبنية على السهو في الفعل الذي قررناه وحكمة
الله فيه ليستن به اذ البلاغ بالفعل اجلى منه بالقول وارفع للاحتمال
وشرطه ان لا يقر على هذا السهو بل يشعر به ليرتفع الالتباس
وتظهر فائدة الحكمة فيه كما قدمناه وان النسيان والسهو
في الفعل في حقه عليه السلام غير مضاد للمعجزة ولا قادح في
التصديق وقد قال عليه السلام انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا
نسيت فذكروني وقال رحم الله فلانا لقد اذكرني كذا وكذا
اية كنت اسقطتهن ويروى انسيتهن وقال عليه السلام
اني لانسى او انسى لاسن قيل هذا اللفظ شك من الراوي
وقد روي اني لا انسى ولكن انسى لاسن وذهب ابن نافع
وعيسى بن دينار الى انه ليس بشك وان معناه التقسيم
اي انسى او ينسيني الله تعالى قال القاضي ابو الوليد الباجي
يحتمل ما قالاه ان يريد اني انسى في اليقظة وانسى في النوم
او انسى على سبيل عادة البشر من الذهول عن الشيء
والسهو او انسى مع اقبالي عليه وتفرغي له فاضاف احدى
النسيانين الى نفسه اذ كان له بعض السبب فيه ونفى الاخر
عن نفسه اذ هو فيه كالمضطر وذهبت طائفة من اصحاب المعاني

المعاني والكلام على الحديث الى ان النبي صلعم كان يسهو في الصلاة
ولا ينسى لان النسيان ذهول وغفلة وافة قال والنبي صلعم
منزه عنها والسهو شغل فكان عليه السلام يسهو في صلاته
ويشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة
عنها واحتج بقوله في الرواية الاخرى اني لا انسى وذهبت طائفة
الى منع هذا كله عنه وقالوا ان سهوه عليه السلام كان عمدا وقصدا
ليسن وهذا قول مرغوب عنه متناقض المقاصد لا يحلى منه
بطائل لانه كيف يكون متعمدا ساهيا في حال ولا حجة لهم في قولهم
انه امر بتعمد صورة النسيان ليسن لقوله اني لانسى او انسى
لاسن وقد اثبت احد الوصفين ونفى مناقضة التعمد والقصد
وقال انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون وقد مال الى هذا عظيم
من المحققين من ائمتنا وهو ابو المظفر الاسفرائني ولم يرتضه
غيره منهم ولا ارتضيه ولا حجة لهاتين الطائفتين في قوله اني
لا انسى ولكن انسى اذ ليس فيه نفي حكم النسيان بالجملة بل
وانما فيه نفي لفظه وكراهة لقبه كقوله بئسما لاحدكم ان يقول
نسيت اية كذا ولكنه نسي او نفي الغفلة وقلة الاهتمام بامر
الصلاة عن قلبه لكن يشغل بها عنها وينسى بعضها ببعضها
كما ترك الصلاة يوم الخندق حتى خرج وقتها وشغل بالتحرز
عن العدو عنها فشغل بطاعة عن طاعة وقيل ان الذي ترك
يوم الخندق اربع صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء
وبه احتج من ذهب الى جواز تاخير الصلاة في الخوف اذا لم يتمكن

من ادائها الى وقت الامن وهو مذهب الشاميين و
والصحيح ان حكم صلاة الخوف كان بعد هذا وناسخ له فان
قلت فما تقول في نومه عليه السلام عن الصلوة يوم الوادي
وقد قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي فاعلم ان للعلماء
عن ذلك اجوبة منها ان المراد بان هذا حكم قلبه عند نومه
وعينيه في غالب الاوقات وقد يندر منه غير ذلك كما يندر من
غيره خلاف عادته ويصحح هذا التاويل قوله عليه السلام
في نفسه ان الله قبض ارواحنا وقول بلال فيه ما القيت
على نومة قط ولكن مثل هذا انما يكون منه لامر يريده الله
عز وجل من اثبات حكم وتاسيس سنة واظهار شرع وكما قال
في الحديث الاخر لو شاء الله لايقظنا ولكن اراد ان يكون
سنة لمن بعدكم الثاني ان قلبه لا يستغرقه النوم حتى يكون
منه الحدث فيه لما روي انه كان محروسا وانه كان ينام حتى
ينفخ وحتى يسمع غطيطه ثم يصلي ولم يتوضأ وحديث ابن
عباس المذكور فيه وضوءه عند قيامه من النوم فيه نومه
مع اهله فلا يمكن الاحتجاج به على وضوءه بمجرد النوم اذ لعل
ذلك لملامسة الاهل ولحدث اخر فكيف وفي اخر الحديث
نفسه ثم نام حتى سمعت غطيطه ثم اقيمت الصلوة فصلى
ولم يتوضأ وقيل لا ينام قلبه من اجل انه يوحى اليه في النوم
وليس في قصة الوادي الا نوم عينيه عن رؤية الشمس و
وليس هذا من فعل القلب وقد قال عليه السلام ان الله قبض

قبض ارواحنا ولو شاء لردها الينا في حين غير هذا فان
قيل فلولا عادته من استغراق النوم لما قال لبلال اكلا لنا
الصبح فقيل في الجواب انه كان من شانه عليه السلام التغليس
بالصبح ومراعاة اول الفجر لا تصح ممن نامت عينه اذ هو ظاهر
يدرك بالطرف بالجوارح الظاهرة فوكل بلالا بمراعاة اوله
ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم عن مراعاته فان قيل فما
معنى نهيه عليه السلام عن القول نسيت وقال عليه السلام اني انسى
كما تنسون فاذا نسيت فذكروني وقد قال لقد اذكرني كذا وكذا
اية كنت انسيتها فاعلم اكرمك الله انه لا تعارض في هذه
الالفاظ اما نهيه عن ان يقال نسيت اية كذا فمحمول على ما نسخ
نقله من القران اي ان الغفلة في هذا لم تكن منه ولكن الله تعالى
اضطره اليها ليمحو ما يشاء ويثبت وما كان من سهو وغفلة
من قبله يذكرها صلح ان يقال فيه انسي وقد قيل ان هذا
منه صلعم على طريق الاستحباب ان يضيف الفعل الى خالقه
والاخر على طريق الجواز لاكتساب العبد فيه واسقاطه عليه السلام
لما اسقط من هذه الايات جائز عليه بعد بلاغ ما امر ببلاغه
وتوصيلها الى عباده ثم يستذكرها من امته او من قبل
نفسه الا ما قضى الله سبحانه نسخه ومحوه من القلوب وترك
استذكاره وقد يجوز ان ينسى النبي صلعم ما هذا سبيله
كرة ويجوز ان ينسى منه قبل البلاغ ما لا يغير نظما ولا
يخلط حكما مما لا يدخل خللا في الخبر ثم يذكره اياه ويستحيل

دوام نسيانه له لحفظ الله كتابه وتكليفه بلاغه فصل
في الرد على من اجاز عليهم الصغائر والكلام على ما احتجوا به
في ذلك اعلم ان المجوزين للصغائر على الانبياء من الفقهاء والمحدثين
ومن تابعهم على ذلك من المتكلمين احتجوا على ذلك بظواهر
كثيرة من القران والحديث ان التزموا ظواهرها افضت بهم
الى تجويز الكبائر وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم
فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه
وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجاءت اقاويل فيها للسلف
بخلاف ما التزموه من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم
اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما وقامت الدلالة
على خطاء قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير الى ما صح وها
نحن ناخذ في النظر فيها ان شاء الله تعالى فمن ذلك قوله تعالى
لنبينا محمد ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقوله
واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقوله ووضعنا
عنك وزرك الذي انقض ظهرك وقوله عفا الله عنك
لم اذنت لهم وقوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما
اخذتم عذاب عظيم وقوله عبس وتولى ان جاءه الاعمى
الاية وما قص من قصص غيره من الانبياء كقوله وعصى
ادم ربه فغوى وقوله فلما اتاهما صالحا جعلا له شركاء
فيما اتاهما الاية وقوله عنه ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقوله
عن يونس سبحانك اني كنت من الظالمين وما ذكر من

من قصته وقصة داود وقوله وظن داود انما فتناه فاستغفر
ربه وخر راكعا واناب الى قوله ماب وقوله ولقد همت به وهم
بها وما قص من قصته مع اخوته وقوله عن موسى فوكزه
فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان وقول النبي عليه السلام
في دعائه اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت ونحوه
من ادعيته عليه السلام وذكر الانبياء في الموقف ذنوبهم
في حديث الشفاعة وقوله انه ليغان على قلبي فاستغفر الله
وفي حديث ابي هريرة اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر
من سبعين مرة وقوله تعالى عن نوح والا تغفر لي الاية وقد
كان قال الله تعالى له ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون
وقال عن ابراهيم والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين
وقوله عن موسى تبت اليك ولقد فتنا سليمان الى ما اشبه
هذه الظواهر قال القاضي فاما احتجاجهم بقوله ليغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فهذا قد اختلف فيه
المفسرون فقيل المراد ما كان قبل النبوة وبعدها وقيل
المراد ما وقع لك من ذنب وما لم يقع اعلمه انه مغفور له
وقيل ما كان قبل النبوة والمتاخرة عصمتك بعدها
حكاه احمد بن نصر وقيل المراد بذلك امته عليه السلام
وقيل المراد ما كان عن سهو وغفلة وتاويل حكاه الطبري
واختاره القشيري وقيل ما تقدم لابيك ادم وما
تاخر من ذنوب امتك حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطاء
وبمثله والذي قبله يتاول قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين

والمؤمنات قال مكي مخاطبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
هنا مخاطبة لامته وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما
أمر ان يقول وما ادري ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك الكفار
فأنزل الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر
الآية وبمآل المؤمنين في الآية الاخرى بعدها قاله ابن عباس
فمقصد الآية انك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب ان لو كان
قال بعضهم المغفرة ههنا تبرئة من العيوب واما قوله
تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك فقيل ما
سلف من ذنبك قبل النبوة وهو قول ابن زيد والحسن
ومعنى قول قتادة وقيل معناه انه حفظ قبل النبوة
منها وعصم ولولا ذلك لاثقلت ظهره حكى معناه السمرقندي
وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من اعباء الرسالة حتى
بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل حططنا عنك ثقل ايام
الجاهلية حكاه مكي وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب
شريعتك حتى شرعنا ذلك لك حكى معناه القشيري
وقيل معناه خففنا عليك ما حملت بحفظنا لك لما
استحفظت وحفظ عليك ومعنى انقض اي كاد ينقضه
فيكون المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبي
صلى الله عليه وسلم بامور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه
بعد النبوة فعدها اوزارا وثقلت عليه واشفق منها او يكون
الوضع عصمة الله تعالى له وكفايته من ذنوب لو كانت لانقضت
ظهره او يكون الوضع من ثقل الرسالة او ما ثقل عليه وشغل

وشغل قلبه من امور الجاهلية واعلام الله تعالى له بحفظ ما
استحفظه من وحيه واما قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم
فامر لم يتقدم للنبي صلعم فيه من الله تعالى نهي فيعد
معصية ولا عده الله تعالى عليه معصية بل لم يعده اهل
العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك قال نفطويه وقد
حاشاه الله تعالى من ذلك بل كان مخيرا في امرين قالوا وقد
كان له ان يفعل ما شاء فيما لم ينزل فيه وحي فكيف وقد قال الله
تعالى فأذن لمن شئت منهم فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع
عليه من سرهم انه لو لم يأذن لقعدوا وانه لا حرج عليه فيما فعل
وليس عفا ههنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلعم عفا الله
لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط اي لم يلزمكم
ذلك ونحوه عن القشيري قال وانما يقول العفو لا يكون الا
عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك اي
لم يلزمك ذنبا قال الداودي روي انها كانت تكرمة قال مكي
هو استفتاح كلام مثل اصلحك الله واعزك وحكى السمرقندي
ان معناه عافاك الله واما قوله في اسارى بدر ما كان لنبي
ان يكون له اسرى الآيتين فليس فيه الزام ذنب للنبي صلعم بل فيه
بيان ما خص به وفضل من بين سائر الانبياء فكأنه قال
ما كان هذا لنبي غيرك كما قال احلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي
فان قيل فما معنى قوله تريدون عرض الدنيا الآية قيل المعنى
بالخطاب لمن اراد ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده

والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي صلى الله عليه
وسلم ولا علية اصحابه بل قد روي عن الضحاك انها نزلت
حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب
وجمع الغنائم عن القتال حتى خشي عمر ان يعطف عليهم العدو
قال تعالى لولا كتاب من الله سبق فاختلف المفسرون في معنى
الآية فقيل معناها لولا انه سبق مني ان لا اعذب احدا
الا بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي ان يكون امر الاسرى معصية
وقيل المعنى لولا ايمانكم بالقرآن وهو الكتاب السابق
فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم كما عوقب من تعدى وقيل
لولا انه سبق في اللوح المحفوظ انها حلال لكم لعوقبتم فهذا كله
ينفي الذنب والمعصية لان من فعل ما احل له لم يعص قال الله
تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وقيل بل كان عليه السلام قد خير
في ذلك وقد روي عن علي رضه قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه
وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك في الاسارى ان شاؤا
القتل وان شاؤا الفداء على ان يقتل منهم عام المقبل مثلهم
فقالوا الفداء ويقتل منا وهذا دليل على صحة ما قلناه وانهم
لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين
مما كان الاصلح غيره من الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك و
بين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة
ولا مذنبين والى نحو هذا اشار الطبري وقوله عليه السلام في
هذه القضية لو نزل من السماء عذاب ما نجا منه الا عمر اشارة الى هذا

هذا من تصويب رأيه ورأي من اخذ بمأخذه في اعزاز الدين
واظهار كلمته وابادة عدوه وان هذه القضية لو استوجبت
عذابا نجا منه عمر ومثله وعين عمر لانه اول من اشار بقتلهم
ولكن الله لم يقدر في ذلك عذابا لحله لهم فيما سبق وقال
الداودي والخبر بهذا لا يثبت ولو ثبت لما جاز ان يظن ان
النبي صلعم حكم بما لا نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل
الامر اليه فيه وقد نزهه الله تعالى عن ذلك وقال القاضي
بكر بن العلاء اخبر الله تعالى نبيه في هذه الآية ان تأويله
وافق ما كتبه له من احلال الغنائم والفداء وقد كان
قبل هذا فادوا في سرية عبد الله بن جحش التي قتل
فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله
عليهم وذلك قبل بدر بازيد من عام فهذا كله يدل على ان
فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شأن الاسرى كان على تأويل وبصيرة
وعلى ما تقدم قبل مثله فلم ينكره الله تعالى عليهم لكن الله تعالى
اراد لعظم امر بدر وكثرة اسراها والله اعلم اظهار نعمته
وتأكيد منته بتعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ من ذلك
لهم لا على وجه عتاب وانكار وتذنيب هذا معنى كلامه واما
قوله تعالى عبس وتولى الآيات فليس فيه اثبات ذنب له عليه السلام
بل اعلام الله له ان ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى وان
الصواب والاولى كان لو كشف له حال الرجلين الاقبال
على الاعمى وفعل النبي صلعم لما فعل وتصديه لذلك

الكل وكان طاعة لله وتبليغا عنه واستيلاء له كما شرعه الله
له لا معصية ولا مخالفة له وما قصه الله من ذلك اعلام
بحال الرجلين وتوهين امر الكافر وعنتوه والاشارة الى الاعراض
عنه بقوله وما عليك الا يزكى وقيل اراد بعجبس وتولى الكافر
الذى كان مع النبى صلعم قال ابو تمام واما قصة ادم عليه السلام
وقوله تعه فكلا منها بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا
من الظالمين وقوله الم انهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه تعه
عليه بالمعصية بقوله وعصى ادم ربه فغوى اى جهل وقيل
اخطأ فان الله تعه قد اخبر بعذره بقوله ولقد عهدنا
الى ادم من قبل فنسى ولم نجد له عزما قال ابن زيد نسى عداوة
ابليس له وما عهد الله تعه اليه من ذلك بقوله ان هذا عدو
لك ولزوجك الاية قيل نسى ذلك بما اظهر لهما قال ابن عباس
انما سمى الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسى وقيل لم
يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنهما اغترا بحلف ابليس
لهما انى لكما لمن الناصحين وتوهما ان احدا لا يحلف بالله حانثا
وقد روى عذر ادم عليه السلام بمثل هذا فى بعض الاثار وقال
ابن جبير حلف بالله لهما حتى غرهما والمؤمن يخدع وقد قيل
قد نسى ولم ينو المخالفة ولذلك قال ولم نجد له عزما اى
قصدا للمخالفة واكثر المفسرين على ان العزم هنا الحزم
والصبر وقيل كان عند اكله سكران وهذا فيه ضعف لان
الله تعه وصف خمر الجنة انها لا تسكر فاذا كان ناسيا لم تكن

لم يكن معصية وكذلك اذا كان ملتبسا عليه غالطا اذ الاتفاق
على خروج الناسى والساهى عن حكم التكليف وقال الشيخ
ابوبكر بن فورك وغيره انه يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة ودليل
ذلك قوله تعه وعصى ادم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه
وهدى فذكر ان الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان وقيل
بل اكلها متأولا وهو لا يعلم انها الشجرة التى نهى عنها لانه
تأول نهى الله تعه عن الشجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا
قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل
تأول ان الله تعه لم ينهه عنها نهى تحريم فان قيل فعلى كل
حال فقد قال الله تعه وعصى ادم وقال فتاب عليه وقوله
فى حديث الشفاعة ويذكر ذنبه وانى نهيت عن اكل الشجرة
فعصيت فسيأتى الجواب عنه وعن اشباهه مجملا اخر هذا
الفصل انشاء الله تعه واما قصة يونس عليه السلام
فقد مضى الكلام على بعضها انفا وليس فى قصة يونس نص
على ذنب وانما فيه ابق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا عليه
وقيل انما نقم الله خروجه عن قومه فارا من نزول العذاب وقيل
بل لما وعدهم العذاب ثم عفا الله عنهم قال والله لا القاهم
بوجه كذاب ابدا وقيل بل كانوا يقتلون من كذب فخاف
ذلك وقيل ضعف عن حمل اعباء الرسالة وقد تقدم الكلام انه
لم يكذبهم وهذا كله ليس فيه نص على معصية الا على قول من قال
عنه وقوله الى الفلك المشحون قال المفسرون تباعد واما قوله

انى كنت من الظالمين فالظلم وضع الشىء فى غير موضعه
فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه فاما ان يكون ذنبه
لخروجه عن قومه بغير اذن ربه او ذنبه لضعفه عما حمله او
لدعائه بالعذاب على قومه وقد دعا نوح بهلاك قومه فلم
يؤاخذ وقال الواسطى معناه نزه ربه عن الظلم واضاف
الظلم الى نفسه اعترافا واستحقاقا ومثل هذا قول ادم وحوى
ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا الاية اذ كانا السبب
وضعهما غير الموضع الذى انزلا فيه واخراجهما من الجنة
وانزالهما من الارض واما قصة داوود عليه السلام فلا يجب
ان يلتفت لما سطره فيها الاخباريون عن اهل الكتاب الذين
بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله على شىء
من ذلك ولا ورد فى حديث صحيح والذى نص الله عليه قوله
وظن داوود انما فتناه الى قوله وحسن ماب وقوله فيه اواب
فمعنى فتناه اى اختبرناه واواب قال قتادة مطيع وهذا
التفسير اولى قال ابن عباس وابن مسعود ما زاد داود
على ان قال للرجل انزل لى على امرأتك واكفلنيها فعاتبه
الله على ذلك ونبهه عليه وانكر عليه شغله بالدنيا وهذا الذى
ينبغى ان يعول عليه من امره وقد قيل خطبها على خطبته
وقيل بل احب بقلبه ان يستشهد وحكى السمرقندى ان
ذنبه الذى استغفر منه قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك فظلمه
بقول خصمه والذى نفى ما اضيف فى الاخبار الى داود من ذلك الوجه

ذهب احمد بن نصر وابو تمام وغيرهما من المحققين قال
الداودى ليس فى قصة داود واوريا خبر يثبت
ولا يظن بنبى محبة قتل مسلم وقيل ان الخصمين
اللذين اختصما اليه رجلان فى نعاج غنم على ظاهر
الاية واما قصة يوسف عليه السلام واخوته فليس
على يوسف عليه السلام فيها تعقب واما اخوته
فلم تثبت نبوتهم فيلزم الكلام على افعالهم وذكر
الاسباط وعدهم فى القرآن عند ذكر الانبياء قال
المفسرون يريد من نبىء من ابناء الاسباط وقد قيل
انهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوه صغار
الاسنان فلهذا لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا به ولهذا
قالوا ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وان ثبتت لهم نبوة
فبعد هذا والله اعلم واما قول الله تعه فيه ولقد همت
به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه فعلى كثير من الفقهاء
والمحدثين ان هم النفس لا يؤاخذ به وليست سيئة لقوله
عليه السلام عن ربه اذا هم عبدى بسيئة فلم يعملها
كتبت له حسنة فلا معصية فى همه اذا واما على مذهب
المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطنت
عليه النفس سيئة واما ما لم توطن عليه النفس من همومها
وخواطرها فهو المعفو عنه وهذا هو الحق فيكون ان
انشاء الله تعه هم يوسف عليه السلام من هذا ويكون قوله

وما ابرئ نفسى ان النفس الاية اى ما ابرئها من هذا
الهم او يكون ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف
بمخالفة النفس لما زكى قبل وبرئ فكيف وقد حكى
ابو حاتم عن ابى عبيدة ان يوسف لم يهم وان الكلام
فيه تقديم وتاخير اى ولقد همت به ولولا ان راى برهان
ربه لهم بها وقد قال الله تعالى عن المراة ولقد راودته
عن نفسه فاستعصم وقال تعالى كذلك لنصرف عنه
السوء والفحشاء وقال وغلقت الابواب وقالت هيت لك
قال معاذ الله انه ربى احسن مثواى الاية قيل فى ربى
الله وقيل الملك وقيل هم بها اى زجرها ووعظها وقيل
هم بها اى غمها امتناعه عنها وقيل هم بها نظر اليها وقيل
هم بضربها ودفعها وقيل هذا كله قبل نبوته وقد ذكر
بعضهم ما زال النساء يملن الى يوسف ميل شهوة حتى
نباه الله فالقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل
من رآه عن حسنه واما خبر موسى عليه السلام مع قتيله
الذى وكزه وقد نص الله انه من عدوه قال كان من
القبط الذى على دين فرعون ودليل السورة فى هذا كله
انه قبل نبوة موسى عليه السلام وقال قتادة وكزه بالعصا
ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية فى ذلك وقوله هذا من
عمل الشيطان وقوله ظلمت نفسى فاغفر لى قال ابن جريج
قال ذلك من اجل انه لا ينبغى لنبى ان يقتل حتى يؤمر وقال

وقال النقاش لم يقتله عن عمد مريدا للقتل وانما وكزه
يريد بها دفع ظلمه وقد قيل ان هذا قبل النبوة وهو مقتضى
التلاوة وقوله تعالى فى قصته وفتناك فتونا اى ابتليناك
ابتلاء بعد ابتلاء قيل فى هذه القصة وما جرى له مع فرعون
وقيل القاؤه فى التابوت واليم وغير ذلك وقيل معناه
اخلصناك اخلاصا قاله ابن جبير ومجاهد من قولهم
فتنت الفضة فى النار اذا خلصتها واصل الفتنة معنى
الاختبار واظهار ما بطن الا انه استعمل فى عرف الشرع
فى اختبار ادى الى ما يكره وكذلك ما روى فى الخبر
الصحيح ان ملك الموت جاءه فلطم عينه ففقاها الحديث
ليس فيه ما يحكم على موسى عليه السلام بالتعدى وفعل
ما لا يجب له اذ هو ظاهر الامر بين الوجه جائز الفعل لان
موسى دافع عن نفسه من اتاه لاتلافها وقد تصور له
فى صورة ادمى ولا يمكن انه علم حينئذ انه ملك الموت فدافعه عن
نفسه مدافعة ادت الى ذهاب عين تلك الصورة التى تصور
له فيها الملك امتحانا من الله فلما جاءه بعد واعلمه الله
انه رسول الله اليه استسلم وللمتقدمين والمتاخرين على هذا
الحديث اجوبة هذا اسدها عندى وهو تاويل شيخنا
الامام ابى عبد الله المازرى وقد تاوله قديما ابن عائشة
وغيره على صكه ولطمه بالحجة وفقا عين حجته وهو
كلام مستعمل فى هذا الباب فى اللغة معروف واما قصة

سليمان عليه السلام وما حكى فيها اهل التفسير من ذنبه
وقوله ولقد فتنا سليمان فمعناه ابتليناه وابتلاؤه ما حكى
عن النبى عليه السلام انه قال لاطوفن الليلة على مائة امراة
او تسع وتسعين كلهن ياتين بفارس يجاهد فى سبيل الله
فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن الا امراة
واحدة جاءت بشق رجل قال النبى صلعم والذى نفسى بيده
لو قال ان شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله قال اصحاب المعانى
والشق هو الجسد الذى القى على كرسيه حين عرض عليه
وهو عقوبته ومحنته وقيل بل مات فالقى على كرسيه
ميتا وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه وقيل لانه لم
يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمنى وقيل
عقوبته ان سلب ملكه وذنبه ان احب بقلبه ان يكون
الحق لاختانه على خصمهم وقيل اوخذ بذنب قارفه بعض
نسائه لا يصح ما نقله الاخباريون من تشبه الشيطان
به وتسلطه على ملكه وتصرفه فى امته بالجور فى حكمه لان الشياطين
لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الانبياء من مثله
وان سئل لم لم يقل سليمان فى القصة المذكورة ان شاء الله
تعالى فعنه اجوبة احدها ما روى فى الحديث الصحيح انه نسى
ان يقولها وذلك لينفذ مراد الله تعالى والثانى انه لم يسمع صاحبه
وشغل عنه وقوله هب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى لم يفعل
هذا سليمان غيرة على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن مقصده

مقصده فى ذلك على ما ذكره المفسرون ان لا يسلط عليه
احد كما سلط عليه الشيطان الذى سلبه اياه مدة
امتحانه على قول من قال ذلك وقيل بل اراد ان يكون له من
الله فضيلة وخاصة يختص بها كاختصاص غيره من
الانبياء والرسل بخواص منه وقيل ليكون ذلك دليلا
وحجة على نبوته كالانة الحديد لابيه واحياء الموتى
لعيسى واختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بالشفاعة
ونحو هذا واما قصة نوح عليه السلام فظاهرة العذر
وانه اخذ فيها بالتاويل وظاهر اللفظ لقوله تعالى واهلك
فطلب مقتضى هذا اللفظ واراد علم ما طوى عنه من ذلك
لا انه شك فى وعد الله تعالى له فبين الله عليه انه ليس من
اهله الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذى هو غير
صالح وقد اعلمه انه مغرق الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته
فيهم فاخذ بهذا التاويل وعتب عليه واشفق هو من
اقدامه على ربه لسواله ما لم ياذن له فى السوال فيه وكان
نوح عليه السلام فيما حكاه النقاش لا يعلم بكفر ابنه وقيل
فى الاية غير هذا وكل هذا لا يقضى على نوح بمعصية سوى
ما ذكرناه من تاويله واقدامه بالسوال فيما لم ياذن له
فيه ولا نهى عنه وما روى فى الصحيح من ان نبيا قرصته
نملة فحرق قرية النمل فاوحى الله تعالى اليه ان قرصتك
نملة احرقت امة من الامم تسبح فليس فى هذا الحديث

الا هذا اني معصية بل فعل ما راه مصلحة وصوابا بقتل
من يوذي جنسه ويمنع المنفعة بما اباح الله الا ترى ان
هذا النبي كان نازلا تحت الشجرة فلما اذته النملة تحول
برحله عنها مخافة تكرار الاذى عليه وليس فيما اوحى الله
اليه ما يوجب عليه معصية بل ندبه الى احتمال الصبر وترك
التشفي كما قال تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين اذ
ظاهر فعله انما كان لاجل انها اذته هو في خاصته فكان
انتقاما لنفسه وقطع مضرة يتوقعها من بقية النمل هناك
ولم يات في كل هذا امرا نهي عنه فيعصي به ولا نص فيما اوحى
الله اليه بذلك ولا بالتوبة والاستغفار منه والله اعلم
فان قيل فما معنى قوله عليه السلام ما من احد الا الم بذنب
او كاد الا يحيى بن زكريا او كما قال عليه السلام فالجواب عنه
كما تقدم من ذنوب الانبياء وقعت من غير قصد وعن
سهو وغفلة
فان قلت فاذا نفيت عنهم
صلوات الله عليهم الذنوب والمعاصي بما ذكرته من اختلاف
المفسرين وتاويل المحققين فما معنى قوله تعالى وعصى ادم ربه
فغوى وما تكرر في القران العظيم والخبر الصحيح من اعتراف
الانبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم على
ما سلف واشفاقهم وهل يشفق ويستغفر ويتاب من
لا شيء فاعلم وفقنا الله تعالى واياك ان درجة الانبياء في
الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته في عباده وعظم

وعظم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه
جل جلاله والاشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم
وانهم في تصرفهم بامور لم ينهوا عنها ولا امروا بها ثم
اوخذوا عليها وعوتبوا بسببها او حذروا من المؤاخذة
بها واتوها على وجه التاويل او السهو او تزيد من امور الدنيا
المباحة خائفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علو منصبهم
ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها كذنوب غيرهم
ومعاصيهم فان الذنب ماخوذ من الشيء الدني الرذل
ومنه ذنب كل شيء اي اخره واذناب الناس رذالهم فكانت
هذه ادنى احوالهم واسوء ما يجري من احوالهم لتطهيرهم
وتنزيههم وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح و
والكلم الطيب والذكر الظاهر والخفي والخشية لله
واعظامه في السر والعلانية وغيرهم يتلوث من الكبائر
والقبائح والفواحش ما تكون بالاضافة اليه هذه الهنات
في حقه كالحسنات كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين
اي يرونها بالاضافة الى علي احوالهم كالسيئات وكذلك العصيان
العصيان الترك والمخالفة فعلى مقتضى اللفظة كيف ما كانت
من سهو او تاويل فهي مخالفة وترك وقوله غوى اي جهل ان تلك
الشجرة هي التي نهي عنها والغي الجهل وقيل اخطا ما طلب
من الخلود اذ اكلها وخابت امنيته وهذا يوسف عليه السلام
قد اوخذ بقوله لاحد صاحبي السجن اذكرني عند ربك

فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع
سنين قيل انسي يوسف ذكر الله وقيل انسي
صاحبه ان يذكره لسيده الملك قال النبي صلعم
لولا كلمة يوسف ما لبث في السجن ما لبث قال مالك
بن دينار لما قال ذلك يوسف قيل له اتخذت من
دوني وكيلا لاطيلن حبسك فقال يا رب انسى
قلبي كثرة البلوى وقال بعضهم يؤاخذ الانبياء
بمثاقيل الذر لمكانتهم عنده ويجاوز عن سائر
الخلق لقلة مبالاته بهم في اضعاف ما اتوا به
من سوء الادب وقد قال المحتج للفرقة الاولى على
سياق ما قلناه اذا كان الانبياء يؤاخذون بهذا
مما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو والنسيان وما
ذكرته وحالهم ارفع فحالهم اذا في هذا اسوء حالا
من غيرهم فاعلم اكرمك الله انا لا نثبت لك المؤاخذة
في هذا على حد مؤاخذة غيرهم بل نقول انهم يؤاخذون
بذلك في الدنيا ليكون ذلك زيادة في درجاتهم ويبتلون
بذلك ليكون استشعارهم له سببا لمنماة رتبتهم
كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقال لداود
فغفرنا له ذلك وان له الاية وقال بعد قول موسى تبت
اليك اني اصطفيتك على الناس وقال بعد ذكر فتنة
سليمان وانابته فسخرنا له الريح الى وحسن ماب

ماب قال بعض المتكلمين زلات الانبياء في الظاهر زلات وفي
الحقيقة كرامات وزلف واشار الى نحو مما قدمناه وايضا فينبه
فلينبه غيرهم من البشر منهم او ممن ليس في درجتهم بمؤاخذتهم
في ذلك فيستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة ليلتزموا
الشكر على النعم ويعدوا الصبر على المحن بملاحظة ما وقع باهل
هذا النصاب الرفيع المعصوم فكيف من سواهم ولهذا قال صالح
المري ذكر داود بسطة للتوابين قال ابن عطاء لم يكن ما نص
الله من قصة صاحب الحوت نقصا له ولكن استزادة من نبينا عليه
السلام وايضا فيقال لهم فانكم ومن وافقكم تقولون بغفران
الصغائر باجتناب الكبائر ولا خلاف بعصمة الانبياء من
الكبائر فما جوزتم من وقوع الصغائر هي مغفورة على هذا
فما معنى المؤاخذة بها اذا عندكم وخوف الانبياء وتوبتهم
منها وهي مغفورة لو كانت فما اجابوا به فهو جوابنا عن المؤاخذة
بافعال السهو والتاويل وقد قيل ان كثرة استغفار النبي
صلى الله عليه وسلم وتوبته وغيره من الانبياء على وجه ملازمة
الخضوع في العبودية والاعتراف بالتقصير شكرا لله على نعمه
كما قال عليه السلام وقد امن من المؤاخذة بما تقدم وما تاخر
افلا اكون عبدا شكورا وقال اني لاخشاكم لله واعلمكم بما اتقي
قال الحارث بن اسد خوف الانبياء والملائكة خوف اعظام وتعبد
لله لانهم امنون وقيل فعلوا ذلك ليقتدى بهم وتستن
بهم اممهم كما قال عليه السلام لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا

ولبكيتم كثيرا وايضا فان في التوبة والاستغفار معنى
اخر لطيفا اشار اليه بعض العلما وهو استدعاء محبة الله
قال الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين
فاحداث الرسل والانبيا الاستغفار والتوبة والانابة
والاوبة في كل حين استدعاء لمحبة الله والاستغفار فيه
معنى التوبة وقد قال الله تعالى لنبيه بعد ان غفر الله له
ما تقدم وما تاخر من ذنبه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين
والانصار الاية وقال فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان
توابا فصل قد استبان لك ايها الناظر بما قررنا ما هو الحق
من عصمته عليه السلام من الجهل بالله وصفاته او كونه
على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا
واجماعا وقبلها سمعا ونقلا ولا شيء مما قرره من امور
الشرع واداه عن ربه من الوحي قطعا وعقلا وشرعا
وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ نبأه الله وارسله
قصدا او غير قصد واستحالة ذلك عليه شرعا واجماعا ونظرا
وبرهانا وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعا وتنزيهه عن
الكبائر اجماعا وعن الصغائر تحقيقا وعن استدامة السهو
والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للامة
وعصمته في كل حالاته من رضى وغضب وجد ومزح فيجب
عليك ان تتلقاه باليمين وتشد عليه يد الضنين و
وتقدر هذه الفصول حق قدرها وتعلم عظيم فائدتها وخطرها

وخطرها فان من يجهل ما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم
او يجوز او يستحيل عليه ولا يعرف صور احكامه لا يامن
ان يعتقد في بعضها خلاف ما هو عليه ولا ينزهه عما لا يجب
ان يضاف اليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط
في هوة الدرك الاسفل من النار اذ ظن الباطل به
واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل صاحبه دار البوار ولهذا
ما احتاط عليه السلام على الرجلين اللذين رااه ليلا
وهو معتكف في المسجد مع صفية فقال لهما انها صفية
ثم قال لهما ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم واني
خشيت ان يقذف في قلوبكما شيئا فتهلكا هذه اكرمك
الله فوائد ما تكلمنا عليه في هذه الفصول ولعل جاهلا لا
يعلم بجهله اذا سمع شيئا منها يرى ان الكلام فيها جملة
من فضول العلم وان السكوت اولى وقد استبان لك انه
متعين للفائدة التي ذكرناها وفائدة ثانية يضطر اليها
في اصول الفقه ويبتنى عليها مسائل من الفقه لا تتعدد
ويتخلص بها من تشغيب مختلفي الفقهاء في عدة منها
وهي الحكم في اقوال النبي صلعم وافعاله وهو باب عظيم واصل
كبير من اصول الفقه ولا بد من بنائه على صدق النبي
في اخباره وبلاغه وانه لا يجوز عليه السهو فيه وعصمته
من المخالفة في افعاله عمدا وبحسب اختلافهم في وقوع
الصغائر وقع خلاف في امتثال الفعل وبسط بيانه

في كتب ذلك العلم فلا نطول به وفائدة ثالثة يحتاج
اليها الحاكم والمفتي فيمن اضاف الى النبي صلى الله عليه وسلم
شيئا من هذه الامور ووصفه بها فان لم يعرف ما يجوز
وما يمتنع عليه وما وقع الاجماع فيه والخلاف للفتوى
كيف يصمم في الفتيا في ذلك ومن اين يدري هل ما قاله
فيه نقص او مدح فاما ان يجترئ على سفك دم مسلم
حرام او يسقط حقا ويضيع حرمة النبي صلى الله عليه
وسلم وبسبيل هذا ما قد اختلف ارباب الاصول وائمة
العلماء والمحققين في عصمة الملائكة فصل في القول في
عصمة الملائكة اجمع المسلمون ان الملائكة مؤمنون
فضلاء واتفق ائمة المسلمين ان حكم المرسلين منهم
حكم النبيين سواء في العصمة مما ذكرنا عصمتهم
منه وانهم في حقوق الانبياء والتبليغ اليهم
كالانبياء مع الامم واختلفوا في غير المرسلين منهم
فذهبت طائفة الى عصمة جميعهم عن المعاصي واحتجوا
بقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
وبقوله وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون
وانا لنحن المسبحون وبقوله ومن عنده لا يستكبرون
عن عبادته ولا يستحسرون وبقوله ان الذين عند ربك
لا يستكبرون عن عبادته الاية وقوله كرام بررة ولا يمسه
الا المطهرون ونحوه من السمعيات وذهبت طائفة الى ان هذا

هذا خصوص للمرسلين منهم والمقربين واحتجوا باشياء ذكرها
اهل الاخبار والتفاسير نحن نذكرها ان شاء الله بعد ونبين
الوجه فيها ان شاء الله تعالى والصواب عصمة جميعهم وتنزيه
نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط من رتبتهم ومنزلتهم عن
جليل مقدارهم ورايت بعض شيوخنا اشار ان لا حاجة
بالفقيه الى الكلام في عصمتهم وانا اقول ان الكلام في ذلك ما
الكلام في عصمة الانبياء من الفوائد التي ذكرنا سوى فائدة
الكلام في الاقوال والافعال فهي ساقطة هاهنا فمما احتج به من
لم يوجب عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت وما ذكر فيها
اهل الاخبار ونقلة المفسرين وما روي عن علي وابن عباس
في خبرهما وابتلائهما فاعلم اكرمك الله ان هذه الاخبار لم
يرو منها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلعم وليس
هو شيئا يؤخذ بقياس والذي منه في القران اختلف المفسرون
في معناه وانكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف كما نذكره
وهذه الاخبار من كتب اليهود وافترائهم كما نصه الله
اول الاية من افترائهم بذلك على سليمان وتكفيرهم اياه وقد
انطوت القصة على شنيع عظيم وها نحن نخبر في ذلك
ما يكشف غطاء هذه الاشكالات ان شاء الله تعالى فاختلف
اولا في هاروت وماروت هل هما ملكان او انسيان وهل هما
المراد بالملكين ام لا وهل القراءة ملكين او ملكين وهل ما
في قوله وما انزل على الملكين وما يعلمان من احد نافية

اوموجبة فاكثر المفسرين ان الله تعالى امتحن الناس
بالملكين لتعليم السحر وتبيينه وان عمله كفر فمن تعلمه كفر
ومن تركه امن قال الله تعالى انما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما
الناس له تعليم انذار اى يقولون لمن جاء يطلب تعلمه لا تفعلوا
كذا فانه يفرق بين المرء وزوجه ولا تتحيلوا بكذا فانه
سحر فلا تكفر بفعله فعلى هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما
فيما امرا به ليس بمعصية وهى لغيرهما فتنة روى ابن
وهب عن خالد بن ابى عمران انه ذكر عنده هاروت وماروت
وانهما يعلمان السحر فقال نحن ننزههما عن هذا فقرا بعضهم
وما انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما فهذا خالد
على جلالته وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذى قد ذكر
غيره انهما ماذون لهما فى تعليمه بشريطة ان يبينا انه
كفر وانه امتحان من الله وابتلاء فكيف لا ننزههما عن
كباير المعاصى والكفر المذكورة فى تلك الاخبار وقول خالد
لم ينزل يريد ان ما نافية وهو قول ابن عباس قال مكى وتقدير
الكلام وما كفر سليمان يريد بالسحر الذى افتعلته عليه
الشياطين واتبعتهم فى ذلك اليهود وما انزل على
الملكين قال مكى هما جبرائيل وميكائيل ادعى اليهود عليهما
المجىء به كما ادعوا على سليمان فاكذبهم الله فى ذلك بقوله
ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل
على الملكين ببابل هاروت وماروت قيل هما رجلان تعلما

نعلماه قال الحسن هاروت وماروت علجان من اهل بابل وقرا
وما انزل على الملكين بكسر اللام ويكونا اثنين على هذا وكذلك
قراءة عبد الرحمن بن ابزى بكسر اللام ولكنه قال الملكان هنا
داود وسليمان ويكون ما نفيا على ما تقدم وقيل كانا ملكين
من بنى اسرائيل فمسخهما الله حكاه السمرقندى والقراءة بكسر
اللام شاذة فحمل الاية على تقدير ابى محمد مكى حسن ينزه الملائكة
ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا وقد وصفهم الله
تعالى بانهم مطهرون وكرام بررة ولا يعصون الله ما امرهم
ومما يذكرونه قصة ابليس وانه كان من الملائكة ورئيسا
فيهم ومن خزان الجنة الى اخر ما حكوه وانه استثناه من
الملائكة بقوله الا ابليس وهذا ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر
ينفون ذلك وانه ابو الجن كما ان ادم ابو الانس وهو قول
الحسن وقتادة وابن زيد قال شهر بن حوشب كان من
الجن الذى طردتهم الملائكة فى الارض حين افسدوا
والاستثناء من غير الجنس شايع فى كلام العرب سايغ وقد
قال الله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن ومما رووه
فى الاخبار ان خلقا من الملائكة عصوا الله فحرقوا وامروا
ان يسجدوا فابوا فحرقوا ثم اخرون كذلك حتى سجد لمن
ذكر الله الا ابليس فى اخبار لا اصل لها تردها صحاح الاخبار
فلا يشتغل بها الباب الثانى فيما يخصهم فى الامور
الدنيوية ويطرا عليهم من العوارض البشرية فقد قدمنا

انه عليه السلام وساير الانبياء والرسل من البشر وان
جسمه وظاهره خالص للبشر يجوز عليه من الافات والتغيرات
والالام والاسقام وتجرع كاس الحمام ما يجوز على البشر
وهذا كله ليس بنقيصة فيه لان الشىء انما يسمى ناقصا
بالاضافة الى ما هو اتم منه واكمل من نوعه وقد كتب الله
على اهل هذه الدار فيها يحيون وفيها يموتون ومنها يخرجون
وخلق جميع البشر بمدرجة الغير فقد مرض عليه السلام
واشتكى واصابه الحر والقر وادركه الجوع والعطش و
لحقه الغضب والضجر وناله الاعياء والتعب ومسه الضعف
والكبر وسقط فجحش شقه وشجه الكفار وكسروا
رباعيته وسقى السم وسحر وتداوى واحتجم وتنشر
وتعوذ ثم قضى نحبه فتوفى صلى الله عليه وسلم ولحق
بالرفيق الاعلى وتخلص من دار الامتحان والبلوى وهذه
من سمات البشر التى لا محيص عنها واصاب غيره من
الانبياء ما هو اعظم منها فقتلوا قتلا ورموا فى النار
ووشروا بالمناشير ومنهم من وقاه الله ذلك فى بعض
الاوقات ومنهم من عصمه كما عصم بعد نبينا فلئن لم يكف
نبينا ربه يد ابن قمئة يوم احد ولا حجبه عن عيون
عداه عند دعوته اهل الطائف فلقد اخذ على عيون
قريش عند خروجه الى ثور وامسك عنه سيف غورث
وحجر ابى جهل وفرس سراقة ولئن لم يقه من سحر ابن

ابن الاعصم فلقد وقاه ما هو اعظم من سم اليهودية وهكذا
ساير انبيائه مبتلى ومعافا وذلك من تمام حكمته ليظهر شرفهم
فى هذه المقامات ويبين امرهم ويتم كلمته فيهم وليحقق
بامتحانهم بشريتهم ويرتفع الالتباس عن اهل الضعف
فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجايب على ايديهم ضلال
النصارى بعيسى بن مريم وليكون فى محنهم تسلية
لاممهم ووفور لاجورهم عند ربهم تماما على الذى احسن
اليهم قال بعض المحققين وهذه الطوارى والتغييرات
المذكورة انما تختص باجسامهم البشرية المقصود بها
مقاومة البشر ومعاناة بنى ادم لمشاكلة الجنس واما
بواطنهم فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة منه متعلقة
بالملا الاعلى والملائكة لاخذها عنهم وتلقيها الوحى
منهم قال وقد قال عليه السلام ان عينى تنامان ولا
ينام قلبى وقال انى لست كهيئتكم انى ابيت يطعمنى ربى
ويسقينى وقال لست انسى ولكن انسى ليستن
بى فاخبر ان سره وباطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره
وان الافات التى تحل ظاهره من ضعف وجوع وسهر
ونوم لا يحل منها شىء باطنه بخلاف غيره من البشر
فى حكم الباطن لان غيره اذا نام استغرق النوم جسمه
وقلبه وهو عليه السلام فى نومه حاضر القلب كما هو فى
يقظته حتى قد جاء فى بعض الاثار انه كان محروسا من الحدث

في نومه لكونها قلبه يقظان كما ذكرناه وكذلك غيره اذا
جاع ضعف لذلك جسمه وخارت قوته فبطلت بالكلية جملته
وهو عليه السلام قد اخبر انه لا يعتريه ذلك وانه
بخلافهم لقوله لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني
وكذلك اقول انه في هذه الاحوال كلها من وصب ومرض
وسحر وغضب لم يجر على باطنه ما يخل به ولا فاض منه
على لسانه وجوارحه ما لا يليق به كما يعتري غيره من
البشر مما نأخذ بعد في بيانه فصل فقد جاءت الاخبار
الصحيحة انه عليه السلام سحر كما حدثنا الشيخ ابو محمد
العتابي بقراءتي عليه قال ثنا حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن
علي بن خلف ثنا محمد بن احمد ثنا محمد بن يوسف ثنا البخاري
ثنا عبيد بن اسمعيل قال ثنا ابو اسامة عن هشام بن
عروة عن ابيه عن عايشة قالت سحر رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى انه ليخيل اليه انه فعل الشيء وما
فعله وفي رواية اخرى حتى كان يخيل اليه انه كان يأتي النساء
ولا يأتيهن الحديث واذا كان هذا من التباس الامر على
المسحور فكيف حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وكيف
جاز عليه وهو معصوم فاعلم وفقنا الله واياك ان هذا
الحديث صحيح متفق عليه وقد طعنت فيه الملحدة وتذرعت به
لسخف عقولها وتلبيسها على امثالها الى التشكيك في
الشرع وقد نزه الله الشرع والنبي عما يدخل في امره لبسا

لبسا وانما السحر مرض من الامراض وعارض من العلل يجوز
عليه كانواع الامراض مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته واما ما
ورد انه كان يخيل انه فعل الشيء ولا يفعله فليس في هذا
ما يدخل عليه داخلة في شيء من تبليغه او شريعته او يقدح
في صدقه لقيام الدليل والاجماع على عصمته من هذا وانما
هذا فيما يجوز طروه عليه في امر دنياه التي لم يبعث بسببها
ولا فضل من اجلها وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر
فغير بعيد ان يخيل اليه من امورها ما لا حقيقة له ثم
ينجلي عنه كما كان وايضا فقد فسر هذا الفصل الحديث الاخر
من قوله حتى يخيل اليه انه يأتي اهله ولا يأتيهن وقد قال
سفيان وهذا اشد ما يكون من السحر ولم يأت في خبر
منها انه نقل عنه في ذلك قول بخلاف ما كان اخبر انه فعله
ولم يفعله وانما كانت خواطر وتخيلات وقد قيل ان المراد
بالحديث انه كان يتخيل الشيء انه فعله وما فعله لكنه تخييل
لا يعتقد صحته فتكون اعتقاداته كلها على السداد واقواله
على الصحة هذا ما كان وقفت عليه لائمتنا من
الاجوبة عن هذا الحديث مع ما اوضحناه من معنى كلامهم
وزدناه بيانا من تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع لكنه
قد ظهر لنا في الحديث تأويل اجلى وابعد من مطاعن ذوي
الاضاليل يستفاد من نفس الحديث وهو ان عبد الرزاق
قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن الزبير قال

فيه عنهما سحر يهود بني زريق رسول الله صلعم فجعلوه في
بئر حتى كاد رسول الله صلعم ان ينكر بصره ثم دله الله تعالى
على ما صنعوا فاستخرجه من البئر وروي عن الواقدي نحوه
وعن عبد الرحمن بن كعب وعمر بن الحكم وذكر عن عطاء الخراساني
عن يحيى بن يعمر حبس رسول الله صلعم عن عايشة سنة فبينا
هو نائم اتاه ملكان فقعد احدهما عند راسه والاخر عند
رجليه الحديث قال عبد الرزاق حبس رسول الله عن عايشة
خاصة سنة حتى انكر بصره وروى محمد بن سعد عن ابن عباس
مرض رسول الله صلعم فحبس عن النساء والطعام والشراب
فهبط عليه ملكان وذكر القصة فقد استبان لك من مضمون
هذه الروايات ان السحر انما تسلط على ظاهره وجوارحه لا
على قلبه واعتقاده وعقله وانه انما اثر في بصره وحبسه
عن وطء نسائه وطعامه واضعف جسمه وامرضه ويكون
معنى قوله يخيل اليه انه يأتي اهله ولا يأتيهن اي يظهر له
من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على النساء فاذا دنا
منهن اصابته اخذة السحر فلم يقدر على اتيانهن كما
يعتري من اخذ واعترض ولعله لمثل هذا اشار سفيان
بقوله وهذا اشد ما يكون من السحر ويكون قول عايشة
في الرواية الاخرى انه ليخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله من
باب ما اختل من بصره كما ذكر في الحديث فيظن انه راى
شخصا من بعض ازواجه او شاهد فعلا من غيره ولم يكن على

على ما يخيل اليه لما اصابه في بصره وضعف نظره لا لشيء طرأ
عليه في ميزه واذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من اصابة السحر له و
تأثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به الملحد المعترض انسا
فصل هذه حالة في جسمه فاما احواله في امور الدنيا فنحن نسبرها
على اسلوبها المتقدم بالعقد والقول والفعل اما العقد منها
فقد يعتقد في امور الدنيا الشيء على وجه ويظهر خلافه او يكون
منه على شك او ظن بخلاف امور الشرع كما حدثنا ابو بحر سفيان
بن العاصي وغير واحد سماعا وقراءة قالوا ثنا ابو العباس احمد بن
عمر قال ثنا ابو العباس الرازي ثنا احمد بن عمرويه ثنا ابن سفيان ثنا
مسلم ثنا عبد الله بن الرومي وعباس العنبري واحمد المعقري قالوا
ثنا النضر بن محمد قال حدثني عكرمة ثنا ابو النجاشي قال ثنا رافع بن
خديج قال قدم رسول الله صلعم المدينة وهم يأبرون النخل فقال
ما تصنعون قالوا كنا نصنعه وقال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا
فتركوه فنقصت فذكروا ذلك له فقال انما انا بشر اذا امرتكم
بشيء من رايي فانما انا بشر وفي رواية انتم اعلم بامر دنياكم
وفي حديث اخر انما ظننت ظنا فلا تواخذوني بالظن وفي حديث
ابن عباس في قصة الخرص فقال رسول الله صلعم انما انا بشر فما
حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من نفسي فانما انا بشر اخطي
واصيب وهذا على ما قررنا فيما قاله من قبل نفسه في امور الدنيا
وظنه من احوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في شرع شرعه
وسنة سنها وكما حكى ابن اسحق انه عليه السلام لما نزل بادنى مياه

بدر قال له الحباب بن المنذر اهذا منزل انزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه ام هو الرأي والحرب والمكيدة قال لا بل هو الرأي والحرب والمكيدة قال فانه ليس بمنزل انهض حتى نأتي ادنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءها من القلب فنشرب ولا يشربوه فقال له اشرت بالرأي وفعل ما قاله وقد قال الله له وشاورهم في الامر واراد مصالحة بعض عدوه على ثلث تمر المدينة فاستشار الانصار فلما اخبروه برأيهم رجع عنه فمثل هذا واشباهه من امور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه ما ذكرناه اذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطة وانما هي امور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها همه وشغل نفسه بها والنبي صلعم مشحون القلب بمعرفة الربوبية ملآن الجوانح بعلوم الشريعة مقيد البال بمصالح الامة الدينية والدنيوية ولكن هذا انما يكون في بعض الامور ويجوز في النادر وفيما سبيله التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة وقد تواتر بالنقل عنه عليه السلام من المعرفة بامور الدنيا ودقائق مصالحها وسياسة فرق اهلها ما هو معجز في البشر مما قد نبهنا عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب.

فصل

قال واما ما يعتقده في امور احكام البشر الجارية على يديه وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل وعلم المفسد من المصلح فبهذا السبيل لقوله عليه السلام انما انا بشر وانكم تختصمون

يختصمون الي ولعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو مما اسمع فمن قضيت له من حق اخيه بشيء فلا ياخذ منه شيئا فانما اقطع له قطعة من النار حدثنا الفقيه ابو الوليد رحمة الله عليه ثنا الحسين بن محمد الحافظ ثنا ابو عمر ثنا ابو محمد ثنا ابو بكر ثنا ابو داود ثنا محمد بن كثير ثنا سفيان عن هشام بن عروة عن ابيه عن زينب بنت ام سلمة عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلعم الحديث وفي رواية الزهري عن عروة فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من بعض فاحسب انه صادق فاقضي له فيجري احكامه عليه السلام على الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهدين ويمين الحالف ومراعاة الاشبه ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله في ذلك فانه لو شاء لاطلعه على سرائر عباده ومخبآت ضمائر امته فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون حاجة الى اعتراف او بينة او يمين او شبهة ولكن لما امر الله تعالى امته باتباعه والاقتداء به في افعاله وقضاياه وسيره وكان هذا لو كان مما يختص بعلمه ويؤثره الله به لم يكن للامة سبيل الى الاقتداء في شيء من ذلك ولا قامت حجة بقضية من قضاياه لاحد في شريعته لانا لا نعلم ما اطلع عليه هو في تلك القضية بحكمه هو اذا في ذلك بالمكنون من اعلام الله تعالى له بما اطلعه عليه من سرائرهم وهذا مما لا تعلمه الامة فاجرى الله تعالى احكامه على ظواهرهم التي يستوي في ذلك هو وغيره من البشر ليتم اقتداء امته به في تعيين قضاياه وتنزيل

احكامه ويأتون ما اتوا من ذلك على علم ويقين من سنته اذ البيان بالفعل اوقع بالقول وارفع لاحتمال اللفظ وتأويل المتأول وكان حكمه على الظاهر اجلى في البيان واوضح في وجوه الاحكام واكثر فائدة لموجبات التشاجر والخصام وليقتدي بذلك كله حكام امته ويستوثق بما يؤثر عنه وينضبط قانون شريعته وطي ذلك عنهم من علم الغيب الذي استأثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فيعلمه منه بما شاء ويستأثر بما شاء ولا هذا في نبوته ولا يفصم عروة من عصمته.

فصل

واما اقواله الدنيوية من اخباره عن احواله واحوال غيره وما يفعله او فعله فقد قدمنا ان الخلف فيها ممتنع عليه في كل حال وعلى اي وجه من عمد او سهو او صحة او مرض او رضى او غضب وانه معصوم منه صلى الله عليه وسلم هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق والكذب واما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز ورودها منه في الامور الدنيوية لا سيما لقصد المصلحة كتوريته عن مغازيه ليلا ياخذ العدو حذره وكما روي من ممازحته ودعابته لبسط امته وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته تأكيدا في تحببهم ومسرة نفوسهم كقوله لاحملنك على ابن الناقة وقوله للمرأة التي سألت عن زوجها اهو الذي بعينه بياض وهذا كله صدق لان كل جمل ابن ناقة وكل انسان بعينه بياض وقد قال عليه السلام اني لامزح ولا اقول الا حقا هذا كله فيما بابه الخبر فاما ما بابه غير الخبر مما صورته صورة الامر والنهي في الامور الدنيوية فلا يصح منه ايضا ولا يجوز عليه

عليه ان يأمر احدا بشيء او ينهى احدا عن شيء وهو يبطن خلافه وقد قال عليه السلام ما كان لنبي ان يكون له خائنة الاعين فكيف ان يكون خائنة قلب فان قلت فما معنى قوله تعالى في قصة زيد واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك الاية فاعلم اكرمك الله ولا تسترب في تنزيه النبي صلعم عن هذا الظاهر وان يامر زيدا بامساكها وهو يحب تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين واصح ما في هذا ما حكاه بعض اهل التفسير عن علي بن حسين ان الله تعالى اعلم نبيه ان زينب ستكون من ازواجه فلما شكاها اليه زيد قال له امسك عليك زوجك واتق الله واخفى منه في نفسه ما اعلمه الله به من انه سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها وروى نحوه عمرو بن فائد عن الزهري قال نزل جبريل على النبي صلعم يعلمه ان الله تعالى يزوجه زينب بنت جحش فذلك الذي اخفى في نفسه ويصحح هذا قول المفسرين في قوله بعد هذا وكان امر الله مفعولا اي لا بد لك ان تتزوجها ويوضح هذا ان الله تعالى لم يبد من امره معها غير زواجه لها فدل انه الذي اخفاه عليه السلام مما كان اعلمه به وقوله تعالى في القصة ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله الاية فدل انه لم يكن عليه حرج في الامر قال الطبري ما كان الله ليؤثم نبيه فيما احل له مثال فعل من قبله من الرسل قال الله تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل اي من النبيين فيما احل لهم ولو كان على ما روي من حديث قتادة

من وقوعها من قلب النبي صلعم عندما اعجبته ومحبته طلاق زيد لها لكان فيه اعظم الحرج وما لا يليق به من مد عينيه لما عنده من زهرة الدنيا وكان هذا نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه فلا يتسم به الاتقياء فكيف سيد الانبياء قال القشيري وهذا اقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبي صلعم وبفضله وكيف يقال راها فاعجبته وهي بنت عمه ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن منه عليه السلام وهو زوجها لزيد وانما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي صلعم اياها لازالة حرمة [illegible] وابطال سنته كما قال ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقال لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم ونحوه لابن فورك وقال ابو الليث السمرقندي فان قيل فما الفائدة في امر النبي صلعم لزيد بامساكها فهو ان الله تعالى اعلم نبيه انها زوجته فنهاه النبي صلعم عن طلاقها اذ لم تكن بينهما الفة واخفى في نفسه ما اعلمه الله به فلما طلقها زيد خشي قول الناس يتزوج امراة ابنه فامره الله تعالى بزواجها ليباح مثل ذلك لامته كما قال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وقد قيل كان امره لزيد بامساكها قمعا للشهوة وردا للنفس عن هواها وهذا اذا جوزنا عليه انه راها فجاة فاستحسنها ومثل هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه ابن ادم من استحسان الحسن ونظرة الفجاة معفو عنها ثم قمع نفسه عنها وامر زيدا بامساكها

بامساكها وانما تنكر تلك الزيادات التي في القصة والتعويل والاولى ما ذكرناه عن علي بن الحسين وحكاه السمرقندي وهو قول ابن عطاء وصححه واستحسنه القاضي القشيري وعليه عول ابو بكر بن فورك وقال انه معنى ذلك عند المحققين من اهل التفسير قال والنبي صلعم منزه عن استعمال النفاق في ذلك واظهار خلاف ما في نفسه وقد نزهه الله عن ذلك بقوله تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له قال ومن ظن ذلك بالنبي صلعم فقد اخطا قال وليس معنى الخشية هنا الخوف وانما معناه الاستحياء اي يستحيي منهم ان يقولوا تزوج زوجة ابنه وان خشيته عليه السلام من الناس كانت من ارجاف المنافقين واليهود وتشغيبهم على المسلمين بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الابناء كما كان فعتبه الله على هذا ونزهه عن الالتفات اليهم فيما احله له كما عتبه على مراعاة رضى ازواجه في سورة التحريم بقوله لم تحرم ما احل الله لك الاية كذلك قوله هنا وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وقد روي عن الحسن وعائشة لو كتم رسول الله صلعم شيئا لكتم هذه الاية لما فيها من عتبه وابداء ما اخفاه

فصل فان قلت قد تقررت عصمته عليه السلام في اقواله في جميع احواله وانه لا يصح منه فيها خلف ولا اضطراب في عمد ولا سهو ولا صحة ولا مرض ولا جد ولا مزح ولا رضى ولا غضب فما معنى الحديث في وصيته عليه السلام

الذي حدثنا به القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله قال ثنا القاضي ابو الوليد ثنا ابو ذر ثنا ابو محمد وابو الهيثم وابو اسحق قالوا ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا علي بن عبد الله ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن الزهري عن عبيد بن عبد الله عن ابن عباس قال لما احتضر رسول الله صلعم وفي البيت رجال فقال النبي صلعم هلموا اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده فقال بعضهم ان رسول الله صلعم قد غلبه الوجع الحديث وفي رواية ايتوني اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدي ابدا فتنازعوا فقالوا ما له اهجر استفهموه فقال دعوني فان الذي انا فيه خير وفي بعض طرقه ان النبي صلعم يهجر وفي رواية هجر ويروى اهجر ويروى اهجرا وفيه فقال عمر ان النبي صلعم قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا عني وفي رواية واختلف اهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله صلعم كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر قال ائمتنا في هذا الحديث النبي صلى الله عليه وسلم غير معصوم من الامراض وما يكون من عوارضها من شدة وجع وغشي ونحوه مما يطرا على جسمه معصوم ان يكون منه من القول اثناء ذلك ما يطعن في معجزاته ويؤدي الى فساد في شريعته من هذيان واختلال في كلام وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى في الحديث هجر اذ معناه هذى يقال هجر هجرا اذا هذى واهجر هجرا اذا افحش واهجر تعدية هجر وانما الاصح والاولى

والاولى اهجر على طريق الانكار على من قال لا يكتب وهكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع الرواة في حديث الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سلام عن ابن عيينة وكذا ضبطه الاصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذه الطرق وكذا رويناه عن مسلم في حديث سفيان وعن غيره وقد يحمل عليه رواية من رواه هجر على حذف الف الاستفهام والتقدير اهجر او ان يحمل قول القائل هجر او اهجر دهشة من قائل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد من حال الرسول صلعم وشدة وجعه وهول المقام الذي اختلف فيه عليه والامر الذي هم بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القائل لفظه واجرى الهجر مجرى شدة الوجع لانه اعتقد انه يجوز عليه الهجر كما حملهم الاشفاق على حراسته والله يقول والله يعصمك من الناس ونحو هذا واما على رواية اهجرا وهي رواية ابي اسحق المستملي في الصحيح في حديث ابن جبير عن ابن عباس من رواية قتيبة فقد يكون هذا راجعا الى المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم اي جئتم باختلافكم على رسول الله صلعم وبين يديه هجرا ومنكرا من القول والهجر بضم الهاء الفحش في المنطق وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث وكيف اختلفوا بعد امره لهم عليه السلام ان ياتوه بالكتاب فقال بعضهم اوامر النبي صلعم يفهم ايجابها من ندبها

من اباحتها بقرائن فلعل قد ظهر من قرائن قوله عليه السلام
لبعضهم ما فهموا انه لم يكن منه عزمة بل امر رده الى
اختيارهم وبعضهم لم يفهم ذلك فقال استفهموه فلما
اختلفوا كيف عنه اذ لم تكن عزمة ولما راه من صواب راي عمر
ثم هؤلاء قالوا ويكون امتناع عمر اما اشفاقا على النبي صلعم
من تكليفه في تلك الحال املاء الكتاب وان تدخل عليه مشقة
من ذلك كما قال ان النبي صلعم اشتد به الوجع وقيل خشي
عمر ان يكتب امورا يعجزون عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة
ورأى ان الارفق بالامة في تلك الامور سعة الاجتهاد وحكم
النظر وطلب الثواب فيكون المصيب والمخطئ ماجورا
وقد علم عمر تقرر الشرع وتاسيس الملة وان الله تعالى قال
اليوم اكملت لكم دينكم وقوله عليه السلام اوصيكم
بكتاب الله وعترتي وقول عمر حسبنا كتاب الله رد على
من نازعه لا على امر النبي صلعم وقد قيل ان عمر خشي تطرق
المنافقين ومن في قلبه مرض لما كتب في ذلك الكتاب في
الخلوة وان يتقولوا في ذلك الاقاويل كادعاء الرافضة
الوصية وغير ذلك وقيل انه كان من النبي صلعم على طريق
المشورة والاختبار هل يتفقون على ذلك ام يختلفون
فلما اختلفوا تركه وقالت طائفة اخرى ان معنى الحديث
ان النبي صلعم كان مجيبا في هذا الكتاب لما طلب منه لا
انه ابتداء بالامر به بل اقتضاه منه بعض اصحابه فاجاب

فاجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها واستدل في مثل
هذه القصة بقول العباس لعلي انطلق بنا الى رسول الله صلعم
فان كان الامر فينا علمناه وكراهة علي هذا وقوله والله لا افعل
الحديث واستدل بقوله دعوني فان الذي انا فيه اي الذي
انا فيه خير من ارسال الامر وترككم وكتاب الله وان تدعوني
مما طلبتم وذكر ان الذي طلب كتابا امر الخلافة بعده و
وتعيين ذلك   فان قيل فما وجه حديثه ايضا الذي
حدثنا الفقيه ابو محمد الخشني بقراءتي عليه ثنا ابو علي
الطبري ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا ابو احمد الجلودي
قال ثنا ابراهيم بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا
قتيبة ثنا ليث عن سعيد بن ابي سعيد عن سالم مولى
النصريين قال سمعت ابا هريرة يقول سمعت رسول
الله صلعم وتقبل دعاءه ما يحمله على الياس والقنوط
وقد يكون ذلك سوالا منه لربه لمن جلده او سبه على حق
وبوجه صحيح فجعل ذلك كفارة لما اصابه وتحية لما
اجترم وان يكون عقوبته له في الدنيا سبب العفو
والغفران كما جاء في الحديث الاخر من ذلك شيئا فعوقب
فهو له كفارة. فان قلت فما معنى حديث الزبير وقول النبي
صلى الله عليه وسلم له حين تخاصم مع الانصاري في شراج
الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ الكعبين فقال له الانصاري
ان كان ابن عمتك يا رسول الله فتلون وجه رسول الله صلعم

ثم قال اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الجدر الحديث فالجواب
ان النبي صلعم منزه ان يقع بنفس مسلم منه في هذه القصة
امر يريب ولكنه صلعم ندب الزبير اولا الى الاقتصار على بعض
حقه على طريق التوسط والصلح فلما لم يرض بذلك الاخر
ولج وقال ما قال استوفى النبي صلى الله عليه وسلم
للزبير حقه ولهذا ترجم البخاري على الحديث باب اذا اشار
بالصلح فابى حكم عليه بالحكم وذكر في اخر الحديث فاستوفى
رسول الله صلعم للزبير حقه وقد جعل المسلمون هذا الحديث
اصلا في قضيته وفيه الاقتداء به صلى الله عليه وسلم
في كل ما فعله في حال غضبه ورضاه وانه وان نهى ان يقضي
القاضي وهو غضبان فانه في حكمه في حال الغضب والرضا
سواء لكونه فيهما معصوما وغضب النبي صلعم في هذا انما
كان لله لا لنفسه كما جاء في الحديث الصحيح وكذلك
الحديث في اقادته عكاشة من نفسه لم يكن لتعد حمله
الغضب عليه بل وقع في الحديث نفسه ان عكاشة قال له
وضربتني بالقضيب فلا ادري اعمدا ام اردت ضرب
الناقة فقال النبي صلعم اعيذك بالله يا عكاشة ان
يتعمدك يا رسول الله وكذلك في حديثه الاخر مع الاعرابي
حين طلب الاقتصاص منه فقال الاعرابي قد عفوت
عنك وكان النبي صلعم ضربه بالسوط لتعلقه بزمام
ناقته مرة بعد اخرى والنبي صلعم ينهاه ويقول له

تدرك حاجتك وهو يابى فضربه بعد ثلاث مرات وهذا منه
عليه السلام لمن لم يقف عند نهيه صواب وموضع ادب لكنه
عليه السلام اشفق اذ كان حق نفسه من الامر حتى عفا عنه
واما حديث سواد بن عمرو اتيت النبي صلعم وانا متخلق فقال
ورس ورس حط حط وغشيني بقضيب في يده في بطني
فاوجعني فقلت القصاص يا رسول الله فكشف لي عن بطنه
وانما ضربه النبي صلعم لمنكر راه به ولعله لم يرد بضربه
بالقضيب الا تنبيهه فلما كان منه ايجاع لم يقصده تحلله
على ما قدمناه فصل واما افعاله عليه السلام الدنيوية
فحكمه فيها من توقي المعاصي والمكروهات ما قدمناه ومن جواز
السهو والغلط في بعضها ما ذكرناه وكله غير قادح في النبوة
بل ان هذا فيها على الندور اذ عامة افعاله عليه السلام على
السداد والصواب بل اكثرها او كلها جارية مجرى العبادات
والقرب على ما بيناه اذ كان عليه السلام لا ياخذ منها لنفسه
الا الضرورة وما يقيم رمق جسمه وفيه مصلحة ذاته التي
يعبد ربه ويقيم شريعته ويسوس امته وما كان فيما
بينه وبين من ذلك فبين معروف يصنعه او بر يوسعه
او كلام حسن يقوله او يسمعه او تالف شارد او قهر
معاند او مداراة حاسد وكل هذا لاحق بصالح اعماله منتظم
في زاكي وظائف عباداته وقد كان يخالف في افعاله الدنيوية
بحسب اختلاف الاحوال ويعد للامور اشباهها فيركب في تصرفه

لما قرب الحمار وفي اسفاره الراحلة ويركب البغلة في
معارك الحرب دليلا على الثبات ويركب الخيل ويعدها ليوم
الفزع واجابة الصارخ وكذلك في لباسه وسائر احواله
بحسب اعتبار مصالحه ومصالح امته وكذلك يفعل الفعل
من امور الدنيا مساعدة لامته وسياسة وكراهية
لخلافها وان كان قد يرى غيره خيرا منه كما يترك الفعل لهذا
وقد يرى فعله خيرا منه وقد يفعل هذا في الامور الدينية مما له
الخيرة في احد وجهيه كخروجه من المدينة لاحد وكان
مذهبه التحصن بها وتركه قتل المنافقين وهو على يقين
من امرهم مؤالفة لغيرهم ورعاية للمؤمنين من قرابتهم
وكراهة لان يقول الناس ان محمدا يقتل اصحابه كما جاء في
الحديث وتركه بناء الكعبة على قواعد ابراهيم مراعاة لقلوب
قريش وتعظيمهم لتغييرها وحذرا من نفار قلوبهم لذلك
وتحريك متقدم عداوتهم للدين واهله فقال لعائشة
في الحديث لولا حدثان قومك بالكفر لاتممت البيت على
قواعد ابراهيم ويفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا
منه كانتقاله من ادنى مياه بدر الى اقربها للعدو من
قريش وكقوله لو استقبلت من امري ما استدبرت ما سقت
الهدي ويبسط وجهه للكافر والعدو رجاء استيلافه
ويصبر للجاهل ويقول ان من شرار الناس من اتقاه
الناس لشره ويبذل له الرغائب ليحبب اليه شريعته ودين

ودين ربه ويتولى في منزله ما يتولاه الخادم من مهنته ويتسمت
في ملائه حتى لا يبدو شيء من اطرافه وكان كأنما على
رؤوس جلسائه الطير ويتحدث مع جلسائه بحديث اولهم
ويتعجب مما يتعجبون منه ويضحك مما يضحكون قد وسع
الناس بشره وعدله لا يستفزه الغضب ولا يقصر عن
الحق ولا يبطن عن جلسائه يقول ما كان لنبي ان يكون له
خائنة الاعين فان قيل فما معنى قوله لعائشة في الداخل
عليه بئس ابن العشيرة فلما دخل الان له القول وضحك
معه فلما سألته عن ذلك قال ان من شر الناس من اتقاه
الناس لشره وكيف جاز ان يظهر له خلاف ما يبطن ويقول
في ظهره ما قال فالجواب ان فعله عليه السلام كان استيلافا
لمثله وتطييبا لنفسه ليتمكن ايمانه ويدخل في الاسلام
بسببه اتباعه ويراه مثله فينجذب بذلك الى الاسلام
ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج من حد مداراة
الدنيا الى السياسة الدينية وقد كان يستألفهم باموال
الله العريضة فكيف بالكلمة اللينة قال صفوان لقد اعطاني
وهو ابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى صار احب الخلق
الي وقوله فيه بئس ابن العشيرة هو غير غيبة بل هو تعريف
بما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حاله ويحترز منه ولا يوثق
بجانبه كل الثقة لا سيما وكان مطاعا متبوعا ومثل هذا
اذا كان لضرورة ودفع مضرة لم يكن بغيبة بل كان

جائزا بل واجبا في بعض الاحيان كعادة المحدثين في تجريح
الرواة والمزكين في الشهود فان قيل فما معنى المعضل
الوارد في حديث بريرة من قوله عليه السلام لعائشة
وقد اخبرته ان موالي بريرة ابوا بيعها الا ان يكون لهم
الولاء فقال لها عليه السلام اشتريها واشترطي لهم
الولاء ففعلت ثم قام خطيبا فقال ما بال اقوام يشترطون
شروطا ليست في كتاب الله كل شرط ليس في كتاب
الله فهو باطل والنبي صلعم قد امرها بالشرط لهم
وعليه باعوا ولولاه والله اعلم لما باعوها من عائشة
كما لم يبيعوها قبل حتى شرطوا ذلك عليها ثم ابطله
صلعم وهو قد حرم الغش والخديعة فاعلم ان النبي صلعم
منزه عما يقع في بال الجاهل من هذا الامر ولتنزيه
النبي صلعم عن ذلك ما قد انكر قوم هذه الزيادة قوله
اشترطي لهم الولاء اذ ليست في اكثر طرق الحديث
ومع ثباتها فلا اعتراض بها اذ يقع لهم بمعنى عليهم
قال الله تعالى اولئك لهم اللعنة وقال وان اسأتم
فلها فعلى هذا اشترطي عليهم الولاء لك ويكون قيام
النبي صلعم ووعظه لما سلف لهم من شرط الولاء
لانفسهم قبل ذلك ووجه ثان ان قوله عليه السلام
اشترطي لهم الولاء ليس على معنى الامر لكن على معنى
التسوية والاعلام بان شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان

بيان النبي صلعم قبل ان الولاء لمن اعتق فكانه قال اشترطي
او لا تشترطي فانه شرط غير نافع والى هذا ذهب الداوودي
وغيره وتوبيخ النبي صلعم وتقريعهم على ذلك يدل على
علمهم به قبل هذا الوجه الثالث ان معنى قوله اشترطي
لهم الولاء اي اظهري لهم حكمه وبيني عندهم سنته ان الولاء
انما هو لمن اعتق ثم بعد هذا قام هو صلى الله عليه وسلم
مبينا ذلك وموبخا على مخالفة ما تقدم منه فيه فان قيل
فما معنى فعل يوسف عليه السلام باخيه اذ جعل السقاية
في رحله واخذه باسم سرقتها وما جرى على اخوته في ذلك
وقوله انكم لسارقون ولم يسرقوا فاعلم اكرمك الله ان
الاية تدل ان فعل يوسف عليه السلام كان بامر الله لقوله
تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ اخاه في دين
الملك الا ان يشاء الله الاية فاذا كان ذلك فلا اعتراض
به وان كان فيه ما فيه وايضا فان يوسف عليه السلام كان
اعلم اخاه باني انا اخوك فلا تبتئس فكان ما جرى عليه بعد
هذا من وفقه ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له
وازاحة السوء والمضرة عنه بذلك واما قوله ايتها
العير انكم لسارقون فليس من قول يوسف عليه السلام
فيلزم عليه جواب لحل شبهه ولعل قائله ان حسن له
التأويل كائنا من كان ظن على صورة الحال ذلك وقد قيل
قال ذلك لفعلهم قبل بيوسف وبيعهم له وقيل غير هذا

ولا يلزم لنا ان نقول الانبيا مالم يأت انهم قالوه حتى
يطلب الخلاص منه ولا يلزم الاعتذار عن ذلك عنهم فصل
فان قيل لما الحكمة في اجراء الامراض وشدتها عليه وعلى
غيره من الانبياء عليهم السلام وما الوجه في ابتلائهم الله
به من البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به كايوب ويعقوب
ودانيال ويحيى وزكريا وعيسى وابراهيم ويوسف وغيرهم
صلوات الله عليهم وهم خيرته من خلقه واحباؤه واصفياه
فاعلم وفقنا الله واياك ان افعال الله تعالى كلها عدل وكلماته
جميعها صدق لا مبدل لكلماته يبتلي عباده كما قال لهم لننظر
كيف تعملون وليبلوكم ايكم احسن عملا وليعلم الله الذين
امنوا منكم ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين
ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو
اخباركم فامتحانه اياهم بضروب المحن زيادة في مكانتهم
ورفعة في درجاتهم واسباب لاستخراج حالات الصبر
والرضى والشكر والتسليم والتوكل والتفويض والدعاء
والتضرع منهم وتاكيدا لبصائرهم في رحمة الممتحنين
والشفقة على المبتلين وتذكرة لغيرهم وموعظة لسواهم
ليتأسوا في البلاء بهم ويتسلوا في المحن بما جرى عليهم
ويقتدوا بهم في الصبر ومحو لهنات فرطت منهم او غفلات
سلفت لهم ليلقوا الله تعالى طيبين مهذبين وليكون
اجرهم اكمل وثوابهم اوفر واجزل حدثنا القاضي ابو علي الحافظ

الحافظ ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون
قالا ثنا ابو يعلى البغدادي قال ثنا ابو علي السنجي
ثنا محمد بن محبوب ثنا ابو عيسى الترمذي ثنا قتيبة
حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد
سعد عن ابيه قال قلت يا رسول الله اي الناس
اشد بلاء قال الانبيا ثم الامثل فالامثل يبتلى
الرجل على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد
حتى يتركه يمشي على الارض ما عليه خطيئة وكما قال تعالى
وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير الاية الثلاث
وعن ابي هريرة رض ما يزال البلاء بالمؤمن في نفسه
وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وعن
انس عنه عليه السلام اذا اراد الله بعبده الخير
عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد الله بعبده الشر
امسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيمة وفي
حديث اخر اذا احب الله عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه
وحكى السمرقندي ان كل من كان اكرم على الله تعالى
كان بلاؤه اشد كي يتبين فضله ويستوجب الثواب
كما روي عن لقمان انه قال يا بني الذهب والفضة
يختبر بالنار والمؤمن يختبر بالبلاء وقد حكي ابتلاء يعقوب بيوسف
كان سببه التفاته في صلاته اليه ويوسف نائم
محبة له وقيل بل اجتمع يوما هو وابنه يوسف على اكل

حمل مشوي وهما يضحكان وكان لهم جار يتيم فشم ريحه
واشتهاه وبكى وبكت جدة له عجوز وبينهما جدار ولا
علم عند يعقوب وابنه فعوقب يعقوب بالبكاء اسفا
على يوسف الى ان سالت حدقتاه وابيضت عيناه من
الحزن فلما علم بذلك كان بقية حياته يأمر مناديا ينادي
على سطحه الا من كان مفطرا فليتغد عند ال يعقوب
وعوقب يوسف بالمحنة التي نص الله تعالى عليها وروي
عن الليث ان سبب بلاء ايوب انه دخل مع اهل قريته
على ملكهم فكلموه في ظلمه واغلظوا له الا ايوب فانه
رفق به مخافة على زرعه فعاقبه الله ببلائه ومحنة
سليمان لما ذكرناه من نيته في كون الحق في جنبة اصهاره
او للعمل بالمعصية في داره ولا علم عنده وهذه فائدة
شدة المرض والوجع بالنبي صلعم قالت عائشة ما رايت
الوجع على احد اشد منه على رسول الله صلعم وعن عبد الله
رايت رسول الله صلعم في مرضه يوعك وعكا شديدا
فقلت انك لتوعك وعكا شديدا قال اجل اني اوعك كما
يوعك رجلان منكم قلت ذلك ان لك الاجر مرتين
قال اجل ذلك كذلك وفي حديث ابي سعيد ان رجلا وضع
يده على النبي صلعم فقال والله ما اطيق اضع يدي
عليك من شدة حماك فقال النبي صلعم انا معشر الانبياء
يضاعف لنا البلاء ان كان النبي ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان

وان كان النبي ليبتلى بالفقر وان كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون
بالرخاء وعن انس رض عنه صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء
وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط
وقد قال المفسرون في قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به ان المسلم يجزى بمصائب
الدنيا فيكون له كفارة وروي هذا عن عائشة وابي ومجاهد وقال ابو هريرة
عنه عليه الصلوة والسلام من يرد الله به خيرا يصب منه وقال في رواية عائشة
ما من مصيبة يصيب المسلم الا يكفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها وقال
في رواية ابي سعيد ما يصيب المومن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن
ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه وفي حديث
ابن مسعود ما من مسلم يصيبه اذى الا حات الله عنه خطاياه كما تحات ورق
الشجر وحكمة اخرى اودعها الله في الامراض لاجسامهم وتعاقب الاوجاع عليها
وشدتها عند مماتهم لتضعف قوى نفوسهم فيسهل خروجها عند قبضهم وتخف
عليهم مؤنة النزع وشدة السكرات بتقدم المرض وضعف الجسم والنفس لذلك
خلاف موت الفجأة واخذه كما يشاهد من اختلاف احوال الموت في الشدة
واللين والصعوبة والسهولة وقد قال عليه الصلوة والسلام مثل المؤمن مثل
خامة الزرع تفيئها الريح هكذا وهكذا في رواية ابي هريرة من حيث اتتها الريح تكفاها
فاذا سكنت اعتدلت وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء ومثل الكافر كمثل الارزة صماء
معتدلة حتى يقصمها الله معناه ان المؤمن مرزأ مصاب بالبلاء والامراض
راض بتصريفه بين اقدار الله تعالى منطاع لذلك لين الجانب برضاه وقلة سخطه
كطاعة خامة الزرع وانقيادها للرياح وتمايلها لهبوبها وترنحها من حيث
ما اتتها فاذا ازاح الله عن المؤمن رياح البلايا قام واعتدل صحيحا كما اعتدلت

خاتمة الزرع عند سكون رياح الجور رجع الى شكر ربه ومعرفة نعمته عليه
برفع بلائه منتظرا رحمته وثوابه عليه فاذا كان بهذه السبيل لم يصعب
عليه مرض الموت ولا نزوله ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه لعادته
بما تقدمه من الالام ومعرفة ماله فيها من الاجر وتوطنه نفسه على
المصائب ورقتها وضعفها بتوالي المرض او شدته والكافر بخلاف هذا
معافا في غالب حاله ممتع في صحة جسمه كالخامة الصماء حتى اذا اراد الله هلاكه
قصمه لحينه على غرة واخذه بغتة من غير لطف ولا رفق فكان موته اشد
عليه حسرة ومقاساة نزعه مع قوة نفسه وصحة جسمه اشد الما وعذابا
ولعذاب الاخرة اشد كانجعاف الارزة وكما قال الله تعالى فاخذناهم بغتة وهم
لا يشعرون وكذلك عادة الله في اعدائه كما قال تعالى فكلا اخذنا بذنبه فمنهم
من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة الاية ففجأ جميعهم بالموت
على حال عتو وغفلة وصبحهم به على غير استعداد وبغتة ولهذا ما كره السلف موت
الفجاءة ومنه في حديث ابراهيم النخعي كانوا يكرهون اخذة كاخذة الاسف
اي الغضب يريد موت الفجاءة وحكمة ثالثة ان الامراض نذير الممات وبقدر شدتها
شدة الخوف من نزول الموت فيستعد من اصابته وعليه يتعاهد ما له الى القرار
ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة الانكاد ويكون قلبه معلقا بالمعاد فيتنصل
من كل ما يخشى تباعته من قبل الله وقبل العباد ويؤدي الحقوق الى اهلها وينظر
فيما يحتاج اليه من وصية فيمن يخلفه او امر يعهده وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم
المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قد طلب التنصل في مرضه ممن كان له
عليه مال او حق في بدن واقاد من نفسه وماله وامكن من القصاص
من نفسه على ما ورد في حديث الفضل وحديث الوفاة واوصى بالثقلين بعده

بعده كتاب الله وعترته وبالانصار عيبته ودعا الى كتب موضع ضرره ولما شئته الى كتب
كتاب لئلا تضل امته بعده اما في النص على الخلافة والله اعلم بمراده ثم رأى
الامساك عنه افضل او خيرا وهكذا سيرة عباد الله المؤمنين واولياء المتقين
وهذا كله يحرمه غالبا الكفار لاملاء الله لهم ليزدادوا اثما وليستدرجهم من حيث
لا يعلمون قال الله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا
يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون ولذلك قال عليه الصلوة والسلام
في رجل مات فجاءة سبحان الله كانه على غضب المحروم من حرم وصيته وقال موت
الفجاءة راحة المؤمنين واخذة اسف للكافر او الفاجر وذلك لان الموت
يأتي المؤمن وهو غالبا مستعد له منتظر لحلوله فهان امره عليه كيفما جاء
وافضى الى راحته من نصب الدنيا واذاها كما قال عليه السلام مستريح
ومستراح منه وتأتي الكافر والفاجر منيته على غير استعداد ولا اهبة ولا
مقدمات منذرة مزعجة بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها
ولا هم ينظرون فكان الموت اشد شيء عليه وفراق الدنيا افظع امر صدمه
واكره شيء له والى هذا المعنى اشار عليه الصلوة والسلام بقوله من احب
لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه القسم الرابع
في تصرف وجوه الاحكام فيمن تنقصه او سبه عليه الصلوة والسلام قال
القاضي ابو الفضل قد تقدم من الكتاب والسنة واجماع الامة ما يجب
من الحقوق للنبي صلى الله عليه وسلم وما يتعين له من بر وتوقير وتعظيم واكرام
وبحسب هذا حرم الله اذاه في كتابه واجمعت الامة على قتل متنقصه من المسلمين
وسابه قال الله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا
والاخرة واعد لهم عذابا مهينا وقال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم

وقال الله تعالى ولا ان تنكحوا وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا
ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما وقال الله تعالى في تحريم
التعريض له يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا الاية
وذلك ان اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد اي ارعنا سمعك واسمع
منا ويعرضون بالكلمة يريدون الرعونة فنهى الله المؤمنين عن التشبه بهم
وقطع الذريعة بنهي المؤمنين عنها لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق الى
سبه والاستهزاء به وقيل بل لما فيه من مشاركة اللفظ لانها عند اليهود بمعنى
اسمع لا سمعت وقيل بل لما فيها من قلة الادب وعدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم
وتعظيمه لانها في لغة الانصار بمعنى ارعنا نرعك فنهوا عن ذلك اذ مضمنه
انهم لا يرعونه الا برعايته لهم وهو عليه السلام واجب الرعاية بكل حال وهذا
وهو عليه السلام قد نهى عن التكني بكنيته فقال تسموا باسمي ولا تكنوا
بكنيتي صيانة لنفسه وحماية عن اذاه اذ كان صلى الله عليه وسلم استجاب
لرجل نادى يا ابا القاسم فقال لم اعنك انما دعوت هذا فنهى عن التكني بكنيته
لئلا يتأذى باجابة دعوة غيره لمن لم يدعه ويجد بذلك المنافقون والمستهزؤون
ذريعة الى اذاه والازراء به فينادونه فاذا التفت قالوا انما اردنا هذا لسواه تعنيتا له
واستخفافا بحقه على عادة المجان والمستهزئين فحمى عليه السلام حمى اذاه بكل
وجه فحمل محققو العلماء نهيه عن هذا على مدة حياته واجازوه بعد وفاته
لارتفاع العلة وللناس في هذا الحديث مذاهب ليس هذا موضعها وما ذكرناه
هو مذهب الجمهور والصواب ان شاء الله تعالى وان ذلك على طريق تعظيمه
وتوقيره وعلى سبيل الندب والاستحباب لا على التحريم ولذلك لم ينه عن اسمه
لانه الله تعالى قد كان منع من ندائه به بقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم

بينكم كدعاء بعضكم بعضا وانما كان المسلمون يدعونه يا رسول الله ويا نبي
الله وقد يدعونه بكنيته ابا القاسم بعضهم في بعض الاحوال
وقد روى انس عنه عليه الصلوة والسلام ما يدل على كراهة التسمي
باسمه وتنزيهه عن ذلك اذا لم يوقر وروي ان عمر كتب الى اهل
الكوفة لا يسمى احد باسم النبي صلى الله عليه وسلم حكاه ابو جعفر الطبري
وحكى محمد بن سعد انه نظر الى رجل اسمه محمد ورجل يسبه ويقول له فعل
الله بك يا محمد وصنع فقال عمر لابن اخيه محمد بن زيد بن الخطاب لا ارى محمدا
عليه الصلوة والسلام يسب بك والله لا تدعى محمدا ما دمت حيا وسماه
عبد الرحمن واراد ان يمنع لهذا ان يسمى احد باسم باسماء الانبياء اكراما
لهم بذلك وغير اسماء جماعة وقال لا تسموا باسماء الانبياء ثم امسك
والصواب جواز هذا كله بعده عليه الصلوة والسلام بدليل اطباق الصحابة
على ذلك وقد سمى جماعة ابنه محمدا وكناه بابي القاسم وروي ان النبي صلى الله عليه
وسلم اذن في ذلك لعلي ابن ابي طالب رضه وقد اخبر عليه الصلوة والسلام
ان ذلك اسم المهدي وكنيته وقد سمى به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم محمد بن طلحة
ومحمد بن عمرو بن حزم ومحمد بن ثابت بن قيس وغير واحد وقال ما ضر
احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وقد فصلت الكلام في هذا القسم
على بابين كما قدمناه الباب الاول في بيان ما هو في حقه عليه الصلوة والسلام
سب او نقص من تعريض او نص اعلم وفقنا الله واياك ان جميع من سب النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم او عابه او الحق به نقصا في نفسه او نسبه او دينه
او خصلة من خصاله او عرض به او شبهه بشيء على طريق السب له فهو ساب
له والحكم فيه حكم الساب يقتل كما سنبينه ولا نستثني فصلا من فصول

هذا الباب على هذا المقصد ولا نمترى فيه تصريحا كان او تلويحا وكذلك من لعنه
او دعا عليه او تمنى مضرة له او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم
او عبث فى جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور
او عيره بشىء مما جرى من البلاء والمحنة عليه او غمصه ببعض العوارض
البشرية الجائزة والمعهودة لديه وهذا كله اجماع من الائمة العلماء وائمة الفتوى
من لدن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين الى هلم جرا قال ابو بكر بن
المنذر اجمع عوام اهل العلم على ان من سب النبى صلى الله عليه وسلم يقتل
وممن قال ذلك مالك بن انس والليث واحمد واسحق وهو مذهب الشافعى
قال القاضى ابو الفضل وهو مقتضى قول ابى بكر الصديق رضه ولا تقبل
توبته عند هؤلاء وبمثله قال ابو حنيفة واصحابه والثورى واهل الكوفة و
والاوزاعى فى المسلم لكنهم قالوا هى ردة وروى مثله الوليد بن مسلم عن مالك
وحكى مثله الطبرى عن ابى حنيفة واصحابه فيمن تنقصه عليه الصلوة والسلام
او برئ منه او كذبه وقال سحنون فيمن شبه ذلك ردة كالزندقة وعلى هذا
وقع الخلاف فى استتابته وتكفيره وهل قتله حدا او كفر كما سنبينه فى الباب
الثانى ان شاء الله تعالى ولا نعلم اختلافا فى استباحة دمه بين علماء الامصار
وسلف الامة وقد ذكر غير واحد الاجماع على قتله وتكفيره واشار بعض
الظاهرية وهو ابو محمد على بن احمد الفارسى الى الخلاف فى تكفير المستخف
به والمعروف ما قدمناه قال محمد بن سحنون اجمع العلماء ان شاتم النبى
صلى الله عليه وسلم المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله له وحكمه عند
الائمة القتل ومن شك فى عذابه وكفره كفر واحتج ابراهيم بن حسين بن خالد الفقيه
فى مثل هذا بقتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة لقوله عن النبى صلى الله عليه وسلم

وسلم صاحبكم وقال ابو سليمان الخطابى لا اعلم احدا من المسلمين اختلف فى وجوب
قتله اذا كان مسلما وقد قال ابن القاسم عن مالك فى كتاب ابن سحنون
والمبسوط والعتبية وحكاه مطرف عن مالك فى كتاب ابن حبيب من سب النبى
صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل ولم يستتب قال ابن القاسم فى العتبية
او شتمه او عابه او تنقصه فانه يقتل وحكمه عند الامة القتل كالزنديق
وقد فرض الله توقيره وبره وفى المبسوط عن عثمان بن كنانة من شتم النبى صلى الله
عليه وسلم من المسلمين قتل او صلب حيا ولم يستتب والامام مخير فى صلبه حيا
او قتله ومن رواية ابى المصعب وابن ابى اويس سمعنا مالكا يقول من سب رسول
الله صلى الله عليه وسلم او شتمه او عابه او تنقصه قتل مسلما كان او كافرا ولا يستتاب
وفى كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب النبى صلى الله عليه وسلم
او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وحكى الطبرى مثله عن
اشهب عن مالك وروى ابن وهب عن مالك من قال ان رداء النبى صلى الله عليه
وسلم ويروى زر النبى وسخ اراد به عيبه قتل وقال بعض علمائنا اجمع العلماء
على ان من دعا على نبى من الانبياء بالويل او بشىء من المكروه انه يقتل بلا استتابة
وافتى ابو الحسن القابسى فيمن قال فى النبى صلى الله عليه وسلم الجمال يتيم ابى طالب
بالقتل وافتى ابو محمد بن ابى زيد بقتل رجل سمع قوما يتذكرون صفة النبى
صلى الله عليه وسلم اذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية فقال لهم تريدون تعرفون
صفته هى فى صفة هذا المار فى خلقه ولحيته قال ولا تقبل توبته وقد كذب لعنه
الله وليس يخرج من قلب سليم الايمان وقال احمد بن ابى سليمان صاحب سحنون
من قال ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اسود يقتل وقال فى رجل قال له
لا وحق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فعل الله برسول الله كذا وكذا

وذكر كلاما قبيحا فقيل له ما تقول يا عدو الله فقال اشد من كلامه الاول
ثم قال انما اردت برسول الله العقرب فقال ابن ابى سليمان الذى سأله اشهد عليه
وانا شريكك يريد فى قتله وثواب ذلك قال حبيب بن الربيع لان ادعاء
التاويل فى لفظ صراح لا يقبل لانه امتهان وهو غير معزر لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا موقر له فوجب اباحة دمه وافتى ابو عبد الله بن عتاب فى عشار
قال لرجل ادّ واشك الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال ان سألت او جهلت
فقد جهل وسأل النبى بالقتل وافتى فقهاء الاندلس بقتل ابن حاتم المتفقه
الطليطلى وصلبه بما شهد عليه به من استخفافه بحق النبى صلى الله عليه وسلم
وتسميته اياه اثناء مناظرته باليتيم وختن حيدرة وزعمه ان زهده لم يكن
قصدا ولو قدر على الطيبات اكلها الى اشياء لهذا وافتى فقهاء القيروان واصحاب
سحنون بقتل ابراهيم الفزارى وكان شاعرا متفننا متقنا فى كثير من العلوم
وكان ممن يحضر مجلس القاضى ابى العباس ابن طالب للمناظرة فرفعت عليه امور
منكرة من هذا الباب فى الاستهزاء بالله وانبيائه ونبينا عليه الصلوة والسلام
فاحضر له القاضى يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء وامر بقتله وصلبه فطعن
بالسكين وصلب منكسا ثم انزل واحرق بالنار وحكى بعض المؤرخين انه لما
رفعت خشبته وزالت عنها الايدى استدارت وحولته عن القبلة فكان اية
للجميع وكبر الناس وجاء كلب فولغ فى دمه فقال يحيى بن عمر صدق رسول الله
وذكر حديثا عنه عليه الصلوة والسلام انه لا يلغ الكلب فى دم مسلم وقال
القاضى ابو عبد الله بن المرابط من قال ان النبى صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب
فان تاب والا قتل لانه تنقص اذ لا يجوز ذلك فى خاصته اذ هو على بصيرة من امره
ويقين من عصمته وقال حبيب بن ربيع القروى مذهب مالك واصحابه ان من

قال فيه عليه الصلوة والسلام ما فيه نقص قتل دون استتابة وقال
ابن عتاب الكتاب والسنة موجبان ان من قصد النبى صلى الله عليه وسلم باذى
او نقص معرضا او مصرحا وان قل فقتله واجب فهذا الباب كله
مما عده العلماء سبا وتنقصا يجب قتل قائله لم يختلف فى ذلك متقدمهم ولا متاخرهم
وان اختلفوا فى حكم قتله على ما اشرنا اليه ونبينه بعد ان شاء الله تعالى وكذلك اقول
حكم من غمصه او عيره برعاية الغنم والسهو او النسيان او السحر او ما اصابه من جرح
او هزيمة لبعض جيوشه او اذى من عدو او شدة من زمنه او بالميل الى نسائه
فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه القتل وقد مضى من مذاهب العلماء فى ذلك ويأتى
ما يدل عليه **فصل فى الحجة فى ايجاب** قتل من سبه وعابه عليه الصلوة والسلام فمن
القران لعنة الله تعالى لمؤذيه فى الدنيا والاخرة وقرانه تعالى اذاه باذاه ولا خلاف
فى قتل من سب الله تعالى وان اللعن انما يستوجبه من هو كافر وحكم الكافر القتل
فقال ان الذين يؤذون الله ورسوله الاية وقال فى قاتل المؤمن مثل ذلك فمن
لعنته فى الدنيا القتل قال الله تعالى ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا
وقال فى المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك لهم خزى فى الدنيا وقد يقع القتل بمعنى
اللعن قال الله تعالى قتل الخراصون وقاتلهم الله انى يؤفكون اى لعنهم الله
ولانه فرق بين اذاهما واذى المؤمنين وفى اذى المؤمنين ما دون القتل من الضرب
والنكال فكان حكم مؤذى الله ونبيه اشد من ذلك وهو القتل وقال تعالى
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية فسلب اسم الايمان
عمن وجد فى صدره حرجا من قضائه ولم يسلم له ومن تنقصه فقد ناقض هذا
وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى الى قوله
ان تحبط اعمالكم ولا يحبط العمل الا الكفر والكافر يقتل وقال تعالى واذا جاؤك

حوك بما لم يحيك به الله ثم قال حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير وقال تعالى
ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن الى قال والذين يؤذون رسول
الله لهم عذاب اليم وقال تعالى ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب
الى قوله قد كفرتم بعد ايمانكم قال اهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله
صلى الله عليه وسلم واما الاجماع فقد ذكرناه واما الاثار فحدثنا الشيخ ابو عبد الله
احمد بن محمد بن غلبون عن الشيخ ابي ذر الهروي اجازة قال حدثنا ابو الحسن
الدارقطني وابو عمر بن حيويه قالا حدثنا محمد بن نوح قال حدثنا عبد العزيز
بن محمد بن حسن بن زبالة قال حدثنا عبد الله بن موسى بن جعفر عن علي بن
موسى عن ابيه عن جده عن محمد بن جعفر الباقر علي بن حسين عن ابيه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سب نبيا فاقتلوه ومن سب اصحابي
فاضربوه وفي الحديث الصحيح امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الاشرف
وقوله من لكعب بن الاشرف فانه يؤذي الله ورسوله ووجه اليه من قتله غيلة
دون دعوة بخلاف غيره من المشركين وعلل باذاه له فدل ان قتله اياه لغير
الاشراك بل للاذى وكذلك قتل ابا رافع قال البراء وكان يؤذي رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويعين عليه وكذلك امره يوم الفتح بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين
كانتا تغنيان بسبه عليه الصلوة والسلام وفي حديث آخر ان رجلا كان يسب
النبي عليه الصلوة والسلام فقال من يكفيني عدوي فقال خالد انا فبعثه النبي
صلى الله عليه وسلم فقتله وكذلك لم يقتل جماعة ممن كان يؤذيه من الكفار
ويسبه كالنضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط وعهد بقتل جماعة منهم
قبل الفتح وبعده فقتلوا الا من بادر باسلامه قبل القدرة عليه وقد روى
البزار عن ابن عباس ان عقبة بن ابي معيط نادى يا معشر قريش ما لي اقتل

اقتل من بينكم صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك على رسول
الله عم وسبه رجل فقال من يكفيني عدوي فقال الزبير انا فبارزه الزبير
فقتله وروى ايضا ان امرأة كانت تسبه عليه الصلوة والسلام فقال من يكفيني
عدوتي فخرج اليها خالد بن الوليد فقتلها وروى ان رجلا كذب على النبي صلى الله
عليه وسلم فبعث عليا والزبير اليه ليقتلاه وروى ابن قانع ان رجلا جاء الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله سمعت ابي يقول فيك قولا قبيحا فقتلته
فلم يشق ذلك على النبي عم وبلغ المهاجر بن ابي امية امير اليمن لابي بكر رضه
ان امرأة هناك في الردة غنت بسب النبي فقطع يدها ونزع ثنيتها فبلغ ذلك
ابا بكر فقال له لولا ما فعلت بها لامرتك بقتلها لان حد الانبياء ليس يشبه الحدود
وعن ابن عباس هجت امرأة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم فقال من لي بها فقال
رجل من قومها انا يا رسول الله فنهض فقتلها فاخبر النبي عم لا ينتطح فيها عنزان
وعن ابن عباس ان اعمى كانت له ام ولد تسب النبي صلى الله عليه وسلم فيزجرها
فلا تنزجر فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي عم وتشتمه فقتلها واعلم النبي
بذلك فاهدر دمها وفي حديث ابي برزة الاسلمي كنت يوما جالسا عند ابا بكر
الصديق رضه فغضب على رجل من المسلمين وحكى القاضي اسمعيل وغير واحد
من الائمة في هذا الحديث انه سب ابا بكر ورواه النسائي اتيت ابا بكر وقد اغلظ
لرجل فرد عليه قال فقلت يا خليفة رسول الله دعني اضرب عنقه فقال اجلس
فليس ذلك لاحد الا لرسول الله عم قال القاضي ابو محمد بن نصر ولم يخالف
عليه احد فاستدل الائمة بهذا الحديث على قتل من اغضب النبي عم بكل
ما اغضبه او اذاه او سبه ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز الى عامله
بالكوفة وقد استشاره في قتل رجل سب عمر بن الخطاب فكتب اليه عمر انه

صلى الله تعالى عليه وسلم

لا يحل قتل امرئ مسلم بسب احد من الناس الا رجلا سب رسول الله فمن
سبه فقد حل دمه وسأل الرشيد مالكا في رجل شتم النبي صلى الله عليه وسلم
وذكر له ان فقهاء العراق افتوه بجلده فغضب مالك وقال يا امير المؤمنين
ما بقاء الامة بعد شتم نبيها من شتم الانبياء قتل ومن شتم اصحاب النبي عم
جلد قال القاضي ابو الفضل كذا وقع في هذه الحكاية رواها غير واحد من اصحاب
مناقب مالك ومؤلفي اخباره وغيرهم ولا ادري من هؤلاء الفقهاء بالعراق
الذين افتوا الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا مذهب العراقيين بقتله ولعلهم ممن لم
يشتهر بعلم او من لا يوثق بفتواه او يميل به هواه او يكون ما قاله يحمل على غير
السب فيكون الخلاف هل هو سب او غير سب او يكون رجع وتاب عن سبه
فلم يقله مالك على اصله والا فالاجماع على قتل من سبه كما قدمناه ويدل على قتله
من جهة النظر والاعتبار ان من سبه او تنقصه عم فقد ظهرت علامة مرض قلبه
وبرهان سوء طويته وكفره ولهذا ما حكم له كثير من العلماء بالردة وهي رواية
الشاميين عن مالك والاوزاعي وقول الثوري وابي حنيفة والكوفيين والقول
الاخر انه دليل على الكفر فيقتل حدا وان لم يحكم له بالكفر الا ان يكون متماديا
على قوله غير منكر ولا مقلع عنه فهذا كفر كافر وقوله اما صريح كفر
كالتكذيب ونحوه او من كلمات الاستهزاء والذم فاعترافه بها وترك توبته
عنها دليل استحلاله لذلك وهو كفر ايضا فهذا كافر بلا خلاف قال الله تعالى
في مثله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم قال
اهل التفسير هي قولهم بعضهم ما مثلنا ومثل محمد الا قول القائل سمن
كلبك يأكلك ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وقد قيل
ان هذا قائل هذا استهزاء به ان حكمه حكم الزنديق يقتل ولانه قد غير دينه وقد قال

قال عليه الصلوة والسلام من غير دينه فاضربوا عنقه ولان الحكم للنبي
في الحرمة مزية على امته وساب الحر من امته يحد فكان العقوبة لمن سبه عليه
القتل لعظيم قدره وشفوف منزلته **فصل** فان قلت فلم لم يقتل النبي
صلى الله عليه وسلم اليهودي الذي قال له السام عليك وهذا دعاء عليه
ولا قتل الذي قال له ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله وقد تأذى النبي
صلى الله عليه وسلم من ذلك وقد قال قد اوذي موسى باكثر من هذا
فصبر ولا قتل المنافقين الذين كانوا يؤذونه في اكثر الاحيان فاعلم وفقنا الله
واياك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اول الاسلام يستألف عليه الناس
ويميل قلوبهم اليه ويحبب اليهم الايمان ويزينه في قلوبهم ويداريهم ويقول
لاصحابه انما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا منفرين ويقول يسروا ولا تعسروا
واسكنوا ولا تنفروا ويقول لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وكان عم
يداري الكفار والمنافقين ويجمل صحبتهم ويغضي عنهم ويحتمل
من اذاهم ويصبر على جفائهم ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه وكان يرفقهم
بالعطاء والاحسان وبذلك امره الله تعالى فقال ولا تزال تطلع على خائنة منهم
الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين قال ادفع بالتي
هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وذلك لحاجة الناس
للتألف اول الاسلام وجمع الكلمة عليها فلما استقر واظهره الله على الدين
كله قتل من قدر عليه واشتهر امره كفعله بابن خطل ومن عهد بقتله يوم
الفتح ومن امكنه قتله غيلة من يهود وغيرهم او غلبة ممن لم ينظمه قبل
سلك صحبته والانخراط في جملة مظهري الايمان به ممن كان يؤذيه كابن
الاشرف وابي رافع والنضر وعقبة وكذلك نذر دم جماعة سواهم

الصلوة والسلام

السلام

٢ اليوم

ككعب بن زهير وابن الزبعرى وغيرهم ممن آذى ثم ألقوا بايديهم ولقوه
مسلمين وبواطن المنافقين مستترة وحكمه عليه السلام على الظاهر واكثر تلك
الكلمات انما كان يقولها القائل منهم خفية ومع امثاله ويحلفون عليها اذا نميت
وينكرونها ويحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكان مع هذا يطمع في فيئتهم
ورجوعهم الى الاسلام وتوبتهم فيصبر عليه السلام على هناتهم وجفوتهم كما
صبر اولو العزم من الرسل حتى فاء كثير منهم باطنا كما فاء ظاهرا واخلص سرا
كما اظهر جهرا ونفع الله بعد بكثير منهم وقام منهم للدين وزراء واعوان وحماة
وانصار كما جاءت به الاخبار وبهذا اجاب بعض ائمتنا عن هذا السؤال وقيل
لعله لم يثبت عنده عليه السلام من اقوالهم ما رفع وانما نقله الواحد ومن لم يصل
رتبته الشهادة في هذا الباب من صبي او عبد او امرأة والدماء لا تستباح الا بعدلين
وعلى هذا يحمل من اليهودي في السلام وانهم لووا به السنتهم ولم يبينوه
الا ترى كيف نبهت عليه عائشة ولو كان صرح بذلك لم تنفرد بعلمه ولهذا
نبه النبي عليه السلام اصحابه على فعلهم وقلة صدقهم في سلامهم وخيانتهم
في ذلك ليا بالسنتهم وطعنا في الدين فقال ان اليهود اذا سلم احدهم فانما يقول
السام عليكم فقولوا وعليكم وكذلك قال بعض اصحابنا من البغداديين ان النبي
عليه الصلوة والسلام لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم ولم يأت انه قامت بينة
على نفاقهم فلذلك تركهم وايضا فان الامر كان سرا او باطنا وظاهرهم الاسلام
والايمان وان كان من اهل الذمة بالعهد والجوار والناس قريب عهدهم
بالاسلام لم يتميز بعد الخبيث من الطيب وقد شاع عن المذكورين في العرب
كون من يتهم بالنفاق من جملة المؤمنين وصحابة سيد المرسلين وانصار
الدين بحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر منهم وعلمه

وعلمه بما اسروا في انفسهم لوجد المنفر ما يقول ولارتاب الشارد وارجف
المعاند وارتاع من صحابة النبي عليه السلام والدخول في الاسلام غير واحد
ولزعم الزاعم وظن العدو الظالم ان القتل انما كان للعداوة وطلب اخذ الترة
وقد رأيت معنى ما حررت منسوبا الى مالك بن انس رح ولهذا قال عليه السلام
لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال اولئك الذين نهاني الله تعالى عن قتلهم
وهذا بخلاف اجراء الاحكام الظاهرة عليهم من حدود الزنا والقتل وشبهه لظهورها
واستواء الناس في علمها وقد قال محمد بن المواز لو اظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم
النبي عليه السلام وقاله ابو الحسن بن القصار قال قتادة في تفسير قوله تعالى لئن لم ينته
المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك
فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله الآية قال
معناه اذا اظهروا النفاق وحكى محمد بن مسلمة في المبسوط عن زيد بن اسلم ان قوله تعالى
يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين نسخها ما كان قبلها وقال بعض مشايخنا
لعل القائل هذه قسمة ما اريد بها وجه الله وقوله اعدل لم يفهم النبي عليه السلام
منه الطعن عليه والتهمة له وانما رآها من وجه الغلط في الرأي وامور الدنيا والاجتهاد
في مصالح اهلها فلم ير ذلك سبا ورأى انه من الاذى الذي له العفو عنه والصبر
عليه فلذلك لم يعاقبه وكذلك التي لا بد من الحاقه جميع البشر وقيل بل المراد
تسمون دينكم والسام الملام والسآمة الملال وهذا دعاء على سآمة الدين ليس
بصريح سب ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث باب اذا عرض
الذمي او غيره بسب النبي عليه السلام قال بعض علمائنا وليس هذا بتعريض
السب وانما هو تعريض بالاذى قال القاضي ابو الفضل قد قدمنا ان الاذى
والسب في حقه عليه الصلوة والسلام سواء وقال القاضي ابو محمد بن نصر

ء بقالوا في اليهود اذا قالوا السام عليكم ليس فيه صريح سب ولا دعاء الا بما لا بد منه من الموت

مجيبا منه عن هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم قال ولم يذكر في هذا الحديث هل كان
هذا اليهودي من اهل العهد والذمة والحرب ولا يترك موجب الادلة للامر المحتمل
والاولى في ذلك كله والاظهر من هذه الوجوه مقصد الاستيلاف والمداراة على
الدين لعلهم يهتدون وكذلك ترجم البخاري على حديث القسمة والخوارج باب
من ترك قتل الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه ولما ذكرنا معناه عن مالك
وقررناه قبل وقد صبر لهم عليه الصلوة والسلام على سحره وسمه وهو اعظم من سبه
الى ان نصره الله عليهم واذن له في قتل من حينه منهم وانزلهم من صياصيهم وقذف
في قلوبهم الرعب وكتب على من شاء منهم الجلاء واخرجهم من ديارهم وخرب بيوتهم
بايديهم وايدي المؤمنين وكاشفهم بالسب فقال يا اخوة القردة والخنازير وحكم
فيهم سيوف المسلمين واجلاهم من جوارهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم لتكون
كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فان قلت قد جاء في الحديث الصحيح
عن عائشة رضي الله عنها انه عليه السلام ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى اليه قط الا ان
تنتهك حرمة الله فينتقم لله فاعلم ان هذا لا يقتضي انه لم ينتقم ممن سبه او آذاه
او كذبه فان هذه من حرمات الله التي انتقم منها وانما يكون ما لا ينتقم منه له فيما
تعلق بسوء ادب او معاملة من القول والفعل بالنفس والمال مما لم يقصد فاعله
به اذاه لكن مما جبلت عليه الاعراب من الجفاء والجهل او جبل عليه البشر من الغفلة
كجبذ الاعرابي برداءه حتى اثر في عنقه وكرفع صوت الآخر عنده وكجحد الاعرابي
شراءه منه فرسه التي شهد فيها خزيمة وكما كان من تظاهر زوجيه عليه واشباه
هذا مما يحسن الصفح عنه وقد قال بعض علمائنا ان اذى النبي عليه السلام حرام
لا يجوز بفعل مباح ولا غيره واما غيره من الناس فيجوز بفعل مباح ما يجوز
للانسان فعله وان تأذى به غيره واحتج بعموم قوله ان الذين يؤذون الله ورسوله

ورسوله وبقوله عليه السلام انها بضعة مني يؤذيني ما آذاها الا واني
لا احرم ما احل الله ولكن لا تجتمع ابنة رسول الله وابنة عدو الله عند
رجل ابدا ويكون هذا مما آذاه كافرا وجاء بعد ذلك اسلامه كعفوه عن
اليهودي الذي سحره وعن الاعرابي الذي اراد قتله وعن اليهودية
التي سمته وقد قيل قتلها ومثل هذا مما يبلغه من اذى اهل الكتاب
والمنافقين فصفح عنهم رجاء استيلافهم واستيلاف غيرهم بهم كما قررناه
قبل وبالله التوفيق فصل قد تقدم الكلام في قتل القاصد لسبه والازراء
به وغمصه باي وجه كان من ممكن او محال فهذا وجه بين لا اشكال فيه
الوجه الثاني لاحق به في البيان والجلاء وهو ان يكون القائل لما قال في جهته
عليه السلام غير قاصد للسب والازراء ولا معتقد له ولكنه تكلم
في جهته عليه السلام بكلمة الكفر من لعنه او سبه او تكذيبه او اضافة ما لا يجوز عليه
او نفي ما يجب له مما هو في حقه عليه السلام نقيصة مثل ان ينسب اليه اتيان
كبيرة او مداهنة في تبليغ الرسالة او في حكم بين الناس او يغض من مرتبته
او شرف نسبه او وفور علمه او زهده او تكذيب بما اشتهر من امور اخبر
بها عليه السلام وتواتر الخبر بها عنه عن قصد لرد خبره او يأتي بسفه
من القول وقبيح من الكلام ونوع من السب في جهته وان ظهر بدليل
حاله انه لم يتعمد ذمه ولم يقصد سبه اما لجهالة حملته على ما قاله او
ضجر او سكر اضطره اليه او قلة مراقبة وضبط للسانه او عجرفة وتهور
في كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه الاول القتل دون تلعثم اذ لا يعذر
احد في الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان ولا بشيء مما ذكرناه
اذا كان عقله في فطرته سليما الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وبهذا

افتى ابن القاسم وسحنون على ابن حاتم في نفيه الزهد عن الرسول الله عليه السلام الذي قدمنا ٠ وقال محمد بن سحنون في المأسور يسب النبي عليه السلام في ايدي العدو يقتل الا ان يعلم تنصره او اكراهه وعن ابي محمد بن ابي زيد لا يعذر بدعوى زلل اللسان في مثل هذا وافتى ابو الحسن القابسي فيمن شتم النبي عليه السلام في سكره يقتل لانه يظن به انه يعتقد هذا ويفعله في صحوه وايضا فانه حد لا يسقطه السكر كالقذف والقتل وسائر الحدود لانه ادخله على نفسه لان من شرب الخمر على علم من زوال عقله بها واتيان ما ينكر منه فهو كالعامد لما يكون بسببه وعلى هذا الزمنا الطلاق والعتاق والقصاص والحد ولا يعترض على هذا الحديث حمزة وقوله للنبي عليه السلام وهل انتم الا عبيد لابي قال فعرف النبي صلى الله عليه وسلم انه ثمل فانصرف لان الخمر كانت حينئذ غير محرمة فلم يكن في جناياتها اثم وكان حكم ما يحدث عنها معفوا عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء المأمون فصل الوجه الثالث ان يقصد الى تكذيبه فيما قاله او اتى به او ينفي نبوته او رسالته او وجوده او يكفر به انتقل بقوله ذلك الى دين غيره ملته اولا فهذا كافر بالاجماع يجب قتله ثم ينظر فان كان مصرحا بذلك كان حكمه اشبه بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته وعلى القول الاخر لا يسقط القتل عنه توبته لحق النبي صلى الله عليه وسلم ان كان ذكره بنقيصة فيما قاله من كذب او غيره وان كان مستسرا بذلك فحكمه حكم الزنديق لا تسقط قتله التوبة عندنا كما سنبينه قال ابو حنيفة واصحابه من برئ من محمد او كذب به فهو مرتد حلال الدم الا ان يرجع وقال ابن القاسم في المسلم اذا قال ان محمدا ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه قرآن وانما هو شيء تقوله يقتل قال ومن كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وانكره من المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك من اعلن بتكذيبه فهو كالمرتد ويستتاب

ويستتاب وكذلك قال فيمن تنبأ وزعم انه يوحى اليه وقاله سحنون وقال ابن القاسم دعى الى ذلك سرا او جهرا قال اصبغ وكان كالمرتد لانه قد كفر بكتاب الله مع الفرية على الله وقال اشهب في يهودي تنبأ وزعم انه ارسل الى الناس او قال بعد نبيكم نبي انه يستتاب ان كان معلنا بذلك فان تاب والا قتل وذلك لانه يكذب للنبي عليه السلام في قوله لا نبي بعدي مفتري على الله في دعواه عليه الرسالة والنبوة وقال محمد بن سحنون من شك في حرف مما جاء به محمد صلعم فهو كافر جاحد وقال من كذب النبي صلى الله عليه وسلم كان حكمه عند الامة القتل وقال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي عليه السلام اسود يقتل وقال نحوه ابو عثمان الحداد وقال لو قال انه مات قبل ان يلتحي او انه كان بتاهرت ولم يكن بتهامة قتل لان هذا نفي قال حبيب بن ربيع تبديل صفته ومواضعه كفر ونفي المظهر له كفر وفيه الاستتابة والمسر له زنديق يقتل بلا استتابة فصل الوجه الرابع ان يأتي من الكلام بمجمل ويلفظ من القول بمشكل يمكن حمله على النبي عليه السلام او غيره او يتردد في المراد به من سلامته من المكروه او شره فههنا متردد النظر وحيرة العبر ومظنة اختلاف المجتهدين ووقفة استبراء المقلدين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فمنهم من غلب حرمة النبي صلعم وحمى حمى عرضه فجسر على القتل ومنهم من عظم حرمة الدم ودرا الحد بالشبهة لاحتمال القول وقد اختلف ائمتنا في رجل اغضبه غريمه فقال له صل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبي عم او شتم الملائكة الذين يصلون عليه قال لا اذا كان على ما وصفت من الغضب لانه لم يكن

مضمرا وقال ابو اسحق البرقي واصبغ بن الفرج لا يقتل لانه انما شتم الناس وهذا نحو قول سحنون لانه لم يعذره بالغضب في شتم النبي عليه السلام وشتم الملائكة صلوات الله عليهم ولا مقدمة يحمل عليها كلامه بل القرينة تدل على ان مراده الناس غير هؤلاء لاجل قول الاخر له صل على النبي فحمل قوله وسبه لمن يصلي عليه الان لاجل امر الاخر له بهذا عند غضبه هذا معنى قول سحنون وهو مطابق لعلة صاحبيه وذهب الحارث بن مسكين القاضي وغيره في مثل هذا الى القتل وتوقف ابو الحسن القابسي في قتل رجل قال كل صاحب فندق قرنان ولو كان نبيا مرسلا فامر بشده بالقيود والتضييق عليه حتى يستفهم البينة عن جملة الفاظه وما يدل على مقصده هل اراد اصحاب الفنادق الان فمعلوم انه ليس فيهم نبي مرسل فيكون امره اخف قال ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتأخرين وقد كان فيمن تقدم من الانبياء والرسل من اكتسب المال قال ودم المسلم لا يقدم عليه الا بامر بين وما ترد اليه التأويلات لا بد من انعام النظر فيه هذا معنى كلامه وحكي عن ابي محمد بن ابي زيد رح فيمن قال لعن الله العرب ولعن بني اسرائيل ولعن بني ادم وذكر انه لم يرد الانبياء وانما اردت الظالمين منهم ان عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان وكذلك افتى فيمن قال لعن الله من حرم المسكر وقال لم اعلم من حرمه وفيمن لعن حديث لا يبيع حاضر لباد ولعن من جاء به انه ان كان يعذر بالجهل وعدم معرفة السنن فعليه الادب الوجيع وذلك ان هذا لم يقصد بظاهر حاله سب الله ولا سب رسوله وانما لعن من حرمه من الناس على نحو فتوى سحنون واصحابه في المسئلة المتقدمة ومثل هذا ما يجري

ما يجري في كلام سفهاء الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن الف خنزير وابن مائة كلب وشبهه من هجر القول ولا شك انه يدخل في مثل هذا العدد من ابائه واجداده جماعة من الانبياء ولعل بعض هذا العدد منقطع الى آدم عليه السلام فينبغي الزجر عنه وتبيين ما جهل قائله منه وشدة الادب فيه ولو علم انه قصد فيه سب من في ابائه من الانبياء على علم لقتل وقد يضيق القول في نحو هذا لو قال لرجل هاشمي لعن الله بني هاشم وقال اردت الظالمين منهم او قال لرجل من ذرية النبي عم قولا قبيحا في ابائه او من نسله او ولده على علم منه انه من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن قرينة في المسئلتين تقتضي تخصيص ابائه بعض ابائه واخراج النبي صلى الله عليه وسلم ممن سبه منهم وقد رايت لابي موسى بن مناس فيمن قال لرجل لعنك الله الى آدم انه ان ثبت ذلك عليه قتل قال القاضي رح وقد كان اختلف شيوخنا فيمن قال لشاهد شهد عليه بشيء ثم قال له تتهمني فقال له الاخر الانبياء يتهمون فكيف انت فكان شيخنا ابو اسحق بن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ وكان القاضي ابو محمد بن منصور يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ عنده ان يكون خبرا عمن اتهمهم من الكفار وافتى فيها قاضي قرطبة ابو عبد الله بن الحاج بنحو من هذا وشدد القاضي ابو محمد تصفيده واطال سجنه ثم استحلفه بعد على تكذيب ما شهد به عليه اذ دخل في شهادة بعض من شهد عليه وهن ثم اطلقه وشاهدت شيخنا القاضي ابا عبد الله محمد بن عيسى ايام قضائه اتي برجل هاتر رجلا اسمه محمد ثم قصد الى كلب فضربه برجله وقال له قم يا محمد فانكر الرجل ان يكون قال ذلك وشهد عليه لفيف من الناس فامر به الى السجن وتقصى عن حاله

وهل يصح من يسترب يديه فإذا لم يجد ما يقوى الريبة باعتقاده ضربه
بالسوط واطلقه **فصل** الوجه الخامس ان لا يقصد نقصا ولا يذكر عيبا
ولا سبا لكنه ينزع بذكر بعض اوصافه او يستشهد ببعض احواله عليه السلام
الجائزة عليه في الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه او لغيره او على
التشبيه به او عند هضيمة نالته او غضاضة لحقته ليس على طريق التاسي
وطريق التحقيق بل على مقصد الترفيع لنفسه او لغيره او سبيل التمثيل
وعدم التوقير لنبيه عليه السلام او قصد الهزل والتندير بقوله كقول
القائل ان قيل في السوء فقد قيل في النبي وان كذبت فقد كذب الانبياء او ان
اذنبت فقد اذنبوا وانا اسلم من السنة الناس ولم يسلم منها انبياء
الله ورسله وقد صبرت كما صبر اولوا العزم من الرسل او كصبر ايوب او قد صبر
نبي الله من اعده وحلم على اكثر مما صبرت وكقول المتنبي انا في امة تداركها
الله غريب كصالح في ثمود ونحوه من اشعار المتعجرفين في القول المتساهلين
في الكلام كقول المعري كنت موسى وافته بنت شعيب غير ان ليس فيكما
من فقير على ان اخر البيت شديد عند تدبره وداخل في باب الازراء والتحقير
بالنبي عليه السلام وتفضيل حال غيره عليه وكذلك قوله لولا انقطاع الوحي
بعد محمد قلنا محمد من ابيه بديل هو مثله في الفضل الا انه لم يأته برسالة جبريل
فصدر البيت الثاني من هذا الفصل شديد لتشبيهه غير النبي عليه السلام
في فضله بالنبي والعجز محتمل الوجهين احدهما ان هذه الفضيلة نقصت
الممدوح والاخر استغناؤه عنها وهذه اشد ونحو منه قول الآخر واذا ما
رفعت راياته صفقت بين جناحي جبرين وقول الآخر من اهل العصر فر
من الخلد واستجار بنا فصبر الله قلب رضوان وكقول حسان المصيصي من شعراء

الاندلس في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد ووزيره ابي بكر بن زيدون كان
ابا بكر ابو بكر الرضى وحسان حسان وانت محمد الى مثل هذا وانما كثرنا بشواهدها
مع استثقالنا حكايتها لنا لنعرف امثلتها ولتساهل كثير من الناس في ولوج
هذا الباب الضنك واستخفافهم فادح هذا العبء وقلة علمهم بعظيم ما فيه
من الوزر وكلامهم منه بما ليس لهم به علم ويحسبونه هينا وهو
عند الله عظيم لا سيما الشعراء واشدهم فيه تصريحا وللسانه تسريحا ابن
ابن هانئ الاندلسي وابن سليمان المعري بل قد خرج كثير من كلامهما الى حد
الاستخفاف والنقص وصريح الكفر وقد اجبنا عنه وغرضنا الان الكلام في
هذا الفصل الذي سقنا امثلته فان هذه كلها وان لم تتضمن سبا ولا اضافت
الى الملائكة والانبياء نقصا ولست اعني عجزي بيتي المعري ولا قصد قائلها
ازراء وغضا فما وقر النبوة ولا عظم الرسالة ولا عزر حرمة الاصطفاء ولا عزز
خطوة الكرامة حتى شبه من شبه في كرامة نالها او معرة قصد الانتفاء منها
او ضرب مثل لتطييب مجلسه او غلاء في وصف لتحسين كلامه لمن عظم الله
خطره وشرف قدره والزم توقيره وبره ونهى عن جهر القول له ورفع
الصوت عنده فحق هذا ان درئ عنه القتل الادب والسجن وقوة تعزيره
شنعة مقالة ومقتضى قبح ما نطق به ومألوف عادته لمثله او ندوره وقرينة
كلامه او ندمه على ما سبق منه ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا
ممن جاء به وقد انكر الرشيد على ابي نواس قوله فان يك باقي سحر فرعون
فيكم فان عصى موسى بكف خصيب وقال له يا ابن اللخناء انت المستهزئ
بعصى موسى وامر باخراجه عن عسكره من ليلته وذكر القتبي ان مما اخذ
عليه ايضا وكفر به او قارب قوله في محمد الامين وتشبيهه اياه بالنبي عليه السلام

تنازع الاحمد ان التشبه فاشتبها خلقا وخلقا كما قد اشتركا كان وقد انكروا
ايضا على الآخر قوله في ممدوح وكيف لا يدنيك من امل من رسول الله من
نفره لان حق الرسول موجب تعظيمه وانافة منزلته ان يضاف اليه ولا يضاف
فالحكم في امثال هذا ما بسطناه في طريق الفتيا على هذا المنهج جاءت فتيا
مذهبنا مالك بن انس رح واصحابه ففي النوادر في رواية ابن ابي مريم
عنه في رجل عير رجلا بالفقر فقال تعيرني بالفقر وقد رعى النبي فقال
مالك قد عرض بذكر النبي عليه السلام في غير موضعه ارى ان يؤدب قال
ولا ينبغي لاهل الذنوب اذا عوتبوا ان يقولوا قد اخطات الانبياء قبلنا وقال
عمر بن عبد العزيز لرجل انظر لنا كاتبا يكون ابوه عربيا فقال كاتب له قد كان ابو النبي
صلى الله عليه وسلم كافرا فقال جعلت هذا مثلا فعزله وقال لا تكتب لي ابدا
وقد كره سحنون ان يصلى على النبي عليه السلام عند التعجب الا على طريق الثواب
والاحتساب توقيرا له وتعظيما كما امرنا الله تعالى وسئل القابسي عن رجل قال لرجل
قبيح كانه وجه نكير ولرجل عبوس كانه وجه مالك الغضبان فقال اي شيء اراد بهذا
ونكير احد فتاني القبر وهما ملكان فما الذي اراد اروع دخل عليه حين رآه
من وجهه ام عاف النظر اليه لدمامة خلقه فان كان هذا فهو شديد لانه
جرى مجرى التحقير والتهوين فهو اشد عقوبة وليس فيه تصريح بالسب
للملك وانما السب واقع على المخاطب وفي الادب بالسوط والسجن نكال
للسفهاء قال واما ذاكر مالك خازن النار فقد جفى الذي ذكره عندما انكر
من عبوس الآخر الا ان يكون المعبس له يد فيرهب بعبسته فيشبهه القائل
على طريق الذم لهذا في فعله ولزومه في ظلمه مالك الملك المطيع لربه
في جعله فيقول كانه لله يغضب غضب مالك فيكون اخف وما كان ينبغي له

له التعرض لمثل هذا ولو كان اثنى على العبوس بعبسته واحتج بصفة مالك
كان اشد ويعاقب المعاقبة الشديدة وليس في هذا ذم للملك ولو قصد
ذمه لقتل وقال ابو الحسن ايضا في شاب معروف بالخير قال لرجل شيئا فقال
له الرجل اسكت فانك امي فقال الشاب اليس كان النبي اميا فشنع عليه
مقاله وكفره الناس واشفق الشاب مما قال واظهر الندم عليه فقال
ابو الحسن اما اطلاق الكفر عليه فخطأ لكنه مخطئ في استشهاده
بصفة النبي عليه السلام وكون النبي اميا آية له وكون هذا اميا نقيصة
فيه وجهالة ومن جهالته احتجاجه بصفة النبي عليه السلام لكنه اذا استغفر
وتاب واعترف ولجأ الى الله تعالى فيترك لان قوله لا ينتهي الى حد
القتل وما طريقه الادب فطوع فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه ونزلت
ايضا مسئلة استفتى فيها بعض قضاة الاندلسيين شيخنا القاضي ابا
محمد بن منصور في رجل تنقصه آخر بشيء فقال له انما تريد نقصي بقولك
انا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص حتى النبي فافتاه باطالة سجنه وايجاع
ادبه اذ لم يقصد السب وكان بعض فقهاء الاندلسيين افتى بقتله **فصل**
الوجه السادس ان يقول القائل ذلك حاكيا عن غيره واثرا له عن سواه
فهذا ينظر في صورة حكايته وقرينة مقالته ويختلف الحكم باختلاف
ذلك على اربعة وجوه الوجوب والندب والكراهة والتحريم وان كان
اخبر به على وجه الشهادة والتعريف بقائله والانكار عليه والاعلام
بقوله والتنفير منه والتجريح له فهذا مما ينبغي امتثاله ويحمد فاعله وكذلك
ان حكاه في كتاب او في مجلس على طريق الرد له والنقض على قائله والفتيا
بما يلزمه وهذا منه ما يجب ومنه ما يستحب بحسب حالات الحاكي والمحكي عنه

فان كان القائل لذلك ممن تصدى لان يؤخذ عنه العلم او رواية الحديث
او يقطع بحكمه او شهادته او فتياه في الحقوق وجب على سامعه الاشادة
بما سمع منه والتنفير للناس عنه والشهادة عليه بما قاله ووجب
على من بلغه ذلك من ائمة المسلمين انكاره وبيان كفره وفساد قوله
لقطع ضرره عن المسلمين وقياما بحق سيد المرسلين وكذلك ان كان
ممن يعظ العامة او يؤدب الصبيان فان من هذه سريرته لا يؤمن على القاء
ذلك في قلوبهم فيتأكد في هؤلاء الايجاب لحق النبي عليه السلام ولحق شريعته
وان لم يكن القائل بهذه السبيل فالقيام بحق النبي صلى الله عليه وسلم واجب وحماية
عرضه متعين ونصرته عن الاذى حيا وميتا مستحق على كل مؤمن لكنه اذا قام
بهذا من ظهر به الحق وفصلت به القضية وبان به الامر سقط عن الباقي الفرض
وبقي الاستحباب في تكثير الشهادة عليه وعضد التحذير منه وقد اجمع
السلف على بيان حال المتهم في الحديث فكيف بمثل هذا وقد سئل ابو محمد
بن ابي زيد عن الشاهد يسمع مثل هذا في حق الله تعالى ايسعه ان لا يؤدي
شهادته قال ان رجا نفاذ الحكم بشهادته فليشهد وكذلك ان علم ان الحاكم
لا يرى القتل بما شهد به ويرى الاستتابة والادب فليشهد ويلزمه ذلك
واما الاباحة لحكاية قوله لغير هذين المقصدين فلا ارى لها مدخلا في الباب
فليس التفكه بعرض النبي عليه السلام والتمضمض بسوء ذكره لاحد لا ذاكرا ولا آثرا
لغير غرض شرعي بمباح واما الاغراض المتقدمة فمترددة بين الايجاب
والاستحباب وقد حكى الله تعالى مقالات المفترين عليه وعلى رسله في كتابه على
وجه الانكار لقولهم والتحذير من كفرهم والوعيد عليه والرد عليهم بما تلاه الله
تعالى علينا في محكم كتابه وكذلك وقع من امثاله في احاديث النبي الصحيحة على

على الوجوه المتقدمة واجمع السلف والخلف من ائمة الهدى على حكايات مقالات
الكفرة والملحدين في كتبهم ومجالسهم ليبينوها الناس وينقضوا شبهها
عليهم وان كان ورد لاحمد بن حنبل انكار لبعض هذا على الحارث بن اسد
فقد صنع احمد مثله في رده على الجهمية والقائلين بالمخلوق وهذه الوجوه السائغ
الحكاية عنها فاما ذكرها على غير هذا من حكاية سبه والازراء بمنصبه
على وجه الحكايات والاسمار والطرف واحاديث الناس ومقالاتهم في الغث
والسمين ومضاحك المجان ونوادر السخفاء والخوض في قيل وقال وما لا يعني
فكل هذا ممنوع وبعضه اشد في المنع والعقوبة من بعض فما كان من قائله
الحاكي له على غير قصد او معرفة بمقدار ما حكاه او لم يكن عادته او لم يكن
الكلام من البشاعة حيث هو ولم يظهر على حاكيه استحسانه واستصوابه
زجر عن ذلك ونهي عن العودة اليه وان قوم ببعض الادب
فهو مستوجب له وان كان لفظه من البشاعة حيث هو كان الادب اشد و
قد حكي ان رجلا سأل مالكا عمن يقول القرآن فقال مالك كافر فاقتلوه فقال
انما حكيته عن غيري فقال مالك انما سمعناه منك وهذا من مالك رحمه الله على
طريق الزجر والتغليظ بدليل انه لم ينفذ قتله وان اتهم هذا الحاكي فيما حكاه
انه اختلقه ونسبه الى غيره او كانت تلك عادة له او ظهر استحسانه لذلك
او كان مولعا بمثله والاستخفاف له والتحفظ لمثله وطلبه ورواية اشعار
هجوه عليه السلام وسبه فحكم هذا حكم الساب نفسه يؤاخذ بقوله
ولا تنفعه نسبته الى غيره فيبادر بقتله ويعجل الى الهاوية امه وقد قال
ابو عبيد القاسم بن سلام فيمن حفظ شطر بيت مما هجي به النبي عليه السلام
فهو كفر وقد ذكر بعض من الف في الاجماع اجماع المسلمين على تحريم

رواية ما هجي به النبي عليه السلام وكتابته وقراءته وتركه متى وجد دون
محو ورحم الله اسلافنا المتقين المتحرزين لدينهم فقد اسقطوا من احاديث
المغازي والسير ما كان هذا سبيله وتركوا روايته الا اشياء ذكروها يسيرة
وغير مستبشعة على نحو الوجوه الاول ليروا نقمة الله من قائلها واخذه المفتري
عليه بذنبه وهذا ابو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله قد تحرى فيما اضطر الى الاستشهاد
به من اهاجي اشعار العرب في كتبه فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه استبراء
لدينه وتحفظا من المشاركة في ذم احد بروايته او نشره فكيف بما يتطرق الى عرض
سيد البشر عليه السلام فصل الوجه السابع ان يذكر ما يجوز على النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم او يختلف في جوازه عليه وما يطرأ من الامور البشرية ويمكن
اضافتها اليه او يذكر ما امتحن به وصبر في ذات الله على شدته من مقاساة
اعدائه واذاهم له ومعرفة ابتداء حاله وسيرته وما لقيه من بؤس زمنه
ومر عليه من معاناة عيشه كل ذلك على طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة
ما صحت به العصمة للانبياء وما يجوز عليهم فهذا فن خارج عن هذه الفنون
الستة اذ ليس فيه غمص ولا نقص ولا ازراء ولا استخفاف لا في ظاهر اللفظ
ولا في مقصد اللافظ لكن يجب ان يكون الكلام فيه مع اهل العلم وفهماء طلبة
الدين ممن يفهم مقاصده ويحققون فوائده ويجنب ذلك من عساه لا يفقه
او يخشى به فتنته فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت
عليه من تلك القصص لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وادراكهن فقد قال
عليه السلام مخبرا عن نفسه باستئجاره لرعاية الغنم في ابتداء حاله وقال
ما من نبي الا وقد رعى الغنم واخبرنا الله تعالى بذلك عن موسى عليه السلام
وهذا لا غضاضة فيه جملة واحدة لمن ذكره على وجهه بخلاف من قصد به

به الغضاضة والتحقير بل كانت عادة جميع العرب نعم في ذلك للانبياء
حكمة بالغة وتدريج لله تعالى لهم الى كرامته وتدريب برعايتها لسياسة
اممهم من خليقته بما سبق لهم من الكرامة في الازل ومتقدم العلم وكذلك
قد ذكر الله يتمه وعيلته على طريق المن عليه والتعريف بكرامته له فذكر الذاكر
لها على وجه تعريف حاله والخبر عن مبتدائه والتعجب من منح الله قبله وعظيم
منته عنده ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته اذ
اظهره الله تعالى بعد هذا على صناديد العرب وناواه من اشرافهم شيئا فشيئا
ونمى امره حتى قهرهم وتمكن من ملك مقاليدهم واستباحة ممالك كثير
من الامم غيرهم باظهار الله تعالى له وتاييده بنصره وبالمؤمنين والف بين
قلوبهم وامداده بالملائكة المسومين و لو كان ابن ملك او ذا اشياع متقدمين
لحسب كثير من الجهال ان ذلك موجب ظهوره ومقتضى علوه ولهذا قال هرقل
حين سأل ابا سفيان عنه هل في آبائه من ملك ثم قال ولو كان في آبائه ملك لقلنا
رجل يطلب ملك ابيه واذا اليتم من صفته واحد علاماته في الكتب المتقدمة
واخبار الامم السالفة وكذا وقع ذكره في كتاب ارميا وبهذا وصفه ابن ذي
يزن لعبد المطلب وبحيراء لابي طالب وكذلك اذا وصف بانه امي كما
وصفه الله تعالى به فهي مدحة له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة معجزته اذ معجزته
العظمى من القرآن العظيم انما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم مع ما منح
صلى الله عليه وسلم وفضل به من ذلك كما قدمناه في القسم الاول و وجود
مثل ذلك من رجل لم يقرأ ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب
ومنتهى العبر ومعجزة البشر وليس في ذلك نقيصة اذ المطلوب من الكتابة
والقراءة المعرفة وانما هي آلة لها وواسطة موصلة اليها غير مرادة في نفسها

فاذا حصلت الثمرة والمطلوب استغنى عن الواسطة والسبب والامية فى غيره
نقيصة لانها سبب الجهالة وعنوان الغباوة فسبحان من باين امره من امر غيره
وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه وحياته فيما فيه هلاك من عداه هذا شق
قلبه واخراج حشوته الاحشاء كان تمام حياته وغاية قوة نفسه وثبات روعه
وهو فيما سواه منتهى هلاكه وحتم موته وفنائه وهلم جرا الى سائر ما روى
من اخباره وسيره وتقلله من الدنيا ومن الملبس والمطعم والمركب وتواضعه
ومهنة نفسه فى اموره وخدمة بيته زهدا ورغبة عن الدنيا وتسوية
بين حقيرها وخطيرها لسرعة فناء امورها وتقلب احوالها كل هذا من فضائله
ومآثره وشرفه كما ذكرناه فمن اورد شيئا منها مورده وقصد بها مقصده
كان حسنا ومن اورد ذلك على غير وجهه وعلم منه بذلك سوء قصده
لحق بالفصول التى قدمناها وكذلك ما ورد من اخبار سائر الانبياء عليهم السلام
فى الاحاديث مما فى ظاهره اشكال يقتضى امورا لا تليق بهم بحال ويحتاج الى
تاويل وتردد احتمال فلا يجب ان يتحدث منها الا بالصحيح ولا يروى
منها الا المعلوم الثابت ورحم الله مالكا فقد كره التحدث بمثل ذلك
من الاحاديث الموهمة للتشبيه والمشكلة المعنى وقال ما يدعو الناس الى
التحدث بمثل هذا فقيل له ان ابن عجلان يحدث بها فقال لم يكن من الفقهاء
وليت الناس وافقوه على ترك الحديث بها وساعدوه على طيها فاكثرها
ليس تحته عمل وقد حكى عن جماعة من السلف بل عنهم على الجملة انهم كانوا
يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل والنبى عليه السلام اوردها على قوم عرب
يفهمون كلام العرب على وجهه وتصرفاتهم فى حقيقته ومجازه واستعارته
وتبليغه وايجازه فلم يكن فى حقه مشكلة ثم جاء من غلبت عليه العجمة وداخلة

الامية فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب الا نصها وصريحها ولا يتحقق
اشاراتها الى غرض الايجاز ووحيها وتبليغها وتلويحها فتفرقوا فى تاويلها
وحملها على ظاهرها شذر مذر فمنهم من آمن ومنهم من كفر فاما ما لا يصح
من هذه الاحاديث فواجب ان لا يذكر منها شىء فى حق الله تعالى ولا فى حق
انبيائه ولا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب طرحها وترك
الشغل بها الا ان تذكر على وجه التعريف بانها ضعيفة المعاد واهية الاسناد
وقد انكر الاشياخ على ابى بكر بن فورك تكلفه فى مشكله الكلام على احاديث
ضعيفة موضوعة لا اصل لها ومنقولة عن اهل الكتاب الذين يلبسون الحق
بالباطل كان يكفيه طرحها ويغنيه عن الكلام عليها التنبيه على ضعفها اذ
المقصود بالكلام على مشكل ما فيها ازالة اللبس واشفى للنفس **فصل**
ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبى عليه السلام وما لا يجوز والذاكر من حالاته
ما قدمناه فى الفصل قبل هذا على طريق المذاكرة والتعليم ان يلتزم فى كلامه
عنده عليه السلام وذكره ملك الاحوال الواجب من توقيره وتعظيمه ويراقب
حال لسانه ولا يهمله وتظهر عليه علامات الادب عند ذكره فاذا ذكر
ما قاساه من الشدائد ظهر عليه الاشفاق والارتماض والغيظ على عدوه
ومودة الفداء للنبى عليه السلام لو قدر والنصرة له لو امكنه واذا اخذ
فى ابواب العصمة وتكلم على مجارى اعماله واقواله عليه السلام تحرى احسن
اللفظ وادب العبارة ما امكنه واجتنب بشيع ذلك وهجر من العبارة
ما يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية فاذا تكلم فى الاقوال
قال هل يجوز عليه الخلف فى القول والاخبار بخلاف ما وقع سهوا او غلطا
ونحوه من العبارة ويتجنب لفظه والكذب جملة واحدة واذا تكلم على العلم

ضعفها

قال هل يجوز ان لا يعلم الا ما علم وهل يمكن ان لا يكون عنده علم من بعض
الاشياء حتى يوحى اليه ولا يقول بجهل لقبح اللفظ وبشاعته واذا تكلم
فى الافعال قال هل يجوز منه المخالفة فى بعض الاوامر والنواهى ومواقعة
بعض الصغائر فهو ادب واولى من قوله هل يجوز ان يعصى او يذنب او يفعل
كذا وكذا من انواع المعاصى فهذا من حق توقيره عليه السلام وما يجب له من تعزير
واعظام وقد رايت بعض العلماء لم يتحفظ من هذا فقبح منه ولم استصوب
عبارته فيه ووجدت بعض الجائرين قد قوله لاجل ترك تحفظه فى العبارة
ما لم يقله وشنع عليه بما يأباه ويكفر قائله واذا كان مثل هذا بين الناس
مستعملا فى ادابهم وحسن معاشرتهم وخطابهم فاستعماله فى حقه عليه السلام اوجب
والتزامه آكد فجودة العبارة تقبح الشىء او تحسنه وتحريرها وتهذيبها يعظم الامر
او يهونه ولهذا قال عليه السلام ان من البيان لسحرا فاما ما اورده على جهة النفى
عنه والتنزيه له فلا حرج فى تسريح العبارة وتصريحها فيه كقوله لا يجوز عليه
الكذب جملة ولا اتيان الكبائر بوجه ولا الجور فى الحكم عن حال ولكن مع هذا
يجب ظهور توقيره وتعظيمه وتعزيره عند ذكره مجردا فكيف عند ذكر مثل هذا
وقد كان السلف تظهر عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره كما قدمناه فى القسم
الثانى وكان بعضهم يلتزم مثل هذا عند تلاوة اى من القرآن حكى الله فيها مقال
عداه ومن كفر باياته وافترى عليه الكذب فكان يخفض بها صوته اعظاما
لربه واجلالا له واشفاقا من التشبه بمن كفر به **الباب الثانى** فى حكم سابه
وشانئه ومتنقصه ومؤذيه وعقوبته وذكر استتابته ووراثته قد قدمنا
ما هو سب واذى فى حقه عليه السلام وذكرنا اجماع العلماء على قتل فاعل ذلك
وقائله او تخيير الامام فى قتله او صلبه على ما ذكرناه وقررنا الحجج عليه وبعد فاعلم ان

ان اظهر التوبة منه ولهذا لا تقبل عندهم توبته ولا تنفعه استقالته
ولا فيئته كما قدمناه قبل وحكمه حكم الزنديق ومسر الكفر فى هذا القول
وسواء كانت توبته على هذا بعد القدرة عليه والشهادة على قوله او جاء
تائبا من قبل نفسه لانه حد وجب لا تسقطه التوبة كسائر الحدود **و**قال
الشيخ ابو الحسن القابسى رح اذا اقر بالسب وتاب منه واظهر التوبة قتل
بالسب لانه هو حده **و**قال ابو محمد بن ابى زيد فى مثل واما ما بينه وبين الله
تعالى فتوبته تنفعه وقال ابن سحنون من شتم النبى عليه السلام من الموحدين
ثم تاب عن ذلك لم تزل توبته عنه القتل وكذلك قد اختلف فى الزنديق
اذا جاء تائبا **فحكى** القاضى ابو الحسن بن القصار فى ذلك قولين قال من شيوخنا
من قال اقتله باقراره لانه كان يقدر على ستر نفسه فلما اعترف خفنا انه خشى
الظهور عليه فبادر كذلك **ومنهم** من قال اقبل توبته لانى استدل على صحتها
بمجيئه فكانت وقفنا على باطنه بخلاف من اسرته البينة **قال** القاضى ابو الفضل
وهذا قول اصبغ ومسئلة ساب النبى صلى الله عليه وسلم اقوى لا يتصور فيها الخلاف
على الاصل المتقدم لانه حق متعلق للنبى عليه السلام ولامته بسببه
لا تسقطه التوبة كسائر حقوق الادميين والزنديق اذا تاب بعد القدرة عليه فعند
مالك والليث واسحق واحمد لا تقبل توبته وعند الشافعى تقبل واختلف
فيه عن ابى حنيفة وابى يوسف **وحكى** ابن المنذر عن على بن ابى طالب رضى الله عنه
قال محمد بن سحنون ولم يزل القتل عن المسلم بالتوبة من سبه عليه السلام
لانه لم ينتقل من دين الى غيره وانما فعل شيئا حده عندنا القتل لا عفو فيه
لاحد كالزنديق لانه لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر وقال القاضى ابو محمد بن نصر
محتجا لسقوط اعتبار توبته والفرق بينه وبين من سب الله تعالى على

مشهور القول باستتابته ان النبي عليه السلام بشر والبشر جنس تلحقهم
المعرة الا من اكرمه الله تعالى بنبوته والبارى تعالى منزه عن جميع المعايب قطعا
وليس من جنس تلحق المعرة بجنسه وليس سبه عليه السلام كالارتداد المقبول
فيه التوبة لان الارتداد معنى ينفرد به المرتد لا حق فيه لغيره من الادميين
فقبلت توبته ومن سب النبي عليه السلام تعلق فيه حق لادمي فكان كالمرتد
يقتل حين ارتداده او لقذف فان توبته لا تسقط عنه حد القتل والقذف
وايضا فان توبة المرتد اذا قبلت لا تسقط ذنوبه من زنى وسرقة وغيرها
ولم يقتل ساب النبي عليه السلام لكفره لكن لمعنى يرجع الى تعظيم حرمته وزوال
المعرة به وذلك لا تسقطه التوبة قال القاضي ابو الفضل يريد والله تعالى اعلم
لان سبه لم يكن بكلمة تقتضي الكفر ولكن بمعنى الاذاء والاستخفاف او لان
بتوبته واظهار انابته ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا والله اعلم بسريرته وبقي
حكم السب عليه ومن قال ابو عمران القابسي من سب النبي عليه السلام ثم ارتد
عن الاسلام قتل ولم تستتب لان السب من حقوق الادميين التي لا تسقط
عن المرتد وكلام شيوخنا هؤلاء مبني على القول بقتله حدا لا كفرا وهو
يحتاج الى تفصيل واما على رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه على
ذلك ممن ذكرناه وقال به من اهل العلم جماعة فقد صرحوا انه ردة قالوا ويستتاب
منها فان تاب نكل وان ابى قتل فحكم له بحكم المرتد مطلقا في هذا الوجه والوجه
الاول اشهر واظهر لما قدمناه ونحن نبسط الكلام فيه فنقول من لم يره ردة
فهو يوجب القتل فيه حدا وانما نقول ذلك مع فصلين اما مع انكاره ما شهد
عليه به واظهاره الاقلاع والتوبة عنه فنقتله حدا لثبات كلمة الكفر عليه في
حق النبي عليه وتحقيره ما عظم الله تعالى من حقه واجرينا حكمه في ميراثه وغير ذلك

ذلك حكم الزنديق اذا ظهر عليه وانكر او تاب فان قيل فكيف تثبتون عليه
الكفر ويشهد عليه بكلمة الكفر ولا تحكمون عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها
قلنا نحن وان اثبتنا له حكم الكافر في القتل فلا نقطع عليه بذلك لاقراره بالتوحيد
والنبوة وانكاره ما شهد به عليه او زعمه ان ذلك منه وهلا ومعصية وانه
مقلع عن ذلك نادم عليه ولا يمتنع اثبات بعض احكام الكفر على بعض الاشخاص
وان لم يثبت له خصائصه كقتل تارك الصلوة واما من علم انه سبه
معتقدا لاستحلاله فلا شك في الكفر بعد ذلك وكذلك ان سبه في نفسه
كفر كتكذيبه او تكفيره ونحوه فهذا لا اشكال فيه ويقتل وان تاب منه لانا
لا نقبل توبته ونقتله بعد التوبة حدا لقوله ومتقدم كفره وامره بعد الى الله
المطلع على صحة اقلاعه العالم بسره وكذلك من لم يظهر التوبة واعترف
بما شهد به عليه وصمم عليه فهذا كافر بقوله وباستحلاله هتك حرمة الله وحرمة
نبيه يقتل كافرا بلا خلاف فعلى هذه التفصيلات خذ كلام العلماء ونزل مختلف
عباراتهم في الاحتجاج عليها واجر اختلافهم في الموارثة وغيرها على ترتيبها
يتضح لك مقاصدهم ان شاء الله تعالى فصل اذا قلنا بالاستتابة حيث تصح
فالاختلاف فيها على الاختلاف في توبة المرتد اذ لا فرق بينهما وقد اختلف السلف
في وجوبها وصورتها ومدتها فذهب جمهور اهل العلم الى ان المرتد يستتاب
وحكى ابن القصار انه اجماع من الصحابة على تصويب قول عمر في الاستتابة ولم
ينكره واحد منهم وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود وبه قال عطاء بن ابي
رباح والنخعي والثوري ومالك واصحابه والاوزاعي والشافعي واحمد بن حنبل
واسحق واصحاب الرأي وذهب طاووس ومحمد بن الحسن وعبيد بن عمير
والحسن في احدى الروايتين عنه انه لا يستتاب وقاله عبد العزيز بن ابي سلمة

وذكر عن معاذ وانكره سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوي عن ابي يوسف
وهو قول اهل الظاهر قالوا وتنفعه توبته عند الله ولكن لا يدرأ القتل عنه لقوله
عليه السلام من بدل دينه فاقتلوه وحكى ايضا عن عطاء انه كان ممن ولد في الاسلام
لم يستتب ولم يستتاب الاسلامي وجمهور العلماء على ان المرتد والمرتدة سواء
وروي عن علي لا تقتل المرتدة وتسترق وقاله عطاء وقتادة وروي عن ابن عباس
لا تقتل النساء في الردة وبه قال ابو حنيفة قال مالك والحر والعبد والذكر والانثى
في ذلك سواء واما مدتها فذهب الجمهور وروي عن عمر انه يستتاب ثلاثة
ايام يحبس فيها وقد اختلف فيه عن عمر وهو احد قولي الشافعي وهو قول احمد
واسحق واستحسنه مالك وقال لا يأتي الاستظهار الا بخير وليس عليه
جماعة الناس قال الشيخ ابو محمد بن ابي زيد يريد في الاستتابة ثلاثا وقال
مالك ايضا الذي اخذ به في المرتد قول عمر يحبس ثلاثة ايام ويعرض عليه كل يوم
فان تاب والا قتل وقال ابو الحسن بن القصار في تاخيره ثلاثا روايتان عن مالك
هل ذلك واجب او مستحب واستحسن الاستتابة والاستيناء ثلاثا اصحاب
الرأي وروي عن ابي بكر الصديق انه استتاب امرأة فلم تتب فقتلها وقال
الشافعي مرة فقال ان لم يتب مكانه قتل واستحسنه المزني وقال الزهري
يدعى الى الاسلام ثلاث مرات فان ابى قتل وروي عن علي رضه انه يستتاب
شهرين وقال النخعي يستتاب ابدا وبه اخذ الثوري ما رجيت توبته
وحكى ابن القصار عن ابي حنيفة انه يستتاب ثلاث مرات في ثلاثة ايام او ثلاث جمع
كل يوم او جمعة مرة وفي كتاب محمد عن ابن القاسم يدعى المرتد الى الاسلام
ثلاث مرات فان ابى ضربت عنقه واختلف على هذا هل يهدد او يشدد عليه
ايام الاستتابة ليتوب ام لا فقال مالك ما علمت في الاستتابة تجويعا ولا تعطيشا ويؤتى

ويؤتى من الطعام بما لا يضره وقال اصبغ يخوف ايام الاستتابة بالقتل ويعرض
عليه الاسلام وفي كتاب ابي الحسن الطابثي يوعظ في تلك الايام ويذكر بالجنة
ويخوف بالنار قال اصبغ واي المواضع حبس فيها من السجون مع الناس
او وحده اذا استوثق منه سواء ويوقف ماله اذا خيف ان يتلفه على المسلمين
ويطعم منه ويسقى وكذلك يستتاب ابدا كلما رجع وارتد وقد استتاب النبي عليه
السلام نبهان الذي ارتد اربع مرات او خمسا قال ابن وهب عن مالك يستتاب
ابدا كلما رجع وهو قول الشافعي واحمد وقال ابن القاسم وقال اسحق يقتل
في الرابعة وقال اصحاب الرأي ان لم يتب في الرابعة قتل دون استتابة
وان تاب ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة
قال ابن المنذر ولا نعلم احدا وجبا قال ابن المنذر ولا نعلم احدا اوجب على المرتد
في المرة الاولى ادبا اذا رجع وهو على مذهب مالك والشافعي والكوفي فصل
قال القاضي رحمه هذا حكم من ثبت عليه بما يجب ثبوته من اقرار او عدول لم يدفع
فيهم فاما من لم تتم الشهادة عليه بما شهد عليه الواحد او اللفيف من الناس او ثبت
لكن احتمل ولم يكن صريحا وكذلك ان تاب على القول بقبول توبته فهذا يدرأ
عنه القتل ويتسلط عليه اجتهاد الامام بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة
عليه وضعفها وكثرة السماع عنه وصورة حاله من التهمة في الدين والنبز بالسفه
والمجون فمن قوي امره اذاقه من شديد النكال من التضييق في السجن والشدة
في القيود الى الغاية التي هي منتهى طاقته مما لا يمنعه القيام لضرورته ولا يقعده
عن صلاته وهو حكم كل من وجب عليه القتل لكن وقف عن قتله لمعنى اوجبه
وتربص به لاشكال وعائق اقتضاه امره وحالات الشدة عليه في نكاله
تختلف بحسب اختلاف حاله وقد روى الوليد عن مالك والاوزاعي انها

السلام

ردة فاذا تاب نكل ولمالك في العتبية وكتاب محمد عن رواية اشهب اذا تاب
المرتد فلا عقوبة عليه وقاله سحنون وافتى ابو عبد الله بن عتاب فيمن سب النبي
عليه السلام فشهد عليه شاهدان عدل احدهما بالادب الموجع والتنكيل والسجن الطويل
حتى تظهر توبته وقال القابسي في مثل هذا ومن كان اقصى امره القتل فعاق
عائق اشكل في القتل لم ينبغ ان يطلق من السجن ولا يستطال سجنه ولو كان فيه
من المدة عسى ان يقيم ويحمل عليه من القيد ما يطيق وقال في مثله ممن اشكل
امره يشد في القيود شدا ويضيق عليه في السجن حتى ينظر فيما يجب عليه وقال
في مسئلة اخرى مثلها ولا تهرق الدماء الا بالامر الواضح وفي الادب بالسوط
والسجن نكال للسفهاء ويعاقب عقوبة شديدة فاما ان لم يشهد سوى شاهدين
فاثبت من عداوتهما او جرحهما ما اسقطهما عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما
فامره اخف لسقوط الحكم عليه عنه وكانه لم يشهد عليه الا ان يكون ممن يليق
ذلك ويكون الشاهدان من اهل التبرز فاسقطهما بعداوة فهو وان لم ينفذ الحكم
عليه بشهادتهما فلا يدفع الظن صدقهما وللحاكم هنا في تنكيله موضع اجتهاد
والله ولي الارشاد فصل قال القاضي رحمه الله هذا حكم المسلم فاما الذمي اذا صرح
بسبه او عرض او استخف بقدره او وصفه بغير الوجه الذي كفر به فلا خلاف
عندنا في قتله ان لم يسلم لانا لم نعطه الذمة او العهد على هذا وهو قول عامة
العلماء الا ابا حنيفة والثوري واتباعهما من اهل الكوفة فانهم قالوا لا يقتل
وما هو عليه من الشرك اعظم ولكن يؤدب ويعزر واستدل بعض شيوخنا
على قتله بقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم الاية
ويستدل ايضا عليه بقتل النبي عليه السلام لابن الاشرف واشباهه ولانا
لم نعاهدهم ولم نعطهم الذمة على هذا ولا يجوز لنا ان نفعل ذلك معهم فاذا اتوا

فاذا اتوا ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا اهل
حرب يقتلون لكفرهم وايضا فان ذمتهم لا تسقط حدود الاسلام عنهم
من القطع في سرقة اموالهم والقتل لمن قتلوه منهم وان كان ذلك حلالا عندهم
فكذلك سبهم النبي عليه السلام يقتلون به وورد لاصحابنا ظواهر تقتضي
الخلاف الذي اذا ذكره الذمي بالوجه الذي كفر به ستقف عليها من كلام ابن
القاسم وابن سحنون بعد وحكى ابو المصعب الخلاف فيها عن اصحابه المدنيين واختلفوا
اذا سبه ثم اسلم فقيل يسقط اسلامه قتله لان الاسلام يجب ما قبله بخلاف
المسلم اذا سبه ثم تاب لانا نعلم باطنة الكافر بغضه له عليه السلام وتنقصه بقلبه
لكنا منعناه من اظهاره فلم يزدنا ما اظهر الا مخالفة الامر ونقضا للعهد فاذا
رجع عن دينه الاول الى الاسلام سقط ما قبله قال الله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا
يغفر لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه اذ كان ظننا بباطنه حكم ظاهره وخلاف
ما بدا منه الآن فلا نقبل بعد رجوعه ولا استنابته الى باطنه اذ قد بدت سرائره وما
عليه من الاحكام باقية عليه لم يسقطها شيء وقيل لا يسقط اسلام الذمي الساب
قتله لانه حق النبي عليه السلام وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده الحاق النقيصة
والمعرة به فلم يكن رجوعه الى الاسلام بالذي يسقطه كما وجب عليه من حقوق
المسلمين من قبل اسلامه من قتل وقذف واذا كنا لا نقبل توبة الكافر اولى
قال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوط وابن القاسم وابن الماجشون وابن
عبد الحكم واصبغ فيمن شتم نبينا عليه السلام من اهل الذمة او احدا من الانبياء
عليهم السلام قتل الا ان يسلم وقاله ابن القاسم في العتبية وهو عند محمد وابن
سحنون وقال سحنون واصبغ لا يقال له اسلم ولا لا تسلم ولكن ان اسلم فذلك
له توبة وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب رسول الله عليه السلام

اوغيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وروى لنا عن مالك
الا ان يسلم الكافر وقد روى ابن وهب عن ابن عمر ان راهبا تناول النبي عليه
السلام فقال ابن عمر فهلا قتلتموه وروى عيسى عن ابن القاسم في ذمي قال
ان محمدا لم يرسل الينا وانما ارسل اليكم وانما نبينا موسى او عيسى ونحو هذا
لا شيء عليهم لان الله اقرهم على مثله واما ان سبه فقال ليس بنبي او لم يرسل
او لم ينزل عليه القرآن وانما هو شيء تقوله او نحو هذا فيقتل قال ابن القاسم
واذا قال محمد فوله عندي ان اسلم طائعا وقال ابن سحنون في سؤالات سليمان ابن سالم
في اليهودي يقول للمؤذن اذا تشهد كذبت يعاقب العقوبة الموجعة مع السجن
الطويل وفي النوادر من رواية ابن سحنون عنه من شتم الانبياء من اليهود
والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا ضربت عنقه الا ان يسلم وقال
ابن محمد بن سحنون فان قيل لم قتلته في سبه النبي عليه السلام ومن دينه
سبه وتكذيبه قيل لانا لم نعطهم العهد على ذلك ولا على قتلنا واخذ اموالنا
فاذا قتل واحد منا قتلناه وان كان من دينه استحلاله فكذلك اظهاره لسب
نبينا عليه السلام قال سحنون كما لو بذل لنا اهل الحرب الجزية على اقرارهم على
سبه لم يجز لنا ذلك في قول قائل كذلك ينتقض عهد من سب منهم ويحل
لنا دمه وكما لم يحصن الاسلام من سبه من القتل كذلك لا يحصنه الذمة
قال القاضي ابو الفضل ما ذكره ابن سحنون عن نفسه وعن ابيه مخالف لقول
ابن القاسم فيما يخفف عقوبتهم فيه مما به كفروا فتامله ويدل على انه خلاف
ما روي عن المدنيين في ذلك فحكى ابو المصعب الزهري قال اتيت بنصراني
قال والذي اصطفى عيسى على محمد عليه السلام فاختلف علي فيه فضربته حتى قتلته
او عاش يوما وليلة ثم امرت من جر برجله وطرح على مزبلة فاكلته الكلاب وسئل ابو

ابو المصعب عن نصراني قال عيسى خلق محمدا فقال يقتل وقال ابن القاسم
سألت مالكا عن نصراني بمصر شهد عليه انه قال مسكين محمد يخبركم انه
في الجنة فهو الآن في الجنة ماله ما لم ينفع نفسه اذ كانت الكلاب تاكل
ساقيه لو قتلوه استراح منه الناس قال مالك ارى ان تضرب عنقه
قال ولو كدت ان لا اتكلم فيها بشيء ثم رأيت انه لا يسعني الصمت قال
ابن كنانة في المبسوطة من شتم النبي عليه السلام من اليهود والنصارى فارى
الامام ان يحرقه بالنار وان شاء قتله ثم حرق جثته وان شاء احرقه بالنار
حيا اذا تهافتوا في سبه ولقد كتب الى مالك من مصر وذكر مسئلة ابن القاسم
المتقدمة قال فامرني مالك فكتبت بان يقتل وان تضرب عنقه فكتبت
ثم قلت يا ابا عبد الله واكتب ثم يحرق بالنار فقال انه لحقيق بذلك وما اولاه
به فكتبته بيدي بين يديه فما انكره ولا عابه ونفذت الصحيفة بذلك فقتل
وحرق وافتى عبيد الله بن يحيى وابن لبابة في جماعة سلف اصحابنا الاندلسيين
بقتل نصرانية استهلت بنفي الربوبية ونبوة عيسى لله وتكذيب محمد في
النبوة وبقبول اسلامها ودرء القتل عنها وبه قال غير واحد من المتاخرين
منهم القابسي وابن الكاتب وقال ابو القاسم بن الجلاب في الذمي يسب
روايتين في درء القتل عنه باسلامه وقال ابن سحنون وحد القذف
وشبهه من حقوق العباد لا يسقطه عن الذمي اسلامه وانما يسقط
عنه باسلامه حدود الله فاما حد القذف فحق للعباد كان ذلك من نبي
او غيره فاوجب على الذمي اذا قذف النبي عليه السلام ثم اسلم حد القذف
ولكن انظر ماذا يجب عليه هل حد القذف في حق النبي عليه وهو القتل لزيادة
حرمة النبي عليه السلام على غيره ام هل يسقط القتل باسلامه ويحد

ثمانين فتامله **فصل في ميراث من قتل بسبب النبي عليه السلام** كفر يشبه
وغسله والصلوة عليه اختلف العلماء في ميراث من قتل ان شتم النبي عليه السلام
كفر يشبه الكفر الزنديق وقال اصبغ ميراثه لورثته من المسلمين ان كان مستترا
بذلك وان كان مظهرا له مستهلا به فميراثه للمسلمين ويقتل على حال ولا يستتاب
قال ابو الحسن القابسي ان قتل وهو منكر للشهادة عليه فالحكم في ميراثه على ما اظهر
من اقراره يعني لورثته والقتل حد ثبت عليه ليس من ميراثه بشيء وكذلك
لو اقر بالسب واظهر التوبة لقتل اذ هو حده فالحكم في ميراثه وسائر احكامه
حكم الاسلام ولو اقر بالسب وتمادى عليه وابى التوبة منه فقتل على ذلك
كان كافرا وميراثه للمسلمين ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن ولتستر عورته
ويوارى جيفته كما يفعل بالكفار وقال الشيخ ابو الحسن في المجاهر المتمادي
بين لا يمكن الخلاف فيه لانه كافر مرتد غير تائب ولا مقلع وهو مثل قول اصبغ
وكذلك في كتاب ابن سحنون في الزنديق يتمادى على قوله ومثله ابن القاسم
في العتبية ولجماعة من اصحاب مالك وفي كتاب ابن حبيب فيمن اعلن
كفره مثله قال ابن القاسم وحكمه حكم المرتد لا يرثه ورثته من المسلمين
ولا من اهل الدين الذي ارتد اليه ولا تجوز وصاياه ولا عتقه وقاله اصبغ
قتل على ذلك او مات عليه وقال ابو محمد بن ابي زيد وانما يختلف في ميراث الزنديق
الذي يستهل التوبة فلا تقبل منه فاما المتمادي فلا خلاف انه لا يورث وقال
ابو محمد فيمن سب الله تعالى ثم مات ولم تعدل عليه بينة او لم تقبل انه يصلى
عليه وروى اصبغ عن ابن القاسم في كتاب ابن حبيب فيمن كذب برسول
الله عليه السلام او اعلن دينا مما يفارق به الاسلام ان ميراثه للمسلمين وقال
بقول مالك ان ميراث المرتد للمسلمين ولا يرثه ورثته ربيعة والشافعي وابو

ثور وابن ابي ليلى واختلف فيه عن احمد وقال علي بن ابي طالب وابن مسعود
وابن المسيب والحسن والشعبي وعمر بن عبد العزيز والحكم والاوزاعي
والليث واسحق وابو حنيفة يرثه ورثته من المسلمين وقيل ذلك فيما كسبه
قبل ارتداده وما يكسبه في الارتداد فللمسلمين وتفصيل ابي الحسن في باقي
جوابه بين حسن وهو على راي اصبغ وخلاف قول سحنون واختلافهما على قول
مالك في ميراث الزنديق فمرة ورثه ورثته من المسلمين قامت عليه بذلك
بينة فانكرها او اعترف بذلك واظهر التوبة وقاله اصبغ ومحمد بن مسلمة
وغير واحد من اصحابه لانه مظهر للاسلام بانكاره او توبته وحكمه حكم المنافقين
الذين كانوا على عهد رسول الله عليه السلام وروى ابن نافع عنه في العتبية
وكتاب محمد ان ميراثه لجماعة المسلمين لان ماله تبع لدمه **وقال به ايضا**
جماعة من اصحابه قاله اشهب والمغيرة وعبد الملك ومحمد وسحنون
وذهب ابن قاسم في العتبية الى انه ان اعترف بما شهد عليه به فقتل فلا
يورث وان لم يقر حتى قتل او مات ورث **قال** وكذلك كل من اسر
كفرا فانهم يتوارثون بوراثة الاسلام وسئل ابو القاسم ابن الكاتب ابن
الجلاب عن النصراني يسب النبي عليه السلام فيقتل هل يرثه اهل دينه
ام المسلمون فاجاب انه للمسلمين ليس على جهة الميراث لانه لا توارث بين
اهل ملتين ولكن لانه من فيئهم لنقضه العهد وهذا معنى قوله واختصاره

الباب الثاني في حكم من سب الله تعالى وملائكته وانبيائه وكتبه وآل
النبي عليه السلام وازواجه واصحابه لا خلاف ان ساب الله تعالى من المسلمين
كافر حلال الدم واختلف في استتابته فقال القاضي ابن القاسم
في المبسوط وفي كتاب ابن سحنون ومحمد ورواه ابن القاسم عن مالك

في كتاب اسحق بن يحيى من سب الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب
الا ان يكون افتراء على الله تعالى بارتداده الى دين دان به واظهره فيستتاب
وان لم يظهره لم يستتب وقال في المبسوط مطرف وعبد الملك مثله
وقال المخزومي ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل المسلم بالسب حتى
يستتاب وكذلك اليهودي والنصراني فان تابوا قبل منهم وان لم يتوبوا
قتلوا ولا بد من استتابته وذلك كله كالمرتدة وهو الذي حكاه القاضي
ابن نصر عن المذهب وافتى ابو محمد بن ابي زيد فيما حكي عنه في رجل لعن
رجلا ولعن الله تعالى فقال انما اردت ان العن الشيطان فزل لساني
فقال يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره واما فيما بينه وبين الله فمعذور
واختلف فقهاء قرطبة في مسئلة هرون بن حبيب اخي عبد الملك الفقيه
وكان ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد شهد عليه بشهادات منها انه قال
عند استقلاله من مرض لقيت في مرضي هذا ما لو قتلت ابا بكر وعمر لم استوجب
هذا كله **فافتى** ابراهيم بن حسين بن خالد بقتله وان مضمن قوله تجوير
لله تعالى وتظلم منه والتعريض فيه كالتصريح وافتى اخوه عبد الملك بن حبيب
وابراهيم بن حسن بن عاصم وسعيد بن سليمان القاضي بطرح القتل عنه
الا ان القاضي راى عليه التثقيل في الحبس والشدة في الادب لاحتمال كلامه
الكفر وصرفه الى التشكي **فوجه** من قال في ساب الله تعالى بالاستتابة انه كفر
وردة محضة لم يتعلق بها حق لغير الله تعالى فاشبه قصد الكفر بغير سب الله
واظهره الانتقال الى دين آخر من الاديان المخالفة للاسلام ووجه ترك استتابته
انه لما ظهر منه ذلك بعد اظهار الاسلام قبل اتهمناه وظننا ان لسانه لم ينطق
به الا وهو معتقد له اذ لا يتساهل في هذا احد فحكم له بحكم الزنديق ولم تقبل

ولم تقبل توبته واذا انتقل من دين الى دين آخر واظهر السب بمعنى
الارتداد فهذا قد اعلم انه خلع ربقة الاسلام من عنقه بخلاف
الاول المتمسك به وحكم هذا حكم المرتد يستتاب على مشهور مذاهب اكثر
العلماء وهو مذهب مالك واصحابه على ما بيناه قبل وذكرنا الخلاف في فصوله

فصل واما من اضاف الى الله ما لا يليق به ليس على طريق السب ولا الردة
وقصد الكفر ولكن على طريق التاويل والاجتهاد والخطاء المفضي الى الهوى
والبدعة من تشبيه او نعت بجارحة او نفي صفة كمال فهذا مما اختلف
السلف والخلف في تكفير قائله ومعتقده اختلف قول مالك واصحابه
في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم اذا تحيزوا فئة وانهم يستتابون فان تابوا
والا قتلوا وانما اختلفوا في المنفرد منهم فاكثر قول مالك واصحابه ترك القول
بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة في عقوبتهم واطالة سجنهم حتى يظهر اقلاعهم
وتستبين توبتهم كما فعل عمر بصبيغ وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج وعبد
الملك ابن الماجشون وقول سحنون في جميع اهل الاهواء وبه فسر قول مالك
والاوطا في الموطا وما رواه عن عمر بن عبد العزيز وجده وعمه من قولهم
في القدرية يستتابون فان تابوا والا قتلوا وقال عيسى بن القاسم في اهل
الاهواء من الاباضية والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة من اهل البدع
والتحريف لتاويل كتاب الله يستتابون اظهروا ذلك او اسروه فان تابوا والا
قتلوا وميراثهم لورثتهم وقال مثله ايضا ابن القاسم في كتاب محمد في اهل
القدر وغيرهم قال واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا ما انتم عليه ومثله في المبسوط
في الاباضية والقدرية وسائر اهل البدع قال وهم مسلمون وانما قتلوا لرأيهم
السوء قالوا وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز قال ابن القاسم من قال ان الله تعالى

لم يكلم موسى تكليما استتيب فان تاب والا قتل وابن حبيب وغيره
من اصحابنا يرى تكفيرهم امثالهم من الخوارج والقدرية والمرجية
وقد روى ايضا عن سحنون مثله فيمن قال ليس لله كلام انه كافر
واختلفت الروايات عن مالك فاطلق في رواية الشاميين ابي مسهر
وابي مروان بن محمد الطاطري الكفر عليهم وقد شوور في زوج القدري
فقال لا تزوجه قال الله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك وروي عنه
ايضا اهل الاهواء كلهم كفار وقال من وصف شيئا من ذات الله تعالى واشار
الى شيء من جسده بيد او سمع او بصر قطع ذلك منه لانه شبه الله بنفسه
وقد قال فيمن قال القران مخلوق كافر فاقتلوه وقال ايضا في رواية ابن نافع
يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب وفي رواية بشر ابن بكر التنيسي عنه
يقتل ولا يقبل توبته قال القاضي ابو عبد الله البرنكاني والقاضي ابو عبد الله
التستري من ائمة العراقيين من اصحابنا جوابه مختلف يقتل مستبصر الداعية
وعلى هذا الخلاف اختلف قوله في اعادة الصلوة خلفهم وحكى ابن المنذر
عن الشافعي لا يستتاب القدري واكثر اقوال السلف تكفيرهم وممن قال به
الليث وابن عيينة وابن لهيعة روي عنهم ذلك فيمن قال بخلق القران
وقاله ابن المبارك والاودي ووكيع وحفص بن غياث وابو اسحق الفزاري
وهشيم وعلي بن عاصم في اخرين وهو من قول اكثر المحدثين والفقهاء
والمتكلمين فيهم وفي الخوارج والقدرية واهل الاهواء المضلة واصحاب البدع
والمتاولين وهو قول احمد ابن حنبل وكذلك قالوا في الواقفية والشاكة
في هذه الاصول وممن روي عنه معنى القول الاخر بترك تكفيرهم علي بن ابي
طالب وابن عمر والحسن البصري وهو راي جماعة من الفقهاء النظار والمتكلمين واحتجوا

واحتجوا بتوريث الصحابة والتابعين ورثة اهل حروراء ومن عرف بالقدر
ممن مات منهم ودفنهم في مقابر المسلمين وجري احكام الاسلام عليهم
قال اسمعيل القاضي وانما قال مالك في القدرية وسائر اهل البدع يستتابون
فان تابوا والا قتلوا لانه من الفساد في الارض كما قال في المحارب ان راى
الامام قتله وان لم يقتل قتله وفساد المحارب انما هو في الاموال ومصالح
الدنيا وان كان قد يدخل ايضا في امر الدين من سبيل الحج والجهاد وفساد
اهل البدع معظمه على الدين وقد يدخل في امر الدنيا بما يلقون بين المسلمين
فصل في تحقيق القول في اكفار المتاولين قد ذكرنا مذاهب السلف في اكفار
اصحاب البدع والاهواء المتاولين ممن قال قولا يؤديه مساقه الى كفر هو اذا وقف
عليه لا يقولون بما يؤدي قوله اليه وعلى اختلافهم اختلف الفقهاء والمتكلمون
في ذلك فمنهم من صوب التكفير الذي قال به الجمهور من السلف ومنهم
من اباه ولم اخراجهم من سواد المؤمنين وهو قول اكثر الفقهاء والمتكلمين
وقالوا هم فساق عصاة ضلال ونوارثهم من المسلمين ونحكم لهم باحكامهم
ولهذا قال سحنون لا اعادة على من صلى خلفهم في وقت ولا غيره قال
وهو قول جميع اصحاب مالك المغيرة وابن كنانة واشهب قال لانه مسلم
وذنبه لم يخرجه من الاسلام واضطرب اخرون في ذلك ووقفوا على القول
بالتكفير او ضده واختلف قول مالك ولو قفه عن اعادة الصلوة خلفهم
منه والى نحو من هذا ذهب القاضي ابو بكر الامام اهل التحقيق والحق
وقال انها من المعوصات اذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر وانما قالوا قولا
يؤدي اليه واضطرب قوله في المسئلة على نحو اضطراب قول امام مالك
بن انس حتى قال في بعض كلامه انهم على راي من كفرهم بالتاويل لا تحل

مناكحتهم ولا اكل ذبائحهم ولا الصلوة على ميتهم ويختلف في موارثتهم
على هذه خلاف في ميراث المرتد وقال ايضا نورث ميتهم ورثتهم من المسلمين
ولا نورثهم من المسلمين واكثر ميله الى ترك التكفير بالمال وكذلك اضطرب
فيه قول شيخه ابي الحسن الاشعري واكثر جوده ترك التكفير وان الكفر
خصلة واحدة وهو الجهل بوجود الباري تعالى وقال مرة من اعتقاد ان الله
تعالى جسم او المسيح او بعض من يلقاه في الطرق فليس بعارف به وهو كافر
ومثل هذا ذهب ابو المعالي في اجوبته لابي محمد عبد الحق وكان سئله عن المسئلة
فاعتذر له بان الغلط فيها يصعب لان ادخال كافر في الملة او اخراج مسلم
عنها عظيم في الدين وقال غيرهما من المحققين الذي يجب الاحتراز من التكفير
في اهل التاويل فان استباحة دماء المصلين الموحدين وقد قال عليه السلام
فاذا قالوها يعني الشهادة فقد عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم
على الله فالعصمة مقطوع بها مع الشهادة ولا يرتفع ويستباح خلافها الا بقاطع
ولا قاطع من شرع ولا قياس عليه والفاظ الاحاديث الواردة في الباب معرضة
للتاويل فما جاء منها في التصريح بكفر القدرية وقوله لا سهم لهم في الاسلام
وتسمية الرافضة بالشرك واطلاق اللعنة عليهم وكذلك في الخوارج وغيرهم
من اهل الاهواء فقد يحتج بها من يقول بالتكفير وقد يجيب الاخر عنها بانه
قد ورد مثل هذه الالفاظ في الحديث غير الكفرة على طريق التغليظ وكفر دون
كفر واشراك دون اشراك وقد ورد مثلهم في الرياء وعقوق الوالدين
والزوج وغير معصية واذا كان محتملا للامرين فلا يقطع على احدهما
الا بدليل قاطع وقوله في الخوارج من شر البرية وهذه صفة الكفار وقال
هم شر قتيل تحت اديم السماء طوبى لمن قتلهم او قتلوه وقال فاذا وجدتموهم فاقتلهم

فاقتلهم قتل عاد وظاهر هذا الكفر لا سيما مع تشبيههم بعاد فيحتج به من يرى
تكفيرهم فيقوله الاخر انما ذلك من قتلهم بخروجهم على المسلمين وبغيهم
بدليله من الحديث نفسه يقتلون اهل الاسلام فقتلهم ههنا حد لا كفر
وذكر عاد تشبيه للقتل وحله لا للمقتول وليس كل من حكم بقتله يحكم بكفره
ويعارضه الاخر بقول خالد في الحديث دعني اضرب عنقه يا رسول الله فقال
لعله يصلي فان احتجوا بقوله عليه السلام يقرؤن القران لا يجاوز حناجرهم تراقيهم
فاخبر ان الايمان لم يدخل في قلوبهم وكذلك قوله يمرقون من الدين مروق
السهم من الرمية ثم لا يعودون اليه حتى يعود السهم على فوقه وبقوله سبق
الفرث والدم يدل على انه لم يتعلق من الاسلام بشيء اجابه الاخرون ان معنى
لا يجاوز حناجرهم لا يفهمون معانيه بقلوبهم ولا تنشرح له صدورهم ولا
تعمل به جوارحهم وعارضوهم بقوله ويتمارى في الفوق وهذا يقتضي التشكك
وان احتجوا بقول ابي سعيد الخدري في الحديث سمعت رسول الله عليه السلام
يقول يخرج في هذه الامة ولم يقل من هذه وتحرير ابي سعيد الرواية اتقان اللفظ
اجابهم الاخرون بان العبارة بفي لا تقتضي تصريحا بكونهم من الامة مع انه قد روي
عن ابي ذر وعلي وابي امامة وغيرهم في هذا الحديث يخرج من امتي وسيكون
من امتي وحروف المعاني مشتركة فلا تعويل على اخراجهم من الامة بفي وعلى
ادخالهم فيها بمن لكن ابا سعيد اجاد في شاء في التنبيه الذي نبه عليه وهذا
مما يدل على سعة فقه الصحابة وتحقيقهم للمعاني واستنباطها من الالفاظ
وتحريرهم وتوقيهم في الرواية وهذه المذاهب المعروفة لاهل السنة ولغيرهم
من الفرق فيها مقالات كثيرة مضطربة سخيفة اقربها قول جهم ومحمد بن
شبيب ان الكفر بالله الجهل به لا يكفر احد بغير ذلك وقال ابو الهذيل

ان كل متأول كان تأويله تشبيها لله بخلقه وتجويراً له في فعله وتكذيبا لخبره فهو كافر وكل من اثبت شيئا قديما لا يقال له الله فهو كافر وقال بعض المتكلمين ان كان ممن عرف الاصل وبنى عليه وكان فيما هو من اوصاف الله تعالى فهو كافر وان كان لم يكن من هذا الباب ففاسق الا ان يكون ممن لم يعرف الاصل فهو مخطئ غير كافر وذهب عبيد الله بن الحسن العنبري الى تصويب اقوال المجتهدين في اصول الدين فيما كان عرضة للتأويل وفارق في ذلك فرق الائمة اذ اجمعوا سواه على ان الحق في اصول الدين في واحد والمخطئ فيه اثم عاص فاسق وانما الخلاف في تكفيره وقد حكى القاضي ابو بكر الباقلاني مثل قول عبيد الله عن داود الاصبهاني قال وحكى قوم عنهما انهما قالا ذلك في كل من علم الله من حاله استفراغ الوسع في طلب الحق من اهل ملتنا او من غيرهم وقال نحو هذا القول الجاحظ وثمامة في ان كثيرا من العامة والنساء والبله ومقلدة النصارى واليهود وغيرهم لا حجة لله عليهم اذ لم يكن لهم طباع يمكن معها الاستدلال وقد نحا الغزالي قريبا من هذا المنحى في كتاب التفرقة وقائل هذا كله كافر بالاجماع على كفر من لم يكفر احدا من النصارى واليهود وكل من فارق دين المسلمين او وقف في تكفيرهم او شك قال القاضي ابو بكر لان التوقيف والاجماع اتفقا على كفرهم فمن وقف في ذلك فقد كذب النص والتوقيف او شك فيه والتكذيب والشك فيه لا يقع الا من كافر فصل في بيان ما هو من المقالات كفر وما يتوقف او يختلف فيه وما ليس بكفر اعلم ان تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس فيه مورده الشرع ولا مجال للعقل فيه والفصل البين في هذا ان كل مقالة صرحت بنفي الربوبية او الوحدانية او عبادة احد غير الله او مع الله فهي كفر كمقالة الدهرية وسائر

وسائر فرق اصحاب الاثنين من الديصانية والمانوية واشباههم من الصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا بعبادة الاوثان او الملائكة او الشياطين او الشمس او النجوم او النار او احد غير الله من مشركي العرب واهل الهند والصين والسودان وغيرهم ممن لا يرجع الى كتاب وكذلك القرامطة واصحاب الحلول والتناسخ من الباطنية والطيارة من الروافض وكذلك من اعترف بالهية الله تعالى ووحدانيته ولكنه اعتقد انه غير حي او غير قديم وانه محدث او مصور او ادعى له ولدا وصاحبة او والدا او متولد من شيء او كائن عنه او ان معه في الازل شيئا قديما غيره او ان ثم صانعا للعالم سواه او مدبرا غيره فذلك كله كفر باجماع المسلمين كقول الالاهيين من الفلاسفة والمنجمين والطبايعيين وكذلك من ادعى مجالسة الله سبحانه والعروج اليه ومكالمته او حلوله في احد الاشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة وكذلك نقطع على كفر من قال بقدم العالم او بقائه او شك في ذلك على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية او قال بتناسخ الارواح وانتقالها ابد الاباد في الاشخاص وتعذيبها او تنعمها فيها بحسب زكائها وخبثها وكذلك من اعترف بالالاهية والوحدانية ولكنه جحد النبوة من اصلها عموما او نبوة نبينا خصوصا او واحدا من الانبياء الذين نص الله عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر بلا ريب كالبراهمة ومعظم اليهود والاروسية من النصارى والغرابية من الروافض الزاعمين ان عليا كان المبعوث اليه جبرائيل وكالمعطلة والقرامطة والاسماعيلية والعنبرية من الروافض وان كان بعض هؤلاء قد اشركوا في كفر اخر مع من قبلهم وكذلك من دان بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة نبينا عليه السلام ولكن جوز على الانبياء الكذب فيما اتوا به ادعى في ذلك المصلحة بزعمه او لم يدعها

فهو كافر باجماع كالمتفلسفين وبعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة واصحاب الاباحة فان هؤلاء زعموا ان ظواهر الشرع واكثر ما جاءت به الرسل من الاخبار عما كان او يكون من امور الاخرة والحشر والقيمة والجنة والنار ليس منها شيء على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها وانما خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة لهم اذ لم يمكنهم التصريح لقصور افهامهم فمضمن مقالاتهم ابطال الشرائع وتعطيل الاوامر والنواهي وتكذيب الرسل والارتياب فيما اتوا به وكذلك من اضاف الى نبينا عليه السلام تعمد الكذب فيما بلغه واخبر به او شك في صدقه او سبه او قال انه لم يبلغ واستخف به او باحد من الانبياء او ازرى عليهم او اذاهم او قتل نبيا او حاربه فهو كافر باجماع وكذلك نكفر من ذهب مذهب بعض القدماء في ان لكل جنس من الحيوان نذيرا او نبيا من القردة والخنازير والدواب والدود ويحتج بقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير اذ ذلك يؤدي الى ان توصف انبياء هذه الاجناس بصفاتهم المذمومة وفيه من الازراء على هذا المنصب المنيف ما فيه مع اجماع المسلمين على خلافه وتكذيب قائله وكذلك نكفر من اعترف من الاصول الصحيحة بما قدم ونبوة نبينا عليه السلام ولكن قال كان اسود او مات قبل ان يلتحي او ليس الذي كان بمكة والحجاز او ليس بقرشي لان وصفه بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب به وكذلك من ادعى نبوة احد مع نبينا عليه السلام او بعده كالعيسوية من اليهود القائلين بتخصيص رسالته الى العرب وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل وكاكثر الرافضة القائلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي عليه السلام وبعده وكذا كل امام عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة والحجة وكالبزيعية والبيانية منهم القائلين بنبوة بزيع وبيان واشباه هؤلاء او من ادعى منهم النبوة لنفسه او جواز اكتسابها والبلوغ

والبلوغ بصفاء القلب الى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة عامة المتصوفة وكذلك من ادعى منهم انه يوحى اليه وان لم يدع النبوة او انه يصعد الى السماء ويدخل الجنة ويأكل من ثمارها ويعانق الحور العين فهؤلاء كلهم كفار مكذبون للنبي عليه السلام لانه خاتم النبيين ولا نبي بعده واخبر الله تعالى انه خاتم النبيين وانه ارسل كافة للناس واجمعت الامة على حمل هذا الكلام على ظاهره وان مفهومه المراد به دون تخصيص ولا تأويل فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف كلها قطعا اجماعا وسمعا وكذلك وقع الاجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب او خص حديثا مجمعا على نقله مقطوعا به مجمعا على حمله على ظاهره كتكفيرنا الخوارج بابطال الرجم ولهذا نكفر من لم يكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل او وقف فيهم او شك او صحح مذهبهم وان اظهر مع ذلك الاسلام او اعتقد ابطال كل مذهب سواه فهو كافر باظهاره ما اظهره من خلاف ذلك وكذلك يقطع بتكفير كل قائل قال قولا يتوصل به الى تضليل الامة او تكفير جميع الصحابة كقول الكميلية من الرافضة بتكفير جميع الامة بعد موت النبي عليه السلام اذ لم تقدم عليا وكفرت عليا اذ لم يتقدم ولم يطلب حقه في التقديم فهؤلاء قد كفروا من وجوه لانهم ابطلوا الشريعة باسرها اذ قد انقطع نقلها ونقل القران اذ ناقلوه كفرة على زعمهم والى هذا والله اعلم اشار مالك في احد قوليه بقتل من كفر الصحابة ثم كفروا من وجه اخر بسبهم النبي عليه السلام على مقتضى قولهم وزعمهم انه عهد الى علي وهو يعلم انه يكفر بعده على قولهم لعنهم الله وصلى الله عليه وسلم على رسوله ومحمد واله وكذلك نكفر بكل فعل اجمع المسلمون على انه لا يصدر الا من كافر وان كان صاحبه مصرحا بالاسلام مع فعل ذلك الفعل كالسجود للصنم او للشمس او القمر والصليب والنار والسعي الى الكنائس والبيع

مع اهلها والزي بزيهم من شد الزنانير وفحص الروس فقد اجمع المسلمون
ان هذا لا يوجد الا من كافر وان هذه الافعال علامة على الكفر وان صرح
فاعلها بالاسلام وكذلك اجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل
او شرب الخمر او الزنا مما حرم الله بعد علمه بتحريمه كاصحاب الاباحة من القرامطة
وبعض غلاة المتصوفة وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب وانكر قاعدة
من قواعد الشرع وما عرف يقينا بالنقل المتواتر من فعل الرسول عليه السلام ووقع
الاجماع المتصل عليه كمن انكر وجوب الخمس الصلوات او عدد ركعاتها وسجداتها
ويقول انما اوجب الله علينا في كتابه الصلوة على الجملة وكونها خمسا وعلى هذه
الصفات والشروط لا اعلمه اذ لم يرد فيه في القرآن نص جلي والخبر به عن الرسول
الله تعالى خبر واحد وكذلك اجمع المسلمون على تكفير الباطنية في قولهم ان الفرائض
اسماء رجال امروا بولايتهم والخبائث والمحارم اسماء رجال امروا بالبراءة منهم
وقول بعض المتصوفة ان العبادة وطول المجاهدة اذا صفت نفوسهم افضت
بهم الى اسقاطها واباحة كل شيء لهم ورفع عهد الشرائع عنهم وكذلك
ان انكر منكر مكة او البيت او المسجد الحرام او صفة الحج او قال الحج واجب في القرآن
واستقبال القبلة كذلك ولكن كونه على هذه الهيئة المتعارفة وان تلك البقعة
هي مكة او البيت والمسجد الحرام لا ادري هل هي تلك او غيرها ولعل الناقلين
ان النبي عليه السلام فسرها بهذه التفاسير غلطوا ووهموا فهذا ومثله
لا مرية في تكفيره ان كان ممن يظن به علم ذلك او ممن خالط المسلمين وامتدت
صحبته لهم الا ان يكون حديث عهد باسلام فيقال له واشتدت سبيلك
ان تسأل عن هذا الذي لم تعلمه بعد كافة المسلمين فلا تجد بينهم خلافا كافة عن
كافة الى معاصر الرسول صلى الله عليه وسلم ان هذه الامور كما قيل لك وان تلك

البقعة هي مكة والبيت الذي فيها هي الكعبة والقبلة التي صلى لها
الرسول عليه السلام والمسلمون وحجوا اليها وطافوا بها وان تلك الافعال
هي صفات عبادة الحج والمراد به وهي التي فعلها النبي عليه السلام والمسلمون
وان صفات الصلوة المذكورة هي التي فعل النبي عليه السلام وشرح مراد
الله بذلك وابان حدودها فيقع لك العلم كما وقع لهم ولا ترتاب بذلك بعد
والمرتاب في ذلك او المنكر بعد البحث وصحبة المسلمين كافر باتفاق ولا يعذر
بقوله لا ادري ولا يصدق فيه بل ظاهره التستر عن التكذيب اذ لا يمكن انه لا يدري
وايضا فانه اذا جوز على جميع الامة الوهم والغلط فيما نقلوه من ذلك واجمعوا
انه قول الرسول وفعله وتفسير مراد الله به وادخل الاسترابة في جميع الشريعة
اذ هم الناقلون لها وللقرآن وانحلت عرى الدين كرة ومن قال هذا كافر
وكذلك من انكر القرآن او حرفا منه او زعم انه ليس بحجة ولا معجزة كقول هشام
الفوطي ومعمر الضيمري انه لا يدل على الله ولا حجة فيه لرسوله ولا يدل على ثواب
ولا عقاب ولا حكم ولا محالة في كفرهما بذلك القول وكذلك تكفيرهما بانكارهما
ان يكون في سائر معجزات النبي عليه السلام حجة له او في خلق السموات والارض دليل
لمخالفتهم الاجماع والنقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم باحتجاجه بهذا
كله وتصريح القرآن به وكذلك من انكر شيئا مما نص فيه القرآن بعد علمه انه من القرآن
الذي في ايدي الناس ومصاحف المسلمين ولم يكن جاهلا به ولا قريب عهد بالاسلام
واحتج لانكاره اما بانه لم يصح النقل عنده ولا بلغه العلم به او لتجويز الوهم عن
ناقله فنكفره بالطريقين المتقدمين لانه مكذب للقرآن ومكذب للنبي عليه السلام
لكنه تستر بدعواه وكذلك من انكر الجنة او النار او البعث او الحساب او القيمة
فهو كافر باجماع للنص عليه واجماع الامة على صحة نقله متواترا وكذلك من اعترف

بذلك ولكنه قال ان المراد بالجنة والنار والحشر والنشر والثواب والعقاب معنى
غير ظاهره وانها لذات روحانية ومعان باطنة كقول النصارى والفلاسفة
والباطنية وبعض المتصوفة وزعمهم ان معنى القيامة الموت او فناء محض وانتقاض
هيئة الافلاك وتحليل العالم كقول بعض الفلاسفة وكذلك نقطع بتكفير غلاة
الرافضة في قولهم ان الائمة افضل من الانبياء فاما من انكر ما عرف بالتواتر من
الاخبار والسير والبلاد التي لا ترجع الى ابطال شريعة ولا تفضي الى انكار قاعدة
من الدين كانكار غزوة تبوك او موتة او وجود ابي بكر وعمر او قتل عثمان او خلافة
علي مما علم بالنقل ضرورة وليس في انكاره جحد شريعة فلا سبيل الى تكفيره
بجحد ذلك وانكار وقوع العلم به وليس له في ذلك اكثر من المباهتة كانكار
هشام وعباد وقعة الجمل ومحاربة علي من خالفه فاما ان ضعف ذلك من اجل
تهمة الناقلين ووهم المسلمين اجمع فنكفره بذلك لسريانه الى ابطال الشريعة فاما
من انكر الاجماع المجرد الذي ليس له طريقه النقل عن الشارع فاكثر المتكلمين
ومن الفقهاء والنظار في هذا الباب قالوا بتكفير كل من خالف الاجماع الصحيح
الجامع لشروط الاجماع المتفق عليه عموما وحجتهم قوله تعالى ومن يشاقق الرسول
من بعد ما تبين له الهدى الاية وقوله عليه السلام من خالف الجماعة قيد شبر
فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وحكوا الاجماع على تكفير من خالف الاجماع وذهب
الاخرون الى الوقوف في تكفير من خالف الاجماع الكائن عن نظر كتكفير النظام
بانكاره الاجماع لانه بقول هذا مخالف اجماع السلف فاحتجاجهم به خرق للاجماع
قال القاضي ابو بكر القول عندي ان الكفر بالله تعالى هو الجهل بوجوده
والايمان بالله هو العلم بوجوده الا ان يكون هو الجهل بالله تعالى فان عصى بقول
او فعل نص الله ورسوله او اجمع المسلمون انه لا يوجد الا من كافر او يقوم دليل

دليل على ذلك فقد كفر ليس لاجل قوله او فعله لكن لما يقارنه من الكفر فالكفر
بالله تعالى لا يكون الا باحد ثلثة امور احدها الجهل بالله تعالى والثاني ان ياتي
فعلا او يقول قولا يخبر الله ورسوله او يجمع المسلمون ان ذلك لا يكون الا من
كافر كالسجود للصنم او المشي الى الكنائس بالتزام الزنار مع زي
اصحابها في اعيادهم او يكون ذلك القول او الفعل لا يمكن معه العلم بالله قال
فهذان الضربان وان لم يكونا جهلا بالله فهما علم ان فاعلهما كافر منسلخ من الايمان
فاما من نفى صفة من صفات الله الذاتية او جحدها مستبصرا في ذلك كقوله ليس
بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك من صفات الكمال الواجبة له
تعالى فقد نص ائمتنا على الاجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها واعراه عنها
وعلى هذا حمل قول سحنون من قال ليس لله تعالى كلام فهو كافر وهو لا يكفر
المتأولين كما قدمناه فاما من جهل صفة من هذه الصفات فاختلف العلماء هنا
فكفره بعضهم وحكي ذلك عن ابي جعفر الطبري وغيره وقال به ابو الحسن الاشعري
مرة وذهبت طائفة الى ان هذا لا يخرجه عن اسم الايمان واليه رجع الاشعري قال لانه
لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع بصوابه ويراه دينا وشرعا وانما نكفر من اعتقد
ان مقاله حق واحتج هؤلاء بحديث السوداء وان النبي عليه السلام انما طلب منها
التوحيد لا غير وبحديث القائل لئن قدر الله علي وفي رواية فيه لعلي اضل الله
ثم قال فغفر الله له قالوا ولو بوحث اكثر الناس عن الصفات وكوشفوا عنها لما وجد
من يعلمها الا الاقل وقد اجاب الاخر عن هذا الحديث بوجوه منها ان قدر بمعنى قدر
ولا يكون شكه في قدرة على احيائه بل في نفس البعث الذي لا يعلم الا بشرع ولعله
لم يكن ورد عندهم به شرع يقطع عليه فيكون الشرع الشك به حينئذ كفر فاما
ما لم يرد به شرع فهو من مجوزات العقول او يكون قدر بمعنى ضيق ويكون ما فعله

بنفسه ازراء عليها وغضبا لعصيانها وقيل انما كان هذا فال ما قاله وهو
غير عاقل لكلامه ولا ضابط للفظه مما استولى عليه من الجزع والخشية التى
اذهلت لبه فلم يؤاخذ به وقيل انما كان هذا فى زمن الفترة وحيث ينفع مجرد
التوحيد وقيل بل هذا من مجاز كلام العرب الذى صورته الشك ومعناه التحقيق
وهو يسمى تجاهل العارف وله امثلة فى كلامهم كقوله تعالى لعله يتذكر او يخشى
وقوله وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين فاما من اثبت الوصف ونفى الصفة
فقال اقول عالم ولكن لا علم له ومتكلم ولكن لا كلام له وهكذا فى سائر الصفات
على مذهب المعتزلة فمن قال بالمآل لما يؤدى اليه قوله ويسوقه اليه مذهبه كفره
لانه اذا نفى العلم انتفى وصف عالم اذ لا يوصف بعالم الا من له علم فكانهم صرحوا
عنده بما ادى اليه قولهم وهكذا عند هذا سائر فرق اهل التاويل من المشبهة
والقدرية وغيرهم ومن لم يؤاخذهم بمآل قولهم ولا الزمهم موجب مذهبهم من
لم ير اكفارهم قال لانهم اذا وقفوا على هذا قالوا لا نقل ليس بعالم ونحن ننتفى من
القول بالمآل الذى الزمموه لنا ونعتقده نحن وانتم انه كفر بل نقول ان قولنا
لا يؤول اليه على ما اصلناه فعلى هذين المأخذين اختلف الناس فى اكفار اهل
التأويل واذا فهمته اتضح لك الموجب لاختلاف الناس فى ذلك والصواب ترك
اكفارهم والاعراض عن الحتم عليهم بالخسران واجراء حكم الاسلام فى قصاصهم
ووراثاتهم ومناكحتهم ودياتهم والصلوة عليهم ودفنهم فى مقابر المسلمين وسائر
معاملاتهم لكن يغلظ عليهم بوجيع الادب وشديد الزجر والهجر حتى يرجعوا
عن بدعتهم وهذه كانت سيرة صدر الاول فيهم فقد كان نشأ على زمن
الصحابة وبعدهم فى التابعين من قال بهذه الاقوال من القدر ورأى الخوارج
والاعتزال فما ازاحوا لهم قبرا ولا قطعوا لاحد منهم ميراثا لكنهم هجروهم بالضرب
حوالهم

بالضرب والنفى والقتل على قدر احوالهم لانهم فساق ضلال عصاة اصحاب
كبائر عند المحققين واهل السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافا لمن رأى غير ذلك
والموفق للصواب قال القاضى ابو بكر واما مسائل الوعد والوعيد والرؤية و
المخلوق وخلق الافعال وبقاء الاعراض والتولد وشبهها من الدقائق فالمنع من
اكفار المتأولين فيها اوضح اذ ليس فى الجهل بشئ منها جهل بالله تعالى ولا اجمع
المسلمون على اكفار من جهل شيئا منها وقدمناه فى الفصل قبله من الكلام وصورة
الخلاف فى هذا ما اغنى عن اعادته بحول الله تعالى فصل هذا حكم المسلم الساب
لله تعالى واما الذمى فروى عن عبد الله بن عمر فى ذمى تناول من حرمة الله غير ما هو
عليه من دينه وحاج فيه فخرج ابن عمر عليه بالسيف فطلبه فهرب وقال مالك فى كتاب
ابن حبيب والمبسوطة وابن القاسم فى المبسوط وكتاب محمد وابن سحنون من شتم الله
من اليهود والنصارى بغير الذى به كفروا قتل ولم يستتب قال ابن القاسم الا ان يسلم
قال فى المبسوط طوعا قال اصبغ لان الوجه الذى به كفروا هو دينهم وعليه عوهدوا
من دعوى الصاحبة والشريك والولد واما غير هذا من الفرية والشتم
فلم يعاهدوا عليه فهو نقض للعهد قال ابن القاسم فى كتاب محمد ومن شتم من غير
اهل الاديان الله بغير الوجه الذى ذكر فى كتابه قتل الا ان يسلم وقال المخزومى فى
المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن ابى حازم لا يقتل حتى يستتاب مسلما كان او كافرا
فان تاب والا قتل وقال مطرف وابن عبد الملك مثل قول مالك وقال ابو محمد بن
ابى زيد من سب الله بغير الوجه الذى به كفر قتل الا ان يسلم وقد ذكرنا قول ابن الجلاب
قبل وذكرنا قول عبيد الله وابن لبابة وشيوخ الاندلسيين فى النصرانية وفتياهم
بقتلها لسبها بالوجه الذى كفرت به لله تعالى والنبى صلى الله عليه وسلم واجماعهم
على ذلك وهو نحو القول الآخر فيمن سب النبى عليه السلام منهم بالوجه الذى كفر به

ولا فرق فى ذلك بين من سب الله به وسب نبيه لانا عاهدناهم على ان لا يظهروا
لنا شيئا من كفرهم وان لا يسمعونا شيئا من ذلك فمتى فعلوا شيئا منه فهو
نقض لعهدهم واختلف العلماء فى الذمى اذا تزندق فقال مالك ومطرف وابن
عبد الحكم واصبغ لا يقتل لانه خرج من كفر الى كفر وقال عبد الملك ابن الماجشون
يقتل لانه دين لا يقر عليه احد ولا يؤخذ عليه جزية قال ابن حبيب وما اعلم من قاله
غيره فصل هذا حكم من صرح بسبه تعالى واضافة ما لا يليق بجلاله والاهيته
فاما مفترى الكذب عليه تبارك وتعالى بادعاء الالهية او الرسالة او النافى ان يكون
الله تعالى خالقه او ربه او قال ليس لى رب او المتكلم بما لا يعقل من ذلك فى سكره
او غمرة جنونه فلا خلاف فى كفر قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله كما قدمناه
لكن تقبل توبته على المشهور وتنفعه انابته وتنجيه من القتل فيئته لكنه
لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه عن شديد العقاب ليكون ذلك زجرا لمثله
عن قوله وله عن العودة لكفره او جهله الا من تكرر ذلك منه وعرف استهانته
بما اتى به فهو دليل على سوء طويته وكذب توبته وصار كالزنديق الذى لا نامن
باطنه ولا تقبل رجوعه وحكم السكران فى ذلك حكم الصاحى واما المجنون والمعتوه
فما علم انه قال من ذلك فى حال غمرته وذهاب ميزه بالكلية فلا نظر فيه وما فعله
فى ذلك فى ميزه وان لم يكن معه عقله وسقطه تكليفه ادب على ذلك لينزجر
عنه كما يؤدب على قبائح الافعال ويوالى ادبه على ذلك حتى ينكف عنه كما تؤدب
البهيمة على سوء الخلق حتى تراض وقد حرق على بن ابى طالب من ادعى له الالهية
وقد قتل عبد الملك بن مروان الحارث المتنبى وصلبه وفعل ذلك
غير واحد من الخلفاء الراشدين والملوك باشباههم واجمع علماء وقتهم
على صواب فعلهم والمخالف فى ذلك من كفرهم كافر واجمع فقهاء بغداد ايام المقتدر

المقتدر من المالكية وقاضى قضاتها ابو عمر المالكى على قتل الحلاج وصلبه
لدعواه الالهية والقول بالحلول وقوله انا الحق مع تمسكه فى الظاهر بالشريعة
ولم يقبلوا توبته وكذلك حكموا فى ابن ابى الغراقيد وكان على نحو مذهب
الحلاج بعد هذا ايام الراضى وقاضى قضاة بغداد يومئذ ابو الحسين ابن ابى
عمر المالكى وقال ابن عبد الحكم فى المبسوطة من تنبأ قتل وقال ابو حنيفة واصحابه
من جحد ان الله خالقه او ربه او قال ليس لى رب فهو مرتد وقال ابن القاسم فى
كتاب ابن حبيب ومحمد فى العتبية فيمن تنبأ يستتاب اسر ذلك او اعلنه وهو
كالمرتد وقال سحنون وغيره وقال اشهب فى يهودى تنبأ او ادعى انه رسول
الينا ان كان معلنا بذلك استتيب فان تاب والا قتل وقال ابو محمد بن ابى زيد
فيمن لعن بارئه وادعى ان لسانه زل وانما اراد لعن الشيطان يقتل بكفره ولا تقبل
عذره وهذا على القول الآخر من انه لا يقبل توبته وقال ابو الحسن القابسى فى سكران
قال انا الله انا الله ان تاب ادب فان عاد الى مثل قوله طولب مطالبة الزنديق
لان هذا كفر المتلاعبين فصل واما من تكلم من سقط القول وسخف اللفظ
ممن لم يضبط كلامه واهمل لسانه بما يقتضى الاستخفاف بعظمة ربه وجلالة مولاه
وتمثل فى بعض الاشياء ببعض ما اعظم الله تعالى من ملكوته او نزع من الكلام
المخلوق بما لا يليق الا فى حق خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف ولا عامد للالحاد
فان تكرر هذا منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة ربه وجهله
بعظيم عزته وكبريائه وهذا كفر لا مرية فيه وكذلك ان كان ما اورده يوجب الاستخفاف
والتنقص لربه وقد افتى ابن حبيب واصبغ بن خليل من فقهاء قرطبة بقتل
المعروف بابن اخى عجب وكان خرج يوما فاخذه المطر فقال بدأ الخراز يرش
جلوسه وكان بعض الفقهاء بها ابو زيد صاحب الثمانية وعبد الاعلى بن وهب

وابان بن عيسى قد توقفوا عن سفك دمه واشاروا الى انه عبث من القول يكفي فيه الادب وافتى بمثله القاضي حينئذ موسى بن زياد فقال ابن دمه في عنقي ايشتم ربا عبدناه ثم لا ننتصر له انا اذا لعبيد سوء ما نحن له بعابدين وبكى ورفع المجلس الى الامير بها عبد الرحمن بن الحكم الاموي وكانت عجب عمة هذا المطلوب من حظاياه واعلم باختلاف الفقهاء فخرج الاذن من عنده بالاخذ بقول ابن حبيب وصاحبه وامر بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين وعزل القاضي لتهمته بالمداهنة في هذه القصة ووبخ بقية الفقهاء وسبهم واما من صدرت عنه من ذلك الهنة الواحدة والفلتة الشاردة ما لم يكن تنقصا وازراء فيعاقب عليها ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها وصورة حال قائلها وشرح سببها ومقارنتها وقد سئل ابن القاسم رض عن رجل نادى رجلا باسمه فاجابه لبيك اللهم لبيك قال ان كان جاهلا او قاله على وجه سفه فلا شيء عليه قال القاضي ابو الفضل في شرح قوله انه لا قتل عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب ولو قالها على اعتقاد انزاله منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله وقد اسرف كثير من سخفاء الشعراء ومتهميهم في هذا الباب واستخفوا عظيم هذه الحرمة فاتوا من ذلك بما ننزه كتابنا ولساننا واقلامنا عن ذكره ولولا انا قصدنا نص مسائل حكيناها لما ذكرنا شيئا مما يثقل ذكره علينا مما حكيناه في هذه الفصول واما ما ورد في هذا من اهل الجهالة واغاليط اللسان كقول بعض الاعراب رب العباد ما لنا وما لكا قد كنت تسقينا فما بدا لكا انزل علينا الغيث لا ابا لكا في اشباه لهذا من كلام الجهال ومن لم يقومه ثقاف تاديب الشريعة والعلم في هذا الباب فقلما يصدر الا من جاهل يجب تعليمه وزجره والاغلاظ له عن العودة لمثله قال ابو سليمان الخطابي وهذا تهور

التهور من القول والله جل جلاله منزه عن هذه الامور وقد روينا عن عون بن عبد الله انه قال ليعظم احدكم ربه ان يذكر اسمه في كل شيء حتى لا يقول اخزى الله الكلب وفعل به كذا وكان بعض من ادركنا من مشايخنا قلما يذكر اسم الله الا فيما يتصل بطاعته وكان يقول للانسان جزيت خيرا وقلما يقول جزاك الله خيرا اعظاما لاسمه تعالى ان يمتهن في غير قربة وحدثنا الثقة ان الامام ابا بكر الشاشي كان يعيب على اهل الكلام كثرة خوضهم فيه تعالى وفي ذكر صفاته اجلالا لاسمه تعالى ويقول هؤلاء يتمندلون بالله عز وجل وينزل الكلام في هذا الباب تنزيله في باب ساب النبي عليه السلام وعلى الوجوه التي فصلناها والله الموفق

فصل وحكم من سب سائر انبياء الله تعالى وملائكته او استخف بهم او كذبهم فيما اتوا به او انكرهم وجحدهم حكم نبينا عليه السلام على مساق ما قدمناه قال الله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض الاية وقال الله تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم الاية الى قوله لا نفرق بين احد منهم وقال كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله قال مالك في كتاب ابن حبيب ومحمد وقال ابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ وسحنون فيمن شتم الانبياء او واحدا منهم او تنقصه قتل ولم يستتب ومن سبهم من اهل الذمة قتل الا ان يسلم وروى سحنون عن ابن القاسم من سب الانبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي كفروا به ضربت عنقه الا ان يسلم وقد تقدم الخلاف في هذا الاصل وقال القاضي بقرطبة سعيد بن سليمان في بعض اجوبته من سب الله تعالى وملائكته قتل وقال سحنون من شتم ملكا من الملائكة فعليه القتل وفي النوادر عن مالك فيمن قال ان جبريل اخطا

بالوحي وانما كان النبي علي بن ابي طالب استتيب فان تاب والا قتل ونحوه عن سحنون وهذا قول الغرابية من الروافض سموا بذلك لقولهم وكان النبي اشبه بعلي من الغراب بالغراب وقال ابو حنيفة واصحابه على اصلهم من كذب باحد من الانبياء او تنقص احدا منهم او برئ منه فهو مرتد يقتل وقال ابو الحسن القابسي في الذي قال لاخر كانه وجه مالك الغضبان لو عرف انه قصد ذم الملك قتل قال القاضي ابو الفضل وهذا كله فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جملة الملائكة والنبيين ممن نص الله عليه في كتابه او حققنا علمه بالخبر المتواتر والمشتهر المتفق عليه بالاجماع القاطع كجبريل وميكائيل ومالك وخزنة الجنة وجهنم والزبانية وحملة العرش المذكورين في القران من الملائكة ومن سمي فيه من الانبياء وكعزرائيل واسرافيل ورضوان والحفظة ومنكر ونكير من الملائكة المتفق على قبول خبرهما فاما من لم تثبت الاخبار بتعيينه ولا وقع الاجماع على كونه من الملائكة او الانبياء كهاروت وماروت في الملائكة والخضر ولقمان وذي القرنين ومريم واسية وخالد بن سنان المذكور انه نبي اهل الرس وزرادشت الذي تدعي المجوس والمؤرخون نبوته فليس الحكم في سابهم والكافر بهم كالحكم فيمن قدمنا اذ لم تثبت لهم تلك الحرمة ولكن يزجر من تنقصهم واذاهم ويؤدب بقدر حال المقول فيهم لا سيما من عرفت صديقيته وفضله منهم وان لم تثبت نبوته واما انكار نبوتهم او كون الاخر من الملائكة فان كان المتكلم في ذلك من اهل العلم فلا حرج لاختلاف العلماء في ذلك وان كان من عوام الناس زجر عن الخوض في مثل هذا فان عاد ادب اذ ليس لهم الكلام في مثل هذا وقد كره السلف الكلام في مثل هذا مما ليس تحته عمل لاهل العلم فكيف للعامة

فصل واعلم ان من استخف بالقران او المصحف او بشيء

او بشيء منه او سبهما او جحده او حرفا منه او اية او كذب به او بشيء منه او كذب شيئا مما صرح به فيه من حكم او خبر او اثبت ما نفاه او نفى ما اثبته على علم منه بذلك او شك في شيء من ذلك فهو كافر عند اهل العلم باجماع قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد حدثنا الفقيه ابو الوليد هشام بن احمد قال حدثنا ابو علي ثنا ابن عبد البر ثنا ابن عبد المؤمن حدثنا ابن داسة ثنا ابو داود حدثنا احمد بن حنبل ثنا يزيد بن هارون ثنا محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة عن النبي عليه السلام قال المراء في القران كفر تؤول بمعنى الشك وبمعنى الجدال وعن ابن عباس عن النبي عليه السلام من جحد اية من كتاب الله تعالى من المسلمين فقد حل ضرب عنقه وكذلك ان جحد التوراة والانجيل وكتب الله المنزلة او كفر بها او لعنها او سبها او استخف بها فهو كافر وقد اجمع المسلمون ان القران المتلو في جميع اقطار الارض المكتوب في المصحف بايدي المسلمين مما جمعه الدفتان من اول الحمد لله رب العالمين الى اخر قل اعوذ برب الناس انه كلام الله تعالى ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان جميع ما فيه حق وان من نقص منه حرفا قاصدا لذلك او بدله بحرف مكانه او زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع الاجماع عليه واجمع على انه ليس من القران عامدا لكل هذا انه كافر ولهذا راى مالك قتل من سب رض بالفرية لانه خالف القران ومن خالف القران قتل اي لانه كذب بما فيه وقال ابن القاسم من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما يقتل وقال عبد الرحمن بن مهدي وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب الله تضرب عنقه الا ان يتوب وكذلك كل من كذب بحرف منه قال وكذلك ان شهد شاهد عدل على من قال

ان الله يكلم موسى تكليما وشهد آخر عليه انه قال ان الله ما اتخذ ابرهيم خليلا
لانهما اجتمعا على انه كذب النبي عليه السلام وقال ابو عثمان بن الحداد جميع من
ينتحل التوحيد متفقون ان الجحد بحرف من التنزيل كفر وكان ابو العالية اذا قرا
عنده رجل لم يقل له ليس كما قرأت ويقول اما انا فاقرأ كذا فبلغ ذلك ابرهيم
فقال اراه سمع انه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله ومن كفر به قتل وقال
اصبغ بن الفرج من كذب ببعض القرآن فقد كذب به كله ومن كذب فقد كفر
ومن كفر به فقد كفر بالله وقد سئل القابسي عمن خاصم يهوديا فحلف له
بالتورية فقال الآخر لعن الله التورية فشهد عليه بذلك شاهد ثم شهد آخر انه
سأله عن القضية فقال انما لعنت تورية اليهود فقال ابو الحسن الشاهد
لا يوجب القتل والثاني علق الامر بصفة تحتمل التاويل اذ لعله لا يرى
اليهود متمسكين بشيء من عند الله كتبديلهم وتحريفهم ولو اتفق الشاهدان
على لعن التورية مجردا لضاق التاويل وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة ابن
شنبوذ المقري احد ائمة المقرئين المتصدرين بها مع ابن مجاهد لقراءته واقرائه
بشواذ من الحروف مما ليس في المصحف وعقدوا عليه بالرجوع عنه
والتوبة منه سجلا اشهد فيه بذلك على نفسه في مجلس الوزير ابي علي بن مقلة
سنة ثلث وعشرين وثلاثمائة وكان فيمن افتى عليه بذلك ابو بكر الابهري
وغيره وافتى ابو محمد بن ابي زيد بالادب فيمن قال لصبي لعن الله معلمك
وما علمك وقال اردت سوء الادب ولم ارد القرآن قال ابو محمد واما من لعن المصحف فانه يقتل فصل واما من سب
آل بيته وازواجه واصحابه عليه السلام وتنقصهم حرام ملعون فاعله حدثنا
القاضي الشهيد ابو علي ثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل العدل ثنا ابو علي
حدثنا ابو علي السنجي ثنا ابن محبوب ثنا الترمذي حدثنا محمد بن يحيى ثنا يعقوب

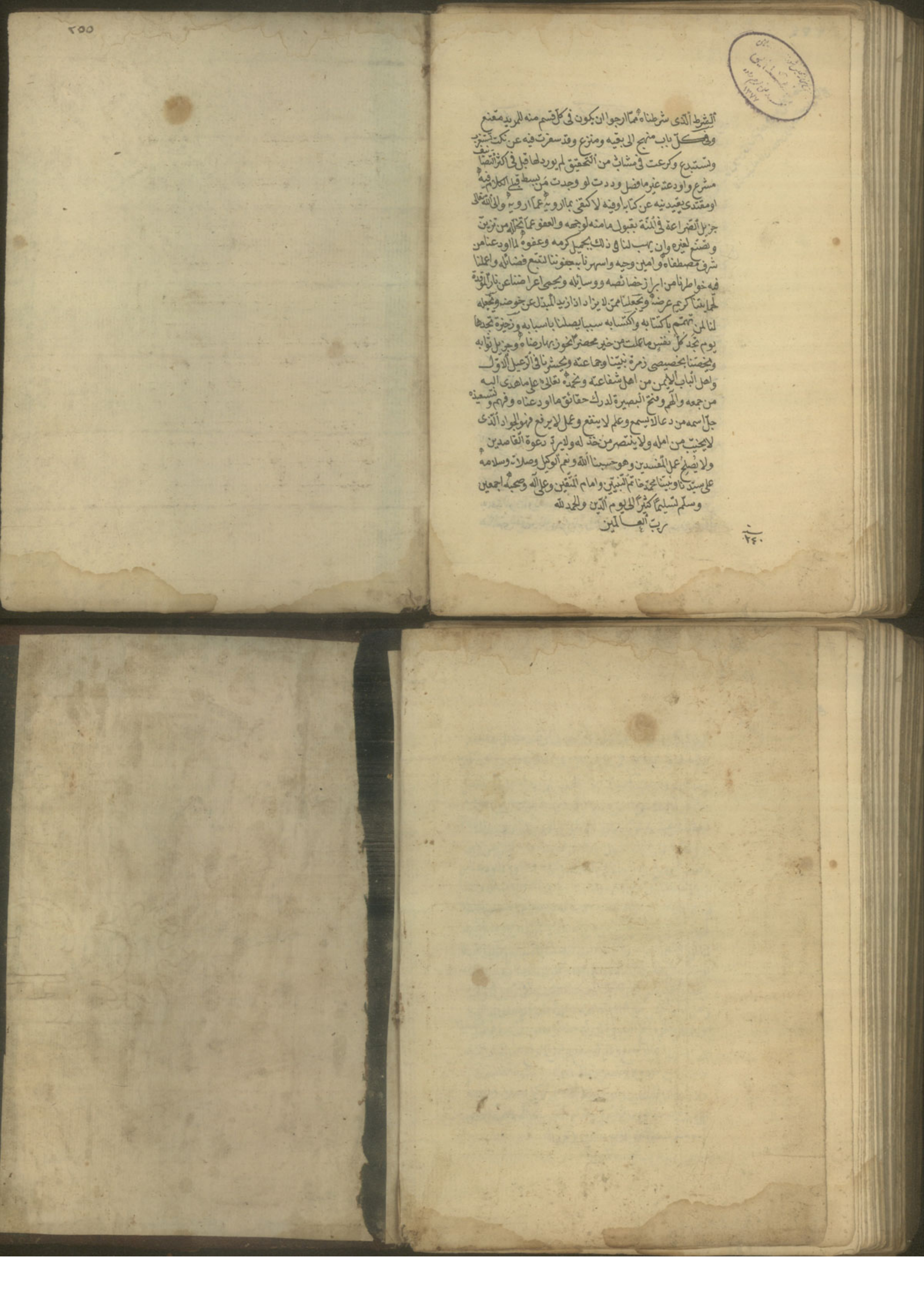
يعقوب بن ابرهيم حدثنا عبيد بن ابي رايط عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله
بن مغفل قال قال رسول الله عليه السلام الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي
فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني
ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان يأخذه وقال رسول الله عليه السلام
لا تسبوا اصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله
منه صرفا ولا عدلا وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فانه يجيء قوم في آخر
الزمان يسبون اصحابي فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم
وان مرضوا فلا تعودوهم وعنه عليه السلام من سب اصحابي فاضربوه وقد اعلم
النبي عليه السلام ان سبهم واذاهم يؤذيه واذى النبي عليه السلام حرام فقال
لا تؤذوني في اصحابي فان من اذاهم فقد اذاني قال لا تؤذوني في عائشة وقال
في فاطمة هي بضعة مني يؤذيني ما اذاها وقد اختلف العلماء في هذا المشهور
مذهب مالك في ذلك الاجتهاد والادب الوجيع قال مالك رح من شتم النبي
عليه السلام قتل ومن شتم اصحابه ادب وقال ايضا من شتم احدا من اصحاب
النبي عليه السلام ابا بكر او عمر او عثمان او عليا او معاوية او عمرو بن العاص رضوان
الله عليهم اجمعين فان قال كانوا على ضلالة وكفر قتل وقال ابن حبيب من غلا
من الشيعة الى بغض عثمان والبراءة منه ادب ادبا او دبا شديدا ومن زاد
الى بغض ابي بكر وعمر فالعقوبة اشد يكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت ولا
يبلغ به القتل في سب النبي عليه السلام وقال سحنون من كفر احدا من اصحاب رسول الله
عليه السلام عليا او عثمان او غيرهما يوجع ضربا وحكى ابو محمد بن ابي زيد عن سحنون
من قال في ابي بكر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم اجمعين انهم كانوا على ضلالة
وكفر قتل ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد وروى

لا تؤذونی

ورُوي عن مالك من شتم ابا بكر جلد ومن شتم عائشة قتل قيل لم قال
من رماها فقد خالف القرآن وقال ابن شعبان عنه لان الله تعالى يقول يعظكم الله ان تعودوا
لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين فمن عاد لمثله فقد كفر وحكى ابو الحسن الصقلي ان القاضي
ابا بكر بن الطيب قال ان الله تعالى اذا ذكر في القرآن ما نسبه اليه المشركون سبح
نفسه لنفسه كقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه في آي كثيرة وذكر
تعالى ما نسبه المنافقون الى عائشة رضه فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون
لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا سبح نفسه في تبرئتها من السوء
كما سبح نفسه في تبرئته من السوء وهذا يشهد لقول مالك رضه في قتل من سب
عائشة رضوان الله عليهم اجمعين ومعنى هذا والله اعلم ان الله تعالى لما عظم سبها
كما عظم سبه وكان سبها سبا لنبيه عليه وقرن سب نبيه بسبه واذاه باذاه
تعالى وكان حكم موذيه تعالى القتل وكان حكم موذي نبيه كذلك كما قدمناه
وشتم رجل عائشة رضه بالكوفة فقدم الى موسى بن عيسى العباسي فقال من حضر
هذا فقال ابن ابي ليلى انا فجلده ثمانين وحلق رأسه واسلمه في الحجامين
وروي عن عمر بن الخطاب رضه انه نذر قطع لسان عبيد الله بن عمر اذ شتم
المقداد الاسود فكلم في ذلك فقال دعوني اقطع لسانه حتى لا يشتم احد بعد
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وروى ابو ذر الهروي ان عمر بن الخطاب رضه
اتي باعرابي يهجو الانصار فقال لولا ان له صحبة لكفيتكموه قال مالك
من انتقص احدا من اصحاب النبي عليه السلام فليس له في هذا الفيء حق قد قسم
الله الفيء في ثلثة اقسام فقال تعالى للفقراء المهاجرين الآية ثم قال والذين
تبوؤا الدار والايمان من قبلهم الآية وهؤلاء الانصار ثم قال والذين جاؤا من
بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان فمن تنقصهم فلا

فلا حق له في فيء المسلمين وفي كتاب ابن شعبان من قال في واحد منهم ابن زانية وامه
مسلمة حد عند بعض اصحابنا حدين حدا له وحدا للامة ولا اجعله كقاذف
الجماعة في كلمة لفضل هذا على غيره ولقوله عليه السلام من سب اصحابي
فاجلدوه قال ومن قام بما يجب له والا فمن قام به من المسلمين كان على الامام
قبول قيامه قال وليس هذا كحقوق غير الصحابة لحرمة هؤلاء بنبيهم صلى الله عليه
وسلم ولو سمعه الامام واشهد كان عليه كان ولي القيام به قال ومن سب
غير عائشة من ازواج النبي عليه السلام ففيها قولان احدهما يقتل لانه من سب
النبي عليه السلام بسبب سب حليلته والآخر انها كسائر الصحابة يجلد حد
المفتري قال وبالاول اقول وروى ابو المصعب عن مالك
من سب الى آل بيت النبي عليه السلام يضرب ضربا وجيعا ويشهر ويحبس
طويلا حتى يظهر توبته لانه استخفاف بحق النبي عليه السلام وافتى ابو المطرف
الشعبي فقيه مالقة في رجل انكر تحلف امرأة بالليل وقال لو كانت بنت
ابي بكر الصديق ما حلفت الا بالليل وصوب قوله المتسمي بالفقه فقال
ابو المطرف ذكر هذا لابنة ابي بكر في مثل هذا يوجب عليه الضرب الشديد
والسجن الطويل والفقيه الذي صوب قوله هو اخص باسم الفسق من اسم
الفقيه فيتقدم اليه في ذلك ويزجر ولا تقبل فتواه ولا شهادته وهي جرحة
ثابتة فيه ويبغض في الله تعالى وقال ابو عمران في رجل قال لو شهد
علي ابو بكر الصديق رح انه ان كان اراد ان شهادته في مثل هذا لا يجوز فيه
الشاهد الواحد فلا شيء عليه وان كان اراد غير هذا فيضرب ضربا يبلغ
به حد الموت وذكروها رواية قال القاضي ابو الفضل
هنا انتهى القول بنا فيما حررناه وانتجز الغرض الذي انتحيناه واستوفى

قال ومن قذف ام احدهم وهي كافرة حد الفرية لانه سب له فان احدا من ولد هذا الصحابي حيا حي



الشرط الذى شرطناه مما ارجوا ان يكون فى كل قسم منه للمريد مقنع
وفى كل باب منهج الى بغيه ومنزع وقد سفرت فيه عن نكت تستغرب
وتستبدع وكرعت فى مشارب من التحقيق لم يورد لها قبل فى اكثر التصانيف
مشرع واودعته غير ما فضل ووددت لو وجدت من بسط قبلى الكلام فيه
او مقتدى يغنينى عنه عن كتابا وفيه لاكتفى بما رويته عما اروية والى الله تعالى
جزيل الضراعة فى المنة بقبول ما منه لوجهه والعفو عما تخلله من تزين
وتصنع لغيره وان يهب لنا فى ذلك بجميل كرمه وعفوه لما اودعناه من
شرف مصطفاه وامين وحيه واسهرنا به جفوننا لتتبع فضائله واعملنا
فيه خواطرنا من ابراز خصائصه ووسائله ويحمى اعراضنا عن نار الموقدة
لحمايتنا كريم عرضه ويجعلنا ممن لا يزاد اذا زيد المبدل عن حوضه ويجعله
لنا لمن تهمم باكتتابه واكتسابه سببا يصلنا باسبابه وذخيرة نجدها
يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا نحوز بها رضاه وجزيل ثوابه
ويخصنا بخصيصى زمرة نبينا وجماعته ويحشرنا فى الرعيل الاول
واهل الباب الايمن من اهل شفاعته ونحمده تعالى على ما هدى اليه
من جمعه والهم ومنح البصيرة لدرك حقائق ما اودعناه وفهم ونستعيذه
جل اسمه من دعا لا يسمع وعلم لا ينفع وعمل لا يرفع فهو الجواد الذى
لا يخيب من امله ولا ينتصر من خذله ولا يرد دعوة القاصدين
ولا يصلح عمل المفسدين وهو حسبنا الله ونعم الوكيل وصلاته وسلامه
على سيدنا ونبينا محمد خاتم النبيين وامام المتقين وعلى اله وصحبه اجمعين
وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله
رب العالمين

